الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية

دراسة في بيان القرآن الكريم وإعجازه

◻ الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية

تأليف : الدكتور جمال محمود أبو حسان

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد©

قياس القطع: ١٧×٢٤

الرقم المعياري الدولي: ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-١٨٢-٨

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : ٢٩٣١/ ٨/ ٢٠١٠

دار الفتح للدراسات والنشر

هاتف ١٩٩ ٤٦ ٤٦ (٠٠٩٦٢)

جوال ٠٥٨ ٠٣٨ ٧٩٩ (٠٠٩٦٢)

ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن

البريد الإلكتروني: info@daralfath.com

الموقع على شبكة الإنترنت: www.daralfath.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر.

الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية

دراسة في بيان القرآن الكريم وإعجازه

تأليف

الدكتور جمال محمود أبو حسان

وقدم له

العلامة المفسر

الدكتور فضل حسن عباس

دار الفتح للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ صاحب الفضيلة
الشيخ العلّامة المفسّر
الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس
حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

إنه لرحمة في هدايته، وذكرى في إعجازه، وإذا كان القرآن الكريم معجزة عامة من حيث تشريعاته وإشاراته العلمية الكونية وبيانه وأسلوبه فإن أعظم هذه الأوجه وأكثرها شمولا الإعجاز البياني.

ولقد تعددت نواحي هذا الإعجاز فقد يكون في التقديم والتأخير وفي الحذف والذكر أو في الفصل والوصل وغير ذلك مما هو معلوم في كتب الإعجاز. ولكن هذه جميعا لا نجدها في كل آية من آي القرآن الكريم، فقد نجد بعضها في آية وبعضها الآخر في آية أخرى لكن هناك ضرباً لا تخلو منه آية من القرآن الكريم ذلكم هو الفاصلة القرآنية ففي كل آية من الآيات فاصلة لذا كانت العناية بدراسة الفاصلة القرآنية قديماً وحديثاً.

وهذه الفاصلة لا أقول من أهم روافد الإعجاز بل هي لب الإعجاز وجوهره. والمتتبع لكثير من كتب التفسير يجد ما يثلج الصدر ويفرح القلب ويهز المشاعر وتخشع به الروح واليكم هذين المثالين:

قال الزمخشري: في تفسير سورة البقرة عند الآية الثالثة عشرة ما نصه: «فإن قلت فلم فصلت هذه الآية بـ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ والتي قبلها بـ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ﴾.

قلت: لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة.

وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له. وقال في موضع آخر عند تفسير الآية السابعة والتسعين من سورة الأنعام ما نصه: فإن قلت: لم قيل ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ مع ذكر النجوم و﴿يَفۡقَهُونَ﴾ مع ذكر إنشاء بني آدم؟ قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له. رحم الله صاحب الكشاف وجزاه عما فسر به كتابه الكريم خير الجزاء.

ولم يقتصر الحديث عن الفاصلة على كتب التفسير، بل إن هناك كتّابا وأدباء أفردوا لهذه الفاصلة كتبا خاصة، لكن كتاباتهم كان لها أكثر من مسار، وأكثر من اتجاه، فمنهم من كتب عن الفاصلة من حيث الفن الأدبي ومنهم من كتب عنها من حيث أنواع البديع، ومنهم من كتب عن الفاصلة من حيث دلالتها على الإعجاز. وجزى الله أولئك خيرا.

وعلى الرغم مما لهذه الكتابات من فوائد ومن جودتها وجدّتها في كثير من الأحيان لكن والحق يقال: كانت أكثر هذه الكتابات فائدة كتاب الدكتور جمال أبو حسان، وذلك لسعته وشموله، فلقد درس الكتب التي تحدثت عن الفواصل القرآنية مُجِلاً لأصحابها، وتلكم صفة طالب العلم، وتحدث عن الفواصل القرآنية مناقشا آراء من قبله من العلماء والمفسرين أقدمين ومحدثين نقاشا علميا هادئا هادفا، ولقد قرأت كتابه كله فسررت كثيراً

وأعجبت كثيراً؛ لأن هذه الكتابة اعتمدت دعامتين رئيستين: الحجة في المناقشة العلمية، والأدب في التعامل مع الكاتبين فجزاه الله خيرا هذا عن الكتاب.

أما الكاتب فلقد عرفته عن قرب في المراحل الجامعية كلها ولفت انتباهي في أول الأيام الأولى في الدراسة ما كان يطرحه من أسئلة لم أسمعها من غيره حتى كدت أضيق ذرعا من كثرة أسئلته.

ومع مرور الأيام والشهور وجدته طالبا فيه ما يميزه من غيره من حب للعلم وغوص على دقائقه. وأذكر أنه كان يؤخر كثيرا من المواد حتى تُسند إليّ ليأخذها معي، وحينما أراد أن يكتب رسالة الماجستير عن تفسير ابن عاشور رحمه الله المسمى التحرير والتنوير قال لي: لا بد أن تشرف على هذه الرسالة وسأمكث سنين حتى يكون لي دور عندك، وقد أجبت رغبته، وطلبت منه خطة الرسالة وكان يسوّف دون أن يخبرني عن سبب هذا التسويف. وبعد التي والتيا أخبرني أنه لن يكتب الخطة إلا بعد أن يقرأ ثلثي تفسير ابن عاشور أي عشرة مجلدات فأكبرت هذه الروح وهذا العزم فإني أعرف كثيرا من الطلاب يكتبون خطط رسائلهم دون أن يفتحوا كتابا واحدا من الكتب التي تتحدث عن موضوع رسائلهم.

وفق الله الكاتب وأرجو أن يواصل مسيرته العلمية وأرجو أن يكون له المستقبل العلمي المملوء بالفوائد وأن يكون له نتاج فيه إبداع، ووفق الله الكاتب وإخوانه الجادين في طلب العلم والله من وراء القصد.

وصلى الله وسلم تسليما كثيرا وبارك على سيد العلماء سيدنا محمد وآله وجزى الله سادتنا صحابته البررة النجباء الأخيار عن دينه وعباده وعنا خير الجزاء.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استفتَحَ كتابَه بحمده، والثناء عليه، والشكر له، وختمه بأنْ لا غنى لأحد من عباده عنه، أحمده سبحانه على نَعمائه، وأشكره على آلائه، سبحانه، (كَلَّ دون صفاته تحبيرُ الصفات، وضلّ هناك تصاريف اللغات)[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله بيّن في كتابه أوضح البينات، وأزال بآياته حُجُب الشبهات، فانقشعت ببيناته كل الظلمات، وتبخترت بين عباده آيات الهدايات الموصلة إلى غاية الغايات.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً رسول الله، جابر عثرات الكرام، وشفيع الناس يوم الزحام، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن سلك سبيلهم، واهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

وبعدُ فإنّ القرآن الكريم، لا تنقضي عجائبه، ولا يُملّ من ترداده، ولا يَخلق على كثرة الرد، هو كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أنزله الله سبحانه ليتدبر العباد آياته، لا ليحبِّروا قراءاته. هو سبيل الرشاد، وهو الزاد حين انقطاع الزاد، وهو الملاذ حين لا يُسكن إلى ملاذ.

اشتمل القرآن على سبل الرشاد. والعبدُ بعد الإيمان به والتفكر فيه، ينتقل مسروراً إلى دار المعاد، ليجد هناك ما ادخره من الزاد.

وبعد،

فقد رأيت بعد دراستي الجامعية الثانية أن أتوجه إلى أساليب القرآن المهذبة للسان،

---

(١) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، نسبه له الراغب في المفردات، ص ٣٨.

والمقوية للإيمان، أدرس من خلالها كليةً من كلياته، ومجتمعاً من آياته، فألهم الله سبحانه بعد استشارة ذوي الغيرة والخبرة، إلى دراسة موضوع الفاصلة القرآنية، لا سيما وأن لها في كتابات الكاتبين أمراً يتعلق بإيضاحه الذبُّ عن حرمات الدين. فتوجهت إلى الله المعين، واستلهمته أن يعين.

ولا يخلو البحث بعد ذلك أن يكون محققاً لرغبة دفينة، تجمعت أوصالها في نفس الباحث، مشتملة على ما رآه الباحث فيما يلي:

أولاً: رغبته في التعمق في دراسة البلاغة القرآنية، والتعمق في تبيان أساليب القرآن المعجزة.

ثانياً: أن هذا الموضوع ـ فيما يرى الباحث ويعلم ـ لم يعرض لدراسته أحد بالطريقة التي سيسلكها هذا البحث، وفاءً بالموضوع، وجمعاً لأشتاته، وتحقيقاً لآراء العلماء فيه، فهو موضوع بحاجة إلى بيان وبحث ودرس.

ثالثاً: يحاول الباحث من خلال البحث أن يصل إلى رأي يَعُدُّه أقرب الآراء للصواب في تحديد الإجابة عن سؤال كان ولا زال مدار البحث، وهو: ما مدى مراعاة القرآن الكريم للنواحي اللفظية فيه، هل يراعيها القرآن بغض النظر عن القيمة المعنوية لاختيار اللفظ أم لا؟

رابعاً: مناقشة طائفة كبيرة من أهل العلم كانت تعلل النظم الكريم في بعض تصاريفه بأنه كذلك من أجل مراعاة الفاصلة، ثم لا بد من الوقوف عند هذا التعليل لمعرفة القيمة العلمية له.

وقد قمت في هذه الرسالة على منهج بيّن وخطة واضحة أجملها فيما يلي:

أولاً: قمت في هذه الرسالة بالاعتماد على العد الكوفي لآيات القرآن الكريم.

ثانياً: قمت على تتبع الفواصل القرآنية تتبعاً يكاد يكون حصرياً، للاهتداء إلى المطلوب دراسته في الخطة المحددة لذلك.

ثالثاً: يقوم البحث برمته على اعتماد (أن الفاصلة هي: كلمة آخر الآية) ولكن الدرس البياني والبلاغي للكلمة القرآنية لا يقوم على دراسة الكلمة منفصلة عن جملتها، ولذلك عمدت في كثير من الفواصل إلى دراسة الفاصلة من خلال جملتها التي هي أحد أركانها.

رابعاً: قمت من خلال هذا البحث على تتبع جهود العلماء السابقين منهم والمحدثين، والتي بثوها في ثنايا مؤلفاتهم، ولم أقتصر في بحثي هذا على الجمع والتبويب فحسب، بل كان البحث يقوم على العرض والتحليل والنقد والتحقيق.

خامساً: خشية إثقال الهوامش. رأيت أن أعرّف ببعض الأعلام التي تحتاج إلى تعريف في فِهرِست خاص جعلته في نهاية الرسالة، واقتصرت على كتاب «الأعلام» للزِّرِكلي اختصاراً، وكذلك عرفت بطبعات الكتب وأمكنتها في فهرست المصادر.

سادساً: قمت بترقيم الآيات القرآنية وجعلت رقم الآية وسورتها بجوارها في موضع الاستشهاد مباشرة، وقمت كذلك بتخريج الأحاديث التي وردت في ثنايا البحث، وكذا الحال فيما يتعلق بالأبيات الشعرية، غير أن بعض الأبيات لم أتمكن من نسبتها لقائليها رغم طول البحث.

سابعاً: قد يرى الناظر في هذه الرسالة أنها احتوت على نقول كثيرة من الكتب، وأنا لا أنكر ذلك، ولكني رأيت أن هذه النقولات شوارد مبثوثة في كتب المفسرين، فأحببت أن أجمع شملها في هذا البحث، وهي فيما أرى نُقول منتقاة تهم الرسالة ولا تخرج عن موضوعها، على أني لم أكتفِ بالنقل وحدَه، وإنما ناقشت واعترضت وذكرت ما يَسّر الله تعالى ذكره في مواضعه من البحث. وقديماً ذكر أهل العلم أن جمع الشوارد وتقييد الأوابد نوع من التأليف.

وقد اشتملت خطة البحث بعد التعديل والتحوير ـ استعانة بالأستاذ المشرف ـ على مقدمة وتمهيد، وبابين وخاتمة، مقسمة على النحو التالي:

المقدمة

التمهيد: وفيه دراسة لجهود العلماء قديماً وحديثاً، في دراسة هذه الظاهرة القرآنية.

الباب الأول: بين يدي الفاصلة

وهو مقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: في معنى الفاصلة

الفصل الثاني: بين الفواصل والأسجاع.

الباب الثاني: الفاصلة القرآنية

وهو مقسم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: البنية الداخلية لفواصل الآيات القرآنية، وثراؤها للنص بالمعنى، وفيه مباحث:

المبحث الأول: روعة الفاصلة واستقرارها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختيار الفاصلة القرآنية.

المطلب الثاني: اختلاف الفواصل لاختلاف المتحدث عنه، والدلالة المعنوية لذلك.

المبحث الثاني: الدلالة المعنوية في تركيب الفاصلة القرآنية من الجملة: الفعلية والاسمية.

المبحث الثالث: الدلالة المعنوية للحذف والزيادة في تركيب الفاصلة القرآنية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: حذف الضمائر والحروف.

المطلب الثاني: حذف الفاعل والمفعول.

المطلب الثالث: الزيادة.

المبحث الرابع: الدلالة المعنوية للتقديم والتأخير في تركيب الفاصلة القرآنية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تقديم المفعول في الفاصلة القرآنية.

المطلب الثاني: تقديم الجار والمجرور أو الظرف على متعلقه في الفواصل القرآنية.

المطلب الثالث: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، أو المسند المشتق، سواء أكان المسند إليه منفياً أم لم يكن، أم اقتصر النفي على المسند. في الفواصل القرآنية.

المطلب الرابع: تقديم بعض الكلمات على بعض، مما لا ينضبط بضابط واحد في الفواصل القرآنية.

المبحث الخامس: الدلالة المعنوية لاختيار اللفظ مفرداً ومثنى ومجموعاً في الفواصل القرآنية.

المبحث السادس: الدلالة المعنوية للتذكير والتأنيث في الفواصل القرآنية.

المبحث السابع: الدلالة المعنوية للإضمار والإظهار في الفواصل القرآنية.

المبحث الثامن: الدلالة المعنوية للتكرار في الفواصل القرآنية.

الفصل الثاني: متشابه الآيات القرآنية. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الدلالة المعنوية لاختلاف فواصل الآيات مع اتحاد موضوعاتها أو تقاربه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف المحكي في حكاية واحدة في القصة القرآنية في الفواصل منها.

المطلب الثاني: آيات غير القصص القرآني في هذا الباب المندرجة تحت هذا الفصل.

المبحث الثاني: الدلالة المعنوية لاتفاق الفواصل اتفقت موضوعاتها أو اختلفت.

الفصل الثالث: مشكلات الفواصل القرآنية.

الفصل الرابع: قيم معنوية تعالجها الفواصل القرآنية.

الفصل الخامس: مراعاة الآيات القرآنية للفاصلة. وقفة أخيرة.

الخاتمة والنتائج.

وبعد: فهذا هو الموضوع وهذه هي خطته، ولا أحسب أني في بحثي هذا قد أتيت بما لم تأتِ به الأوائل؛ لأن هذا شأن العلماء الفحول لا غيرهم. وقد عانيت في هذا البحث الكثير على مدى أزيد من عامين من الدراسة والبحث.

وهذا بحثي أضعه ـ بعد أن نضج على ما كنت أوده منه ـ بين يدي الأساتذة الفضلاء والعلماء النحارير، ليقوِّموه، ويثروه بسديد آرائهم وقويم توجيهاتهم، وأعِدُهم أن تكون ملحوظاتهم حيث يحبون، فإن كنت قد أصبت التوفيق فهذا من فضل الله وحده الذي لا رب سواه، وهو سبحانه بالأمل حقيق. وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت جهدي وحاولت.

❋ ❋ ❋

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل **للسودان المسلم** الذي فتح لنا الأبواب، يوم أن سدّت في وجوهنا النوافذ والأبواب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة القرآن الكريم، ذلك الصرح الفتي الذي فتح أبوابه لاستقبال هذا الموضوع وأمثاله.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الدكتور **عبد الرحيم علي** (مدير جامعة أفريقيا) المشرف على هذا البحث. والذي منحني من سديد آرائه، وقيّم ملحوظاته ما به أثريَ بحثي هذا ونَضِج. أشكره على أن منحني من الوقت ما يتسع لمناقشة ما جاء في ثنايا هذه الرسالة، وأنا أعلم أني قد أثقلت عليه وكنت علبه عبئاً فوق أعبائه، فلصبره عليّ وتحمله مؤونة قراءة هذا البحث وتقويمه، أسال الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لمُناقِشَيْ هذا البحث، وهما:

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم رحمة الله تعالى عليه.

فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد علي الإمام مدير جامعة القرآن الكريم.

أشكرهم على تقديم توجيهاتهم وملحوظاتهم.

وأتقدم بخالص الشكر وعميقِهِ للأخ والصديق الأستاذ الشاعر **التجاني سعيد** الذي فتح لي قلبه قبل أن يفتح مكتبته، فكان المؤاسي عن الغربة، والمسرّي عند زحام الخطوب.

أشكره وأسال الله أن يجزيه خير الجزاء عني وعن كل الباحثين الذين أفادوا من مكتبته ويفيدون.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل الإخوة الذين وقفوا بجانبي أثناء مرضي، مما كان له وقع كبير في تخفيف حدته. جزاهم الله عني خير الجزاء.

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل لوالديَّ العزيزَين ولسائر أهل بيتي، الذين كانوا لي عوناً، وأيّ عون.

أشكر هؤلاء جميعاً فإنّ «مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله»[١].

❊ ❊ ❊

(١) رواه الترمذي (١٩٥٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الإهداء

إلى والديَّ العزيزَيْن أبقاهما الله، اللذين ادخرا من قوت يومهما ما يهيئُ لي أسباب الدراسة وهما يرجوان الله أن يوفق ابنهما لهما. هما ينتظران وأرجو الله أن يحقق أملهما وكل ما تمنياه في ابنهما(١).

وإلى إخواني وأخواتي من أهل بيتي الذين جعلوا من أنفسهم خير معين لتوفير ما يلزم الدراسة، أهديهم هذا البحث.

وإلى أستاذي العزيز فضل حسن عباس، الذي أخذ بيدي منذ الدراسة الجامعية الأولى، فعلى يديه وبجهوده المباركة أصبحت شيئاً بعد أن لم أكن.

أهديه هذا البحث ليرى ثمرة جهاده الطويل المبارك.

وصلى الله وسلم وبارك على سيّدي ومولاي وقرة عيني محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) كان هذا البحث ووالدي رحمهُ الله تعالى عليه حَيٌّ يُرْزَق وأما اليوم فقد انتقل والدي إلى رحمة الله تعالى وإني لأسأل الله تعالى له الرحمة وأن يتغمده بواسع فضله وأن يجزيه عني خير الجزاء.

ومضة على طريق البحث

كتب القاضي الفاضل إلى العماد الأصفهاني كتاباً جاء فيه:

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يُستحسن، ولو قدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل.

وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.
فأرجو مسامحة ناظريه، فهم أهلوها، وأؤمل جميلهم، فهم أحسن الناس وجوهاً»[(١)].

* * *

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١ : ٣)، دار الفكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد في بيان جهود العلماء في دراسة هذا الجانب من القرآن:

توطئة: لعلك لستَ واجداً كتاباً حظي بالاهتمام والنظر كما حظي بهما القرآن الكريم، ولا يزال وسيبقى كذلك؛ لأن الله جعله غذاء للأرواح، وأنى للأرواح أن تعيش بلا غذاء؟ فهو كذلك ما بقيت الأرواح تتنسم عبير الحياة.

وقد بذل علماؤنا الأسلاف المهج والأرواح في خدمة هذا الكتاب العظيم، وحقّ له أن يبذل فيه ذلك، فأنتج بذلهم ثماراً رائعة في مجال الإفادة من هذا النبع الصافي الفياض. ولكن، أنى للعقول مهما بلغت في السمو والرفعة أن تبلغ الإحاطة بكلام الله تعالى، ومع ذلك ولعل من أهم ما فيه فَتْحُ باب النظر في زوايا متجددة عطاءً في القرآن الكريم، لعل على رأسها البحثَ في إعجاز القرآن الكريم.

وقد طرق علماؤنا بحث الإعجاز من قديم، فترى لهم إشارات، ورسائل، وكتباً، لا زالت موضع اتكاء من المتأخرين. رحم الله الجميع.

وما نجده من دراسات علمية خالصة في موضوع الفاصلة ـ من المتقدمين ـ يكاد يكون نادراً، ذلك أن مصطلح الفاصلة لم يستقر بشكل واضح إلا متأخراً. ومع هذا، فإن الباحث يجد في ثنايا بعض المؤلفات بعض الدراسات الجادّة حول الفاصلة القرآنية، ولربما كان الموجود بعض الإشارات التي شَغَلَتِ الباحثين فيما بعد.

ويريد الباحث في هذا البحث أن يلم ببعض الجهود المشتهرة، على أن الاستقصاء في مثل هذا الجانب يُعد من الصعوبة بمكان.

أولاً: جهود الأقدمين

الكتب المؤلفة في هذا الشأن: (كتاب ابن الصائغ الحنفي)

ولا تسعفنا المصادر بشكل جيد عن كتاب سابق على كتاب ابن الصائغ، والذي بلغ الباحثين خبرُه بشكل واضح عن طريق السيوطي في كتابه الإتقان.

وابن الصائغ هذا أحد علماء الحنفيّة، ممن برع في الفقه، والنحو، وعلوم أخرى[١]، وكتابه يسمى «إحكام الراي في أحكام الآي»، ولا أعلم أحداً ذكر عن هذا الكتاب شيئاً سوى السيوطي، وعنه ـ فيما يبدو للباحث ـ أخذ مَن جاء بعده من أمثال صاحب كشف الظنون[٢] وصاحب مفتاح السعادة[٣] وأخيراً صاحبة كتاب معجم الدراسات القرآنية[٤].

وقد نقل السيوطي خلاصة الكتاب، وابتدأ نقله بالعبارة التالية: «اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يُرتكَبُ لها أمور من مخالفة الأصول، قال ـ أي: ابن الصائغ ـ وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيف عن الأربعين ..»[٥]. وهذا الكلام إذا ضُم إليه ما نقله السيوطي من الأمثلة على هذه الأربعين وجهاً التي وجدها ابن الصائغ فإن الباحث يخرج بأن هذه الأوجه الأربعين تدخل تحت ما سمِّي (بمراعاة الفاصلة). ومخالفة الأصول المشار إليها سابقاً يراد بها الأصول النحوية[٦] كما هو ظاهر من الأمثلة التي ذكرها السيوطي عنه.

---

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة (٣: ٤٩٩)، والفوائد البهية ص١٧٥، وبغية الوعاة (١: ١٥٥).

(٢) كشف الظنون (١: ١٨) وفيه أنه من علماء الحنابلة، وهو وهم بلا شك.

(٣) مفتاح السعادة (٢: ٤٧٠)، وانظر الفاصلة في القرآن للحسناوي ص٥٧.

(٤) معجم الدراسات القرآنية، للدكتورة ابتسام مرهون الصفّار ص٩١.

(٥) الإتقان (٢: ٩٩).

(٦) انظر ما كتبه الدكتور علي الجندي حول كلام ابن الصائغ في كتابه فن الأسجاع (٢: ١٨٧).

وإذا كان ما نقله السيوطي في خلاصة الكتاب يدل دلالة واضحة على أن الرجل قصد الناحية اللفظية فحسب، فقد نقل السيوطي عنه أيضاً ما نصه: «قال ابن الصائغ: لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم، كما جاء في الأثر: لا تنقضي عجائبه»[١].

هذا هو الكتاب الوحيد الذي وقعتُ عليه، أو على الأصح: وقعت على خبره، وهو فيما يبدو متخصص في دراسة الفاصلة، ولم يقع لي كتاب آخر عُني بالفاصلة على هذا النحو من كتب المتقدمين.

على أن هناك جهوداً لبعض المتقدمين في بعض ما يتعلق بالفاصلة، وعلى الخصوص ما يتعلق منها بعدِّ آي الكتاب العزيز، ومن هذه الجهود: كتاب أبي عمرو الداني، واسمه «البيان في عد آي القرآن»، وهو مخطوط[٢]. وهناك أرجوزة باسم: «ناظمة الزهر في علم الفواصل» للشاطبي، وهي مختصرة من كتاب أرجوزة الداني المشار إليه آنفاً[٣]، وهذه الأرجوزة في عدِّ آي القرآن، وبيان مواضع الاتفاق والاختلاف فيه، وهي مطبوعة مع شرحها كما سيأتي بيانه. وهناك كتاب مطبوع باسم: «سعادة الدارين في بيان وعدِّ آي معجز الثقلين» لمحمد بن علي بن خلف الحسيني[٤] وهو كسابقيه، وهناك أرجوزة لمحمد المتولي[٥] في علم الفواصل، وهي على شاكلة أرجوزة الشاطبي، وهي مطبوعة مع شرحها كما سيأتي.

هذا ما وقفت عليه من كتب للسابقين أُفردت للبحث في الفاصلة. وإذا كانت العناية في الكتب السابقة عناية علمية محضة، وخاصة بمعرفة عدد الآي، فإن الباحث لا يعدم

---

(١) الإتقان (٢: ١٠٠)، والأثر المشار إليه أخرجه الترمذي مرفوعاً في فضائل القرآن (٢٩٠٦).

(٢)، (٣) انظر مقدمة التحقيق لكتاب المكتفى للداني، ص٣٩.

(٤) توفي سنة ١٣٥٧هـ كما في الأعلام (٦: ٣٠٤).

(٥) توفي سنة ١٣١٣هـ كما في شرحها ص١٥.

للمتقدمين جهوداً علمية فنية في دراسة الفواصل القرآنية في ثنايا مؤلفاتهم وكتبهم، ويقف الباحث هنا عند بعض الكتابات المهمة التي لا غنى للبحث عن الوقوف عندها:

أولاً: مع الفراء في كتابه معاني القرآن

كبير أئمة الكوفة في النحو، واسمه يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧هـ. ويظهر فيما مضى من دراسات أن الفراء كان أول من فتح باب بيان تغيُّر النظم واختلافِهِ لمناسبة الفواصل، ويبدو أن هذا لم يكن وليد المفاجأة ولكنه ـ كما يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري ـ كان رداً على النَّظَّام[١] وأصحابه بشأن مقولته في القرآن الكريم، والتي ذكرها الجاحظ بقوله: «إنهم يزعمون أن القرآن خلق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة»[٢].

وكان هؤلاء يرون أن «الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم، فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم»[٣]. وهذه الدعوى منطلقها التشكيك في ألفاظ القرآن وتراكيبه، وأنها عادية لا تحمل شيئاً من الإعجاز[٤].

قلت: وما ذكر عن النظّام أولاً صحيح، غير أن ما ذكره الدكتور الأنصاري، من أن هدف دعوة النظام التشكيك في آيات القرآن، أظنه لا يسلم من القدح، فالرجل ليس ملحداً أولاً، وثانياً: كان الرجل يدافع عن القرآن من وجهة نظره هو، والقول بالصرفة[٥]، وإن كان مآله تضعيف النظر إلى أن ألفاظ القرآن معجزة بذاتها، فإن أصحابه لم يقصدوا

---

(١) تعريفه.

(٢) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو ص٣٠١، وانظر رسائل الجاحظ (٣: ٢٨٧).

(٣)، (٤) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو ص٣٠١، وانظر مقالات الإسلاميين (١: ٢٩٦).

(٥) هو رأي النظام أن الله تعالى صرف العرب وحال بينهم وبين أن يأتوا بمثل القرآن مع قدرتهم عليه.

الطعن في القرآن ولا التشكيك فيه، مع التسليم المطلق بأن هذا القول من الغرابة بمكان ولا يليق وصفُ القرآن به.

وبناء على ما سبق عن النظَّام، فإن مذهب الفراء إذاً الدفاع عن القرآن، وذباً عن الدين في مواجهة تلك الفئة ورأسها.

وقد رأى الدكتور أحمد الأنصاري من خلال تتبعه للفراء في «معاني القرآن»، أن منهجه في دراسة الفاصلة القرآنية يقوم على الأسس التالية:

الأول: أن القرآن الكريم كأنما كان يعمد عمداً إلى تحقيق النسق الصوتي. وذكر على ذلك عدة أمثلة منها[١]: ما ذكره الفراء عند تفسيره قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، حيث قال: «لم يقل ديني (بالياء)؛ لأن الآيات بالنون فحذفت الياء كما قال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٠][٢].

وما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]، حيث قال: «نويت بالفاء على أن تكون نسقاً على ما قبلها، واختير ذلك؛ لأن الآيات بالنون، فلو قيل: فيعتذروا، لم يوافق الآيات. وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦] بالنصب، وكلٌّ صواب»[٣].

الثاني: أن الفراء كان يحاول إخضاع الآية لما يريده من النسق الصوتي. ولم يرتض الدكتور الأنصاري هذا المنحى من الفراء كما أشار إلى ذلك. ومن الأمثلة على هذا أن الفراء عندما عرض لتفسير قوله تعالى: ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] قال: «أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلاً، إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب: هذا سرٌّ

---

(١) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٣: ٢٩٧).

(٣) السابق (٣: ٢٢٦) وكلمة (نويت) هكذا هي في تفسير الفراء.

كاتم، وهمّ ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية، وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هي معهن»(١).

وقد اعترضه الأنصاري بقوله: «وفي هذا تبدو سيطرة الفكرة على الفراء حيث جعل كلمة (دافق) من قبيل المفعول الذي جيء به على الفاعل، لتوافق رؤوس الآيات، ولست أوافقه على ذلك؛ لأن كلمة دافق تختلف عما ذكره من الكلمات، فهي هنا بمعنى (متدفق) اسم فاعل لا تحويل فيه»(٢).

الثالث: أن الفراء كان يرجِّح القراءة على أختها، لا لشيء إلا لأنها تحقق النسق الصوتي في القرآن، موافقة لما كان يستحبه العرب. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، حيث يقول راوي التفسير: «سألت الفراء عن (شأن) فقال: «إهمزْهُ في كل القرآن إلا في سورة الرحمن؛ لأنه مع آيات غير مهموزات»(٣).

الرابع: أن الفراء كان يتصدى لبيان الإعجاز المعنوي إلى جانب الإعجاز اللفظي. ومن الأمثلة على هذا ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾، ﴿فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨] حيث قال: «يراد: فآواك ـ فأغناك، فجرى على طرح الكاف لمشاكلة رؤوس الآيات، ولأن المعنى معروف»(٤).

هذا ما ذكره الدكتور الأنصاري عن الفراء، ولكني رأيت الفراء يبين الإعجاز المعنوي في الآية دون الوقوف على الناحية اللفظية فيها، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] قال: «فإن هذه النون والواو إنما تكون

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٣: ٢٥٥).

(٢) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو ص٣٠٥، وقد أشار ابن عطية إلى هذا المعنى في (١٦: ٢٧٦).

(٣) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو ص٣٠٦، وانظر معاني القرآن (٣: ١١٦).

(٤) معاني القرآن للفراء (٥: ٢٢٠) وانظر: أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو ص٣٠٦.

في جمع ذكران الجن والإنس، وما أشبههم. فيقال: الناس ساجدون، والملائكة والجن ساجدون، فإذا عَدَوْت هذا صار المؤنث والمذكر إلى التأنيث فيقال: الكباش قد ذُبحن وذُبِحت ومُذَبَّحات، ولا يجوز: مذَبَّحون، وإنما جاز في الشمس والقمر والكواكب بالنون والياء؛ لأنهم وُصفوا بأفاعيل الآداميين. ألا ترى أن السجود والركوعَ لا يكونان إلا من الآدميين، فأخرج فعلهم على فعال الآدميين. ومثله: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا﴾ [فصلت: ٢١] فكأنهم خاطبوا رجالاً، إذ كَلَّمَتْهُمْ وكلموها. وكذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨]. فما أتاك مواقعاً لفعل الآدميين من غيرهم أجريته على هذا»[١].

فهذا مثال ما يَخْلُصُ فيه الفراء إلى الناحية المعنوية فحسب. لكن الفراء لم يقف عند بعض الأمثلة التي يمكن أن يتسامح في إطلاق النسق الفني ـ الصوتي ـ فيها، عند القائلين به، وإنما تعدى ذلك إلى شيء لا يمكن الموافقة عليه. وقد اشتهرت قضيته هذه عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال الفراء: «ذكر المفسرون أنهما بستانان من بساتين الجنة، وقد يكون في العربية جنةٌ تُثَنِّيها العرب في أشعارها، أنشدني بعضهم:

ومَهْمَهَـيْنِ قـذفين مـرتينِ　　　قطعته بالإم لا بالسَّمَتيْنِ[٢]

يريد مهمهاً وسمتاً واحداً.

وأنشدني آخر:

يسعى بكيداءٍ ولهـذمَيْنِ　　　قد جعلَ الأرطاةَ جنّتينِ

---

(١) معاني القرآن (٢: ٣٤-٣٥)، وانظر (٢: ٢٠١).

(٢) البيت من قصيدة لخطام المجاشعي. ورواية البيت كما في الخزانة (٢: ٣١٤) على النحو التالي:

ومَهمهـين قـذفين مَـرْتين　　　ظهراهما مثـل ظهـور الترسـينِ

=

وذلك أن الشعر له قوافٍ يقيمها من الزيادة والنقصان، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام. قال الفراء: الكيداء: القوس[١]. ويقال: لهذِم، لهذَم، لغتان. وهو السهم[٢]. انتهى.

قال الفراء هذا الكلام، فأخذه ابن قتيبة وشدد عليه النكير بقوله: «وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف، أو نجيز على الله سبحانه وتعالى الزيادة والنقصان في الكلام لرأس آية. وإنما يجوز في رؤوس الآي أن تزيد ـ هاء السكت ـ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠] أو ألفاً كقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] أو بحذف همزة من الحرف كقوله: ﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤] أو ياء كقوله: ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] لتستوي رؤوس الآي على مذاهب العرب في الكلام إذا تم. فآذنت بانقطاعه وابتداء غيره؛ لأن هذا لا يزيل معنى عن جهته، ولا يزيد ولا ينقص، فأما أن يكون الله عز وجل وعد بجنتين فيجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي، فمعاذ الله. وكيف يكون هذا، وهو تبارك اسمه يصفهما بصفات الاثنين. فقال تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] ثم قال ﴿فِيهِمَا﴾ [الرحمن: ٥٠]؟ ولو أن قائلاً قال في خزَنة النار: إنهم عشرون، وإنما جعلهم تسعة عشر لرأس آية، كما قال الشاعر: «نحن بنو أم البنينَ الأربعهْ». وإنما هم خمسة، فجعلهم للقافية أربعة، ما كان هذا القول إلا كقول الفراء»[٣]. انتهى.

= وفي القرطين (٢: ١٥٠) البيت على النحو التالي:

ومَهمهين قـذفين مَـرْتين قد جعل الأرطاة حقـوينِ

ونقل في الخزانة رواية الفراء للعجز بقوله: «قطعته بالسمت لا بالسمتين» (٧: ٥٤٨).

والمهمهُ: القفر المخوف. والقذف: البعيد من الأرض. والمرت: الأرض التي لا ماء فيها ولا نبات، وقوله: بالسمت، أي: قيل لي مرة واحدة فاكتفيت، وقيل: السير بالحدس، والإم: القصد.

(١) في الخزانة: الكبداء، بالباء الموحدة (٧: ٥٤٨).

(٢) معاني القرآن (٣: ١١٨)، وفي الخزانة أن كلا البيتين لخطام المجاشعي.

(٣) القرطين (٢: ١٤٩-١٥١)، والرجز للبيد بن ربيعة وأوله: (في كل يوم هامتي مقزّعهْ) كما في الخزانة (٩: ٥٤٨).

قلت: وقد نقل القرطبي في تفسيره عن أبي جعفر النحاس قوله عن كلام الفراء المذكور: «إن هذا من أعظم الغلط على كتاب الله عز وجل»[(١)].

هذا، وقد وجدت السيوطي نقل عن ابن الصائغ أنه نقل عن الفراء: «أنه أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة، ثم قال: وهذا غير بعيد...»[(٢)]. ولم أجد من تنبه إلى نقل السيوطي في هذا الموضع، كما أني لم أستطع العثور على المكان الذي نقل منه ابن الصائغ هذا الكلام عن الفراء. غير أني وجدت ابن عاشور يقول: «ويجوز أن تكون التثنية مستعملة كناية عن التعدد، وهو استعمال موجود في الفصيح وفي القرآن، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤] ومنه قولهم: لبيك، وسعديك، ودواليك. كقول القوّال الطائي، من شعراء الحماسة:

فقولا لهذا المرء ذو جاء ساعياً هلُمَّ فإن المَشْرَفيَّ الفرائضُ

أي فقولوا: يا قوم. وإيثار صيغة التثنية هنا لمراعاة الفواصل السابقة واللاحقة.

فقد بنيت قرائن السورة عليها، والقرينة ظاهرة وإليه يميل كلام الفراء. وعلى هذا فجميع ما أجري بصيغة التثنية في شأن الجنتين فمراد به الجمع»[(٣)]. انتهى.

ولست أدري كيف خرّج ابن عاشور كلام الفراء على هذا، فليس في تفسير الفراء ما يعضده. والله أعلم. ويرى الباحث بعد هذا وذاك.، أن ابن قتيبة مصيب فيما أخذه على الفراء ـ رحمهما الله ـ إذ ما كان للفراء أن ينزلق هذا المنزلق، مهما كانت دوافعه. وبناء على هذا لا ينبغي قبول دفاع الدكتور الأنصاري عن الفراء في هذا الجانب حيث يقول: «... ولكن ابن قتيبة حلا له أن يعارض الفراء زاعماً أنه أكثر منه تديناً»، فقال ـ ونقل جزءاً من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧: ١٧٧)، ولم أجد هذا النص في كتاب النحاس عند هذا الموضع من التفسير.
(٢) الإتقان (٢: ١٠٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٧: ٢٦٤-٢٦٥).

كلامه السابق ـ: «على أني لا أتهم ابن قتيبة، ومن حذا حذوه، من الذين ينكرون قصد القرآن إلى تحقيق النسق الصوتي، كما أني لا أتهم الفراء، ومن شدا شدوه، من الذين يثبتون ذلك بأكثر من دليل، فكل منهم كان يدافع عن كتاب الله من وجهة نظره الخاصة، وطبقاً للظروف التي أحاطت به، فحين كان الفراء في بيئة تنكر الإعجاز اللفظي، ومن بين مظاهره (موسيقى الفواصل)، وحجتهم في ذلك: أن القول برعاية الفواصل يؤدي إلى إثبات الضرورة في القرآن، ولا ضرورة فيه؛ لأنه من الله القادر على كل تصرف في كل شيء، فما بالك بالألفاظ؟ كما إن إثبات الموسيقى اللفظية يقرب القرآن من الشعر ومن سجع الكهان، وكلاهما لا يليق بالقرآن. وكأن الفراء أحس بهذا، فراح يثبت لهم أن النسق الصوتي شيء غير هذا وذاك، ومراعاة النسق الصوتي، أو تحوير الكلمة من أجله بالزيادة أو النقصان، لا يعتبر عيباً من العيوب بل إنه مستحب عند العرب، كما لا يعتبر ضرورة من الضرورات، إذ إنه يوجد في النثر العربي الفصيح، كما يوجد في كلام الرسول البليغ»[1]. انتهى.

قلت: وهذا دفاع هش وفي ظن الباحث أنه لا يجلب منفعة، وغايته أنه عبارات منمَّقة.

وينبغي كذلك التوقف في قبول ما رد به الدكتور علي محمد حسن قولَ ابن قتيبة، حيث قال: إن أدلته غير متجهة لسببين:

الأول: أنه لا يلزم الفراء تنظيره بعدّة الملائكة؛ لأن الفراء يقول: إن مجيء الاثنين مكان الواحد إنما هو مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها، كقول الشاعر:

ديــارٌ لهــا بــالرَّقمتَيْنِ كأنّهــا ... مراجيعُ وَشْم في نـواشِرِ مِعـصَمِ

وكقول الآخر:

فقـولا لأهـل المكَّتَـيْنِ تحاشَـدوا ... وسيروا إلى آطام يثـربَ والنحـلِ

---

(١) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو ص٣٠٧-٣٠٩.

قال الفراء[١] بعدَ أن أورد موضعي الشاهد من هذين البيتين: «وأشير بذلك إلى نواحيها، أو للإشعار بأن لها وجهين، وأنك إذا وصلتها ونظرت إليها يميناً وشمالاً رأيت كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة وصدرك مسرة».

والثاني: أن التثنية في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ و﴿فِيهِمَا﴾ لا تعكر على مذهب الفراء، إذ له أن يقول: إنها جاءت بحسب اللفظ[٢].

قلت: وهذا الكلام أيضاً أقل شأناً من الكلام السابق، وهذه الشواهد المذكورة لا تشفع للفراء مذهبه، ولا يعني أنه كلما وُجد شاهد هنا أو هناك ينبغي أن نخرِّج عليه آيات القرآن!

وأحب أن أقول: إنه لا ينبغي أن يفوت الباحثين أنه لا يجوز أن يَحُول الحب لشخص من الأشخاص بين الحقيقة والخطأ أو بيننا وبين الحقيقة، فإنما يعرف الرجال بالحق لا العكس.

ولا يفوت كذلك التنبيه على أن الفراء قد وقع في هفوة أخرى مقاربة لهذه الهفوة، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] حيث روى في تفسيرها أنهما اثنان[٣]، على أن هذا المثال قد يكون أخفَّ من السابق إذا قيل: إن لفظ (أشقى) ههنا مراد به الوصفُ لا الكم فيدخل فيه أكثر من واحد إذ لا حاجة لتحديد العدد حينئذ إذا أريد (بأفعل) الوصف والله أعلم.

وأيًّا ما كان، فإن «في تناول الفراء للفواصل القرآنية ما يؤكد لنا أنه كان صاحب

---

(١) لم أعثر على نص الفراء هذا، والبيت الأول من قصيدة زهير بن أبي سلمى المعروفة بالمعلقة ولم أعثر على البيت الثاني.

(٢) الفواصل ص١٩، مجلة الوعي، العدد ٦٨، السنة السادسة ١٩٧٠م.

(٣) معاني القرآن (٣: ٢٦٨).

أصالة فنية في تذوق موسيقى الفواصل، وملاحظتها عند رؤوس الآيات، حين تتسم بالإيقاع المنسجم مع غيرها، ولم يكن في ذلك مقلداً أو تابعاً، وإنما كان رائداً في هذا الفن، وصاحب نظرة جديدة، حملها العلماء من بعده، ما بين متابع ومعارض... وهكذا نجد الفراء صاحب إحساس مرهف، وأذن موسيقية طيّعة تتجاوب مع الألحان، وتفرق بين لحن جميل، وآخر أكثر منه جمالاً، مما يدل على أنه كان شغوفاً بالموسيقى ويهتز لسماعها»(١). انتهى.

ثانياً: مع الرماني في رسالته في الإعجاز:

علي بن عيسى الرماني عالم كبير من فحول أئمة الاعتزال، له مشاركة في عدة جوانب علمية كالتفسير واللغة ونحوهما، توفي في سنة ٣٨٦هـ.

عرض الرماني للفاصلة بإيجاز في رسالته التي سماها «النكت في إعجاز القرآن الكريم»، وفيها قصر أكثر حديثه على الموازنة بين الفواصل والأسجاع، وهذا فيما يخص هذا الفصل من الرسالة، مبرهناً على أن الفواصل كلها حكمة وبلاغة، وبعكسها الأسجاع(٢).

ثم عرض لتقسيم الفواصل وأنها على وجهين:

أحدهما: على الحروف المتجانسة، ومثل له بقوله تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١-٣] ومثله: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢].

وثانيهما: على الحروف المتقاربة ومثل له بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢، ٣].

ثم بين الرماني أهمية الحروف المتقاربة في الفواصل بقوله: «وإنما حسن في الفواصل

---

(١) المختصر في تاريخ البلاغة ص٢٦-٢٧ للدكتور عبد القادر حسين. ولست معه في أن الفراء كان شغوفاً بالموسيقى!!

(٢) سيأتي الحديث فيما بعد عن رأي الرماني هذا.

الحروف المتقاربة؛ لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة»[١].

قلت: وهو بهذا يكون عمدة لمن جاء بعده في أن أحسن الفواصل ما كان على الأحرف المتقاربة، وذلك لما تفيده هذه الأحرف من استراحة للسمع تتميز بها المعاني كما يقولون[٢].

«وبالجملة، فإن بحث الرماني حول الفاصلة القرآنية كان محل نظر وبحث، وتحليل وتفنيد، بين مؤيد وموافق مقتنع بآرائه، وبين مخالف يفند مزاعمه، ويحلل آراءه ويناقضها، كل هذه الأمور كانت مجالاً خصباً أثمر الكثير من البحوث البلاغية»[٣].

ثالثاً: مع الزمخشري في كتابه الكشاف:

جار الله محمود بن عمر، علم الأعلام في التفسير، ونابغة عصره في دراسة بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، أحد المشار إليهم بتلك العبارة التي سارت مسير الركبان، وهي قولهم: «لم يدر إعجاز القرآن إلا الأعرجان»[٤].

والزمخشري هذا العالم المبدع ليس له دراسة خاصة بالفاصلة، إلا ما يمكننا الإفادة منه من تفسيره، إذ نجد فيه أنه درس الفاصلة من زاويتين: زاوية معنوية، فبيّن قيمة الفاصلة في المكان الذي جاءت فيه، وما يمكن أن ينتج عن ذلك من المعاني، وفي المقابل فإن الزمخشري يميل أحياناً إلى تعليل مسالك النظم بالناحية اللفظية فقط، وعلى هذا فدراسة الزمخشري من زاويتي: المعاني، والجمال اللفظي.

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ النكت ـ ص٩٨-٩٩، وانظر: سر الفصاحة ص١٧٢ وما بعدها.

(٢) البلاغة بين الفن والتاريخ ص١٠٥ وما بعدها.

(٣) المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز ص١٤٣ وما بعدها.

(٤) يتيمة البيان في إعجاز القرآن ص٨١. وعني بالآخر الجرجاني.

وهذه بعض الأمثلة على دراسة الزمخشري للفاصلة مظهراً فيها من كنوز المعاني الشيء الكثير.

أولاً: نجد الزمخشري يبين ارتباط الفاصلة بالآية التي هي فيها ارتباطاً وثيقاً، فها هو عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٣].

يقول: فإن قلت: «فلم فُصِلت هذه الآية بـ(لا يعلمون) والتي قبلها بـ(لا يشعرون)؟

قلت: لأن أمر الديانة، والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة، وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض، فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس، خصوصاً عند العرب في جاهليتهم، وما كان قائماً بينهم من التغاور والتناحر، والتجاذب والتحازب، فهو كالمحسوس المشاهد، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل، فكان ذكْرُ العلمِ معه أحسنَ طباقاً له»[(١)].

ومن هذا أيضاً ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧-٩٨].

قال: «فإن قلت: لم قيل: (يعلمون) مع ذكر النجوم و(يفقهون) مع ذكر إنشاء بني آدم؟ **قلت**: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً، فكان ذكر الفقه، الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر، مطابقاً له»[(٢)].

---

(١) الكشاف (١: ١٨٣)، وانظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٣٦٧.

(٢) الكشاف (٢: ٣٩)، وانظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٣٦٨.

ثانياً: وقد يبدو أن فاصلة الآية في ظاهر النظر غير مطابقة لجملة تلك الآية، فيلحظ الزمخشري هذا الملحظ ويزيل توهمه، استمع إليه عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: ٦].

قال بعد أن شرح المعنى: «فإن قلت: كيف طابق قوله: (إنه كان غفوراً رحيماً) هذا المعنى؟ قلت: لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقَّبه بما يدل على القدرة عليه؛ لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة، أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يُصب عليهم العذاب صباً، ولكن صرف ذلك عنهم. إنّه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل»[١].

وقد يعلل الزمخشري ما استُشكِل أو احتيج لأن يُسال عنه، بناحية معنوية ولفظية معاً، كما في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧].

قال: «وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج؛ لأن في ضمن شقاء الرجل ـ وهو قيِّم أهله وأميرُهم ـ شقاءهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها، مع المحافظة على الفاصلة، أو أريد بالشقاء التعبُ في طلب القوت، وذلك معصوب برأس الرجل، وهو راجع إليه»[٢].

وأما النمط الثاني: وهو الاقتصار في تعليل النظم على النواحي اللفظية فحسب، فقد وقع في الكشاف منه بعض الأمثلة، منها: ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨].

قال: «فإن قلت: كيف قيل: (تبتيلاً) مكانَ تبتُّلاً؟

---

(١) الكشاف (٢: ٨٢)، وانظر البلاغة القرآنية ص٣٦٨.

(٢) الكشاف (٢: ٥٥٥) وما بعدها.

قلت: لأن معنى تبتل: بتِّـلْ نفسَك، فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل»[١].

ومنه كذلك ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

قال: «... وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال: «أقلِّي اللومَ عاذلُ والعتابا». وكذلك الرسولا، والسبيلا»[٢].

وكنت أود من الزمخشري رحمه الله، وهو فارس ميدان البلاغة، ورائد حلبتها، كنت أود منه شيئاً آخر غير هذا. كما كنت أود من الدكتور محمد أبي موسى أن لا يندفع مستعجلاً مدافعاً عن الزمخشري في هذا الجانب حيث قال: «ويلحظ الزمخشري أن القرآن قد يعدل عن لفظ مراعاةً لحق الفاصلة، إذ إن الفواصل القرآنية في سور كثيرة يتحد نغمها الصوتي، وفي حدة النغم هذه تأثير يبلغ مداه في نفس قارئه وسامعه»[٣]. ثم قال: «ولست أرفض أن يراعي القرآن حق الفاصلة فيبدل في كلمة أو يضع مكانها أخرى؛ لأن هذا ليس أمراً لفظياً هيناً كما فهمه كثير من البلاغيين، وقليل منهم تنبه إلى قيمة الأثر الصوتي، أو الأثر الموسيقي في التأثير والإيحاء، وظل أكثرهم يفهم أن شؤون اللفظ لا تعدو أن تكون محسنات سطحية لا تتصل بجوهر البلاغة. وليس من الخطأ في الدين ولا في البلاغة أن نقول: إن القرآن يهتم بالناحية اللفظية؛ لأنها جزء من أسلوبه، ولأنها من دواعي التأثير. وتلك وظيفة القرآن الكبرى، فالغرض منه أولاً هو قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير، فمن الحتم أن نأخذ كل سبيل إلى هذه الغاية، فلا يُهمل هذا الجانب المهم في بلاغته. والزمخشري من قلة من البلاغيين الذين يرون هذا الرأي، لذلك يفسر بعض الخصائص القرآنية تفسيراً مبنياً على اهتمامه بالناحية الصوتية»[٤].

---

(١) الكشاف (٤: ١٧٧)، وانظر البلاغة القرآنية ص٣٦٩.

(٢) الكشاف (٣: ٢٥٣) وما بعدها. والشاهد لجرير كما في حواشي محي الدين عبد الحميد على شرح ابن عقيل على الألفية (١: ١٨).

(٣) قلت: والأبلغ منه تأثير المعنى.

(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٣٦٩.

قلت: وإني لا أملك أن أرد على الرجل دفاعه عن وجهة النظر هذه التي صاغها بأسلوب أدبي رفيع، فهي ليست بخطأ، ولكني لست مع الاقتصار على الناحية اللفظية ـ على رغم أهميتها ـ في تعليل مسالك النظم الكريم، لا سيما والزمخشري نفسه يقول في «كشافه» القديم كما نَقَلَ ذلك عنه الزركشي، وحاصله كما في البرهان:

«إنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه. كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع، السلسة على اللسان، إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأما أن تهمل المعاني، ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال فليس من البلاغة في فتيل أو نقير. ومع ذلك يكون قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية إيثاراً للفاصلة؛ لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته، وإنما عدل إلى هذا لقصد الاختصاص»[١]. انتهى.

ولو كان المجال متسعاً لمضيت مع الزمخشري طويلاً فهو يستحق أكثر من هذا لكن ظروف الكتابة المنهجية تحتم الاقتصار على المطلوب.

رابعاً: مع الإمام بدر الدين الزركشي

علَم مشارك في كثير من العلوم، مكثر من التصنيف، برغم أنه لم يعش إلا تسعاً وأربعين سنةً، توفي في سنة ٧٩٤هـ رحمه الله.

وليس له دراسة خاصة بالفاصلة، إلا ما كان في ثنايا كتابه ـ البرهان ـ الذي يعده هو تجميعاً لأشتات كلام من تقدمه من العلماء[٢].

---

(١) البرهان (١: ٧٢).

(٢) السابق (١: ٩).

وقد عقد الزركشي فصلاً خاصًّا في هذا الكتاب جعله في ضمن النوع الثالث من أنواع العلوم الخاصة بالقرآن الكريم، وفي هذا الفصل بدأ بنقل تعريفات قيلت في الفاصلة، ثم نقل عن الرماني ما يخص الفواصل والأسجاع، وطرفاً من حجج الباقلاني في نفي السجع عن القرآن، ثم ذكر ردَّ ابن سنان الخفاجي عليهما، ثم ذكر أنه يمتنع تسمية القرآن بالقوافي، ثم ذكر نقولاً عن حازم القرطاجَنِّي بشأن السجع، وذكر عنواناً سماه: (إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل) تحدث فيه عن بعض تصاريف القرآن الكريم مراعياً الفاصلة، وذكر اثنتي عشرة حالة من الحالات التي جاء النظم مراعياً لها، ثم ذكر أن الفواصل أكثرها يختم بحرف المد واللين، وأن مبنى الفواصل على الوقف، وذكر أقسام الفواصل باعتبار التقارب والتماثل في الحروف، وذكر كذلك تقسيم الفواصل باعتبار: التوازي، والتوازن، والتطرف، وذكر أن الفواصل باعتبار ائتلافها مع الكلام تدخل تحت أنواع أربعة من البديع: التمكين، والتوشيح، والإيغال، والتصدير.

ثم ذكر أن الفواصل قد تجتمع ويخالَف بينها، وذكر أن من بديع هذا النوع اختلافَ الفاصلتين في موضعين والمتحدث عنه واحد، وعكسه، ثم ذكر أن من الفواصل ما لا نظير له في القرآن، وذكر أن ما يضبط الفواصل: التوقيف والقياس. نقل هذا الأخير عن الجعبري.

هذا عنوان ما ذكره الزركشي في الفصل المذكور، وفيه خير كثير، وسيأتي إن شاء الله تعالى توضيح لأكثر هذه العنوانات والمسائل في ثنايا البحث.

خامساً: مع الجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، رحمه الله.

جاء بعد الزركشي، وله ثلاثة كتب في علوم القرآن تحدث في بعض فصولها عن الفاصلة، وهذه الكتب هي: «التحبير في علم التفسير» و«معترك الأقران في إعجاز القرآن» و«الإتقان في علوم القرآن».

فأما كتاب التحبير فهو عبارة عن توسعة وزيادة مع تهذيب لكتاب «مواقع العلوم من مواقع النجوم»[١]، وفي النوع الثاني والثمانين منه تحدث السيوطي عن الفواصل والغايات حديثاً لا يتجاوز الصفحة، وهو في غاية الاختصار، إذ اقتصر فيه بعد تعريف الفاصلة، وأن القرآن لا يطلق عليه (سجع) للتأدب، اقتصر على بيان تسمية الفاصلة باختلاف حروفها حسبما هو مقرر في مباحث البديع، ولم يزد على ذلك[٢].

وأما معترك الأقران فما ذكره فيه عن الفاصلة، ذكره كله في الإتقان[٣]. وأما الإتقان فقد استوعب فيه السيوطي كل ما ذكره الزركشي في البرهان، وزاد عليه بعض الأمثلة، وبعض التقديم والتأخير، وأما الجديد في الإتقان فهو ما نقله عن المعترك وصبه فيه صباً: الكلام المتعلق بكتاب ابن الصائغ الحنفي، الذي تقدم الحديث عنه، فقد ذكر السيوطي الأربعين وجهاً التي ذكرها ابن الصائغ مما جاء نظم الفاصلة مراعياً له، وما بقي في الكتاب فكله من برهان الزركشي فلا نطيل به[٤].

سادساً: وقفة مع أصحاب الكتب التي عنيت بمتشابه اللفظ في القرآن الكريم

يجد الباحث في المكتبة الإسلامية مجموعة من الكتب التي تتعلق بهذا الموضوع، سواء أكانت خاصة به أم جمَعَت معه غيرَه من الموضوعات وأهم هذه الكتب ما يلي:

١ـ كتاب درة التنزيل وغرة التأويل.

٢ـ كتاب البرهان في متشابه القرآن.

٣ـ كتاب مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.

---

(١) التحبير ص٢٨، والكتاب المشار إليه للجلال البلقيني شيخ السيوطي.

(٢) التحبير ص٣٠٣.

(٣) معترك الأقران (١: ٤٩-٥٤)، والإتقان (٢: ٩٦-١٠٥).

(٤) الإتقان (٢: ٩٦-١٠٥).

٤ـ فتح الرحمن في كشف ما يلتبس من القرآن.

٥ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.

فأما كتاب الدرة فهو درتها، وصفوتها، أدقها وأحسنها، أمتنها علماً، وأدقها لفظاً، وما يعكر عليه إلاّ رداءة طباعته(١). ويعد هذا الكتاب في نظر الباحث أقوى هذه الكتب جميعاً، وأحراها بالتدبر والتأمل، ومن العجب أن يكون كتابٌ بهذه المنزلة والإحكام لا يُدرى مَن مؤلفه.

وقد عُزي هذا الكتاب لأكثر من مؤلف، فهو أولاً مطبوع ومعزو للخطيب الإسكافي، وذهب الدكتور عمر الساريسي في بحث خاص بهذا الكتاب إلى أن مؤلفه الحقيقي هو الراغب الأصفهاني(٢).

وذهب السيد محمود محمد الدغيم في طالعة تحقيقه لكتاب عمدة الحفاظ للسمين الحلبي إلى أن درة التنزيل هو للراغب الأصفهاني وأنه توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة أسعد أفندي، وفيها كما يقول السيد محمود أن الراغب أشار إلى أنه ألف هذا الكتاب بعد كتابه المفردات(٣).

وذهب الدكتور أحمد فرحات إلى هذا في تحقيقه لمقدمة جامع التفسير للراغب، إلا أنه ما لبث أن تراجع عن رأيه هذا وكتب بحثاً حول ذلك رجح فيه أن المرجح لديه أن هذا الكتاب هو لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ(٤).

---

(١) طبع الآن هذا الكتاب محققاً في طبعة فاخرة عنيت بها دار الفتح.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٧٩ العدد الرابع المزدوج (٣-٤) ص٢٣-٨٠.

(٣) مقدمة التحقيق لكتاب عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ص٥، تحقيق: محمود محمد السيد الدغيم.

(٤) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت، العدد الخامس عشر من السنة السادسة عام ١٩٨٩.

ومن قديم قال الحافظ ابن حجر في ترجمة أبي جعفر ابن الزبير: إنه كتب كتاباً سماه مِلاك التأويل نحى فيه طريق الحصكفي الخطيب في ذلك فلخص كتابه وزاد عليه شيئاً بنفسه[١].

وبعد، فهذا طرف من الخلاف حول مؤلف هذا الكتاب القيّم، وهو بحاجة إلى من يميط اللثام عن مؤلفه، ليقدمه للناس مكرَّماً، فإنه يستحق التكريم[٢].

وهذا الكتاب خاص بالآيات المتشابهة اللفظ وتوجيه هذا التشابه، وقد نالت الفواصل القرآنية التي وقع بينها التشابه اللفظي ـ سواء بالاختلاف أم بالاتفاق ـ نالت حظاً من هذا الكتاب القيم، وقد أفدت منه في الفصل المتعلق بذلك في هذه الرسالة، كما أفدت من سائر الكتب الأخرى تقريباً.

وأما كتاب مِلاك التأويل فهو للحافظ أبي جعفر ابن الزبير شيخ أبي حيان الأندلسي، وكتابه هذا متأخر عن كتاب الدرة، وذكر فيه أنه كان يكتب الجواب عن الآيات ثم ينظر في الدرة بعد أن يتم كتابته فإن وجد صاحب الدرة قد أغفل آية أشار إلى ذلك، وما وافقه منه ولم ينقله عنه فهو من قبيل توارد الخواطر! هذا ما قاله في مقدمة الكتاب، ويرى الحافظ ابن حجر أنه لخصه من كتاب الحصكفي وزاد عليه، وهذا الكلام لم يعجب من قام بتحقيق الكتاب[٣].

---

(١) الدرر الكامنة (١: ٨٤)، وانظر ترجمة الحصكفي، واسمه يحيى بن سلامة، المتوفى سنة ٥٥١هـ، في وفيات الأعيان (٦: ٢٠٥-٢١٠).

(٢) قد جزم محقق هذا الكتاب في رسالته العلمية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى وهو الدكتور مصطفى آيدين بأن الخطيب الإسكافي هو المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب ينظر في: درة التنزيل وغرة التأويل الطبعة المحققة والمطبوعة بجامعة أم القرى (١: ٨٧-١٣٣).

(٣) مِلاك التأويل، تحقيق: سعيد الفلاح، ١١٠-١٣٩، ملاك التأويل، تحقيق: د. محمود كامل أحمد (١: ٢٨).

قلت: وقد قرأت الكتابين، واستخدمتهما مراراً وتكراراً فظهر لي أن كتاب ابن الزبير أوسع وأشمل من حيث الكم، وهذا ما نص عليه محققا الكتاب ومن قبلهما الحافظ ابن حجر، وأما في الآيات التي اتفقا فيها فظهر لي أن أبا جعفر ابن الزبير إن كان موافقاً لصاحب الدرة في الموضع المحدد فإنه يأخذ فكرة الجواب ثم يصوغها بصياغة من عنده، وهذا يمكن أن يلاحظ في كل الآيات التي على هذه الشاكلة، ويضيف أحياناً زيادة على ما عند صاحب الدرة، وأما إن خالفه فإنه أحياناً يلخص عبارته وأحياناً ينقلها بنصها وبعد ذلك أو قبله يذكر ما يراه. هذا ما ظهر لي من خلال البحث في هذه الكتابين، وبهذا تعلم أن عبارة الحافظ ابن حجر أدق من عبارة محقِقَي الكتاب والله تعالى أعلم.

والكتاب هذا موضوعه هو موضوع كتاب الدرة، وقد أفدت منه كثيراً في الفصل المتعلق بمتشابه الفواصل.

وأما كتاب البرهان في متشابه القرآن فهو لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، توفي بعد سنة ٥٠٠ هـ، كما في معجم الأدباء[١].

وقد حلا لمحقق الكتاب أن يتلاعب باسم هذا الكتاب، فقام بنشره تحت عنوان «أسرار التكرار في القرآن الكريم» زاعماً أن هذه التسمية أدل على موضوع الكتاب من عنونة المؤلف به!! وهذا والله من الأعاجيب، والأعجب من هذا والأغرب أن المحقق قال عن الكرماني: إنه لم يقف على كتاب أبي جعفر ابن الزبير[٢].

قلت: وإنه ليحلو بالقارئ العجب إذا علم أن الكرماني متوفى قبل أبي جعفر بقرنين من الزمان على الأقل!!

والكتاب هذا أفاد صاحبه من كتاب الدرة[٣]، فلخص كلامه فيما أفاده منه وجعله

---

(١) انظر في وفاته وتحديد وقتها في معجم الأدباء (٢: ٤٥٥).

(٢) تحقيق عبد القادر عطا للكتاب ص١٢.

(٣) انظر مقدمة المؤلف ص١٩.

مقتضباً جداً، والكتاب كله موجز العبارة جداً، ومع هذا فهو حسن وممتع وينم عن عقلية قوية، وقد أفدت منه أيضاً في الفصل المتعلق بالمتشابه.

وأما كتاب بصائر ذوي التميـيز في لطائف الكتاب العزيز فهو للفيروزآبادي صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧هـ. والكتاب عام في علوم القرآن وقد جعل فيه زاوية للمتشابه في كل سورة عرض لها، وقد عرض لكل السور وذلك في الجزء الأول من الكتاب. ومن المؤسف أن يقوم الفيروزآبادي بنقل كتاب الكرماني كاملاً، من أوله إلى آخره في ثنايا المجلد الأول من كتابه، بحيث تستطيع أن تستخرج الكتاب كله دون أن يبقى منه شيء. ومع هذا الفعل فلم يذكر الفيروزآبادي اسم الكرماني مطلقاً!! وكتاب الكرماني موجود بحروفه في هذا الكتاب، وليس ملخصاً! ولا أعلم أحداً من الباحثين تنبه إلى هذا الأمر. والله المستعان[١].

وأما كتاب فتح الرحمن في كشف ما يلتبس من القرآن فهو لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو كتاب أعمُّ من أن يُخص بالمتشابهِ اللفظ، إذ وقع فيه توضيح لكثير من الآيات التي قد يعرض للذهن بعض السؤال عنها، وأما ما يتعلق بالمتشابه في هذا الكتاب فقد لخصه من كتاب الكرماني كما هو واضح من المقارنة بين الكتابين فيما يخص هذا الجانب من القرآن[٢]. ولا أذكر أني وقعت على تصريح من الشيخ زكريا رحمه الله باسم الكرماني على رغم ظهور تلخيصه لكتابه، أما لماذا هذا؟ فالله تعالى أعلم.

وبعد، فهذه أهم الجهود التي ما كان ينبغي للباحث في هذا الموضوع أن يتجاوزها دون أن يقتطف منها ثماراً، بعد أن يعرِفَها ويعرِّفَ بها.

---

(١) بعد أن كتبت هذا بزمن وقعت في يدي نسخة محققة من كتاب الكرماني، قام بتحقيقها أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، وهي من مطبوعات دار الوفاء بالمنصورة ١٩٩١: وقد رأيته وصل إلى ما وصلت إليه عن كتاب الفيروزأبادي، فالحمد لله، الذي بنعمته تتم الصالحات. انظر ص٧٤-٧٦ من التحقيق، وقد وقعت على هذه النسخة في السودان وكنت كتبت كلامي السابق في الأردن.

(٢) انظر تحقيق عبد القادر عطا لكتاب الكرماني ص١٣.

ثانياً: جهود المُحدَثين

لستُ أولاً مع أية نظرة مؤداها: أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئاً، وإنما أميل مع ابن فارس في قوله: «ولو اقتصر الناس على كتب القدماء، لضاع علم كثير، ولذهب أدب غزير، ولضلت أفهام ثاقبة، ولكلَّت ألسنٌ لسنة، ولما توشى أحد لخَطابة، ولا سلك شِعباً من شعاب البلاغة، ولمجّت الأسماع كل مردّ مكرر، وللفظت القلوب كل مرجّع ممضغ...»[1].

ولا شك في أن للمحدثين جهوداً رائعة في مجال درس الإعجاز القرآني على الخصوص، وذلك أنه علم متجدد بتجدد العقول والأذهان كداً وصفاءً. وقد تنوعت هذه الجهود بين أن تكون كتباً متخصصة، وأن تكون بحوثاً وموضوعات في ثنايا كتب.

فأما الكتب المتخصصة فقد تنوعت إلى نوعين:

الأول: كتب تتحدث عن الفواصل من حيث العدد، واختلاف العلماء فيه، كمّاً وكيفاً، دون زيادة على ذكر هذا الخلاف وبعض المحاولات لتعليل هذا الاختلاف، تلك المحاولات في معظم أحيانها لا ترقى إلى أن تقنع القارئ، وتملأ نهمته. غير أن أصحاب هذه الجهود والمحاولات مشكورون على ما قدموه وبذلوا جهدهم فيه، ومن أهم هذه الجهود:

أولاً: بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل ـ للشاطبي ـ من تأليف الشيخ العلّامة المرحوم عبد الفتاح القاضي. والكتاب مطبوع متداول.

ثانياً: نفائس البيان في شرح الفرائد الحسان في عدِّ آي القرآن ـ كلاهما للشيخ عبد الفتاح القاضي ـ والكتاب أيضاً مطبوع متداول.

---

(١) نقل هذا الكلام في يتيمة الدهر (١: ٤٦٠) بترقيم الشاملة، وانظر: النثر الفني في القرن الرابع (٢: ٤١-٤٢) نقلاً عن يتيمة الدهر.

ثالثاً: مرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن (وهو شرح وتوجيه نظم الفرائد الحسان) وهو من تأليف الشيخ عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى، وهو مطبوع متداول.

رابعاً: المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز (وهو شرح وتوجيه أرجوزة العلامة الشيخ محمد المتولي) والكتاب من تأليف الشيخ عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى، وهو مطبوع متداول.

هذه هي الجهود التي اطلعتُ عليها في هذا الجانب.

الثاني: كتب متخصصة عالجت جوانب مهمة من جوانب دراسة الفاصلة القرآنية. ولا أعلم في هذا المجال إلا كتابين:

أحدهما: رسالة جامعية للأستاذ محمد الحسناوي.

وثانيهما: كتب الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين. وإليك بيان عن هذين الكتابين:

أولاً: الفاصلة في القرآن، لمحمد الحسناوي:

يقع الكتاب في نحو خمس مئة صفحة، وهو في الأصل أطروحة تقدم بها الطالب لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا في الآداب من الجامعة اللبنانية.

وقد كتب صاحب الكتاب في مقدمة كتابه خلاصة لما أراده فيه فقال: «بدأت بتعريف الفاصلة، لتحديد مجال البحث وتوضيح مجراه للقارئ، ثم انتقلت إلى تاريخ الفاصلة، أرصد جهود القدامى والمحدثين المتمثلة في كتب مفردة، أو في كتابات متفرقة، وإذ ذاك وقفت وقفة طويلة للتمييز بين الفاصلة والسجع والقافية، ولتحديد أركان الفاصلة من ضابطها، وبنائها على الوقف، ومسمياتها، ووزنها، وقرينتها، ومزيتها التي تمتاز بها من السجع والقافية، ثم لتوضيح أبنيتها بحسب حروف الروي، أو الوزن أو طول الفقرة، أو طول القرينة، أو مقدارها من الآية، أو ورودها فاصلة داخلية أو لازمة... مما أسميه جميعاً (علم الفاصلة).

ولما اتضحت الحدود والمعالم، شرعت أقلب النظر في مجاليها الجمالية مهتدياً بنظريات علم الجمال، وقوانينه في الإيقاع والعلاقات، أدرس كلمة الفاصلة ذاتها صوتاً ودلالة، ثم أدرسها في علاقاتها المختلفة القريبة والبعيدة، بأناة وروية لا تقلان عما فعلت في (علم الفاصلة)، بل أضفت إلى ذلك كله لفتتين أخريين، أولاهما مبنية على الإحصاء والثانية مبنية على (أسماء الله الحُسنى) التي ترددت في الفواصل.

كان بإمكان البحث أن يقفل ههنا، لكنني آثرت ـ وقد دنت قطوفه ـ أن أجني بعض ثماره، فعقدت باباً أخيراً لمعطيات (الفاصلة) قديماً وحديثاً، في علم العربية، والموشحات، والشعر الجديد، وفن الخط.

قد يرى قوم أن الباب الأخير أفضل ما في البحث، أما أنا فاعتبر بابَيْ (علم الفاصلة) و(جمال الفاصلة) محور البحث ومناط سيره، وبهما وحدهما يستطيع الدارسون أن يشقوا معطيات ومسائل لا حد لها. بل إن الأبواب الأخرى تندرج فيهما، فتعريف الفاصلة أعلق بـ(علم الفاصلة) وقدمته على بابه، لتعريف القارئ بالموضوع قبل التوغل في مجاهله، وقل الأمر نفسه في (معطيات الفاصلة) التي أفردت لها الباب الأخير وحقها أن تندرج في (جمال الفاصلة) لولا خشيةُ التطويل، والرغبةُ في تذليل القطوف». انتهى. بحروفه[١].

قلت: ومن خلال قراءة الكتاب مضافاً إليها ما ذكر في المقدمة من تعريف به، فإنه يبدو وبشكل واضح أن دراسة الحسناوي للفاصلة كانت دراسة فنية جمالية، ولست أذكر أنه عرض للناحية المعنوية إلا عندما تحدث عن التقديم في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠]، وسيأتي حديثه في محله من البحث إن شاء الله تعالى.

والبحث في نظري جهد طيب لأستاذ أديب، ولا يخلو جهد بشر من خطأ، فالكمال لله وحده. ويرى الباحث أن أكبر ما وقع فيه الأستاذ الحسناوي هو الإغراق في كتابة الآيات

---

(١) الفاصلة في القرآن ص١٠-١١.

القرآنية على نمط الشعر، وقد أشار الدكتور صبحي الصالح في مقدمة الكتاب إلى شيء آخر يخص هذا الجانب: وهو عقد الموازنات بين القرآن والشعر، وإن احتج الحسناوي لرأيه بأنه مسبوق بهذا الصنيع، فهو على أي حال غير مقبول، وهو في غاية الخطورة، وإن كان كتاب الحسناوي في معظمه مبنياً على هذا الجانب، ففَتْحُ مثلِ هذا الباب طريق للعبث بالكتاب الكريم.

وأعجب من هذا، ولا أظن شيئاً أعجب منه، ما ذكره الحسناوي في هذا الجانب حيث قال: «وعلى الرغم من وضوح الإيقاع الموسيقي في الفواصل، وعلى الرغم من وسمِها بمصطلحات الوقف في المصحف الإمام... أقترح، بل أتمنى أن يطبع القرآن، كل آية بسطر، مما يسهل الوقوف على الفواصل في القراءة والنظر، وفي ذلك ما فيه من تيسير تذوقه الجمالي، ومن موافقة لروحه وأدبه، وتحقيق لأهدافه السامية»[١].

ويستشفع الحسناوي لأمنيته هذه بقوله: «وقد وقفت على نماذج متفرقة لكُتّاب معاصرين تشبه ما ذهبت إليه في تسطير الفواصل: ففي مقال (الله والشعر) للشاعر نزار قباني نجد الشاعر يثبت تسع عشرة آية من سورة مريم [الآيات: ١٥-٣٣] على الشكل المقترح ليكشف عن دور الموسيقى العالية في التعبير الفني»، إضافة إلى بعض النماذج الأخرى لكتاب معاصرين استشفع بمحاولاتهم في تبني ما تمناه[٢].

قلت: ولا أدري كيف زلق قلم الأستاذ الحسناوي إلى الاستشهاد بصنيع نزار قباني هذا الشاعر ـ المعروف بما هو فيه ـ في هذا الجانب. وتأمل كذلك فإن الحسناوي لم يَبْقَ على هذا الأمل، بل قام بالتجرِبة نفسها، فكتب جزءاً لا بأس به من سورة الرحمن على شكل قصيدة[٣].

---

(١) الفاصلة في القرآن ص٢١٣.

(٢) السابق ص٢١٤ وما بعدها.

(٣) السابق ص٣٦١ - ٣٦٢.

ومن العجيب جداً أن الحسناوي قال في القسم الأول من كتابه: «إن القول بوجود السجع في القرآن يؤدي إلى مشكلة حاصلها: اهتزاز الرؤية النقدية المتكاملة للنص القرآني على أنه نص متميز أو من عند الله»[١].

فأيهما هو الخطر: أن نقول: إن في القرآن سجعاً، أو نكتبه على وزان الشعر، وندرسه وهو على تلك الحال؟ لعمري إن ما أثبته الحسناوي برغبته أخطر مما حاول نفيه في رسالته.

وبعد، فهذا هو كتاب الأستاذ الحسناوي، وهو جهد طيب، ما خلا هذه الزلات التي فيه، وسبحان من جعل الكمال من خصائصه.

ولا يفوت من القول التنبيه على أن هذا البحث عند الأستاذ برمته ـ ما خلا ما يتعلق منه بتعريف الفاصلة وتاريخها والخلاف حول وقوع السجع في القرآن ـ لا يتعلق منه شيء ذو بال بموضوع هذا البحث الذي أكتبه والله المستعان ولا رب سواه.

ثانياً: الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين

يحتوي هذا الكتاب على مئة وثلاث وستين صفحة، وهو برمته يمكن تقسيمه إلى قسمين:

القسم الأول: في بيان هل وقع في القرآن سجع أم لا؟ والخلاف في هذه المسألة، ثم ما يتعلق بالفاصلة من حيث تقسيمها إلى متواز ومطرف ومتوازن، ثم إن النظم يخرج عن المألوف بسبب مراعاة الفاصلة، وفي هذا الجانب نَقَلَ عن الزركشي تسعاً من الوجوه الاثني عشر التي عدّها مخرجة للنظم بسبب ذلك. ثم إن الفاصلة في علاقتها مع ما قبلها تنقسم كما قسمها البلاغيون إلى أربعة أقسام وهي: التمكين، والتوشيح، والتصدير، والإيغال. ونقل المؤلف الأمثلة المتعلقة بهذه الأقسام من كتاب البرهان للزركشي. هذا هو القسم الأول من الكتاب وهذه هي موضوعاته ولم يتوسع المؤلف في هذه الموضوعات بل كان حديثه موجزاً كثيراً.

---

(١) الفاصلة في القرآن، ص١٤٢.

القسم الثاني: في دراسة متشابه الفواصل، واشتمل على دراسة ثلاثة أنماط من التشابه وهي:

الأول: اختلاف الفواصل والمتحدَّث عنه مختلف، وقد أخذ هذا النمط وحدَه أكثر من نصف حجم الكتاب، ومعظم الأمثلة هي من البرهان والإتقان، ولذلك دار هذان الكتابان وكتاب درة التنزيل في معظم صفحات هذا القسم، بل وفي الذي يليه.

الثاني: اختلاف الفواصل والمتحدَّث عنه واحد.

الثالث: اتفاق الفاصلتين والمتحدَّث عنه مختلف، وقد مسه مساً رقيقاً.

ثم عرض أخيراً وبإيجاز شديد إلى بعض مشكلات الفواصل، المتعلقة بما يبدو من ظاهر النظم وعدم التجانس بين الفاصلة والموضع الذي هي فيه. وقد ذكر الأستاذ بعض الأمثلة المشهورة في سائر الكتب التي عرضت لهذا الجانب دون زيادة.

والمؤلف على الرغم من كون معظم الذي في كتابه منقولاً عن الكتب التي أشرت إليها، إلا أن شخصيته ليست ذائبة، بل يصوغ المنقول بعبارة تقربه إلى فهم القارئ، وهذا من محامد ما في هذا الكتاب، وترى كذلك للمؤلف بعض اللفتات الطيبة، وإن كانت قليلة غير متلائمة مع حجم الكتاب، من مثل قوله: «إن الفواصل ليست مجرد توافق ألفاظ» ثم يوضح ذلك بقوله: (من الباحثين من ينظر إلى الفاصلة ـ أو السجع ـ في الكلام عامة على أنه مناسبة لفظية مرغوبة، ومطلوبة في اللغة العربية، فهي تريح القارئ من البهَر، وترشده إلى تلوين الصورة، وإجادة الوقف، وتزيد من روعة التلاوة، بما تخلع عليها من إيقاع محبب، وتمد القراء بألوان من التنغم المؤثر والتطريب الأخاذ. وهذا إن صدق في سجع الكتاب فلا يصدق إطلاقاً على الفاصلة في القرآن الكريم[1]. فعلينا أن لا

---

(١) هذا الكلام ليس دقيقاً، ومع عدم دقته فإن الكاتب قد قال بمراعاة الفاصلة في بعض الآيات، وهي مناسبة لفظية فقط!!

نظر إلى بلاغة الفاصلة في القرآن هذه النظرةَ المحدودة التي لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ، فإن هذه الصورة اللفظية الحسية مع جمالها لا يصح أن تصرفنا ولا تحجب عن ذهننا ما استتر فيها من بدائع الأسرار، ودقائق الأغراض، فالفاصلة في القرآن الكريم لها مزية هامة ترتبط بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحداراً، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها، وبحيث إذا حذفت اختل المعنى في الآية، ولو سكت عنها القارئ لاستطاع السامع أن يختمه انسياقاً مع الطبع والذوق السليم[1]. فليست فواصل القرآن مجرد توافق ألفاظ وأوزان، بل لها علاقة وثيقة بما قبلها من نص في الآية...»[2]. انتهى.

ومن محاسن ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب أيضاً قوله: «ومن دقة التمييز بين الفواصل، وما توحي به من معنى، وما تشير إليه من مضمون، ما نجده من التفرقة في الاستعمال بين (يعلمون) و(يشعرون).

ففي الأمور التي يرجع إلى العقل أمر الفصل فيها، نجد الفاصلة جاءت بـ(يعلمون) كما في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥] ومثلها في الزمر: ٤٩ والأعراف: ١٣١. وليس هذا خاصاً بالفاصلة، بل أيضاً في غيرها، فنجد الأمور التي يرجع فيها إلى العقل وحدَه أمر الفصل فيها، نجد كلمة (يعلمون) هي المقدمة في التعبير عنها، يقول الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، ومثلها في البقرة: ٧٧ والأنعام: ١١٤.

أما الأمور التي يكون للحواس مدخل في شأنها فتكون الفاصلة (يشعرون) كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥]، فالعذاب مما يشعر به ويحس. ومثلها في النمل: ١٨ والزمر: ٢٥»[3].

---

(١) هذا الكلام لا يصدق على كل الفواصل.
(٢) الفاصلة القرآنية ص٣٧-٣٨.
(٣) السابق ص١٢٣-١٢٥.

هذا هو الكتاب الذي بين أيدينا، وفيه من الخير ما فيه، غير أن لي عليه بعضَ الملحوظات:

الأولى: أن الباحث الفاضل نقل عن المتقدمين ما هو جدير بالبحث وإعادة النظر، وتركه على حاله دون بحث ولا إعادة نظر.

الثانية: يظهر في ثنايا هذا الكتاب أن صاحبه يميل إلى تعليل النظم بمراعاة الفاصلة، دون شيء زائد، وإن كان هذا ليس بالكثير عنده. وقد سبق التنبيه على مثل هذا.

الثالثة: لقد خرج البحث في أحيان كثيرة عن دراسة الفاصلة، كالتجاوز لشرح الوصايا العشر بغير إيجاز، وذلك في الصفحات (٩٦-١١٥) وغيرها.

الرابعة: مما وقع للباحث عندما وقف عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] قوله: «إن الله وصف نفسه بنهاية اللطف والشفافية»(١). ولا إخال هذا التعبير مما يجوز إطلاقه على الله تعالى.

الخامسة: مما وقع للباحث بمناسبة حديثه عن الفرق في التعبير بين (الأخسرون، والخاسرون) قوله: «... فاجتماع هذه المناسبة المعنوية، وهذه المناسبة اللفظية، أوجبا اختيار الفاصلة بلفظ (الأخسرون) دون الخاسرين»(٢).

قلت: وهذا تعبير غير سليم، وينبئ عن أن في الفواصل ما يسمى بلزوم ما لا يلزم، إضافة إلى ما في العبارة من كزازة وتعدٍّ على بساط العقيدة، ولا إخالها إلا زلة لسان غير مقصودة.

وبعد: فهذا ما يتعلق بالكتب المفردة حديثاً للكلام عن الفاصلة وما يتعلق بها. وكما قلت سابقاً فإني لا أعلم سوى هذين الكتابين. وأما أبحاث الفاصلة عند المتأخرين،

---

(١) الفاصلة القرآنية، ص٦٩.

(٢) السابق ص١٢٠-١٢١.

فهي جهود موزعة في بعض الكتب، بعضها تكرار لما سبق عليها، وفي القليل منها فوائد لا يخلو منها بحث معمق.

وسأتحدث هنا عن بعض من تحدث عن الفاصلة في ثنايا كتاب من كتبه، أو بحث في مجلة من المجلات العلمية المنشورة في أرجاء الوطن. على أن هذا الحديث لن يطال المفسرين المعاصرين في تفاسيرهم والوقوف مع كل مفسر عند الآيات التي عرض فيها للبحث في موضوع الفاصلة، فإن هذا الأمر سيخرج بالبحث عما وضع له. وها هي وقفات عند بعض الكتاب المتأخرين:

أولاً: مع الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ.

هو مؤلف مشارك، له مجموعة مؤلفات في مختلف الفنون تربو على خمسة وثلاثين مؤلفاً[١]. وكتابه الذي يعنينا هنا هو (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهو كتاب في علوم القرآن كما هو ظاهر من اسمه، نقل فيه مؤلفه عن كثير من السابقين دون تعيين، وأكثر من نقل عنه الزركشي في البرهان.

عرض الشيخ الجزائري للفاصلة القرآنية في عدة مواضع من هذا الكتاب، وهي على النحو التالي:

أولاً: في المبحث الرابع من الفصل العاشر المتعلق بعدِّ الآي ذكر فيه سبب اختلاف السلف في عد الآي، وبين أن معرفة الفواصل عمدة هذا الفن، وذكر أن لمعرفة الفواصل طريقين: سماعي وقياسي، وذكر نماذج متعددة لخلاف العلماء حول بعض الآيات[٢]. ثم ذكر بعد ذلك بعض المعلومات المتعلقة بالعدد وعلمائه[٣].

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن ترجمته في مقدمة كتابه المذكور ص١٦-٢٠.

(٢) انظر ص١٩٨ وما بعدها.

(٣) ص٢٠٥ وما بعدها.

ثانياً: في المبحث السابع من الفصل العاشر ذكر أن العلماء قد يطلقون الفواصل ويعنون بها الحروف الأواخر من الكلمات، نحو قولهم: فواصل الفاتحة: الميم والنون، ثم ذكر السور التي جاءت فواصلها كلها على حرف واحد وهي: (الكهف، والفتح، والإنسان، والأعلى، والشمس، والليل، والقمر، والقدر، والكوثر، والمنافقون، والفيل، والناس)(١).

ثالثاً: في المبحث الثامن من الفصل العاشر تحدث عن فوائد معرفة الفواصل، بإيجاز شديد(٢).

رابعاً: في المبحث التاسع من الفصل العاشر تحدث عن بعض عادات كتاب المصاحف المتعلقة بوضع نقاط معدودة عند آخر كل فاصلة، وعند انقضاء خمس آيات، ونحو ذلك بشيء من التفصيل(٣).

خامساً: في المبحث العاشر من الفصل العاشر عرض إلى تفصيل الخلاف في مواضع العدد من الآيات في سورها المختلفة بشكل تفصيلي(٤).

سادساً: في الفصل الحادي عشر من فصول الكتاب كان الكلام مخصصاً للفواصل وما يتعلق بها، حيث ذكر فيه التعريف المذكور عند الزركشي عن الداني وما أورد عليه، ثم جعل الفصل مقسماً إلى عدة أبحاث:

الأول: في الفرق بين الكلام المنظوم والمنثور وما يتعلق بهما، وعرض فيه للمرسل والمسجوع والقافية(٥).

---

(١) ص٢٠٧ وما بعدها.

(٢) ص٢١١.

(٣) ص٢١٢- ٢١٩.

(٤) ص٢١٩-٢٤٦.

(٥) ص ٢٤٧-٢٥٢.

الثاني: جعله حديثاً عن السجع بأوصافه وأقسامه(١).

الثالث: في اختلاف العلماء في أنه هل يقال في القرآن سجع أم لا؟ وقد فصّل الكلام في هذه المسألة بما هو مذكور في غالب الكتب مع شيء من التهذيب والتنظيم(٢).

الرابع: في الأمور التي تحدث لأجل مراعاة الفاصلة، وذكر فيه الأربعين وجهاً التي ذكرها ابن الصائغ، والتي أوردها السيوطي في الإتقان(٣). والظاهر أن الشيخ أخذها من هناك.

الخامس: فيما يتعلق بالفاصلة من أمر البديع، عرض فيه للحديث عن التمكين، والتصدير، والتوشيح، والإيغال(٤).

السادس: عن متشابه الفواصل، باقتضابٍ منقولٍ كلُّه(٥).

ثم ختم هذا الفصل ببعض التنبيهات:

الأول: في بيان أن من الفواصل في القرآن الكريم ما لا نظير له.

الثاني: أنه نقل عن الزمخشري قوله: إنه لا بد من مراعاة المعاني في نظام الفواصل وإنه لا ينبغي الاقتصار على النواحي اللفظية فقط.

الثالث: أنه قد كثُر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد واللين.

الرابع: وقوع التضمين والإيطاء في الفواصل(٦).

---

(١) ص ٢٥٢-٢٥٨.

(٢) ص ٢٥٨-٢٨٠.

(٣) ص ٢٨٠-٢٨٤.

(٤) ص ٢٨٥-٢٨٨.

(٥) ص٢٨٩-٢٩٢.

(٦) ص٢٩٣، والتضمين معناه: أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقاً بها، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِالَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]. وأما الإيطاء فهو تكرار الفاصلة بلفظها.

هذا ما جاء في هذا الكتاب، وإن كان أغلبُ ما فيه منقولاً عن السابقين، ولكني أحببت أن أبتدئ به تعريفاً به فإنه كتاب غير مشهور.

ثانياً: مع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي:

أديب فاضل، من أصحاب الأقلام المباركة، توفي سنة ١٩٣٧م، وله مؤلفات كثيرة مشهورة.

عرض الرافعي للفاصلة القرآنية في ثلاثة مواضع من كتابه إعجاز القرآن.

خصص أحدها وهو الذي في فصل الحروف وأصواتها: للدور الموسيقي للحروف تحت ما سماه طريقةَ الاستهواء الصوتي في اللغة.

والثاني في فصل أسلوب القرآن، حيث تحدث عن تكرار فاصلة (الناس) في آخر سورة من القرآن الكريم.

والثالث في فصل الكلمات وحروفها، حيث عرض فيه للحديث عن غرابة فاصلة (النُّذُر) من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر: ٣٦]، وكذلك وقف وقفة رائعة جداً عند تحليله قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٢][١] وسيأتي كلامه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وبالجملة، فقد اتسمت تحليلات الرافعي بالدقة، وروعة الأسلوب وقوته. رحمه الله تعالى.

ثالثاً: مع الدكتور علي الجندي:

كان أستاذاً للأدب بدار العلوم بالقاهرة. في كتاب مهم للدكتور بعنوان ـ صور البديع ـ فن الأسجاع ـ عرض فيه بدءاً من الفصل الثامن للسجع والفاصلة.

---

(١) انظر كلام الرافعي ص١٩٩ وما بعدها، وص٢١٢ وما بعدها، وص٢٢٠ وما بعدها.

ففي الفصل الثامن والتاسع: عرض للسجع، وشروط الحُسن فيه. ولا أظن أن باحثاً استوفى الموضوع حقه من البحث والاستقصاء كما فعل الدكتور في كتابه هذا[١] وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الاستيعاب وكثرة الدرس والمطالعة، وهي من محامد ما يتميز به الباحثون.

وفي الفصل العاشر: عرض لموضوع السجع في القرآن، وذكر أقوال المتقاولين في هذه المسألة، بما لا مزيد عليه. ورجح اختيار وقوع السجع في القرآن.

وفي الفصل الحادي عشر من كتابه المذكور: عرض لفواصل القرآن، وبيَّن أن السور المكية نظراً لطبيعة الدعوة في عهدها الأول، كانت سوراً يغلب عليها طابع السجع في أسلوب شديد الأسر، حادّ، قوي، يُختم بالسجعات الرنانة المدوية القصيرة، وأن الغالب على أسلوب السور المدنية الاسترسال والهدوء وطول النفس. نظراً لطبيعة الدعوة، حيث تخاطب هذه ناساً مؤمنين[٢]. ثم عرض لموسيقى الفواصل، أو ما يسمى بالجرس الصوتي للفواصل، وقال: إنه أمر مقصود. وإن هناك أشياء وفّرت الموسيقى لهذه الفواصل منها:

أولاً: كونها ـ الفواصل ـ مختومة في كثير من الأحيان بحروف المد واللين.

ثانياً: أن حروف الفواصل إما متماثلة أو متقاربة، ولا تخرج عن هذين النوعين كما قال غير واحد.

ثالثاً: أنه أحياناً ما تتقدمها ألفاظ تمهد لوقوعها، وتشِّوق إليها.

رابعاً: تكرير الفاصلة في بعض السور الكريمة مما يشكل وقعاً خاصاً على السمع.

---

(١) فن الأسجاع (٢: ١١٣-١٦٦).

(٢) السابق (٢: ١٨٢).

وقد نبه الدكتور في هذا الفصل على أن المناسبة اللفظية والصوتية ينبغي أن لا تكون جهد العالم، فإن وراء الألفاظ شيئاً أهم، ولذلك يقول: «ومن الحق أن لا ينظر إلى بلاغة القرآن هذه النظرة الضيقة التي لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ. فإن هذه الصورة الحسية مع فخامتها، وجمالها، وجلالها، لا تتجلى في روعتها الحقيقية الفاتنة، إلا إذا صحبها بيان لما اكتنّ فيها من بدائع الأسرار ودقائق الأغراض»(١).

ثم عقد الفصل الأخير من هذا الكتاب لجمال الفواصل المعنوي، واستفتح هذا الفصل ببيان مزايا معاني الفواصل الكريمة حيث قال: «من مزايا معاني الفواصل في القرآن الكريم شدة ارتباطها بما قبلها من الكلام، وقوة تعطّف الكلام عليها، كأنهما معاً جملة مفرغة يسري فيها روح واحد ونغم واحد ينحدر إلى الأسماع انحداراً، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها، لتـتمم معناه، وحتى لَتبلغُ من وقوعها موقعها واطمئنانها في موضعها أنها لو حذفت لاختل معنى الكلام، واضطرب فهمه، واستغلق بيانه، ولو سَكَتَ عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقاً مع الطبع الملهم والذوق السليم»(٢).

ثم بعد ذلك أخذ صاحب الكتاب في إيراد الأمثلة على متشابه الفواصل، ومشكلها مما يكاد يتكرر في كثير من الكتب التي عرضت لدراسة مثل ذلك، غير أن الدكتور كان يضيف بعض التحليلات، ويتوسع في ذكر الشواهد الشعرية المؤيدة لما يقول، كل ذلك بأسلوب سهل جميل استيعابي.

رابعاً: مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

متخصصة في الدراسات القرآنية، وهي أستاذة بجامعة القرويين بفاس. لها جهود تحليلية دقيقة تنم عن ثقافة واسعة ومعرفة عالية(٣).

---

(١) فن الأسجاع (٢: ١٨٩).

(٢) السابق (٢: ١٩٢).

(٣) توفيت رحمها الله تعالى بعد كتابة هذا الفصل بسنوات عدّة.

بحثت الدكتورة موضوع الفاصلة والسجع في كتابها (الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق)[١]. حيث عرضت لشيء غير قليل من الحجاج والمقاولات بشأن تسمية الفواصل القرآنية سجعاً، والخلافِ في ذلك. وخلصت إلى أنها لا تزال تجد جفوة تجاه لفظ السجع، لطول ما ابتذلته الصنعة اللفظية في الزخرف البديعي في أساليب العصور المتأخرة بعد أن التزمه الكهان في العصر الجاهلي. ومن ثم تؤْثر أن تمضي على تسمية مقاطع الآيات في القرآن بالفواصل، جرياً وراء أكثر المفسرين [٢].

وترى الدكتورة عائشة أنْ لا قيمة للحديث عن الجانب اللفظي وحده في تعليل مسالك النظم. ويمكن أن يلاحظ هذا الاتجاه عند الباحثة في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) حيث عرضت لتحليل مجموعة من السور القصيرة، ويبرز ذلك بوضوح عند تحليلها لحذف ضمير الخطاب في ﴿قَلَىٰ﴾ من سورة الضحى [٣]، إذ هي ترى أنه ليس من المقبول أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي، وإنما الحذف لمقتضىً بلاغي يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل[٣].

وفي كتابها الإعجاز أخذت في تدبر بعض الفواصل القرآنية لترى ما إذا كان البيان الأعلى يتعلق في فاصلة منها بمجرد رعايةٍ شكليةٍ للرونق اللفظي، ولو أن فواصله تأتي لمقتضيات معنوية مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل، وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني، على نحو تتقاصر دونه طاقة البلغاء[٤].

واختارت لهذا التدبر تلك الآيات التي وَهِمَ (الفراء) ومن ذهب مذهبه ـ كما تقول ـ

---

(١) ليت الكاتبة لم تتعب نفسها في دراسة هذه المسائل التي لا قيمة لأكثرها كما هو واضح من مطالعتها، ثم إن قصتها برمتها لم تصح أعني قصة هذه المسائل بين نافع وابن عباس.

(٢) الإعجاز البياني ٢٤٩.

(٣) التفسير البياني (١ : ٢٤) وما بعدها.

(٤) الإعجاز البياني ص٢٤٩.

فحملوها على قصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآيات، بإيثار نسق على آخر، أو العدول عن لفظ إلى غيره في معناه دون أن يحتاطوا لدفع هذا الوهم، أو الإيهام بذكر المقتضى المعنوي للفواصل المرعية. ثم أخذت في تحليل بعض هذه الآيات، وكانت موفقة في كثير مما جاءت به.

وختمت الباحثة هذا الفصل المتعلق بالفاصلة بما هو حري أن يُنقَل من كتابها إلى هنا، قالت: «ومنطق الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنا فنُقُرُّ بالقصور عن إدراكه. ولا يظن بي أنني أهوِّن من قيمة التآلف اللفظي والإيقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي تجتلي فيه فنية البلاغة تؤدي المعنى بأرهف لفظ وأروع تعبير وأجمل إيقاع، فالبلاغة من حيث هي فن القول، لا تَفصِل بين جوهر المعنى وبين أسلوب أدائه، ولا تعتدُّ بمعانٍ جليلة تقصُر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تضيع المعنى أو تجور عليه ليسلم لها زخرف بديعي.

وهذا هو الحد الفاصل بين فنية البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنية بدلالتها المعنوية المرهفة، ونسقها الفريد في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدمه الصنعة البديعية من زخرف لفظي يُكرِه الكلمات على أن تجيء في غير مواضعها البيانية. فلعل جلال الفواصل القرآنية في نسقها الفريد، يعفينا من لدَد خصومة بين أصحاب اللفظ وأصحاب المعنى، لا يعرفها ذوق العربية المرهف في البيان الأعلى بالكتاب العربي المبين[1].

خامساً: مع الدكتور علي محمد حسن:

أستاذ في كلية البنات بمصر.

نشر عدة مقالات حول الفاصلة القرآنية في مجلة الوعي الكويتية، ما بين عامي ١٩٧٠-١٩٧٥م. وكان مجموع هذه المقالات ستة.

---

(١) الإعجاز البياني ص٢٥٨.

ففي المقال الأول[1] كان عنوان الحديث (الفواصل)، واشتمل على تعريف الفاصلة بالكلام الذي ذكره الزركشي في البرهان، ثم ركز البحث على دراسة قضايا ثلاث شغلت العلماء من قديم كما يقول، وهي:

الأولى: هل يراعي القرآن المناسبة اللفظية فيغير وضع الجملة الطبيعي من أجل الفاصلة؟

الثانية: هل يسمى ما ورد في القرآن من الفواصل المتماثلة سجعاً؟

الثالثة: كل آية ختمت بما يناسب أولها وإن غمض ذلك في بعض الآيات.

واتكأ البحث في القضية الأولى على بعض الأمثلة عند الفراء، إذ هو أول القائلين بالمناسبة اللفظية في تعليل النظم، ثم نقل عن العلماء الذين كانوا ينحون هذا النحو، فذكر ابن الصائغ، وابن عطية، وابن سيده، والزركشي، ثم قفّى برأي ابن قتيبة والباقلاني الذاهبَيْنِ إلى مخالفة المنحى السابق، وكذا رأي الشيخ محمد عبده. وخلص في هذا المقال، بعد أن ذكر أقوال العلماء في المسألة، إلى نقاط عدة أبرزها:

أولاً: أن القائلين بمراعاة الفواصل لم يمنعوا أن يُلتمَسَ في بعض المواضع سرٌّ آخر للصنيع الذي جاء به في الآية، ومثل لهذا بما قاله ابن الصائغ فيما أورده السيوطي عنه وقد تقدم.

ثانياً: القرآن الكريم أنزل بلغة العرب وجرى على منهجهم في بلاغتهم، ومراعاة التناسب اللفظي مما يزداد به المعنى جمالاً، فليس يضر القرآن أن يكون راعى في بعض آياته مجرد التناسق اللفظي، ومما لا شك فيه أن مراعاة التناسب اللفظي ميزة من ميزات اللغة العربية، ونحن نؤمن أن القرآن لم يترك ميزة تمتاز بها هذه اللغة إلا أخذ منها بنصيب موفور.

---

(١) نشر بمجلة الوعي العدد ٦٨، السنة السادسة. شعبان ١٣٩٠هـ أكتوبر ١٩٧٠م.

ثالثاً: أننا نجد القرآن الكريم يلتزم في بعض السور وزناً خاصاً للفواصل، ولا يمكن أن يكون ذلك أمراً غير مقصود.

رابعاً: فارق كبير بين أن نقول: إن هذا الوزن جاء للفاصلة، وبين أن نقول: إن الكلمة موضوعة في غير موضعها. فهذا قول لا يمكن أن يقال، فالكلمة قارَّة في موضعها ولها معناها الجميل اللائق بالجملة، ولكن الأمر في إيثارها دون غيرها، مما يؤدي مؤداها، فهذا قد يكون لمجرد التناسب.

خامساً: ثبت أن النبي ﷺ ـ وهو أفصح العرب ـ كان يراعي المناسبة اللفظية، فيغير صيغة الكلمة، ومثال ذلك: «أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة»[١]، وإنما أراد ملمّة.

سادساً: العرب أنفسهم يغيرون صيغة الكلمة مراعاة للتناسب، من ذلك قولهم: (ويل للخليّ من الشجِيّ) بتشديد الياء فيهما. وهي مشددة في الثانية مراعاةً للأولى[٢].

ثم قال: إذا كان العرب يتصرفون في الصيغة لمراعاة التناسب، وإذا كان الرسول ﷺ ـ وهو أفصحهم ـ يفعل ذلك، وإذا كان القرآن جاء على الأبلغ في الأساليب العربية، فليس هناك ما يمنع أن يراعي القرآن هذه المناسبة، وفي بعض الأحايين تكون هي وحدها الداعية إلى أن يجيء النظم على صورة خاصة[٣].

قلت: وهذا الكلام أكثره يحتاج إلى مناقشة وجواب، وأرجئ الجواب عنه إلى نهاية

---

(١) الحديث سيأتي تخريجه فيما بعد.

(٢) الذي في كتب اللغة: (ويلٌ للشجيّ من الخَلِيّ) ومعناها ويل للمهموم من الفارغ، والشجي الذي كأن في حلقه شجاً من الهم، والشجا: الغصص. وقال أهل اللغة: ويل للشجي من الخلِيّ بتخفيف الياء من الشجي وتثقيلها من الخلي... وحكي عن الأصمعي: التثقيل فيهما. انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (١: ٤٢٣).

(٣) المقال ص٢٠-٢.

هذه الرسالة وفي الفصل المتعلق بهذا، فإلى أن أصله أسأل الله مولاي أن يحوطني والقارئ الكريم برعايته وفضله، وهو دائماً صاحب الفضل.

هذا ما يتعلق بالقضية الأولى، أما القضية الثانية في هذا المقال فلا يعدو ما جاء به الباحث فيها من تجميع للأقوال الموافقة لتسمية الفواصل سجعاً، والمخالفة لها. وقد خلص بعد عرضه للآراء إلى ما يلي: «والذي أراه ـ بعد كل هذه الرحلة الطويلة ـ أنه لا شيء يدعونا إلى أن نسمي ما جاء من الفواصل المتماثلة سجعاً، ما دامت كلمة (الفواصل) تؤدي المعنى، حتى يظل القرآن الكريم على قدسيته!! لا يوصف إلا بما يناسبه من الألفاظ، وحتى نسدَّ الباب على كل مدَّع فنحول بينه وبين أن يطلق على القرآن، أو على ألفاظه، ما يطلقه على عامة كلام الناس، ولقد رأيت في أثناء هذا البحث من يَحْلُو له أن يقول: (موسيقى الفواصل)، ومن يقول: (الموسيقى القرآنية)، وتعدى بعضهم ذلك كثيراً فأطلق على بعض قصص القرآن: (سيمفونية)، وآخر اجتلب كل الألفاظ التي تستعمل في الموسيقى فأطلقها على القرآن، وهذا باب يأتي بأعاصير وعواصف، وواجبنا أن نقف دونها ولا نسمح لأحد أن يصف القرآن إلا بكل كلمة تليق به جلالاً وقدسية»[(١)].

قلت: وهذا الكلام لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه هكذا، وإنما يكون وقوف أهل العلم للحجة بالحجة، لا بإغلاق الأبواب وسد المنافذ دون الحجج المخالفة، والذين قالوا بالسجع ليسوا كمن يطلق على القرآن مثَلَ (سيمفونية)، فالمقارنة ليست في محلها؛ ذلك لأن الذين قالوا بالسجع في القرآن لهم مندوحة لغوية حفزتهم على مثل هذا القول بخلاف القائلين بـ(سيمفونية) حيث إن هذا اللفظ مستحدث وليس له أي مندوحة لغوية.

وأما القضية الثالثة في هذا المقال، فالكلام فيها كله نُقول لأمثلة تكررت في أكثر الكتب وليس فيها شيء جديد.

---

(١) المقال المشار إليه ص٢٦.

وأما المقال الثاني فكان بعنوان ـ مشكلات الفواصل ـ[١].

وقد ابتدأه بعبارتين جميلتين لفظاً ومعنى، نقلهما عن الرازي:

الأولى عند تفسيره قوله تعالى: «﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩] حيث قال: (هل للأمر بالغضِّ من الصوت مناسبة مع الأمر بالقصد في المشي؟ فنقول: نعم. سواء علمناها نحن أم لم نعلمها، وفي كلام الله من الفوائد ما لا يحصره حدّ، ولا يصيبه عدّ، ولا يعلمه أحد)[٢].

وأما العبارة الثانية التي نقلها عن الرازي فهي التي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٣] حيث قال: (ما من حرف ولا حركة في القرآن إلا وفيه فائدة، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها، ولا تصل إلى أكثرها، وما أُوتي البشر من العلم إلا قليلاً)[٣].

والمقال برمته لم يأتِ فيه بشيء جديد وإنما ذكر الآيات التي عند الزركشي، وأجوبته عنها، وأضاف بعض الأجوبة لبعض المفسرين.

وأما المقال الثالث والرابع: فكانا متابعة للمقال السابق وبنفس العنوان دون جديد[٤].

وأما المقال الخامس: فكان بعنوان: من أسرار الفواصل. وقد كان عبارة عن مجموعة ملاحظات حول بعض الظواهر الأسلوبية للفاصلة القرآنية، لَحَظَها ـ كما يقول ـ بعد طول تأمل، وهذه الملاحظات هي:

---

(١) نشر في الوعي العدد ١٠٨، السنة الثامنة ـ ذي الحجة ١٣٩٣هـ ديسمبر ١٩٧٣م.

(٢) انظر المقال ص١٦، وتفسير الرازي (٢٥: ١٥١) وما بعدها في الجواب عن السؤال المذكور أعلاه.

(٣) المقال ص١٦، وتفسير الرازي (٢٥: ٥٦).

(٤) نُشر الثالث في الوعي، السنة العاشرة، العدد ١٠٩، محرم ١٣٩٤هـ، يناير ١٩٧٤م. ونشر الرابع في الوعي، السنة العاشرة، العدد ١١٠، صفر ١٣٩٤هـ، فبراير ١٩٧٤م.

الأولى: أن العلماء نبَّهوا على أن سور القرآن الكريم تختم بمثل المعنى الذي تُفتتح به، وبعد أن ذكر بعضاً من الأمثلة قال: (وقد جهدت في البحث عن أحد علمائنا السابقين يكون قد نبّه على شيء من ذلك فلم أظفر بطَلِبتي!!).

قلت: وهذا منه غريب! فإن البقاعي لم يغفل هذا في تفسيره بل عُدّ تفسيره مما تميز بذلك، وكذلك الآلوسي وإن لم يتوسع في هذا الجانب، وكثيراً ما يُطرق مثلُ هذا الباب في الكتب تحت عنوان ـ رد العجز على الصدر ـ في علم البديع.

الثانية: قال: (لاحظت أن فواصل السورة الواحدة يمكن أن يربطها جميعاً رباط واحد، وهي دائماً تتلاءم مع أهداف السورة، وأحياناً ترتبط سائر الفواصل بالفاصلة الأولى).

الثالثة: (أن ارتباط الفاصلة بالآية التي تليها ارتباط قوي، وهو يعني أن الفاصلة ليست ثانوية، بل إن إخفاءها قد يؤدي إلى نسيان الآية التي تليها).

ثم ختم هذا الفصل بما أعُدُّه تطوراً عما كان عليه في أول المقالات حيث قال: (ولا شك أن العرب الذين سمعوا القرآن لأول مرة، كانوا بفطرتهم السليمة يدركون بلاغة الفاصلة في موقعها، ولم نسمع عن أحد ممن خاصموا القرآن، أو خاصموا الإسلام، أن فاصلة من الفواصل كان أولى بمكانها فاصلة أخرى، وهذا يدلنا على أن الفطرة اللغوية السليمة أقرت كل فاصلة في موقعها، فالقول بأن الفواصل قد تجيء لمجرد التفنن، أو لاجتناب التكرار، أو لتحسين اللفظ، قول لاحظَّ له من القبول، وإنما الحق الذي ينبغي أن يصار إليه: أن لكل فاصلة سراً بلاغياً، ولا يعكر على ذلك أن الباحث قد يجهد جهده ثم لا يصل إلى هذا السر. فقد يجيء من يهديه الله إليه)[1].

---

(١) نشر في الوعي، العدد ١٢٢، صفر ١٣٩٥هـ، انظر ص١٥.

قلت: وفي ظني أن هذا الكلام يهدم دفاعه عن مراعاة الفاصلة في تعليل مسالك النظم، والذي حفل به كثيراً في المقالات الأولى، وهو انقلاب حميد على أي حال.

وأما المقال السادس والأخير: فقد حمل عنوان المقال السابق[1]. وكان هذا المقال دعوة للإفادة في تعليل مسالك النظم في الفاصلة من كل ما يمكن الإفادة منه، واستشهد على ما يريد قولَه بتحليل العقاد قوله تعالى عن اليهود: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤] حيث أفاد العقاد ـ كما يقول صاحب المقال ـ من علم النفس فحلل الآية على ضوئه، وأن الآية أعطته أن اليهود مصابون بمرض عُرِف باسم (البارانويا) وهذا المرض أعراضه:

١ـ تسلط فكرة الغرور على المصاب به، وأن صاحبه ممتاز على الخلق.

٢ـ أنانية مَرَضيّة تغلِب على المصاب به، فلا تزال تخيل له أن الناس جميعاً مسخرون لخدمته.

٣ـ عقيدة الاضطهاد وامتلاء النفس بالحذر من الآخرين.

٤ـ شعور الفصام والانفصام، كما يطلقه أطباء الأمراض العقلية، ويعنون به انقطاع العلاقة بين المفصوم ومن يحيطون به من أبناء بيئته الاجتماعية. وهذه الأوصاف كما يقول متحققة كلها في الشعب اليهودي[2].

وبقية المقال عبارة عن وقفات على شيء من إفادات الرازي في تحليل بعض الآيات القرآنية على ضوء إفادته من مختلف العلوم.

وبعد،

فهذه هي المقالات الستة، كان فيها ما رأيت، وفيها بعض الاجتهادات التي تدل

---

(١) المقال ص١٥، نشر في الوعي، العدد ١٢٥، جمادى الأولى ١٣٩٥هـ.

(٢) المقال ص٩.

على مدى الحاجة لتعمق الدراسة في فهم أساليب القرآن الكريم. ومما يؤخذ على الكاتب ضعف التوثيق العلمي بشكل ملحوظ في تلك المقالات.

سادساً: مع الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور فتحي أحمد عامر:

كتب الأول فصلاً في كتابه الرائع (من بلاغة القرآن)، هذا الفصل عقده للفاصلة القرآنية، واتكأ فيه على الإتقان، ولم يضف عليه شيئاً ذا بال[١].

وأما الدكتور فتحي عامر، فقد عقد فصلاً خاصاً بالفاصلة والسجع في كتابه: (فكرة النظم بين وجوه الإعجاز)[٢]. وقد قسم هذا الفصل إلى قسمين:

القسم الأول: حول السجع في القرآن بين المانعين والمجيزين، واتكأ في هذا القسم اتكاءً واضحاً على الدكتور علي الجندي من خلال كتابه (صور البديع).

وأما **القسم الثاني**: فكان اتكاءً على ما في البرهان فيما يخص الجانب الذي عُنِي به، والذي يؤخذ عليه في هذا أنه يصر على إبراز رعاية الفواصل كجانب من الجوانب التي عني القرآن بإبرازها والاهتمام بها[٣].

وإذا كان المتقدمون قد اختلفوا في إطلاق السجع على القرآن الكريم، وكان كل واحد يعلل وجهة نظره، ويبدي لها ما يجبرها، فإني لا أظن أن أحداً يقبل أن يطلق على القرآن في نظم آياته (البناء الهندسي) كما فعل الدكتور؛ ذلك لأن هذا اللفظ إنما يطلق على إبداعات الإنسان في مجال هندسة الأبنية، ومن المعلوم أنه لا يطلق على شأن الله من الألفاظ والأسماء إلا ما صرح به الشرع.

---

(١) من بلاغة القرآن ص٧٥-٨٥.

(٢) الفصل الثالث من الكتاب ص٢٠١-٢٢٧.

(٣) ص٢٠.

سابعاً: مع الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس:

أستاذ التفسير بالجامعة الأردنية وجامعة اليرموك سابقاً، وحالياً أستاذ كرسي الدراسات العليا بجامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن.

عرض الأستاذ للفاصلة القرآنية في كتابه المهم (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية)[*]، وقد اتسم العرض بطابع الدفاع عن القرآن الكريم في مواجهة من يدعون العلم والإنصاف، ولقد أزاح الأستاذ ـ بارك الله فيه ـ عن علماء الإسلام واجباً بقي على أعناقهم حتى أظهر الله على يديه فضْحَ هذا المصدر وأهله الخبثاء. ولقد كانت الموسوعة البريطانية ادّعت أن القرآن الكريم مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية، ومسَّت بذلك الفواصل القرآنية، فهب الفاضل لكشف عوار هذه الشبهة، فجعلها بعد أن كانت تتبختر اتضاحاً جعلها تتضاءل افتضاحاً.

ومما تميز به بحث الأستاذ تنوع الأمثلة وعدم اقتصارها على ما هو مكرر في كتب السابقين، إضافة إلى نظرات تحليلية لبعض جوانب النظم الكريم. فعرض مثلاً إلى استعمال كلمة (التفكر) في عدة فواصل، وبيّن لم اختيرت هذه الكلمة بمشتقاتها، وعرض كذلك لبعض الفواصل المختومة بأسماء الله الحسنى وعلى أنماط مختلفة من الترتيب والتنظيم[١].

وبالجملة، فقد كان عرض الأستاذ للفاصلة واستخدامها في الدفاع عن القرآن الكريم في مواجهة الطاعنين فيه عرضاً جيداً وهو أسلوب فيه تجديد.

ثامناً: مع الدكتور عبد العظيم المطعني:

أستاذ البلاغة العربية بجامعة الأزهر[٢].

بحث موضوع الفاصلة في الجزء الأول من كتابه (خصائص التعبير القرآني وسماته

(*) نشرته دار الفتح بحُلَّةٍ قشيبة.

(١) قضايا قرآنية ص٨٠-٩٥.

(٢) توفي من قريب سنة رحمه الله.

البلاغية) حيث عرض لتعريف الفاصلة ثم لمطارحات حول السجع ـ والكلام فيها معروف ـ إلا أن الدكتور خلص بنتيجته إلى أن الخلاف فيها لفظي، فهو يقول: «والمسألة بعد ـ في رأي الإنصاف ـ بين نفاة السجع ومجوِّزيه لا تعدو أن تكون خلافاً لفظياً، ما دام الإثنان متفقَيْنِ على تنزيه القرآن عن التكلف والتوعر والتقليد، فلا ضير أن يقال فيه سجع لكنه فصيح غير متكلف كما يقول أبو هلال: (مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمن الطلاوة والماء، لما يجري مجراه من كلام المخلوقين). ولا سبيل إلى إنكار السجع، ففيه منه القدر الكثير، والاتفاق في التسمية لا يضير، ما دمت التفرقة بينه وبين غيره مقيسة بمعايير الجودة والحسن وخلوه من العيوب التي ألِفَوْها في غيره»[١].

ثم تحدث الدكتور عن وظيفة الفواصل اللفظية وذكر أن لها ثلاثَ فوائد:

الأولى: أنها تحسين للكلام وراحة للنفس عند التلاوة، حيث يحسن السكوت عليها وقد كمل المعنى أو قارب الكمال، بحيث يشهد الذوق بذلك ويدركه.

الثانية: أنها تؤذن بانتهاء الآية، وتميز بينها وبين التي تليها كما تميز قافية الشعر بيتاً من بيت، مع اختصاص الفاصلة بإحكام الربط ودقة النظم وجمال التلاؤم[٢].

الثالثة: تساعد الفاصلة على تلاوة القرآن مرتلاً مجوّداً بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل، وهذا الجمال التوقيعي في القرآن لا يخفى على أحد[٣].

ثم تحدث عن متشابه الفواصل بالأمثلة المذكورة المشهورة دون زيادة، ثم ذكر أقسام الفواصل بما هو معروف، وختم بحثه بعرض جديد يتضمن قضيتين:

---

(١) خصائص التعبير (١: ٢٢٤).

(٢) هذا لا يظهر في كل الفواصل كما هو واضح.

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١: ٢٢٥).

الأولى: أن الفواصل القرآنية في الآيات الطويلة، سواء أكانت في السور الطوال أم القصار أم المتوسطة الطول والقصر، تأخذ سمة الاستقلال، بمعنى أنها بعد تمام معنى أو معان رئيسة في الآية فتكون هي بمثابة تعليق عليها، وتؤدي حينئذ وظيفة التعليل، أو الإنكار، أو التوكيد، أو الترغيب، أو زيادة الإيضاح، وهي غالباً ما تكون في هذا النوع جملة مستوفيةَ الأركان ويغلِب عليها أن تكون جملة اسمية.

أما في الآيات القصيرة، سواء أكانت في السور الطوال أم في القصار أم في المتوسطة الطول والقصر، فتكون كلمة مكملة لمعنى الآية التي هي فيها، معمولة من حيث الحكم النحوي لعامل فيها. وليس لها سمة الاستقلال؛ لأنها ليست جملة.

وقد تكون جملة قصيرة خاطفة، فِعلية أضمر فيها فاعلها، ويغلب مجيء هذه الفواصل في السور القصار مما يسمونه (قصار المفصل) وما قارب ذلك.

ثم ذكر بعض الأمثلة على هذا، وأجتزئ بعضَها هنا:

فمثال النوع الأول الآيات التالية: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٤-٢٦].

قال: «فأنت ترى في هذه الآيات الثلاث ـ وقد اختلفت فيما بينها في الطول ـ أن فاصلة كل آية منها مستقلة، فجملة الفاصلة **الأولى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لأنها أعقبت تشريعاً خالصاً.

وفي **الثانية**: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لأنها أعقبت تشريعاً في حالات المخالفات التي توجب حدّاً يقام على المخالف، وذلك يشعر بوقوع الخطأ من بعض المكلفين.

وفي **الثالثة**: كانت الفاصلة: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ متفقة مع الأولى إلا في حكم الإعراب؛ لأنها أعقبت بياناً لما يريده الله في التشريع للناس، والغاية العظمى للشارع من فرض الأحكام»[1].

ثم قال بعد أن أورد المثال السابق ما نصه: «ذلك شأن الفاصلة الغالب عليها في الآيات الطوال، وفي السور الطوال أو ما قاربها.

أما في الآيات القصار أو ما قاربها ـ وكثيراً ما يقع هذا في السور القصار أو ما قاربها ـ فإن الشأن مختلف.

فنجد الفاصلة فيها كلمة معمولة لعامل تقدم في بناء الآية قبل استيفاء معناها الرئيس، فهي ـ إذن ـ داخلة في تأديته. وإذا وردت الفاصلة في هذه الحالات (جملة) فهي جملة قصيرة قد يكتفى فيها بذكر أحد ركنيها، ويضمر الثاني إن كانت فعلية، وقد تتعلق بكلمة الفاصلة معمولات لها فتحذف تلك المعمولات، وتبقى الفاصلة ملحوظاً منها ما أضمر أو ما حذف متعلقاً بها، وقد ينتظم هذا النهج سورة كاملة، وقد يقتصر على معظم آياتها.

هذا إجمال لا بد له من تفضيل، ودعوى لا بد لها من دليل: فلنأخذ في سَوْق الأمثلة، ولعل خير شاهد على ذلك سورة الواقعة، فهي تكاد آياتها كلها تكون من هذا النوع،

---

(١) خصائص التعبير (١: ٢٣٧).

ونكتفي منها بما يأتي: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا * وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ * جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ١-٢٦].

هذه الآيات تمثل مطلع السورة، ثم الحديث عن أحد الأزواج الثلاثة حديثاً تفصيلياً بعد الإشارة إليها إجمالاً في صدر السورة. والمتأمل يلحظ في فواصل هذه الآيات ـ كما هو الشأن في آيات السورة كلها تقريباً ـ أن دلالة الفاصلة جاءت جزءاً من المعنى الأصلي للآية ومكملة له. وكلمة (الفاصلة) خاضعة في الحكم النحوي لعامل في الآية، إلا في ثلاثة مواضع بدت فيها الفاصلة ذات دلالة مستقلة، وهذه المواضع الثلاثة (... ولا ينزفون)... ثم (... يتخيرون)... ثم (يشتهون). وفيما عدا ذلك فإن الفاصلة تختلف، فهي فاعل في الأولى من الآيات. وهي صفة لمحذوف وقع اسماً لـ(ليس) في الآية الثانية، وهي صفة أو خبر بعد خبر في الثالثة، ومفعول مطلق في الرابعة والخامسة، وصفة في السادسة والسابعة، وهكذا تجد الفاصلة جزءاً أساسياً من الآية، ودلالتها جزءاً من المعنى الأساسي الذي من أجله سيقت الدلالة، وقبل سورة الواقعة، فإن (القمر)، (الرحمن) يغلب عليهما هذا الطابع؛ لأن العلة ـ وهي قصر الآيات ـ مشتركة في المواضع الثلاثة»[1].

ثم بعد ذلك... «بقي النوع الثالث من هذه الفواصل، وهي ما تعلق فيه بكلمة الفاصلة معمولاتٌ غير الفاعل، وحذفت مقدراً ذكرُها، أو ذكرت ومع ذكرها لم تطل

---

(١) خصائص التعبير (١: ٢٣٨-٢٣٩).

جملة الفاصلة بل حافظت على سرعة إيقاعها وقصرها، وظاهر من هذا العرض أن هذا النوع على ضربين:

أولهما: ما ذكرت فيه تلك المتعلقات، وأمثلته كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ * إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١-١٥].

بُنيت فواصل هذه السورة جميعها على الهاء الذي هو ضمير المؤنثة الغائبة، وقد اختلف موقع هذا الضمير من الإعراب لكنه لا يخرج عن حالتين:

الأولى: أن يكون في محل جر بالإضافة.

الثانية: أن يكون في محل النصب على المفعولية ـ وهذا هو الغالب عليه ـ وهو في الحالتين معمول لعامل أساسي في بناء الآية. ومثل هذه السورة في بناء الفاصلة على حرف واحد سورة (الناس).

وثانيهما: وهو ما حذف فيه المتعلق، ومثاله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨].

وهذا النوع أقل وروداً من سابقه، وهو موجود متناثراً مع غيره من الفواصل من النوع الأول.

ثم قال: «ولعل السر فيما أرى من نظام الفواصل السابقة على النحو الذي شرحناه ما يلي: (أن السور القصيرة تشتمل على آيات قصيرة كذلك، والآية القصيرة تهدف إلى

بيان معنى واحد أو عدة معان سريعة التصور والإدراك، وهي بذلك ليست مجالاً لذكر الأفكار الطويلة التي تحتاج إلى إطالة بناء الجملة أو الآية التي تصورها.

ومن هنا فإن الفكرة الأساسية تتطلب انتظام جميع الألفاظ لتأدية تلك الفكرة الخاطفة الموجزة، أما في الآيات الطوال ـ كما في آية التداين من سورة البقرة ـ فإن الفكرة فيها ذات أصول وفروع. وهي أصل من أصول التشريع عالجت مشكلة كثيراً ما تحدث للناس، فلم تترك فيها ثغرة أو تهمل جانباً، ومثل هذه المعاني المتشابكة حرِيٌّ بأن يُعقَّب بجملة أو أكثر تؤكد تلك المعاني أو تحث عليها، أو توبخ المخالفين لها»[١].

ثم قال بعد أن أخذ في تحليل آية الدين: «ويؤيد هذه الفكرة أن الغالب في الآيات القصار أن سورها مكية النزول، وللقرآن في مكة مجال غير مجاله في المدينة، فالقرآن المكي كان يهدف إلى محاربة الضلال في العقيدة والسلوك فجاء بموضوعات تخدم هذا الغرض من التبشير والإنذار، والترغيب والترهيب، لذلك كانت آياته قصيرة العبارة حادة سريعةَ الإيقاع عنيفة الوقع، وفي المدينة كان مجاله التشريع وإرساء قواعد المجتمع الإنساني من حيث العباداتُ والمعاملات والأخلاق الإنسانية، فاتجهت سوره وآياته إلى الطول والاستقصاء إلا أن يخاطب اليهود أو المنافقين فيَكِرّ.

والدعوة إلى الإسلام في بدء أمرها كانت لا تتطلَّب من الناس وقوفاً طويلاً لتأملها، فساقت لهم الإرشاد والتوجيه الإلهي في سور وآيات قصار لسهولة فهمهما وسرعة استيعابها؛ لأنه كان بصدد تربية أمة خالية من أسس التربية القويمة، فخاطبتهم بأوضح العبارات وأوجز المعاني، كما يفعل الآن في تربية النشء حيث يتدرج معهم المربي من تصور وإدراك الحرف الواحد، إلى الكلمة الواحدة السهلة التركيب، إلى الجملة القصيرة، وما يزال يرقى بهم من طور إلى طور حتى يصل بهم إلى فهم الفقرات ودراسة النصوص،

---

(١) خصائص التعبير (١: ٢٤١-٢٤٢).

والمتأمل في قصار السور المكية يتبين هذه الحقيقة دون ما شك أو ريب، وسبحان الله إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧][١].

انتهى كلام الدكتور، وهو بحث جيد فيه تجديد ولم أرَ من نبه على مثله.

وبعد:

فهذه هي أهم الجهود التي عرضت لدراسة هذه الظاهرة القرآنية، رأى الباحث أنه لا ينبغي لمثل هذا البحث أن يتجاوزها دون أن يفيد منها عرضاً واستنتاجاً، هذا وقد عقد الأستاذ الحسناوي فصلاً تحدث فيه عن جهود أخرى لغير من ذكرت، وقد عنَّ لي الاقتصار على هؤلاء لأنني لم أر شيئاً جديداً يستحق أن يوقف عنده.

* * *

(١) خصائص التعبير (١: ٢٤٤).

الباب الأول

بين يدي الفاصلة

وفيه فصلان:

الأول: في معنى الفاصلة

الثاني: بين الفواصل والأسجاع

الفصل الأول

في معنى الفاصلة

وفيه مبحثان:

الأول: في المعنى اللغوي للفاصلة

الثاني: في معاني الفاصلة في كتب المؤلفين

المبحث الأول
في المعنى اللغوي للفاصلة

الفاصلة، من الفعل (فَصَلَ) بالتحريك فيه كله، والجذر: الفَصْل، وتدور معاني هذا الجذر اللغوي حول: التمييز، والقطع، والحجز، والانفصال، والبيان والتوضيح.

قال ابن فارس في بعض ما تدل عليه هذه الكلمة: (الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء، وإبانتِه عنه. يقال فصلت الشيء فصلاً. والفيصل: الحاكم. والفصيل: ولد الناقة إذا افتصل عن أمه. والمفصل: اللسان؛ لأنه به تفصل الأمور وتميز. وقال الأخطل:

وقد ماتت عظام ومفـصلُ[١]

والمفاصل: مفاصل العظام. والمفصل: ما بين الجبلين، والجمع مفاصل. قال أبو ذؤيب:

مطافيلَ أبكارٍ حـديثٍ نِتاجُهـا   يُشابُ بماء مثلِ ماءِ المفاصلِ[٢]

والفصيل: حائط دون سور المدينة. وفي بعض الحديث: «من أنفق نفقة فاصلة فله

---

(١) والبيت في ديوان الأخطل ص٢ وهو:

صريع مدام يرفع الـشرب رأسَـهُ   ليحيا وقد ماتت عظـامٌ ومفـصلُ

(٢) ديوان الهذليـين (١: ١٤١)، واللسان (فصل)، والحيوان (٢: ٣٥١)، وأمالي المرتضى (١: ١٨٧)، وثمار القلوب (٤٤٦)، والمخصص (١: ٢٣).

من الأجر كذا». وتفسيره في الحديث أنها التي فصلت بين إيمانه وكفره). انتهى كلام ابن فارس[١].

قلت: وقال في الخزانة عن (أما بعد)، إنها فصل الخطاب؛ لأنها تفصل بين كلامين، أو تفصل بين الفكر والروية، وبين الكلام، إذا جيء بها ابتداءً[٢].

وقد جاء في وصف كلام النبي ﷺ، فيما أخرجه الإمام أحمد، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان كلام النبي ﷺ فصلاً يفقهه كل أحد[٣].

وفيما أخرجه الترمذي عنها قالت: «كان يتكلم بكلام يبينه. فصل يحفظه من جلس إليه». قال في تحفة الأحوذي: معناها «بيِّن ظاهر يكون بين أجزائه فصل»[٤].

قلت: وبالاستعانة بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم يظهر أن هذا الجذر اللغوي لهذه الكلمة، لم يخرج عن المعاني المألوفة المعروفة لها، وأغلب استعماله كان في معنى التبيين والتوضيح في القرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

---

(١) مقاييس اللغة (فصل) تحقيق عبد السلام هارون رحمه الله. وقوله: «وفي بعض الحديث: «من أنفق نفقة فاصلة...»، كذا هي (فاصلة) بالصاد المهملة في كتب اللغة مثل اللسان، والنهاية، ومختار الصحاح، والمفردات، وعمدة الحفاظ، وهو وهم بلا شك، فإن الحديث جاء بلفظ (فاضلة) بالضاد المعجمة في مسند أحمد (١: ١٩٥)، وصحيح ابن حبان حديث رقم ٣١ كما في مورد الظمآن، ورواه البيهقي في السنن (٣: ٢٧٤)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١: ٣١٦)، وهو في مجمع الزوائد (٢: ٣٠٠). ومن العجيب قول اللغويين فيما ذكروه من أن معناها: تفصل بين الإيمان والكفر. ولا أدري كيف تكون النفقة فاصلة بين الإيمان والكفر؟

(٢) الخزانة (١٠: ٣٧٠).

(٣) المسند (٦: ١٣٨) وقد حسّن الشيخ شعيب إسناده.

(٤) تحفة الأحوذي (١٠: ١٢٣).

المبحث الثاني
في معاني كلمة الفاصلة في كتب المؤلفين

لعل من المفيد بيانه أن كلمة فاصلة واستخدامها بما يدل على نهايات الجمل، أو موضع الاستراحة في الكلام ليس جديداً، بل متقدم جداً، يظهر هذا من قول الخليل في حديثه عن السجع بما نصه: «سَجَعَ الرجل: إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر»(١).

ومن بعد الخليل جاء سيبويه بقوله: وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي. فالفواصل: قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]، و﴿مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾ [الكهف: ٦٤] و﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] و﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩](٢).

قلت: وقد عدَّ الحسناوي استشهاد سيبويه بآية الكهف مشكلاً، إذ إنها ليست برأس آية. وتساءل: هل يُعَد هذا وهماً من سيبويه ـ وهذا ليس بأول وهم له كما يقول(٣) إلا أنه بعد ذلك قال: ولعله أدرج هذا الشاهد مع رؤوس الآي للشبه بينها في الوقف والحكم الناشىء عن الوقف، وهو حذف الياءات في أواخر الأسماء على وجه التغليب لا التخصيص والتحديد، وهذا ما نميل إليه. انتهى قول الحسناوي(٤).

---

(١) الفاصلة في القرآن للحسناوي ص٣٣ نقلاً عن كتاب العين والنص في كتاب العين (١: ٢١٤).

(٢) الكتاب (٤: ١٨٥) تحقيق عبد السلام هارون.

(٣) الفاصلة في القرآن ص٢٦.

(٤) السابق ص٣٧.

وأقول: إن هذا ليس من قبيل الوهم ولا الاشتباه، وإنما هو دليل أكيد على أن كلمة فاصلة لم تُخص بها أواخر الآيات في ذلك الوقت. وواضح من نص سيبويه السابق أن المراد بها مواضع السكوت في الكلام. وهذا يشمل نهايات الآيات وغيرها.

وقد استنتج الحسناوي من النصوص السابقة أسبقية سيبويه وشيخه في استخدام هذا المصطلح فيما صار يدل عليه، وخلص إلى تخطئة من زعم أن الرماني أول من سمَّى نهايات الآيات فواصل، مثل: زغلول سلام في كتابه «أثر القرآن في تطور النقد العربي»(١).

قلت: وهذا تعجُّل من الحسناوي، فإن زغلول سلام لم يقل بأن الرماني هو أول من قال ذلك وصريح كلامه الآتي يدل على أن الرماني مسبوق بهذا. قال عن الرماني:

«سمى نهايات الآيات فواصل، ومن قبل سماها الفراء رؤوس الآيات، وتبعه في هذا الاسم الزجاج في معاني القرآن، ويعرّف الرماني الفواصل تعريفاً ينأى بها عن السجع ويبعد عن التكلف... ثم يقول ـ زغلول ـ عن الأشعري: إنه أول من قال بنظام الفاصلة في القرآن ليبتعد بها عن السجع والقافية في الشعر، ويقصرها على نظم القرآن، وغالب الظن أن الرماني استحسن رأي أبي الحسن فأخذ به، وعرّف الفاصلة على هذا الأساس» انتهى كلام زعلول سلام(٢).

ومن الغريب أن الحسناوي(٣) نقل الكلام من زغلول سلام عن أبي الحسن واستحسان الرماني لرأيه وأخذه به كما يقول زغلول، فلا أدري لماذا وقع في هذا التناقض وقَوَّل الرجل ما لم يقله؟

ثم بعد ذلك يقول الحسناوي: إن مصطلح الفاصلة لم يستقر... حتى إذا جاء الفراء

---

(١) الفاصلة في القرآن ٣٤.

(٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي ص٢٤٢ وما بعدها. وكلام زغلول هذا يحتاج إلى تحقيق ومناقشة.

(٣) الفاصلة في القرآن ص٤٢.

استخدم عدداً من المصطلحات للدلالة على نهايات الآيات، حتى ظُن أنه لم يعرف مصطلح (الفاصلة) بل (رؤوس الآيات)، ونسب هذا القول لزغلول سلام، إلا أن الحسناوي رفض هذا الكلام معللاً رفضه باستخدام الفراء للفظ (الفصول) في غير ما موضع في تفسيره، ثم نقل عن الزركشي والسيوطي نقولاً لهما عن الفراء وفيها استخدام لفظ (الفاصلة) صراحة[١].

وفي ظني أن هذا الكلام غير ناهض؛ لأن المراد استعمال المصطلح نفسه لا ما يشابهه. وأما النقول فهي خلاف ما في تفسير الفراء، إذ هي نقول بالمعنى وليست بالنص. على أن لفظ الفراء ليس فيه لفظ (فاصلة) مطلقاً[٢].

وبالجملة، فإن استعمال هذا المصطلح متقدم كثيراً، وليس جديداً. وعليه فلا يلتفت إلى قول الدكتور عبد العظيم المطعني في هذا الجانب حيث يقول: «... ويبدو أن ابن خلدون أول من أطلق هذه التسمية، وقد طرق في نصه هذا[٣] أهم قضايا هذه الفكرة، وكان موفقاً إيما توفيق، حيث اشتق تسمية الفاصلة من استعمال القرآن نفسه لهذه المادة»[٤].

ولا ينبغي الاستغراب من استعمال هذا المصطلح من قديم، فالقرآن الكريم ذكر من أصول هذه المادة (فصل) ما يحتمل ما أرادوه من تعريفات.

أما تعريف الفاصلة في الاصطلاح، فقد تعدى أن يكون تعريفاً واحداً متفقاً عليه، وغدا لهذه اللفظة في اصطلاحات المؤلفين أكثر من تعريف، يمكنني الآن أن أقف عندها، وهي كما يلي:

---

(١) الفاصلة في القرآن ص٣٩، والبرهان (١: ٦٥)، والإتقان (٢: ١٠٠)، وما فيه نقل عن الزركشي.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣: ١١٨)، (٣: ٢٦٨).

(٣) إشارة إلى نص نقله عن المقدمة وفيه: «ويسمى آخر الآيات فيها فواصل، إذ هي ليست أسجاعاً...»

(٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١: ٢٢٠).

الأول: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني.

وهذا التعريف هو ما ذكره الرماني في رسالته ـ النكت في إعجاز القرآن[١] ـ وهو بعينه ما تابعه فيه الباقلاني في إعجاز القرآن[٢].

وتعريف الرماني هذا فيه سعة وعموم، إذ يمكن أن تكون الفواصل بناءً على هذا، هي مواضع السكت في الجملة المستقلة، ويحتمل أن تكون هي نهايات الآيات التي يستقر عندها المعنى. ولكن قولة الرماني بعد ذلك: «والفواصل بلاغة والأسجاع عيب» تؤكد أن المراد: أواخر الآيات، وإلا لما حسُن التنظير بالأسجاع في هذا المحل.

قال الدكتور أحمد جمال العمري تعليقاً على هذا التعريف: «... ويفهم من تعريف الرماني أنه يقصد نهايات الآيات أو رؤوس الآيات كما سماها الفراء من قبل وتبعه الزجاج في معاني القرآن، بيد أنه يضيف تعريفاً آخر ينأى عن السجع، ويبعد عن التكلف، حتى لا يقال فيه ما قيل في الفراء، حين لاحظ أن رؤوس الآيات تخضع لنظام خاص من التوافق، فيه عَمْد أحياناً، واختيار معين لألفاظ موافقة، وحاول أن يقارن بينها وبين قوافي الشعر، لكن ابن قتيبة لامه... لذلك سمعناه ـ أي الرماني ـ يقول: «والفواصل بلاغة والأسجاع عيب»، ويرى الرماني أن فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يُحتاج إليها، في أحسن صورة يدل بها عليها. والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وابداؤها في الآي بالنظائر، فالرماني يرى في الفواصل حسناً لفظياً، وحسناً معنوياً؛ لأن الفواصل طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة. فالألفاظ تحتاج إلى الفاصلة ليظهر التعبير في أجمل عبارة، والمعاني تحتاج إلى الفاصلة لتدل عليها». انتهى كلام العمري[٣].

---

(١) النكت ص٩٧.

(٢) إعجاز القرآن ص٢٧٠.

(٣) المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ص١٣٩-١٤٠.

وأحسب أن هذا الكلام حسن في توضيح مذهب الرماني فيما نحا إليه، وقد راعى فيه صاحبه الزمن الذي كان فيه الرماني، كما راعى استقرار الفاصلة في ذلك الزمن.

ولكن هذا التعريف لم يسلم من الاعتراض عليه من باحث معاصر، وقبل أن أنقل هذا الاعتراض أحب أن أقول: إن تعريف الرماني للفواصل بأنها (حروف) غير ظاهر لديّ، فإن الفواصل كلمات لا حروف، ولربما ظهر أنّ هذا قدح في التعريف من هذه الجهة. اللهم إلا إن أريد بالحروف غير المفهوم من دلالة اللفظ مباشرة، وهو ما ينبغي أن يُنأى عنه في التعريفات والحدود.

قال عبد الكريم الخطيب في كتابه إعجاز القرآن معترضاً على هذا التعريف ما نصه: «والمراد بقوله: «يقع بها إفهام المعاني»: أنها تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية، وفي هذا التعقيب يُرى وجه جديد لتلك المعاني فتزداد وضوحاً وبياناً، وإذن يكون من وظيفة الفاصلة تلخيص معنى الآية تلخيصاً يبرز به المعنى المراد منها، أو بمعنى آخر هي إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في الآية. وهذا يحتاج إلى أن تكون الفواصل جملاً مستقلة، تؤدي معنى تاماً، مستقلاً بدلالته، مثل قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٧]، ومثل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧]، ومثل: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ولكن هناك كثير من الفواصل ليست على تلك الصفة، وإنما قد تكون هي آية قائمة بنفسها مثل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾[١]، وقد تكون جزءاً من آية مثل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١-٣]، فالطارق، والطارق، والثاقب، فواصل الآيات، وهي بمنزلة الجزء من الكل، لا يمكن فصلها. وعلى هذا فالتعريف الذي عرّف به القاضي أبو بكر[٢] (الفاصلة) ليس تعريفاً مانعاً، كما يقولون، إذ إن قوله: «يقع بها إفهام

(١) لا شك أن التمثيل بهذه الآية والتي قبلها غير دقيق؛ لأن كلتيهما مفهمة معنى مستقلاً. وليس كما يقول.

(٢) الخطيب يناقش الباقلاني، وكان الأولى به أن يوجه القول للرماني؛ لأن هذا تعريفه.

المعاني» يلزم منه أن يكون للفاصلة دلالة مستقلة، تتقابل مع المعنى الذي تحمله الآية التي هي فاصلتها، وهذا ما لايمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض الآية، أو الفواصل التي هي آيات مستقلة بذاتها، كما رأينا في الفواصل التي سقناها آنفاً. وإذاً فليس من الحتم اللازم أن تكون وظيفة الفاصلة محصورة في تأكيد معنى الآية التي تصحبها، أو تلخيص هذا المعنى، أو تقريره، بل إن للفاصلة وظائفَ أخرى غير هذا». انتهى[١].

ثم قال الخطيب بعد هذا ما نصه: «قال الزركشي: وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها. وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعاً»[٢]. انتهى.

والكلام السابق كله نقله الحسناوي من أوله إلى آخره، ثم قال بعد أن نقله: واختار الأستاذ الخطيب بعد ذلك تعريف الزركشي المفصل حين يقول ـ الكلام أعلاه ـ، ثم قال ـ الحسناوي ـ: «والحق أن اعتراض الخطيب لا وجه له من هذه الزاوية؛ لأن الزركشي استمد هذه التفصيلات من كلام الباقلاني الذي ورد في موضع آخر من كتابه إعجاز القرآن، فهو يقول: أما الأمور التي يستريح إليها الكلام فإنها تختلف: فربما كان ذلك يسمى قافية، وذلك إنما يكون في الشعر، وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان مقاطع السجع، وربما يسمى ذلك فواصل. وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب». انتهى. ثم قال: فتأمّل![٣].

قلت: وقد تأملت كلام الحسناوي فرأيته لا وجه له؛ لأن الزركشي لم يعرف الفاصلة هذا التعريف ـ وسيأتي رأيه بعد قليل ـ ولكنه ذكر هذا الكلام ليبين شيئاً من فوائد الفاصلة،

---

(١) إعجاز القرآن ـ الكتاب الثاني ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢) السابق، المحل نفسه.

(٣) الفاصلة في القرآن ص٢٥.

لا أن هذا تعريف لها. ثم كيف يجوِّز الحسناوي لنفسه أن يعترض بمثل هذا الاعتراض؟ وما العلاقة بين نقل الزركشي الكلامَ السابقَ عن الباقلاني وبين اعتراض الخطيب على تعريف الرماني؟

ألا يُعدّ هذا من غير المقبول لانفكاك الجهة كما يقولون؟ ثم إني لم أجد الأستاذ الخطيب إلا ناقلاً لأقوال العلماء، ولم يتحدد له تعريف بعينه لا إنتاجاً ولا متابعة، وأحسب أن الحسناوي قد تعجل الأمر.

ومن المفيد قوله: إن الرماني يقصد أن الفاصلة تساعدنا على فهم المعنى، وهي تدل على انتهائه وبعده يجيئ معنى جديد. وهذا في الفواصل الطويلة ظاهر جداً، ومثل هذا في الآيات القصيرة أيضاً نحو: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١] فالفواصل تعين على تمييز المعاني بعضها من بعض. وعليه فكلام الرماني لا غبار عليه.

الثاني: الفاصلة هي كلمة آخر الجملة.

وهذا القول نسبه في البرهان لأبي عمرو الداني[١]، ويبدو أن الداني قد اتكأ على كلام سيبويه، فخرج بهذا التعريف. لذلك نجد الجعبري قد عاب تعريفه هذا فقال فيه: «وهو خلاف المصطلح[٢] ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ [هود: ١٠٥][٣].و﴿مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾ [الكهف: ٦٤] وليسا رأس آي؛ لأن مراده ـ يعني سيبويه ـ الفواصل اللغوية لا الصناعية»[٤].

ونقل الزركشي عن الداني تفريقه بين الفواصل ورؤوس الآي بقوله: «أما الفاصلة

---

(١) البرهان (١: ٥٣)، وانظر حاشية الدسوقي على شرح السعد (٤: ٤٤٥) ضمن شروح التلخيص.

(٢) هو ينبغي أن يكون كذلك إذا كان اتكاء على ما عند سيبويه؛ لأن المصطلح الصناعي لم يستقر بعد. وإن كان يؤخذ على الداني باختياره إياه بعد استقرار المصطلح.

(٣) وهذا ليس موجوداً في كتاب سيبويه كما نبه عليه الحسناوي ص٣٥.

(٤) البرهان (١: ٥٣).

فهي الكلام المنفصل مما بعده. والكلام المنفصل: قد يكون رأس آية، وغير رأس. وكذلك الفواصل، يكنّ رؤوس آي وغيرها. وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين»[١].

الثالث: الفواصل: أواخر الآي.

وهو قول الراغب في المفردات[٢]. وقال في اللسان: «وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر، جل كتاب الله عزّ وجَل. واحدتها فاصلة»[٣]. انتهى.

قلت: وتفصيله في اللسان لا يستقيم إلا على قول من قال: إن القافية في الشعر هي الكلمة الأخيرة وشيء قبلها[٤] ذلك لأن صاحب اللسان نظرها بأواخر الآيات، وكلمة أواخر أعم من أن تكون الكلمة الأخيرة. وبناء على هذا فإن التعريف عام، ومدلوله واسع؛ لأن أواخر الآي قد تكون جملاً برأسها، وعليه يخلو هذا التعريف من الضبط.

أما الفارق بين هذا التعريف والذي قبله، فكل واحد عام من جهة: أمّا

الأول: فعام في كل جملة سواء أكانت رأس آية أم لم تكن.

والثاني: عام من جهة أن الأواخر قد تكون جملاً وقد لا تكون.

وكلّ واحد منهما خاصٌ من جهة:

فأما الأول: فخاص بأن الفاصلة هي الكلمة الأخيرة.

وأما الثاني: فخاص بأن الفاصلة في الأواخر وليست في كل جملة.

---

(١) البرهان، المحل نفسه.

(٢) المفردات (٢: ١٩٥).

(٣) لسان العرب، فَصَل، (١١: ٥٢١).

(٤) القوافي للتنوخي ص٥٨.

الرابع: الفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع.

وهذا قول الزركشي. وهو التعريف الذي عليه العمل[١].

وهذا القول الرابع في الحقيقة لا يخرج عن القول الثالث فهو مضمن فيه.

وإذ قد علمت هذه التعريفات، وأنها واضحة لا غموض فيها، برغم ما يكتنف بعضها من العموم، لم يَرُقْ لك قول الدكتور إبراهيم أنيس، بأن الفواصل وصف مبهم غامض.

قال هذا الكلام بعد رده قول الباقلاني في نفي السجع عن القرآن، قال: «وفي الحق أن وصف القرآن بأنه نوع من كلامهم وهو مع هذا معجز لهم، يسمو بأدب القرآن إلى الذروة، ويجعل إعجازه وتحديه لفصحاء العرب، ذا مغزى سام جليل يجب أن نحرص عليه، وأن نستمسك به. وهذا خير من وصفه **ذلك الوصف المبهم الغامض الذي يسمونه أحياناً بالفواصل**، وبأنه كلام خارج عن كل مناهج الكلام والأدب عند العرب»[٢]. انتهى.

* * *

---

(١) انظر في هذا: البرهان (١: ٥٣)، ومن بلاغة القرآن ص٧٥، والفاصلة في القرآن (٢٦)، وخصائص التعبير القرآني (١: ٢١٨)، وإعجاز القرآن للدكتور فضل عباس ص٢١٨.

(٢) موسيقى الشعر ص٢٥٣.

الفصل الثاني

بين الفواصل والأسجاع

الفصل الثاني

بين الفواصل والأسجاع

ليعلم أن هذا الموضوع من الموضوعات التي احتدم فيها النزاع الفكري والقولي قديماً بين المؤلفين، ومن المؤسف أن نجد ظلال النزاع والخلاف فيه قائمة إلى يومنا الحاضر، على الرغم من تطور العلوم اللغوية والصوتية تطوراً بارزاً، وعلى الرغم من وضوح المقصود من معظم المصطلحات.

ولما كان لهذا الموضوع صلة بهذا البحث، فلا بد من التعريج عليه، وسأحاول إن شاء الله أن لا يكون الكلام الذي أكتبه مكروراً ممجوجاً.

وبما أنه قد سبق الحديث عن معنى الفاصلة فلا أعود إليه هنا، وأنتقل مباشرة إلى السجع. فالسجع معناه: تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد[١].

وقد اختلف العلماء كما قلت من قديم حول جواز إطلاق لفظ السجع على بعض فواصل القرآن الكريم، والمختلفون فيه عموماً يسيرون في اتجاهين:

الأول: يرى أصحابه أنه لا مانع من إطلاق السجع على ما تماثل من الفواصل. والمدرسة الأدبية هي الرائدة لهذا الاتجاه[٢].

الثاني: يرى أصحابه أنه لا يجوز أن يقال: إن في القرآن سجعاً، وأصحاب هذا الاتجاه (وهم أصحاب المدرسة الكلامية) مختلفون في تعليل المنع على منحَيَـيْنِ، ولكلّ وجهة.

---

(١) شروح التلخيص (٤: ٢٤٥) وما بعده، وانظر تقرير الإنبابي بهامش التجريد (٢: ٣٤٩-٣٥٠).

(٢) فن الأسجاع (٢: ١٦٩).

أما أصحاب المنحى الأول فيحتجون بما يلي:

أولاً: أن سبب المنع عندهم هو رعاية الأدب وتعظيم حرمة الكتاب العزيز.

ثانياً: السجع أصله من سجع الطير، فينبغي تشريف القرآن عن أن يستعار لشيء فيه لفظ هو في أصل وضعه لطائر! لأن سجع الطير: صوت لا معنى له.

ثالثاً: لأجل تشريف القرآن عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الذي يقع في كلام آحاد الناس.

رابعاً: لأن القرآن صفة الله، ولم يجز وصفها بصفة لم يرد الإذن بها، كما لا يجوز ذلك في حقه تعالى وإن صح المعنى[1].

هذا هو المنحى الأول الرافض لهذه الفكرة ـ والتي تقضي بتسمية بعض ما في القرآن سجعاً ـ وهذه هي أدلته، «وأنت ترى أنه ليس فيما ذكروه دليل واحد يتعلق ببلاغة القرآن وسمو أسلوبه، وانفراده بهذه الخصائص البيانية التي حيزت له دون غيره من الكلام، وأغلبها أقوال فلسفية يسلم بها الخصم جدلاً لا اقتناعاً»[2].

قلت: وإذا كانت هذه الأدلة على هذه الشاكلة فغايتها مراعاة الأدب في التعامل مع القرآن الكريم، على أنه لاينبغي الاعتداد لكل أحد بمثل هذه الحجج، بل لابد من الاقتناع أولاً بأن في الرأي المخالف ما يمسّ أدب القرآن وينافيه أو يعانده. وقد يَسقُطُ كثير من الأبحاث العلمية والأدبية مما له شأن كبير في الحياة الإنسانية، سواء على المستوى الأدبي أم العقلي، وذلك تحت باب رعاية الأدب. على أن التزام الأدب في مواقعه أمر محمودٌ جداً، بل هو من أكثر ما تحمد عليه النفوس، ولكن كيف الصنيع أمام أناس يتحسسون من كل شيء؟

---

(١) انظر عروس الأفراح (٤: ٤٥٢)، وتقرير الإنبابي (٢: ٣٥٣).

(٢) فن الأسجاع (٢: ١٧٤). وقوله: «إنها فلسفية» غير سليم، والصواب أنها أقوال لا تنهض حجة ولا تسلم أدلةً.

وأما المنحى الثاني من هذا الاتجاه ـ الرافض لفكرة تسمية شيء من القرآن سجعاً ـ فيحتج للمنع عموماً بأن السجع يقصد في نفسه، ثم يحال المعنى عليه، وأما الفواصل فتتبع المعاني ولا تكون مقصودة في ذاتها، لذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً.

وأكثر من سما بهم هذا المنحى واشتُهِر به بحثاً ودفاعاً: الإمام الباقلاني في كتابه الإعجاز، واستدل لرأيه بعدة أدلة هذا ملخصها:

أولاً: أن القرآن ليس فيه سجع؛ لأنه لو كان كذلك لكان غير خارج عن أساليبهم ولم يكن معجزاً، ولما عجزوا عن محاكاته؛ لأن السجع مما يقدرون عليه، بل مما برعوا فيه.

ثانياً: أن السجع مما يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر؛ لأن الكهانة تنافي النبوات، ولأن النبي ﷺ ذم السجع بقوله: «أسجع كسجع الكهان»[١].

ثالثاً: أن السجع مذموم في نفسه؛ لأن المعنى فيه تبع للفظ، وما في القرآن ليس كذلك.

رابعاً: أن ما في القرآن مما يشبه السجع إنما جاء مغموراً في الخطاب وليس مقصوداً لذاته.

خامساً: أنه لو كان في القرآن سجع لوقع فيه ما يُذم، لاختلاف أوزان ما في القرآن الكريم.

سادساً: أن استدلال من أثبت السجع بتقديم هارون على موسى عليهما الصلاة والسلام في سورة طه ليس بنافعهم؛ لأنه ليس من قبيل السجع، وإنما هو من قبيل إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي الغرض المقصود.

سابعاً: أن القائل بالسجع في القرآن قائل بالصرفة[٢].

---

(١) يأتي تمام هذا الحديث وتخريجه بعد قليل.

(٢) إعجاز القرآن ص٥٧-٦٥، وانظر فن الأسجاع (٢: ١٧٥)، والنثر الفني (٢: ٩٥-٩٩)، والباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص٢٠٩-٢٤٦، والبيان القرآني ص١٥٩-١٧٥.

هذه هي الحجج التي أوردها الباقلاني ـ ملخصة من كتابه ـ واتكأ عليها كل من شايَعَهُ على رأيه هذا، وأنت إذا تأملت هذه الأدلة والحجج وجدتها تدور على خمسة محاور هي:

الأول: أن الباقلاني وهو يتحدث عن السجع كان يتحدث من خلال فكرة مسبقة فحواها «أن القرآن ليس من جنس كلام العرب بل إن العرب، لم يألفوا مثله».

الثاني: حديث النبي ﷺ في ذم السجع.

الثالث: أن السجع مذموم؛ لأن المعنى فيه يتبع اللفظ.

الرابع: أن القائل بالسجع قائل بالصرفة.

الخامس: أن كتابة الباقلاني حول السجع إنما هي انتصار وتأييد لمذهب الأشاعرة في هذا الجانب.

هذه هي محاور دراسة الباقلاني لهذه القضية فيما يبدو للباحث، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من مناقشة الباقلاني ومن تبعه من خلال هذه المحاور الواحد تلو الآخر وبالله التوفيق...

المحور الأول: مخالفة القرآن لأساليب العرب وأنه ليس من جنس كلامهم:

وهذه الفكرة قد ذكرها الباقلاني كذلك في كتابه التمهيد على ما سيأتي بعدُ إن شاء الله تعالى، واعتناق الباقلاني لهذه الفكرة جعله يرى أن كلام العرب الذي ألفوه على عدة أنماط هي:

١ـ نظم ونثر.

٢ـ كلام مقفى غير موزون.

٣ـ كلام موزون غير مقفى.

٤ـ نظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع.

٥ـ نظم مقفى موزون له روي.

ومن هذه الأقسام ـ كما يقول الباقلاني ـ منه هو سجية الأغلب من الناس، فتناوله أقرب، وسلوكه لا يتعذر، ومنه ما هو أصعب تناولاً كالموزون عند بعضهم، والشعر عند الآخرين.

وكل هذه الوجوه كما يقول: لاتخرج أن تقع لهم بأحد أمرين: إما بتعمّل وتكلف، وتعلم وتصنّع، أو باتفاق من الطبع، وقذف من النفس على اللسان للحاجة إليه، ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من الطبائع، لم ينفك العالَمُ من قوم يتفق ذلك منهم، ويُعرض على ألسنتهم، وتجيش به خواطرهم، ولا ينصرف عنه الكل مع شدة الدواعي إليه. ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه ولتعلموه، والمهلة لهم فسيحة والأمد واسع(١).

ومما يدل على مذهب الباقلاني هذا بأصرح مما ذكر آنفاً قوله في أول كتابه ما نصه: «وقد روي أن قوله عز وجل في أول: ﴿حمٓ﴾ [السجدة] إلى قوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٤] نزلت في شيبة وعتبة ابني ربيعة، وأبي سفيان بن حرب، وأبي جهل... وذكر أنهم بعثوا هم وغيرُهم من وجوه قريش بعتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ ليكلمه، وكان حسن الحديث عجيب البيان، وأرادوا أن يأتيهم بما عنده، فقرأ النبي ﷺ شيئاً من أول هذه السورة إلى الآيات (١٣) منها، فوثب مخافة العذاب، فاستحكموه ما سمع، فذكر أنه لم يفهم منه كلمة واحدة، ولا اهتدى لجوابه. ولو كان من جنس كلامهم لم يخفَ عليه وجهُ الاحتجاج والرد، فقال له عثمان بن مظعون: لتعلموا أنه من عند الله إذ لم يهتد لجوابه»(٢).

---

(١) إعجاز القرآن ص٦٢، وانظر الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص١٩٠ وما بعده.

(٢) إعجاز القرآن ص٢٧-٢٨، وانظر النثر الفني (٢: ٨١)، على أنني بحثت كثيراً عن نص هذه الرواية بهذه الصورة التي أوردها الباقلاني في كتابه، فلم أعثر على هذا النص، وهو كما هو بيّن يخالف الرواية المشهورة التي ذكرها المفسرون في طالعة سورة فصلت والتي فيها ثناء عتبة بن ربيعة على القرآن ثناءً بالغاً.

وقال الباقلاني في كتابه التمهيد ما نصه: «... وعلى أن الآية ـ يريد الحجة ـ في القرآن أنه منزل بلسان العرب وكلامهم، ومنظوم على وزن يفارق سائر أوزان كلامهم. ولو كان من بعض النظوم التي يعرفونها لعلموا أنه شعر أو خطابة، أو رجز، أو طويل أو مزدوج... »(١).

فهنا جعل الباقلاني القرآن من جنس الكلام، ولكن النظم على غير ما يعرفون، وهذه أول خطوات التراجع عما ذهب إليه أولاً ولكن بشكل ليس صريحاً.

هذا هو كلام الباقلاني هنا، ولكنه لم يلبث أن يرد هذا المذهب برمته بنفسه حيث قال: «﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]. فأخبر أنه لو كان أعجمياً لكانوا يحتجون في رده إما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم، أو كانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه، وبأنهم لا يبين لهم وجه الإعجاز فيه؛ لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم، أو بغير ذلك من الأمور، فإنه إذا تحداهم إلى ما هو من لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه، وجبت الحجة عليهم به»(٢).

فهذا الكلام يهدم ما بناه الباقلاني من ذاك المذهب، ومما يؤيد هذا الهدم ما ذكره كذلك في نهاية كتابه الإعجاز حيث يقول: «والقرآن كتاب دل على صدق مُتحمِّلِه، ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها، وبرهان شهد له برهان الأنبياء المتقدمين، وبينة على طريقة مَن سلف من الأولين. حيّرهم فيه، إذ كان من جنس القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية، وبلغوا فيه الغاية، فعرفوا عجزهم، فسبحان من جعل الكمال له وحده(٣).

ومما ينبغي التنبيه عليه ولفت النظر إليه: أن مذهب الباقلاني المنقوض يتعارض

---

(١) التمهيد ص١٧٠، وانظر كذلك ص١٨٣-١٨٤.

(٢) إعجاز القرآن ص١٣، وانظر النثر الفني (٢: ٨١).

(٣) إعجاز القرآن ص٣٠٢-٣٠٣، وانظر فن الأسجاع (٢: ١٧٨).

مع الآيات التي صرحت بعربية القرآن الكريم، وأعجبُ ما في كلام الباقلاني قوله: إن عتبة بن ربيعة لم يفهم من القرآن الذي أسمَعَهُ النبيُّ شيئاً!! ولا أظن أحداً سبق الباقلاني إلى مثل هذا القول. ولهذا قَسَا عليه الدكتور زكي مبارك بقوله: «وما نحسب أحداً يرتاب في أن هذا محض اختلاق، فإنه لا يُعقل أن يؤمن الرجل بما لا يفهم، ومن المرجح أن مثل هذه الأقاويل مما وضعه الرواة والقصاص»(١).

قلت: وينبغي أن يكون أمر هذا الكلام كذلك، أو هو مما مشى عليه قلم الباقلاني نصرة لمذهبه دون تحقيق؛ لأن هذا القول يُعد مطعنا في التحدي. فإذا كان هذا الموصوف بأنه من أهل البيان، والفصاحة في قومه، قال: بأنه لم يفهم شيئاً: فكيف حال البقية؟

ومما يؤسف له أن الدكتور عبد الرؤوف مخلوف قد قال: «إن بذور القول بأن القرآن ليس من جنس كلام العرب قد وجدت في الجاهلية مستنبطاً ذلك من حديث الوليد بن المغيرة المشهور في وصف كلام الله الذي سمعه من النبي ﷺ. وكذلك من حديث إسلام أبي ذر»(٢).

قلت: وهو كلام كما تراه!

وبعد، فإن القرآن الكريم من جنس كلام العرب، ومن جوهره ومعدنه، ولكنه يمتاز بقوة المعنى، وقوة الروح(٣) والنظم غير النظم.

المحور الثاني: حديث النبي ﷺ.

والحديث حاصلُهُ أن امرأة ضربت أخرى على بطنها، فقتلتها وقتلت جنينها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة

---

(١) النثر الفني (٢: ٨١).

(٢) الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن (١٩٧-١٩٨).

(٣) النثر الفني (٢: ٨٧-٨٨)، والبيان القرآني ص١٥٩، وما بعدها.

على عاقلتها، وورثها لولدها ومن معهم، قال أحد القوم: يا رسول الله، كيف أغرمُ من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يُطَلّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان» من أجل سجعه الذي سجع. وفي رواية: «أسجع كسجع الأعراب؟»، وفي أخرى: «سجع كسجع الأعراب»[١] وفي رواية عند الترمذي: «إن هذا ليقول بقول الشاعر»[٢].

هذا الحديث بهذا الروايات وغيرها، قد فهم منه الباقلاني ومن نفى السجع عن القرآن الكريم، فهموا منه: أن النبي ﷺ نهى عن السجع. ولكن هذا الفهم لم يسلم لأصحابه، فقد اعترضهم كثير من العلماء على رأسهم الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث، حيث قال: قال العلماء: إنما ذم السجع لوجهين:

الأول: أنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله.

الثاني: أنه تكلفه في مخاطبته.

وهذانِ الوجهان من السجع مذمومان، وأما السجع الذي كان النبي ﷺ يقوله في بعض الأوقات، وهو مشهور في الحديث، فليس من هذا؛ لأنه لا يعارِض به حكم الشرع، ولا يتكلفه، فلا نهي فيه، بل هو حسن[٣].

وقال ابن الأثير ـ من الأدباء ـ في شأن هذا الحديث ما نصه: «لو كره النبي ﷺ السجع مطلقاً لقال: «أسجعاً!» ثم سكت، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل، لَمَ كان؟ فلما قال: «أسجعاً كسجع الكهان» صار المعنى معلقاً على أمر، وهو إنكار الفعل، لَمَ

---

(١) هذا الحديث بهذه الروايات عند مسلم في القسامة (١١: ١٧٧) بحاشية المنهاج، ورواه ببعضها أبو داود في الديات (٤: ٣١٧)، والإمام أحمد (٤: ٢٤٥) في المسند.

(٢) الترمذي ـ الديات، باب دية الجنين (٤: ٦٦٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (١١: ١٧٨).

كان على هذا الوجه؟ فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان على مثل سجع الكهان، لاغير. وأنه لم يذم السجع على الإطلاق، وقد ورد في القرآن، وهو ﷺ قد نطق به في كثير من كلامه...، على أن هذا الحديث النبوي الذي يتضمن إنكار سجع الكهان عندي فيه نظر، فإن الوهم يسبق إلى إنكاره، يقال: فما سجع الكهان الذي يتعلق الإنكار به ونهى عنه رسول الله ﷺ؟

والجواب عن ذلك: أن النهي لم يكن عن السجع نفسه، وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع. ألا ترى أنه لما أمر رسول الله ﷺ في الجنين بغرة عبد قال الرجل: «أأدي من لا شرب ولا أكل، ولا استهل، ومثل ذلك يُطل؟» قال رسول الله ﷺ: «أسجعاً كسجع الكهان»؟ أي: أتتبع سجعاً كسجع الكهان؟ وكذلك كان الكهنة كلهم، فإنهم كانوا إذا سئلوا عن أمر جاءوا بالكلام مسجوعاً... فالسجع إذاً ليس بمنهي عنه، وإنما المنهي عنه هو الحكم المتبوع في قول الكاهن فقال رسول الله ﷺ: «أسجعاً كسجع الكهّان؟»، أي: أحكماً كحم الكهان، وإلا فالسجع الذي أتى به ذلك الرجل لا بأس به، فهو كلام حسن من حيث السجع، وليس بمنكر لنفسه، وإنما المنكر هو الحكم الذي تضمنه في امتناع الكاهن أن يدي الجنين بغرة عبد أو أمه»[١].

وقد نَقَلَ الجاحظ عن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي مثل هذا الكلام في توجيه مثل هذا الحديث الشريف[٢].

المحور الثالث: أن السجع مذموم في نفسه، وأن المعنى فيه يتبع اللفظ:

وليس من شك في أن ما كان من السجع كذلك فهو مذموم مرذول، أما أن يجعل

---

(١) المثل السائر (١: ١٩٦-١٩٧)، وقول ابن الأثير أخيراً: «امتناع الكاهن» غير ظاهر، فإن الرجل لم يصرح بذلك.

(٢) البيان والتبيين (١: ٢٨٧)، وانظر الصناعتين ص٢٨٦، والطراز (٣: ٢٠).

هذا الكلام قيداً في تحديد ما هية السجع فلا. وإن المتـتبع لحديث النبي ﷺ يجد فيه سجعاً كثيراً، فهل نقول: إنه سجع مرذول مردود؟ حاشا وكلا.

وأصل هذا الكلام المتعلق بنفي السجع؛ لأن المعنى ينجر فيه وراء اللفظ، أصله من كلام الرماني حيث يقول بذلك، وقد سبق ذكر عبارته عندما تحدثت عن جهده في دراسة الفاصلة ـ وقد رد عليه الخفاجي أحسن رد وأبلغه فقال: «وقال ابن عيسى الرماني: إن الفواصل بلاغة والسجع عيب، وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع تتبعه المعاني، والفواصل تتبع المعاني. وهذا غير صحيح.

والذي يجب أن يحرر في ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول... والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعاً، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعاً، وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين ـ أعني المتماثل والمتقارب ـ من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً وتابعاً للمعاني، وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض... فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوِّه في الفصاحة... فأما قول الرماني ـ إن السجع عيب والفواصل بلاغة ـ على الإطلاق فغلط؛ لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعاً للمعنى وكأنه غير مقصود، فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله»[1]. انتهى.

قلت: وهذا كما تراه أبلغ رد وأحسنه، ولا كلام مزيداً عليه يتطلب من ورائه، ويظهر أن الداعي الذي دعا إلى مثل قول الرماني أنه اعتبر السجع حلية لفظية فحسب،

---

(١) سر الفصاحة ص١٧٢-١٧٤. والمعروف أن الفواصل هي للقرآن، فإن كان مقصده كذلك فهو غير مقبول.

«مع أن الذي يلفت النظر أن كثيراً من الذين تكلموا عن السجع جعلوه مفرداً ولم يدخلوه ضمن مباحث البديع»[١] مما يعني عندهم أن السجع أكبر من أن يكون حلية لفظية.

ومن العجيب أن الباقلاني الذي يذم السجع استفتح كتابه «الإعجاز» بجمل كثيرة مسجوعة[٢]. فما عسى الباحث أن يقوله في ذلك؟ وإن كان هذا عجيباً، فالأعجب منه أن الباقلاني وهو يرى في السجع ما يراه، يقول بوجود الترصيع في القرآن، ويمثل له بجملة آيات مثل: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢] و﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧، ٨] مع أن الترصيع أتم فنون السجع[٣].

المحور الرابع: أن القائل بالسجع قائل بالصرفة

وهذا كما يقول السيد أحمد صقر: «إلزام عجيب لا يلزم المثبتين للسجع في القرآن بحال من الأحوال؛ لأنهم يرون أن السجع الرائع مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة، والامتلاك لزمام الفصاحة، وأن السجع الكثير قد جاء في أرفع صور البيان، وبايَنَ كل أسجاع الساجعين، كما يؤمنون بأن سر إعجاز القرآن نظمه البديع، وبلاغته الرائعة المجاوزة لجميع بلاغات العرب»[٤].

قلت: ويظهر أن هذا أضعف ما عند الباقلاني في هذا الجانب.

المحور الخامس: أن كتابة الباقلاني انتصار لمذهب الأشاعرة.

جاء هذا من قول الباقلاني: «ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع في القرآن»[٥].

---

(١) فن الأسجاع (٢: ٥-٦).

(٢) انظر ص٤ من المقدمة في ذلك الكتاب.

(٣) الباقلاني ص٩٦، وانظر فن الأسجاع (٢: ١٧٩).

(٤) مقدمة التحقيق لكتاب الإعجاز ص٨٦ وما بعدها.

(٥) إعجاز القرآن ص٥٧.

قلت: ولا ينبغي لباحث أن يتسرع القول فيقول كما قال الدكتور علي الجندي: «إن السر في خلاف العلماء في السجع هو تدخل علم الكلام فيما ليس يعنيه من فنون بلاغية أدبية تخضع لحكم الذوق وحده وتبعد بطبيعتها عن قواعد المنطق والفلسفة والنظريات العقلية»(١).

أقول: لا ينبغي هذا، لعدم دقته أولاً. وثانياً: «لأن الرأي الحق لا يضيره الوعاء الذي صب فيه»(٢).

ونظرة الدكتور الجندي، وكذا السيد صقر في تعليقه على كتاب الإعجاز، قائمة على أن نصرة المذاهب الكلامية قد استنفدت طاقات العلماء، فغدا بحثهم نصرة لمذاهبهم، وهذا المنحى لاشك، فيه غلو، ولهذا يعقب الدكتور محمد أبو موسى عليه بقوله: «... والذي أذكره هنا أنه يتكاثر في كتب الكاتبين أن الأوائل لما توزعتهم المذاهب الكلامية استهلكت طاقاتهم في نصرة المذاهب، وأنهم كانوا يغمضون عن الحقيقة أحياناً ابتغاء الظفر والظهور على الخصم لجاجةً واقتداراً، وليس هذا بالسداد، وإنه من الخطأ أن يقال إن لدينا مذاهب في البلاغة والإعجاز يمكن أن تضاف إلى هذه الفرق، فيقال: مذهب المعتزلة في الإعجاز، أو مذهب الأشاعرة في البلاغة، إلا في حدود ضيقة جداً، ولا يجوز لنا أن ننكر أنهم اختلفوا واحتد بينهم في قضايا معينة»(٣). انتهى.

وبعد هذا وذاك، فإن الباحث يستبعد أن يكون الباقلاني قد قال قوله هذا متابعة للمذهب واندفاعاً لنصرته ـ كما يقول السيد صقر(٤)ـ فإن عقلية الباقلاني لا تساعد على مثل هذا الفهم لا سيما والباقلاني من أعظم أئمة المذهب، وأظن ـ والله أعلم ـ أن الباقلاني

---

(١) فن الأسجاع (٢: ١٦٦).

(٢) الفاصلة في القرآن ص١٤٣.

(٣) الإعجاز البلاغي ص١٥٢-١٥٣.

(٤) مقدمة التحقيق لإعجاز القرآن ص٦٣.

استفتح كلامه السابق بما صدر عنه في هذا الجانب، لا ليخبرنا أنه يريد نصرة المذهب، وإنما ليخبرنا بأنه ليس أول من يفعل هذا؛ لأنه لم يتابع الأشعري ومذهبه دون أن يستدل لمتابعته. وعاد الحكم للأدلة لا لنصرة المذهب. والله المستعان.

وإذا كانت هذه أدلة المانعين فلا أرىٰ أيَّ داع لذكر أدلة مخالفيهم؛ ذلك لأن إيراد هذه الأدلة يفتح باباً واسعاً لمخالفيهم ولا حاجة حينئذ للتدليل لمذهبهم إلا من باب ذكر الشواهد والمعضدات التي لا داعي لذكرها في مثل هذا البحث. بقي أنه لا بد من التنبيه على أن صاحب عروس الأفراح قد نقل عن الباقلاني ما يهدم كل ما ذهب إليه حيث قال: «وحكى القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار خلافاً في تسمية الفواصل سجعاً، ورجح أنها تسمى بذلك»[١].

وهذا النص حقيق بالدرس إذا ثبت أنه للباقلاني، وينظر كذلك في معرفة أي الكتابين أسبق تأليفاً.

وأخيراً، فإذا كان لا بد للباحث من كلمة يختتم بها هذا الجانب فهي ـ أنه ليس هناك ما يمنع من إطلاق كلمة السجع على ما تماثل من فواصل القرآن الكريم والله أعلم.

(تعقيبات):

لايعدم الباحث من خلال المطالعات أن يعثر على آراء شاذة أو ضعيفة، أو عبارات قاسية بحق الأئمة السابقين رحمهم الله تعالى لا بد من التنبيه على شيء منها تحذيراً منه:

أولاً: ما نقله في البرهان عن البديعيين من أن أحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيهاً بالشعر فإن أبياته متساوية. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨-٣٠][٢].

---

(١) شروح التلخيص (٤: ٤٥٢).

(٢) البرهان (١: ٧٧)، وانظر شروح التلخيص (٤: ٤٤٩).

وقد نقل بعض المتأخرين مثل الدكتور عبد الفتاح لاشين هذه العبارة دون أن يعقب عليها[١]، ويرى الباحث أن هذه العبارة من الغرابة بمكان. إذ كيف نسوغ لأنفسنا القول بأن أحسن شيء في الفاصلة ـ السجع ـ كذا ليكون شبيهاً بالشعر، فنجعل الشعر حاكماً على حسن ما في القرآن! والله تعالى قد نفى عن كتابه الشعر جملة!!

ثانياً: قال الدكتور زكي مبارك: «ولو تركنا المشكوك فيه من الآثار الجاهلية، وعدنا إلى نص جاهلي لا ريب فيه، وهو القرآن، لرأينا السجع إحدى سماته الأساسية. والقرآن نثر جاهلي ـ كما أوضحنا ذلك من قبل ـ والسجع يجري فيه على طريقة جاهلية حين يخاطب القلب والوجدان، ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات، والدعوات، ومواقف الثناء، والخوف، والرجاء، سوراً مسجوعة تماثل ما يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين! [٢].

ويرى الباحث أن مثل هذا الكلام يعد إيغالاً في الخطأ وتوغلاً في البعد، ومهما قيل في تفسيره فلا شك أنه يمثل اتجاهاً منحرفاً في دراسة القرآن الكريم، ولهذا لا نستغرب من الدكتور زكي مبارك أن يقول عن الجاهلية: «إن ذلك العصر قد سمّوه خطأ عصر الجهل، وهو في رأيي أهل لأن يسمى عهد معرفة ونور»[٣]! فانظر إلى هذا الخبط الذي يكاد يمس القرآن في أحكامه.

ومثل هذا الذي مر تقرأ للدكتور عبد الرؤوف مخلوف جانباً من هذا التجني، فهو يقول معلقاً على بعض جوانب الحديث عند الباقلاني: «... ولكنه الحكم الديني حين يتدخل في مسألة بلاغية جوهرها البلاغة...»، ويقول أيضاً: «ولكن نزعة الجدل عند

---

(١) الفاصلة القرآنية ص٢٠.

(٢) النثر الفني (١ : ٧٧).

(٣) السابق (١ : ٦٤).

الباقلاني وإقحام الدين في البلاغة، وإخضاعها له، جعلته يحاول نفي السجع من القرآن الكريم من طريق الاستدلال الكلامي، وليس من طريق الدراسة الفنية»[١].

وهذا اتجاه عجيب من الدكتورين، ويعجب المرء كيف زُلِقا إليه، إنه اتجاه تغريبي يطل برأسه بين الفينة والأخرى هدفه العبث بالقرآن الكريم ـ وأنا لا أتهم الرجلين هنا ولكني أناقش كلامهما ـ وحاصل هذا الاتجاه: دراسة القرآن الكريم على أنه نص أدبي محض، وذلك بعد أن تنزع عنه الروح الدينية، وحينئذ لا يلام المجتهد من أصحاب هذا الاتجاه إذا اشتط به عقله في دراسة القرآن الكريم.

وإذا كان المراد بالنص الأدبي ما كانت العاطفة أساساً في تكوينه، فكيف يمكن نزع العاطفة ـ الروح ـ الدينية من القرآن ثم دراسته بعد ذلك؟

وبعد، فليس عجيباً بعد ذلك أن يشتط القلم بالدكتور عبد الرؤوف ليصف الباقلاني ذلك الإمام العلم ـ بالتخبط[٢] ـ!!

ثالثاً: قال الحسناوي في كتابه الفاصلة: «إن القول بالسجع في القرآن، لا يلغي مصطلح الفاصلة لكنه يؤدي إلى مشكلات مختلفة:

أولها: اهتزاز الرؤية النقدية المتكاملة للنص القرآني على أنه نص متميز أو من عند الله، فمثلاً: صارت الفاصلة نهباً لأبحاث السجع والازدواج، أو بالأحرى، غَدَت ـ عن غير قصد ـ تابعةً لغيرها على حين استمرت القافية باباً، أو علماً مستقلاً، يغتني عصراً بعد عصر... إلى أن يقول: إن القول بسجع القرآن حيف، ولا نقول: السجع عيب، وإن القول بالفاصلة لا شريك لها ردّ للأمور إلى نصابها، ونظرة إلى ظاهرة قرآنية متميزة في القرآن كله. وفي ذلك ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر أو الكهان»[٣].

---

(١) الباقلاني وكتابه الإعجاز ص٢١٤.

(٢) السابق ص٢٥٧.

(٣) الفاصلة في القرآن ص١٤٢، ١٤٥-١٤٦.

قلت: وهذا الكلام ظاهره الحسن، ولكنه في الحقيقة تحطيم لعنصر بلاغي متأكد وجوده في القرآن، وإذا كان الحسناوي وغيره لديهم إشكال في تسمية السجع في القرآن سجعاً، فيغدو الخلاف لفظياً، فهذه مشكلة لا تحل بمثل هذا الكلام، وليس من المعقول، ولا من المقبول القول بأن إثبات السجع في القرآن يؤدي إلى تخلخل النظرة المتعلقة به على أنه من عند الله؛ لأن هذا الكلام ظاهر البطلان من حيث إن القائل بالسجع لم تهتز عنده قدسية القرآن مطلقاً!

وما أحسن ما تكلم به أمير الشعراء فقال: «... وقد ظلم العربية رجال قبحوا السجع، وعدوه عيباً، وخلطوا الجميل المتفرد بالقبيح المرذول منه: يوضع عنواناً لكتاب، أو دلالة على باب، أو حشواً في رسائل السياسة، أو ثرثرة في المقالات العلمية. فيا نشء العربية، إن لغتكم لسرية مثرية، ولن يضيرها عائب ينكر حلاوة الفواصل في الكتاب الكريم، ولا سجعَ الحمام في الحديث الشريف، ولا كلَّ مأثور خالد من كلام السلف»[١].

* * *

(١) أسواق الذهب ص١١٥.

الباب الثاني

إلى الفاصلة القرآنية

وفيه خمسة فصول:

الأول: البنية الداخلية لفواصل الآيات القرآنية وثراؤها للنص بالمعنى.

الثاني: متشابه الآيات القرآنية.

الثالث: مشكلات الفواصل القرآنية.

الرابع: قيم معنوية تعالجها الفواصل القرآنية.

الخامس: مراعاة الآيات القرآنية للفاصلة.

وقفة أخيرة.

الفصل الأول

البنية الداخلية لفواصل الآيات القرآنية

وفيه ثمانية مباحث:

الأول: روعة الفاصلة القرآنية واستقرارها.

الثاني: الدلالة المعنوية في تركيب الفاصلة القرآنية من الجملة الفعلية والاسمية.

الثالث: الدلالة المعنوية للحذف والزيادة في تركيب الفاصلة القرآنية.

الرابع: الدلالة المعنوية للتقديم والتأخير في تركيب الفاصلة القرآنية.

الخامس: الدلالة المعنوية لاختيار اللفظ مفرداً ومثنىً ومجموعاً في الفواصل القرآنية.

السادس: الدلالة المعنوية للتذكير والتأنيث في الفواصل القرآنية.

السابع: الدلالة المعنوية للإضمار والظهور في الفواصل القرآنية.

الثامن: الدلالة المعنوية للتكرار في الفواصل القرآنية.

بين يدي هذا الباب

أولاً: تنبيهات.

ثانياً: توطئة.

أولاً: تنبيهات

الأول: سيقوم هذا البحث إن شاء اللهُ تعالى على العدِّ الكوفي لآيات القرآن الكريم، وذلك لئلا يتشعب البحث إلى أمور ستجره إلى الاستطراد ـ على أن الباحث يرى أن موضوع العدد والخلاف فيه بحاجة إلى تأصيل جديد يلتئم فيه شتات الأقوال المختلفة، وليس محل ذلك هذا البحث ـ غير أن البحث قد يلجأ عند الضرورة إلى بعض المواضع التي ذكر فيها الخلاف.

الثاني: يقوم هذا البحث في أصل فكرته معتمداً دراسة الكلمة الأخيرة من الآية الكريمة بغض النظر عما قبلها أو بعدها، هذا في أصل الفكرة، ولكن عند دراسة الفواصل، لا بد من مراعاة علاقات هذه الكلمة؛ لأنها في وضعها ليست ناشزة ولا شاذة، بل مرتبطة بجملتها ارتباطاً محكماً، فمثلاً: ما كان من الآيات على شاكلة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فإن البحث قائم على دراسة كلمة ﴿خَبِيرٌ﴾ وحدها، وما كان على شاكلة قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠] فإن أصل البحث قائم على كلمة (موسى) عليه وعلى هارون وعلى نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين الصلاة السلام ـ لكن في الدراسة لا بد من مراعاة أن (موسى) تأخر عن (هارون) وهو أصل الرسالة.

ففي مثل هذا المحل سينظر إلى سبب تقديم هارون على موسى. وكذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن الدراسة لن تقتصر على كلمة (تكذبان) وحدها.

وعلى هذا يمكن القياس، وفي الأمثلة الآتية في ثنايا البحث ما يوضح المنهج تمام الإيضاح بعون الله تعالى.

الثالث: لن يقوم البحث بالطبع على دراسة الفاصلة القرآنية دراسةً استيفائية،

وتتبُّعِها فاصلة فاصلة، فإن هذا مما يخرج بالبحث عما وضع له، ولكن البحث سيقدم أكبر قدر ممكن من الأمثلة مما يتجلى به الإعجاز القرآني ببيانه العالي في هذا الباب.

ثانياً: توطئة:

ليعلم أن دراسة الفاصلة القرآنية في هذا البحث ليست دراسة فنية أدبية فحسب، بل هي دراسة معنوية أكثر منها فنية. إذ إن للفاصلة من القيم المعنوية، ما يكشف عن إعجاز القرآن العظيم. وقد وقف كثير من الدارسين أمام هذه الفواصل القرآنية متحدثين عن فوائد البحث في هذا الموضوع، فذكروا أن لمعرفة الفواصل أهميةً في عدة جوانب، منها(١):

أولاً: يحتاج لمعرفة علم الفواصل لصحة الصلاة. فقد قال الفقهاء فيمن لم يحفظ الفاتحة: يتعين عليه قراءة سبع آيات بدلها، فمن لم يكن عالماً بالفواصل لا يمكنه أن يأتي بما يصحح صلاته.

ثانياً: تتوقف معرفة الوقف المسنون على معرفة الفواصل. إذ إن الوقف على رؤوس الآي سنة.

ثالثاً: اشتراطه لصحة الخطبة، فقد اشترط العلماء فيها قراءة آية تامة، فمن لم يكن عالماً بالفواصل يعسر عليه معرفة ما يصحح به الخطبة.

رابعاً: يحتاج إلى هذا العلم للحصول على الأجر الموعود في قراءة عدد معين من الآيات.

خامساً: اشتراط هذ الفن في باب الإمالة، فإن من القراء من يوجب إمالة رؤوس آي سور خاصة، كرؤوس آي سورة طه والنجم وغيرهما.

---

(١) انظر الإتقان (١: ٧١)، وبشير اليسر ص١٧، والمحرر الوجيز لعد آي الكتاب العزيز ص٢٥، ومرشد الخلان ص٣٠. وهذه الوجوه التي ذكروها، قد يظهر عليها التكلف، ولربما باتت الآن شيئاً ليس له كبير حظ من الدقة؛ لأن الأبحاث اللغوية المعاصرة أثبتت أن العامي يعرف مقاطع الكلام وفواصله. انتهى. من الأستاذ المشرف.

هذا ما ذكروه في هذا الجانب، وهو شيء قليل من كثير.

ومن فوائد معرفة الفواصل كذلك ما يلي:

أولاً: بيان ثراء النص القرآني الحكيم بالمعاني المتكاثرة والتي سبيلها التفكر فيه، وكدُّ الذهن له. وهو ما سوف يظهره هذا البحث بعون الله تعالى.

ثانياً: بيان إعجاز القرآن الكريم في اختيار ألفاظه، بحيث لاتسد لفظة محل أختها، ولا يمكن إيجاد البديل للفظة القرآن الكريم من الثراء بالمعاني في ذلك المحل. ولا شك أن للفاصلة جانباً كبيراً من هذا الأمر، إذ هي ألفاظ قرآنية ذات صبغة خاصة بكونها في نهايات الآيات.

ثالثاً: الدفاع عن القرآن الكريم في مواجهة الانحراف الفكري والآراء العجيبة، وقد استخدم بعض العلماء المتقدمين الفاصلةَ لهذا الغرض، ولعل من أظهر ذلك ما ذكره الآلوسي دفاعاً عن انفصال سورتي قريش والفيل، حيث زعمت بعض الروايات أنهما سورة واحدة، فقال الآلوسي بعد كلام في هذا الشأن ما نصه: «ويؤيد الاستقلال كون آيها ليست على نمط آي ما قبلها»(١)، وهذا ظاهر في أنه يريد اختلاف الفواصل في كلتا السورتين. ومن المتأخرين: الأستاذ فضل عباس حين دافع عن القرآن في مواجهة الموسوعة البريطانية.

هذا ما يتعلق ببعض فوائد معرفة الفواصل، وقد ذكر في بعض الكتب أن العلماء قسموا الفواصل القرآنية إلى عدة أقسام أهمها: تقسيمها من حيث الوزن، ومن حيث التماثُل والتقارب في الحروف، ومن حيث ارتباط الفاصلة بما قبلها.

فأما تقسيمها من حيث الوزن والروي فقسموها إلى أربعة أقسام(٢):

---

(١) روح المعاني (٣٠: ٢٣٨).

(٢) انظر البرهان (١: ٧٥)، والفاصلة في القرآن للحسناوي ص١٧٣، والفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين ص١٩.

الأول: المتوازي: والمراد به اتفاق الكلمتين وزناً وقافية ـ رويّاً ـ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣، ١٤].

الثاني: المطرف: والمراد به اختلاف الكلمتين وزناً واتفاقهما رويّاً. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٢، ١٣].

الثالث: المتوازن: والمراد به اتفاق الكلمتين وزناً فقط. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦].

الرابع: المتماثل: وهو تساوي الفقرتين وزناً لا قافية، مع كون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨].

وأما تقسيمها من حيث التماثل والتقارب، فلا يوجد غير هذين القسمين في كتاب الله كما جزم به غير واحد(١).

ومثال المتماثل ـ وهو: ما اتفقت فيه حروف الروي ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١-٣]. ومثال المتقارب، وهو الذي تقاربت فيه الحروف ولم تتماثل ـ المراد من حيث المخارج ـ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤].

قال الحسناوي: «وهذان النوعان غالبان على الفواصل. لا يكاد أحدهما يزيد عدداً على الآخر، لكن الملاحظ أن الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكية، على حين تغلِب المتقاربة على الآيات المدنية»(٢).

---

(١) من بلاغة القرآن ص٨٨.

(٢) الفاصلة في القرآن ص١٧١.

وأما تقسيمها من حيث علاقة الفاصلة بما قبلها، فقسموها إلى أربعة أقسام[١]:

الأول: التمكين: والمراد به: أن يمهد للفاصلة قبلها تمهيداً تأتي به ممكَّنة في مكانها مستقرةً في قرارها، مطمئنة في مواضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت الفاصلة جانباً لاختل المعنى واضطرب الفهم، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، فلو وقفت الآية عند قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ لتوهم بعض الضعفاء: أن للريح الأثر المباشر في رد الأحزاب، وأن الهزيمة لهم بسببه، فجاءت الفاصلة في تمام موضعها[٢].

الثاني: التصدير: وهو أن تتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول الآية أو في أثنائها ـ أو في آخرها[٣]. ويسمى هذا النوع برد العجز على الصدر[٤].

ومثاله قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، ومنه في أثناء الآية: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ومنه في آخرها قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

الثالث: التوشيح: وهو أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تُعرفَ منه قبل

---

(١) انظر البرهان (١: ٧٨)، الإتقان (١: ١٠١)، الفاصلة في القرآن ص٢٣٥ وما بعدها، والفاصلة القرآنية لعبد الفتاح لاشين ٣٩.

(٢) انظر أمثلة أخرى في البرهان (١: ٧٩) وما بعدها، والفاصلة في القرآن (٣٣٦) وما بعدها.

(٣) الفاصلة القرآنية ص٤٠.

(٤) السابق ص٣٤١.

قراءتها، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس: ٣٧][١].

الرابع: الإيغال، وهو: أن تأتي الآية بمعنىً تام، وتأتي فاصلتها بزيادة في ذلك المعنى، ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٠][٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) المراد من هذا أن كلمة (نسلخ منه النهار) تشير بلفظها إلى حصول الظلام فتم المراد بالإشارة قبل ذكر كلمة (مظلمون)، هذا هو معنى التوشيح.

(٢) المراد أن الموتى والصم لا يسمعون، وهذا معنى مفهوم، فكيف إذا أضيف إلى هذا كلمة (ولوا مدبرين) فواضح أن المعنى تم قبل الفاصلة وجاءت الفاصلة لتزيد معنى على المعنى.

المبحث الأول

روعة الفاصلة القرآنية واستقرارها

وفيه مطلبان:

الأول: اختيار الفاصلة القرآنية.

الثاني: اختلاف الفواصل لاختلاف المتحدَّث عنه.

توطئة

إن الناظر في القرآن الكريم بتمعن يجد فيه أن كل كلمة، بل كل حرف من حروفه، جاء قاراً في مكانه، ولو استبدل به غيره لظهر النشاز علىٰ السياق، سواء من جهة المعنىٰ المقرر أم من جهة الجرس الصوتي.

والمتتبع للفواصل القرآنية بعامة يجد أنها تنقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: فواصل يتم عندها المعنىٰ ولا حاجة إلىٰ ما بعدها في هذا الجانب، وهذا هو الغالب علىٰ الفواصل القرآنية.

القسم الثاني: فواصل تحتاج إلىٰ ما بعدها لتمام معناها، أو أن معناها إنّما يكمل تماماً ببداية الآية التي تليها، وهذا قليل جداً، ومن أمثلة ذلك: ما وقع في سورة البقرة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩-٢٢٠]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤]، ومنه: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩-٣٠]، ومنه: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ * أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [طه: ٩٢-٩٣]، ومنه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] ومنه: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [الصافات: ٥٢-٥٣]، ومنه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٣٤-٣٥].

فكل هذه الآيات كما ترى ترتبط الفاصلة فيها بما بعدها ارتباط الحاجة لتمام المعنىٰ.

وفي هذا المبحث يريد الباحث دراسة نمطين من أنماط الفاصلة القرآنية، ويجعل كل نمط منها في قسم خاص.

فأمّا **الأول**: فهو اختيار الفاصلة القرآنية دون غيرها مما يقرب من معناها.

وأمّا **الثاني**: فهو تنوع الفاصلة بتنوع الآيات التي جاءت فيها باختلاف موضوعاتها. إذ الأصل أن كل فاصلة لا يسد غيرها مسدها في إفادة المعنىٰ المراد، وقد لحظ علىٰ كثير من فواصل القرآن الكريم هذا الاختلاف والتنوع. وهو بالطبع آية من آيات الله في إعجاز هذا الكتاب الكريم ستراها ماثلة أمامك عند دراسة هذا الموضوع الشيّق.

ولا يخفى علىٰ الخبير أن بعض الفواصل الكريمة، لشدة ظهور استقرارها في مكانها، تدرك النفس الشفافة طبيعتها قبل أن يتلى نصها فتسمعه، ومن أمثلة هذا ما روي أن النبي ﷺ أملى علىٰ زيد بن ثابت قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، فقال معاذ بن جبل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فضحك رسول الله ﷺ. فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: «بها خُتمت»(١).

وجاء أيضاً أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: «فإن زَلَلْتُم مِن بعدِ ما جاءتْكُمُ البيِّناتُ فاعْلَموا أنّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ»، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه(٢).

قلت: والآية كما هو معلوم ختامها: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

---

(١) الإتقان (٢: ١٠١)، والحديث رواه الطبراني في الأوسط (٥: ٥٦)، وقال في مجمع الزوائد: فيه جابر الجعفي وهو ضعيف (٦: ٤٤٨)، وقال ابن كثير في التفسير: في إسناده جابر بن يزيد الجعفي ضعيف جداً، وفي خبره نكارة شديدة، وذلك أن هذه السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً. انتهى. (٣: ٢٩٦)، طبعة دار ابن كثير.

(٢) السابق، المحل نفسه، وأصل الكلام في تفسير الكشاف (١: ٢٨٠).

وجاء أيضاً أن أعرابياً سمع من يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ثم ختمها بقوله: «واللهُ غفورٌ رحيمٌ» فقال الأعرابي: ما هذا بفصيح؛ فقيل له: ليست التلاوة كذلك وإنّما هي: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، فقال: بخ بخ، عزَّ، فحكم، فقطع[١].

* * *

(١) البحر المحيط (٣: ٤٨٤).

المطلب الأول
اختيار الفاصلة القرآنية

وأريد في هذا المطلب أن أقف فقط عند بعض الأمثلة من القرآن الكريم للاستدلال بها على ما أريد:

١ ـ قال الله تعالىٰ في شأن الحج: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

فاختار القرآن هنا قوله: ﴿تُحْشَرُونَ﴾ دون ترجعون أو تصيرون مثلاً، ولا بد لذلك من علّة وسبب، قال البقاعي: «قال الحرالي: (وكلية الحج ومناسكه مطابق في الاعتبار لأمر يوم الحشر، ومواقفه من خروج الحاج من وطنه متزوداً، كخروج الميت من الدنيا متزوداً بزاد العمل، ووصوله إلى الميقات وإهلاله متجرداً كانبعاثه من القبر متعرياً، وتلبيته في حجه كتلبيته في حشره ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨]. كذلك اعتباره موطناً إلى غاية الإفاضة والحلول بحرم الله في الآخرة التي هي الجنّة، والشرب من ماء زمزم التي هي آيةُ نُزُلِ الله لأهل الجنّة على وجوه من الاعتبارات يطالعها أهل الفهم واليقين، فلأجل ذلك كان أتم ختم لأحكام الحج ذكر الحشر)»[١].

وقال ابن عاشور: «واختير لفظ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ هنا: دون تصيرون أو ترجعون؛ لأن

---

(١) نظم الدرر (٣: ١٦٧).

﴿تُحۡشَرُونَ﴾ أجمع؛ لأنه يدل على المصير وعلى الرجوع مع الدلالة على أنهم يصيرون مجتمعين كلهم كما كانوا مجتمعين حين استحضار حالهم في هذا الخطاب، وهو اجتماع الحج، ولأن الناس بعد الحج يحشرون إلى مواطنهم، فذكرهم بالحشر العظيم، فلفظ ﴿تُحۡشَرُونَ﴾ أنسب بالمقام من وجوه كثيرة»(١).

٢ـ قال الله تعالىٰ مما حكاه عن يعقوبَ عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، قال ابن عاشور في اختيار الفاصلة ﴿مَا تَصِفُونَ﴾ دون غيرها: «والتعبير عما أصاب يوسف عليه السلام بـ﴿مَا تَصِفُونَ﴾ في غاية البلاغة؛ لأنه كان واثقاً بأنهم كاذبون في الصفة، وواثقاً بأنهم ألحقوا بيوسف عليه السلام ضراً، فلمّا لم يتعين عنده المصاب أجمل التعبير عنه إجمالاً موجهاً؛ لأنهم يحسبون أن ما يصفونه هو موته بأكل الذئب إياه، ويعقوب عليه الصلاة والسلام يريد أن ما يصفونه هو المصاب الواقع الذي وصفوه وصفاً كاذباً»(٢). ومن هنا خُتمت بعض الآيات التي من شأنها تنزيه الله تعالىٰ عما يصفون.

٣ـ قوله تعالىٰ في شأن مريم عليها السلام: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٦]، فوقع في هذه الآية اختيار لفظ (إنسياً) دون (أحداً). يقول ابن عاشور في هذا: «وعدل عن (أحد) إلى (إنسياً) للرعي على فاصلة الياء، وليس ذلك احترازاً عن تكليمها الملائكة، إذ لا يخطر ذلك بالبال عند المخاطبين بمن هُيئت لهم هذه المقالة، فالحمل عليه سماجة!»(٣).

قلت: وكلام ابن عاشور على قسوته ليس صحيحاً. وإنّما العدول لشيء آخر: ذلك أن كلمة (أحداً) أعم من كلمة (إنسياً) ولذلك عبر بها أولاً. في قوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ

---

(١) التحرير والتنوير (٢: ٢٦٤).

(٢) السابق (١٢: ٣٤٠).

(٣) السابق (١٦: ٩٤).

ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ ـ إذا رأت أحداً أياً كان. وأمّا (إنسياً) فهي هنا والله أعلم في خصوص من يؤنس به، فإذا كانت امتنعت عن مخاطبة من تأنس به، فهي عمن عداهم أمنع من المخاطبة، وهذا لأجل أن لا يظن أن الاحتراز عن الغرباء فقط، إذ امتثال مريم عليها السلام في مثل هذا المنع ـ عن مخاطبة الغرباء ـ مما لا يحتاج إلى تنصيص ولا طلب والله تعالىٰ أعلم.

٤ـ قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢]، فاختار القرآن الكريم هذه الكلمة دون أن يقول ـ مثلاً ـ: جائرة.

وللرافعي ـ رفع الله درجته، وروّح روحه ـ كلام هنا لم أجد لأحد من الذين تكلموا في القرآن تفسيراً أو بياناً، لم أجد أحسن منه، وحري به أن يكتب بالتبر لا بالحبر.

قال عليه سحائب الرحمة والرضوان: «وفي القرآن لفظة غريبة، هي من أغرب ما فيه، وما حَسُنت في كلام قط إلاّ في موقعها منه، وهي كلمة (ضيزى) من قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي فيها وهي سورة النجم مفصلة كلها علىٰ الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار علىٰ العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع أُولادهم[1] البنات، أي: دفنهن علىٰ الحياة، فقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصوِّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلىٰ الأسفل والأعلىٰ، وجمعت إلىٰ كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية.

---

(١) هكذا الكلمة في الأصل، والتفسير من هوامش العريان، ولعل المراد منها (وأدهن) أو هي كذلك بالأصل.

والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلاّ في موضعها، ولا يكون حسنها علىٰ غرابتها إلاّ أنها تؤكد المعنىٰ الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروفها معنىً حسياً، وفي تآلف أصواتها معنىً مثله في النفس، وقد نبهنا إلىٰ ذلك في باب اللغة في تاريخ آداب العرب.

وإن تعجب فاعجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه علىٰ ما قبلها، إذ هي مقطعان: أحدهما مدٌّ ثقيل، والآخر مدّ خفيف، وقد جاءت عقب غُنّـتين في ﴿إِذًا﴾ و﴿قِسۡمَةٞ﴾ وإحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلاّ مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي. وهذا معنىً رابع للثلاثة التي عددناها آنفاً، أمّا خامس هذه المعاني، فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة علىٰ غرابتها، إنّما هي أربعة أحرف أيضاً»[(١)]. رحم الله الرافعي، فهذه درة من لؤلؤِ عِقده.

٥ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [ن: ٢٠]، حكاية عن أصحاب الجنّة وجنتهم في سورة القلم.

قال ابن عاشور: «والصريم: قيل: هو الليل، والصريم: من أسماء الليل والنهار؛ لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر... وقيل: الصريم: الرماد بلغة جذيمة، وقيل: الصريم: اسم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئاً. وإيثار كلمة الصريم هنا لكثرة معانيها وصلاحية تلك المعاني لأن تراد في الآية»[(٢)].

٦ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١].

قال ابن عاشور: «والمراد بالمفاز: الجنّة ونعيمها. وأوثرت كلمة (مفازاً) على

---

(١) إعجاز القرآن (٢٣٠-٢٣١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩: ٨٢).

كلمة الجنّة لأن في اشتقاقه ـ أي: هذا اللفظ ـ إثارةَ الندامة في نفوس المخاطبين بقوله: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، وبقوله: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]»[١].

وبعد، فأكتفي بهذه الأمثلة هنا في هذا المحل ـ وربما مرّ معنا في ثنايا البحث شيء من هذا في أكثر من فصل ـ وقد رأيت في هذه الأمثلة جانباً من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وبدا واضحاً فيه دقة اختيار كلمات فواصل القرآن بحيث كان الاختيار في غاية التوفيق، ولعمرك إنك لو أردت تغيير كلمة عن محلها فإنك ستجده لا يتسع للجديد، ولا الجديد المبدل يستقر فيه، فسبحان ربنا منزل هذا الكتاب العظيم.

❊ ❊ ❊

(١) التحرير والتنوير (٣٠: ٤٤).

المطلب الثاني
اختلافُ الفواصل لاختلافِ المتحدَّث عنه
والدلالة المعنوية لذلك

المثال الأول:

أ ـ قال الله تعالىٰ في شأن المنافقين: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧-١٨].

ب ـ وقال سبحانه في شأن الكفار: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

فوصف الأولين بأنهم لا يرجعون، والآخرين بأنهم لا يعقلون.

قال أبو جعفر ابن الزبير في الآية الأولى: «إنه لما مثل حال المنافقين بحال مستوقد النار لطلب الإضاءة، وإنه لما أضاءت ما حوله أذهبها الله وطفئت، فلم يكن له ما يستضيء به ويرجع إليه، فنفى عنهم وجود ما يرجعون إليه من ضياء يدفع حيرتهم، وهذا بيّن»[(١)].

وذهب الآلوسي إلىٰ أن: «الآية ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فذلكة ونتيجة لما سبق، إذ قد علم من قوله سبحانه وتعالى: (لا يشعرون) و(لا يبصرون) أنهم (صم، عمي) ومن كونهم يكذبون أنهم لا ينطقون بالحق، فهم كالبكم، ومن كونهم غير مهتدين (أنهم لا يرجعون)»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير (١: ١٨٠).

(٢) روح المعاني (١: ١٦٩).

قلت: ومما يحسن قوله: (لا يرجعون) هنا مراعاة الممثل به، فإن المستوقد ناراً لا يكون إلاّ خارج بيته، فإذا أضاءت النار ثم طفئت أصابته الحيرة والذهول؛ لأن غاية ما يريده أن يرجع إلى بيته أو من حيث أتى. والمنافقون كذلك والعياذ بالله. فلا الكفر الذي تشبثوا به نفعهم، ولا الإسلام الذي أظهروه نفعهم، فهم حيارىٰ يتمنون الخلاص بالرجوع. لكن إلى أين؟!

وأمّا الآية الثانية فجمهور المفسرين على أنها تعني أن حال هؤلاء الكفار كحال الناعق بالغنم، وجوّز بعض المفسرين كالرازي أن يكون حالهم كحال الغنم المنعوق بها. وأياً ما كان فإن النعق يختلف عن النداء والصياح، وهو كما قال الآلوسي: تتابع التصويت على البهائم للزجر[١]. ويظهر كذلك أنه يصاحبه جدّ في النداء، وإرهاق النفس في تطلب استجابة الأنعام. فإن كان التشبيه للكفار بالناعق، فهل يعقل من يَفعَلُ بنفسه ذلك إرادة استجابة الأنعام؟ إنها لا تعقل، وهي لا تسمع إلاّ صوتاً ونداءً، ولا تميز شيئاً. ولا شك أن المجهد نفسه في تطلب تمييز البهائم حقيق بأن يوصف بأنه لا يعقل، وإنّما يزيد في وصف شناعة حاله كونه أصم أبكم أعمى. وإن أريد التشبيه بالبهائم نفسها فكونها لا تعقل ظاهر، ويظهر معه عدم عقل من شبه بها. وإذا حمل وصف (صم بكم عمي) على حقيقته ظهر ظهوراً جلياً شناعة حالهم والله تعالىٰ أعلم[٢].

الثاني:

أ ـ قال الله تعالىٰ في حق بني إسرائيل: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

ب ـ وقال سبحانه في حق الذين آمنوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

---

(١) تفسير الآلوسي (٢: ٤١).

(٢) راجع ملاك التأويل (١: ١٨٠)، وروح المعاني (٢: ٤٠-٤١)، والتفسير الكبير (٥: ٨-٩).

فاختلف تفصيل كل من الآيتين عقيب ما أمر به في كليهما. فقال أبو جعفر ابن الزبير في هذا: «إن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ مشير إلىٰ التثاقل عنها والتكاسل، الجاريين في الغالب والأكثر مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص، وذلك مناسب لحال بني إسرائيل ممن ذكرت في الآيات قبل، ألا ترى قوله تعالىٰ في المنافقين، وإنّما أكثرهم من اليهود: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]؟ فلمّا كان قوله تعالىٰ في الآية الأولىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ مكتنفاً بأمر بني إسرائيل ونهيهم، ناسب هذا قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. ولمّا كانت الآية الثانية معقباً بها أمر المؤمنين في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ وحالُ من وسم بالإيمان حال رضاً واستقامة، ناسبهم وصفهم بالصبر، إذ بالصبر علىٰ الطاعات حصول الدرجات، فجاء كل على ما يناسب»(١).

قلت: ولمّا ذكر الله سبحانه في الآيات المتعلقة ببني إسرائيل ـ قبل الآية التي معنا ـ ما ذكر من الأوامر والنواهي، والتي أشعرت أن بني إسرائيل كانوا يرتكبون مخالفات لما أمرهم الله، كل هذا دلت عليه الآية الكريمة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]؛ لأن كل ما أمرهم الله به هو من البر، وقد ذكرت الآيات السابقة على هذه الآية المخالفات التالية لبني إسرائيل:

ـ عدم وفائهم لما عاهدوا الله عليه.

ـ فعلهم في الأرض بما ينافي رهبتم لله.

ـ عدم إيمانهم بما أنزل الله.

ـ شراؤهم بآيات الله ثمناً قليلاً.

ـ لبسهم الحق بالباطل.

---

(١) ملاك التأويل (١: ١٩٥-١٩٦).

ـ نسيانهم أنفسهم من البر.

ولا شك أن الأمر بالصبر والصلاة والاستعانة بهما مع وجود مثل هذه المخالفات ثقيل إلاّ علىٰ الخاشعين، وأين هم في بني إسرائيل؛ وقد دلت الآيات فيما يلوح للباحث على أن الخاشعين في بني إسرائيل قليل، لذلك كان من المناسب التنصيص عليهم من بين هؤلاء المخالفين والله أعلم.

وأمّا الآية الثانية، فقد ذكر بشأنها في المنار كلاماً حسناً، قال: (ذكر الله تعالىٰ افتتان الناس بتحويل القبلة. وقد تقدم شرح ما دلت عليه الآيات من عظم أمر تلك الفتنة، وإزالة شبه الفاتنين والمفتونين، وإقامة الحجج علىٰ المشاغبين، وحكم التحويل وفوائده للمؤمنين، ومنها إتمام النعمة، والبشارة بالاستيلاء علىٰ مكة، وكون ذلك طريقاً للهداية، لما في الفتن من التمحيص الذي يتميز به المؤمن الصادق من المسلم المنافق، فهي تظهر الثابت علىٰ الحق، المطمئن به، وتفضح المنافق المرائي فيه بما تُظهر من زلزاله واضطرابه فيما لديه، أو انقلابه ناكصاً علىٰ عقبيه، ثم شبه هذه النعمة التامة بالنعمة الكبرىٰ، وهي إرسال الرسول فيهم، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم ـ وفي ذلك من التثبيت في مقاومة الفتنة، وتأكيد أمر القبلة ما يليق بتلك الحالة. وقضىٰ ذلك الأمر بذكره وشكره علىٰ هذه النعم، للإيذان بأن تحويل القبلة الذي صوّره السفهاء من الناس بصورة النقمة، هو في نفسه أجل منة وأكرم نعمة.

لا جرم أن تلك النعم التي يجب ذكرها وشكرها للمنعم جل شأنه كانت تُقرن بضروب من البلاء وأنواع من المصائب، أكبرها ما يلاقيه أهل الحق من مقاومة الباطل وأحزابه، وأصغرها ما لا يسلم منه أحد في ماله وأهله وأحبابه، أليس في النسب القريب بين الكلام، ومن كمال الإرشاد في هذا المقام، أن يرد بعد الأمر بالشكر أمرٌ آخرُ بالصبر، وأن يعد الله المؤمنين بالجزاء علىٰ هذا كما وعدهم بالجزاء علىٰ ذاك؟ بلىٰ، إن هذه الآيات متصلة بما قبلها متممة للإرشاد فيها، وقد هدىٰ سبحانه بلطفه إلى علاج الداء قبل بيانه،

فأمر بالاستعانة علىٰ ما يلاقيه المؤمنون بالصبر والصلاة، ووعد علىٰ ذلك بمعونته الإلهية، ثم أشعرهم بما يلاقونه في سبيل الحق والدعوة إلى الدين والمدافعة عنه وعن أنفسهم، فهو سبحانه يأمرهم بالصبر علىٰ ذلك كله)[1].

قلت: وهو كلام حسن في بيان استقرار فاصلة هذه الآية ومناسبتها تمام المناسبة لما وقعت فيه.

الثالث:

أ ـ قال الله تعالىٰ في شأن المؤمنين: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ب ـ وفي الحديث، عن طائفة من أهل الكتاب يقول سبحانه: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

ففي **الأولى**: أمر للمؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونتيجة الطاعة الفلاح.

وفي **الثانية**: وصف لطائفة يفعلون ذلك وزيد في وصفهم أنهم من الصالحين. فاختلفت الفاصلة في كلتا الآيتين.

والجواب عن هذا والله أعلم: أنه في الأولى أمر المؤمنين بهذا الأمر الذي فيه حركةُ حياتهم الدعوية، ولا شك أن الملتزم بتنفيذ هذا الأمر آيلٌ أمره إلى الفلاح والفوز؛ لأن هذا الأمر امتحان، من نجح فيه فالفلاح حظه، وأمّا الآية الثانية فهي عبارة عن وصف لأحوال هذه الطائفة المغايرة لسائر بني إسرائيل، ولمّا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ربما انحصر في هذه الطائفة دون أن يتعداها إلى غيرها من الجماهير كما يقول «الشيخ

---

(١) المنار (٢: ٢٨).

رشيد» وذلك حسب معطيات التاريخ[1]، كان التعبير عنهم بأنهم من الصالحين تمييزاً لهم، ولعمرك إن هذا آتٍ في أحسن موقع من البلاغة، وإنه لما يرقص له القلب فرحاً، اعترافاً بعظمة هذا الكتاب ودقّته.

ويمكن أن يقال أيضاً: إن الآية الأولى خطاب لأمة محمد ﷺ كأنما هذه الطائفة هم المفلحون لا غيرهم وحتى الذين لا يستطيعون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير مجردين من الفلاح. وأما الآية الثانية فإنما جاءت لتبين أن هذه الطائفة من أهل الكتاب هي الطائفة الصالحة فقط. انتهى. أفدناه من شيخنا حفظه الله.

الرابع:

أ ـ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

ب ـ ثم ذكر سبحانه بقية المحرمات من النساء علىٰ الرجال، وختم الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

فاختلفت فاصلة تحريم ما نكح الآباء من النساء علىٰ أبنائهم عن الفاصلة الأخرى الآتية بعد بيان النساء المحرم نكاحهن علىٰ الرجال.

والجواب عن هذا الاختلاف والله أعلم: أن الصنف الأول من النكاح هو أبغض أنواعه وأشده سوءاً ولا ريب، فالجاهليون أنفسهم ـ كما في بعض التفاسير ـ كانوا يسمونه نكاح المقت[2]. فاستحق الوصف الذي وصفه القرآن. وأمّا الأنواع الثانية من الأنكحة فلم تكن كالنكاح الأول في السوء والضرر ـ وإن كان فيها السوء والضرر ـ فأخبر سبحانه عن مغفرته ورحمته لمن فعل ذلك في الأيام الماضية، ولم يخبر بذلك لمن فعل النكاح الأول، لا ليرتب علىٰ ذلك الجزاء، وإنّما ليصفه بوصف لا يوصف في السوء شيء أكثر منه.

---

(١) المنار (٤: ٦١).

(٢) الكشاف (١: ٥١٥).

الخامس:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

ب ـ وقال سبحانه بعد هذا: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

اختلفت الفاصلتان، فجاء في الأولىٰ ﴿شَهِيدًا﴾ وفي الثانية ﴿وَكِيلًا﴾.

والجواب عن هذا والله أعلم أن الآية الأولىٰ جاءت ردّاً علىٰ أولئك الذين كانوا يقولون: إن المصائب والسيئات التي تصيبهم إنّما هي من النبي ﷺ. فبيّن الله تعالىٰ أن الحسنات من عنده والسيئات بما يفعله العباد والأمر كله بيد الله سبحانه. ثم بيّن سبحانه أنه إنّما أرسل محمداً رسولاً للناس، وكان من المناسب الختم بالشهادة التي هي من الله علىٰ ذلك الأمر. فبحسب النبي ﷺ شهادة الله له بأنه أرسله ليكون هذا أكبر تطمين له في تلك الفترة «وهي كذلك تطمين للنبي ﷺ بشهادة الله تعالى له على جدّه في أداء الرسالة وتبليغ الوحي وعدم تقصيره في ذلك كله»(١). وأمّا الآية الثانية فإنّما جاءت خاتمتها كذلك لتجعل انصراف النبي ﷺ بالكلية إلى ربه سبحانه تعالىٰ، وأن لا يعطي أولئك القوم أي اهتمام علىٰ تكذيبهم، فحسبه أن الله وكيله.

السادس:

أ ـ ذكر الله تعالىٰ في ختام آية الوضوء قوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

---

(١) انظر: تفسير الرازي (١٠: ١٥٤).

ب ـ وذكر سبحانه في سياق بيان إنعامه علىٰ عباده: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨١].

والناظر في هاتين الآيتين يجد اختلافهما مضموناً وفاصلة.

وقد أجاب أبو جعفر ابن الزبير عن اختلاف الفاصلتين في الآيتين جواباً حسناً حاصله: «أن سورة المائدة مدنية، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين، بدليل إرشادهم إلى كيفية الوضوء، ولا يكون ذلك إلاّ بعد الإسلام، فتعليم الله لهم هذه الكيفية، والتي بها يستحكمون صلتهم بربهم عن طريق الصلاة، وإيجاد البديل لهم فيما لو عدموا الماء لهذه الطهارة، كل هذا أوجب علىٰ المؤمنين حق شكره، فلذلك كان الختم بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ في أحسن مواقعه.

وأمّا الآية الثانية فالسورة مكية، والخطاب فيها عام، بل وبدء الخطاب فيها بقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١] فوضح أنه كان للمرتابين، وتحدث معهم ووعظهم بمصارع من سبقهم وألزمهم بالحجج البينات الدالة علىٰ أنه وحده لا شريك له، ثم ذكر بعد التخويف والجدال والإنذار ما امتنّ به سبحانه من النعم، وكله تذكير بعجائبه من إنعامه الذي لا يمكن أن يسند إلى غيره. كل هذا التذكير لهم رجاء أن يسلموا، ويدخلوا في دين الإسلام، فكان قوله: ﴿بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ في أحسن مواقعه»[1].

السابع:

قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ

(١) ملاك التأويل (١: ٣٧٢ بتصرّف).

لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧-٩٩].

قال في الكشاف: «فإن قلت: لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و(يفقهون) مع ذكر إنشاء بني آدم؟ قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً. فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنةٍ وتدقيقٍ نظر مطابقاً له»[١].

هذا كلام الزمخشري، وهو ظاهر الدلالة علىٰ أن الفقه أعلىٰ مرتبة من العلم في مثل هذا الأمر. غير أن ابن المنيِّر اعترض عليه بقوله: «لا يتحقق هذا التفاوت، ولا سبيل إلىٰ الحقيقة، وما هذا الجواب إلاّ صناعي، والتحقيق أنه لما أريد فصل كليهما بفاصلة تنبيهاً علىٰ استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة كره فصلهما بفاصلتين متساويتين في اللفظ لما في ذلك من التكرار. فعدل إلى فاصلة مخالفة تحسيناً للنظم واتساقاً في البلاغة[٢]. ويحتمل وجهاً آخر في تخصيص الأولىٰ بالعلم والثانية بالفقه، وهو أنه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته، وكانت الآيات المذكورة أولاً خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها، إذ النجوم والنظر فيها، وعلم الحكمة الإلهية في تدبيره لها أمر خارج عن نفس الناظر. ولا كذلك النظر في إنشائهم من نفس واحدة وتقلباتهم في أطوار مختلفة وأحوال متغايرة، فإنه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها، فإذا تمهد ذلك فجهل الإنسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر، أبشع من جهله بالأمور الخارجة عنه، كالنجوم والأفلاك ومقادير سيرها وتقلبها، فلمّا كان الفقه أدنىٰ درجات

---

(١) الكشاف (٢: ٣٩)، انظر: الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين، ص٨٩ وما بعدها.

(٢) قلت: هو يريد بهذا أن الاختلاف لمجرد التفنن.

العلم، إذ هو عبارة عن الفهم، نُفي من أبشع القبيلين جهلاً، وهم الذين لا يتبصرون في أنفسهم، ونفي الأدنىٰ أبشع من نفي الأعلىٰ درجة، فخص به أسوأ الفريقين حالاً، ويفقهون ههنا مضارع فقه الشيء بكسر القاف: إذا فهمه ولو أدنىٰ فهم، وليس مِن: فقُه بضم القاف؛ لأن تلك درجة عالية ومعناها: صار فقيهاً. قاله الهروي في معرض الاستدلال علىٰ أن فقه أنزلُ من عَلِم.. وإذا قيل: فلان لا يفقه شيئاً، كان أذم في العرف من قولك: فلان لا يعلم شيئاً، فكان معنىٰ قولك: لا يفقه ليست له أهلية الفهم وإن فهم. وأما قولك: لا يعلم شيئاً فغايته نفي حصول العلم له وقد يكون له أهلية الفهم والعلم لو يعلم. والذي يدل علىٰ أن التارك للفكرة في نفسه أجهل وأسوأ حالاً من التارك للفكرة في غيره قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. فخص التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الأرض من الآيات وأنكر علىٰ من لا يتبصر في نفسه إنكاراً مستأنفاً، وقولنا في أدراج الكلام: إنه نفي العلم عن أحد الفريقين ونفي الفقه عن الآخر: يعني بطريق التعريض، حيث خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم، فأشعر أن قوماً غيرهم لا علم عندهم ولا فقه، والله الموفق. فتأمل هذا الفصل وإن طال بعض الطول، فالنظر في الحسن غير مملول». انتهى كلام ابن المنيِّر[١].

قلت: وهو ظاهر أنه بعكس ما في الكشاف، وقد شنع الشيخ رشيد في تفسير المنار علىٰ ابن المنيِّر بما لا وجه له[٢].

وينبغي أن يقال: إن لكلٍّ وجهة فيما ذهب إليه، والترجيح بين الأقوال شيء والحط من أصحابها شيء آخر. علىٰ أن صاحب مِلاك التأويل قد استحسن كلا الرأيين مع أنهما متعاكسان[٣].

---

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف (٢: ٣٩-٤٠). وقد ذكر الآلوسي كلا الرأيين دون ترجيح (٧: ٢٣٦).

(٢) المنار (٧: ٥٣٤).

(٣) ملاك التأويل (١: ٤٦٢-٤٦٤).

وقد أجاد صاحب درة التنزيل في التفرقة بين هذه الفواصل فقال ما ملخصه: «إن الآية الأولىٰ جاءت بعد آيات نبهت علىٰ معرفة الله تعالىٰ... فكان ما فيها دالاً علىٰ العلم بالله، وبوحدانيته، وهو أشرف معلوم. ولا لفظ من ألفاظ: (يعقلون ـ يفقهون ـ يشعرون)، إلاّ ولفظة (يعلمون) أعلىٰ منه، ولذلك صحت في الخبر عن الله تعالىٰ ولم يصح فيه غيرها من الألفاظ التي ذكرت، فلمّا كان المعلوم أشرف المعلومات عبر عن الآيات التي نصبت للدلالة عليه باللفظ الأشرف. وأمّا استعمال (يفقهون) فوارد عقيب بيان ما يتعلق بالإنسان وخلقه من بعض التصاريف والأحوال، فنطقت تلك الأحوال الحادثة لمن يفهمها، ويفطن لها، ويستدل بشاهدها علىٰ مغيّبها، أن بعد الموت بعثاً وحشراً، وثواباً وعقاباً، وهذا مما يفطن له. فـ(يفقهون) أولىٰ به. وأمّا قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فوارد بعد أن عدّد نعمه علىٰ خلقه، وما وسعه من رزقه، من الحب المعد للأقوات، ومن ضروب الأشجار، وصنوف الثمار، فكان هذا مستدعياً للإيمان به، المشتمل علىٰ شكر نعمته، والقيام بما فرض من طاعته، وأوجب من عبادته، وكانت الآيات في ذلك معرضة لمن آمن بالله، فلذلك قال في الأخير: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾»[١].

وقد لخص الكرماني في كتابه ما ذكر عن صاحب الدرة[٢].

وقال في المنار: «ولعل كثرة الآيات في عالم السماء هي نكتة تذييل الآية بقوله: ﴿فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سواء أريد بها آيات التنزيل أم آيات التكوين، فإن أريد بها المعنىٰ الأول فوجهه أن هذه الآية وما قبلها وما في معناها من الآيات المنزلة في الحث علىٰ النظر في ملكوت السماء كله تفصيل مبين لطرق النظر والبحث في العالم السماوي للذين يعلمون بالفعل، أو بالقوة والاستعداد، شيئاً من حكم الله تعالىٰ وعجائب صنعه فيه فيزدادون بهذا التفصيل بحثاً وعلماً، فيكون علمهم نامياً مستمراً. وإن أريد الثاني فوجهه

---

(١) درة التنزيل (ص١٢٦).

(٢) أسرار التكرار (ص٧٢).

أظهر، وهو أن الآيات الدالة علىٰ علم الله تعالىٰ وحكمته وفضله علىٰ خلقه، لا يستخرجها من النظر في النجوم إلاّ الذين يعلمون، أي: أهل العلم بهذا الشأن، الذين يقرنون العلم بالاعتبار، ولا يرضون بأن يكون منتهى الحظ ما تمتع به اللحظ، ولا غاية النظر والحساب أن يقال: إن هذا لشيء عجاب»[١]. ثم تابع الزمخشري فيما جاء به بعد[٢].

وقال ابن عاشور: «وعدل عن (يعلمون) إلىٰ (يفقهون) لأن دلالة إنشائهم علىٰ هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع، وما فيهما من الحكمة، دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبر، فإن المخاطبين كانوا معرضين عنها، فعبر عن علمها بأنه فقه، بخلاف دلالة النجوم علىٰ حكمة الاهتداء، فهي دلالة متكررة. وتعريضاً بأن المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، فإن العلم هو: المعرفة الموافقة للحقيقة، والفقه هو: إدراك الأشياء الدقيقة، فحصل تفصيل الآيات للمؤمنين، وانتفىٰ انتفاع المشركين به، ولذا قال: ﴿فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾»[٣].

الثامن:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

---

(١) المنار (٧: ٥٣١).

(٢) السابق (٧: ٥٣٤).

(٣) التحرير والتنوير (٧: ٣٩٧-٣٩٨). وانظر: البحر المحيط (٤: ١٩٢)، والإتقان (٢: ١٠١).

فاختلفت فواصل هذه الآيات بوصاياها، فكانت الأولىٰ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والثانية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ والثالثة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وقد اختلف العلماء في تقرير هذا الاختلاف وأتوا بأجوبة بعضها متقارب قريب وبعضها بعيد. وهذه أهم الأقوال في ذلك:

قال في الإتقان: (لأن الوصايا التي في الآية الأولىٰ إنّما يحمل علىٰ تركها عدم العقل الغالب علىٰ الهوىٰ؛ لأن الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال علىٰ توحيده وعظمته، وكذلك عقوق الوالدين، لا يقتضيه العقل لسبب إحسانهما إلى الولد بكل طريق، وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الإملاق مع وجود الرازق الحي الكريم، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه العقل، وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل، فحسن بعد ذلك ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

وأمّا الثانية فتعلقها بالحقوق المالية والقولية، فإن من علم أن له أيتاماً يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلاّ بما يحب أن يُعامَلَ به أيتامُه، ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة. وكذا من وَعد، لو وُعِد لم يحب أن يُخلف، ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله، فترك ذلك إنّما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله، فلذلك ناسب الختم بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وأمّا الثالثة: فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤدٍّ إلى غضبه وإلى عقابه، فحسن ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: عقاب الله بسببه. انتهى كلام السيوطي[1].

وفي برهان الكرماني عن الأولىٰ: (لأن الآية الأولىٰ مشتملة علىٰ خمسة أشياء كلها عظام جسام. فكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا، فختمها بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان)[2].

---

(١) الإتقان (٢: ١٠٢)، وانظر: درة التنزيل (ص١٣٧)، والمحرر الوجيز (٧: ٣١٨-٣٢٠)، والفاصلة في القرآن (ص١٠٨-١١٣)، وملاك التأويل (١: ٤٨٠).

(٢) كتاب الكرماني، ص٧٦.

وفي تفسير ابن عطية: «ومن حيث كانت المحرمات الأُوَل لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والمحرمات الأُخَر شهوات، وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر، وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل، وتلك درجة التقوىٰ»[١].

وقال الرازي: «إن قيل: فما السبب في أن جعل خاتمة الآية الأولىٰ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وخاتمة الثانية ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؟ قلنا: لأن التكاليف الخمسة المذكورة في الأولىٰ أمور ظاهرة جلية، فوجب تعقُّلها وتفهمها، وأمّا التكاليف الأربعة المذكورة في الآية الثانية، فأمور خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف علىٰ موضع الاعتدال، فلهذا السبب قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾»[٢]. وقد تابعه أبو حيان علىٰ ما ذكره في هذا المحل[٣].

ونقل الآلوسي عن القطب الرازي قوله: «ختمت الآية الأولىٰ بقوله سبحانه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والثانية بقوله ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ لأن القوم كانوا مستمرين علىٰ الشرك، وقتل الأولاد، وقربان الزنا، وقتل النفس المحرمة بغير حق، غير مستنكفين ولا عاقلين قبحها، فنهاهم سبحانه لعلهم يعقلون قبحَها، فيستنكفون عنها ويتركونها. وأمّا حفظ أموال اليتامىٰ عليهم، وإيفاء الكيل، والعدل في القول، والوفاء بالعهد، فكانوا يفعلونه ويفتخرون بالاتصاف به، فأمرهم الله تعالىٰ بذلك لعلهم يذكرون إن عَرَضَ لهم نسيان. ثم قال ـ القطب ـ: فإن قلت: الإحسان إلى الوالدين من قبيل الثاني أيضاً فكيف ذكر من الأول؟ قلت: أعظم النعم علىٰ الإنسان نعمة الله تعالىٰ، ويتلوها نعمة الوالدين؛ لأنهما المؤثران في الظاهر، ومنهما نعمة التربية والحفظ عن الهلاك في وقت الصغر، فلمّا نهي عن

---

(١) المحرر الوجيز (٦: ١٨٣).

(٢) التفسير الكبير (١٣: ٢٤٨).

(٣) البحر المحيط (٤: ٢٥٣).

الكفر بالله تعالىٰ نهي بعده عن الكفران بنعمة الأبوين، تنبيهاً علىٰ أن القوم لما لم يرتكبوا الكفران فبطريق الأولىٰ أن لا يرتكبوا الكفر»[١].

ثم قال الآلوسي: (ويمكن أن يقال: إن أكثر التكليفات الأول أُدِّي بصيغة النهي وهو في معنىٰ المنع، والمرء حريص علىٰ ما منع، فناسب أن يعلل الإيصاء بذلك بما فيه إيماء إلى معنىٰ المنع والحبس، وهذا بخلاف التكليفات الأخر، فإن أكثرها قد أدي بصيغة الأمر وليس المنع فيها ظاهراً كما في النهي، فيكون تأكيد الطلب والمبالغة فيه ليستمر عليه ويتذكر إذا نسي. فليتدبر)[٢].

وقد نقل الشيخ رشيد كلام الآلوسي المنقول عن القطب وقال: (إنه ـ أي: القطب ـ قد أتى بما لم يأتِ به غيره مما قاله علماء البلاغة في نكت هذه الخواتيم)[٣].

قلت: وليس قول القطب إتياناً بما ليس عند غيره فحسب، بل هو أحسن مما عند غيره. وأضعف الأقوال كلها ما ذهب إليه الرازي وأبو حيان؛ لأن الخفاء فيما قالا فيه ذلك غير ظاهر، وكل هذه الأمور كانت تفعل ويتفاخر بها. وأمّا ما جاء به الآلوسي: فكلام يخص أسلوب النص فحسب. والله أعلم.

التاسع:

أ ـ قال الله تعالىٰ في حق نبينا ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ب ـ وفي قصة موسى ﷺ: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فاختلفت فاصلتا الآيتين.

---

(١) روح المعاني (٨: ٥٦)، والقطب الرازي أحد شراح الكشاف.

(٢) السابق المكان نفسه.

(٣) المنار (٨: ١٧٤).

قال أبو جعفر ابن الزبير في تعليل هذا الاختلاف ما حاصله: «إن النبي ﷺ إنّما قال ذلك وعمل به واقتدىٰ ظاهراً وباطناً بما أُمِرَ به، وما درج عليه الأنبياء المأمور باتباعهم بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وسلك مسلكهم. وعبارة الإسلام تعم الاستسلام بالظاهر والباطن، والإيمان الذي هو التصديق داخل تحت ذلك وفي جملة ما يطلق عليه اسم الإسلام، فقد تحصلت عبارته عليه الصلاة والسلام منبئة عن الكمال في مسمىٰ الإيمان والإسلام، علىٰ الحال التي درج عليها المصطفَوْنَ الأخيار قبله، وحالهم في ذلك لا يدركها غيرهم من حيث الكمال التام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وأمّا الآيات فقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وكذا أوصىٰ إبراهيم ﷺ بنيه بقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وبهذا أوصىٰ يعقوب بنيه وهم قد أجابوه بقولهم: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، والنبي ﷺ أمر بالاقتداء بهم، فكانت هذه الفاصلة في أحسن مواقعها.

وأمّا الآية الثانية فهي حديث عن موسى ﷺ بعد أن أفاق من الصعق. ومعنىٰ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: المصدقين أنك لا تُرى في الدنيا. وليس موضع التعبير أن يقول: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لأن ذلك الوصف حاصل له عليه الصلاة و السلام علىٰ الصفة الحاصلة للمصطَفَيْنَ ممن تقدم، وإنّما أراد أن يعبر عن مجرد التصديق بهذا الذي غاب عند جواز تعجيله، مع علمه بجوازه علىٰ الجملة». انتهىٰ[1].

قلت: وكلامه هذا حسن ويمكن أن يقال: إن الخضوع والانقياد اختار له دين الإسلام وهي تسمية إبراهيم عليه السلام، فالمناسب له هذا الوصف. وآية الأنعام فيها كثير من الأمور التي تحتاج إلى الانقياد وهي أمور ظاهرة، فالمناسب لها الإسلام؛ لأن ما

---

(١) ملاك التأويل (١:٤٨١-٤٨٢) بتصرّف.

قبلها يدل على الخضوع الظاهر. وأما الآية الأخرى ففيها قضية غيبية وهي غير ظاهرة والمناسب لها الإيمان. وهكذا كان. انتهى. أفدناه من شيخنا.

العاشر:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿**وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٩].

ب ـ وقال سبحانه في شأن قريش: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٥].

فجعل ذوق العذاب في الأولىٰ بسبب الكسب، وفي الثانية بسبب الكفر.

قال أبو جعفر ابن الزبير: «أمّا الآية الأولىٰ فهي متحدثة عن أخلاط من الأمم، وأفواج يتبع بعضهم بعضاً، قد تعددت جرائمهم وتنوعت مخالفاتهم، فكان من المناسب أن تُجمع هذه تحت باب ﴿تَكْسِبُونَ﴾. وأمّا الآية الثانية فهي في قريش، وقصارىٰ ما عندهم أنهم كفروا بالله وبرسوله، فكان من الملائم بيان أن العذاب علىٰ ذلك»[(١)].

ويمكن أن يقال: إن الحديث في آية الأعراف عن الاستكبار والاستضعاف وفي آية الأنفال عن الكفر والإيمان فكان الختم مناسباً لكلتيهما. انتهى من شيخنا.

الحادي عشر:

أ ـ قال تعالىٰ في قصة نوح ﷺ: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٦٢].

ب ـ وقال سبحانه في قصة هود ﷺ: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ [الأعراف: ٦٨].

---

(١) ملاك التأويل (١: ٤٩٤-٤٩٥).

أجاب صاحب درة التنزيل عن الاختلاف في (وَأَنصَحُ لَكُمْ) في الأولىٰ و﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ في الثانية مما يفيد جواباً عن اختلاف الفاصلتين فقال: «إن قول نوح عليه الصلاة والسلام في جواب من ضلّله، لأنه قيل له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] وهود عليه الصلاة والسلام قيل له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، والضلال من صفات الفعل... والسفاهة من صفات النفس، وهي ضد الحلم. وهو معنًى ثابت يولد الخفة والعجلة المذمومتين، والحلم معنىً ثابت يولد الأناة المحمودة، فكان جواب من عيب بفعل مذموم نفيه بفعل محمود لا بل بأفعال تنفي ما ادعوه عليه، وهي أن قال لهم: لست ضالاً ولكني رسول من رب العالمين، أؤدي إليكم ما تحملت من أوامره، وأدعوكم بإخلاص إلى صلاح أمركم، وأعلم من سوء عاقبته ما لا تعلمونه، فنفىٰ الضلال بهذه الأفعال. وهود عليه الصلاة والسلام لمّا رُمي بالسفاهة، وهي من الخصال الذميمة البطيئة وليست من الأفعال التي ينتقل الإنسان عنها إلى أضدادها في الزمن القصير، فكان نفيها بصفات تبطلها أولىٰ... فقوله: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ أي ثابت علىٰ النصح ـ صفة في النفس لا تنتقل لكم عن النصح إلى الغش، ولا تتبدل خيانة بالأمانة»[(١)].

قلت: وقد يكون للختم علىٰ هذه الصورة في قصة نوح عليه الصلاة والسلام: أن القوم لمّا كانوا موغلين في القدم لم يسمعوا بقوم حلّ بهم العذاب قبلهم، فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه الصلاة والسلام بوحي الله إليه، فلذلك جاءت الفاصلة كذلك. وهذا وجه ذكره في الكشاف وصدرهُ بلفظ (قيل). والله أعلم[(٢)].

الثاني عشر:

أ ـ قال تعالىٰ في ختام قصة صالح ﷺ: ﴿يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

---

(١) درة التنزيل (ص١٥٣).

(٢) الكشاف (٢: ٨٦).

ب ـ وقال سبحانه في قصة شعيب ﷺ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

قلت: لم أجد فيما بين يديّ أحداً عرض لختام القصتين سوىٰ الشيخ رشيد في المنار، ولكنه أجاب جواباً ضعيفاً، فقال: «وقد اتحد إعذار الرسولين، لاتحاد حال القومين وعذابهما. ولكن تتمة الآية الأولىٰ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وتتمة الثانية ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ لا يبعد عندي أن يكونا قد قالا هذا وذاك، فعبّر عنهما بأسلوب الاحتباك»[1].

ويمكن أن يقال: إن صالحاً عليه السلام نصح قومه فلم يقبلوا نصيحته، أما شعيب عليه السلام فقد لاقى أكثر مما لاقى صالح ففي الحديث عن شعيب حوار طويل غير الذي في قصة صالح ولذلك ختمت الآية بما ختمت به، وقوم شعيب عليه السلام كانوا ضالين ومنحرفين عقدياً ومسلكياً: الشرك، التطفيف في الميزان وغير ذلك. انتهى أفدناه من شيخنا.

الثالث عشر:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

ب ـ وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ج ـ وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ

---

(١) المنار (٩: ١٣) والاحتباك هو أن يحذف من الأول ما جاء نظيره أو مقابله في الآخر، ويحذف من الآخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأول. يراجع الاتقان (٢: ٦١).

عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٣٧].

د ـ وقال سبحانه في شأن المنافقين: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٨٠].

فاختلفت فواصل هذه الآيات كما هو ظاهر لاختلاف المتحدَّث عنه. أمّا لماذا عبر عن كل فريق بما عبر عنه في الآيات؟ فذاك هو المبحوث عنه:

فأمّا **الموضع الأول**: فقال فيه صاحب درة التنزيل: «إن المراد بالظالمين في هذه الآية هم مشركو العرب الذين قاموا بسقاية الحاج وأنفقوا علىٰ المسجد الحرام رجاء الثواب مع المقام علىٰ الكفر والعصيان، فهم لأنفسهم بالكفر ظالمون، وبعملهم الذي يؤملون الانتفاع به مع التصميم علىٰ الكفر واضعون الشيءَ في غير موضعه، فلمّا فعل المشركون ذلك، وكان كل مشرك ظالماً، وكل من وضع شيئاً غير موضعه ظالماً ـ وإنّما يكون غير ظالم إذا أنفق في حال الإسلام علىٰ المسلمين من الحجاج دون الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً وتصدية ـ عبر عنهم بالظالمين، لانطواء هذه الصفة علىٰ الكفر، وعلىٰ المعنىٰ الزائد بتضييع المال في حال الشرك».

وأمّا **الموضع الثاني**: فقال فيه أيضاً: «إنه التحذير لمن قال فيهم من المسلمين ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ...﴾ فعرفهم أن من آثر مراعاة هذه الأبواب التي عدها علىٰ طاعة الله التي أوجبها، من الجهاد في سبيله، فليتربص نازلَ عقاب الله به، وأنه بفعله ذلك من جملة الفاسقين ـ والفاسق هو الخارج ـ وأن حكمه حكمهم والله لا يهديهم إلىٰ ما أعده للمؤمنين من الثواب لتعرضهم بمخالفة أمر الله للعقاب، فكان ذكر الفاسقين أليق بهذا المكان».

وأمّا **الموضع الثالث**: فقال فيه أيضاً: «إنه بعد قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ وهو ما كان بعض العرب يأتيه من تحليل بعض الأشهر الحرم وتحريم بدله

من الشهر الذي ليس بمحرم ليوفي عدة الأربعة فيكون في ذلك تحريمُ ما أحله الله وتحليل ما حرمه، فأخبر سبحانه أن ذلك زيادة في كفرهم، ثم عقبه بوصفهم بأنهم لا يهديهم، فكان أحق الأوصاف في هذا المكان لفظة (الكافرين) التي اقتضاها المعنىٰ والذكر المتقدم في مكانين من الآية)». انتهىٰ[(١)].

وأمّا **الموضع الرابع**: فهو إخبار عن المنافقين، وقد وصفهم الله سبحانه قبلها بأنهم يتظاهرون بالإسلام، ثم إنهم خرجوا عنه بشنيع كفرهم، وقبيح مرتكباتهم، ووصفهم تعالىٰ بأنهم ﴿يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ثم عقبه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فلخروجهم ومفارقتهم ما قد كانوا تظاهروا به من الإسلام، وصفوا بالفسق الذي هو الخروج والمفارقة، من قولهم: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها[(٢)].

وقد لخص شيخنا هذا بما حاصلُه: إن الآية التي ختمت بلفظ الكفر كانت تتحدث عن قضية عقدية واضحة، فلذلك كان هذا الختام مناسباً، وأما الآية التي ختمت بـ(الظالمين) ففيها موازنة بين مَن يجعل سقاية الحاج... إلخ، كالإيمان بالله تعالى، وهؤلاء كانوا حكاماً يصدرون أحكاماً، فهم قد حكموا ولم يعدلوا فهم ظالمون. وأما الآيتان اللتان ختمتا بـ(الفاسقين) فالختام واحد: فالأولى لمن آثر دنياه على ما عند الله تعالى، والثانية في المنافقين الذين ادعوا الإيمان وعرفوا شيئاً من مقدماته، وعرفوا نتائجه، ولكنهم آثروا دنياهم على ما عند الله. فكلتا الآيتين تتحدث عن موضوع واحد وهو إيثار الدنيا على الآخرة.

الرابع عشر:

أ ـ قال سبحانه في قصة صالح ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

---

(١) درة التنزيل (ص١٩٣-١٩٤)، وملاك التأويل (١: ٥٨٥-٥٨٧)، والفاصلة القرآنية (ص١٤١).

(٢) ملاك التأويل (١: ٥٨٧).

ب ـ وقال سبحانه في قصة شعيب ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود: ٩٠].

فاختلفت الفاصلة في قول كلا النبيين عليهما الصلاة والسلام.

فقال الكرماني: إن هذا الاختلاف إنّما هو لمراعاة الفواصل(١). وقريب من هذا ما ذهب إليه صاحب المنار حيث ذكر أن هذا من قبيل التفنن في بيان المعنىٰ الواحد(٢).

وقال الأستاذ فضل عباس: (إن في هذه الجملة وعداً ووعيداً؛ لأنهم إن فعلوا ما أمرهم به تكون الآية من قبيل الوعد، وإن أعرضوا فهي من قبيل الوعيد. فهو سبحانه قريب من صالح مجيب دعوته)(٣).

وأمّا الموضع الثاني: فليس فيه ما ذكر في الموضع الأول، وجملته تعليل للأمر باستغفاره سبحانه والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا(٤).

ويمكن أن يقال: إن صالحاً عليه السلام لم يعان مما عانى منه شعيب عليه السلام، وقضيته مع قومه انحراف عقدي، ولذلك قال لهم: إن ربي قريب مجيب لو حصلت إنابة واستغفار، وأما شعيب فقومه كانوا يكرهون الناس ويصدون عن السبيل ولذلك فهم محتاجون رحمةً وَوُدّاً. انتهى. أفدناه من شيخنا.

الخامس عشر:

أ ـ قال تعالىٰ في قصة هود ﷺ: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدٗا لِّعَادٖ قَوْمِ هُودٖ﴾ [هود: ٦٠].

---

(١) أسرار التكرار (ص ١٠٨).

(٢) المنار (١٢: ١٢).

(٣) القصص القرآني (ص١١٩).

(٤) المنار (١٢: ١٢١)، التحرير والتنوير (١٢: ١٤٧).

ب ـ وقال سبحانه في شأن فرعون وملئه: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩].

والرفد المرفود: إما أن يراد به العون المعان أو العطاء المعطىٰ[١] وهو اللعنة في الدارين، والمراد بئس العطاء المعطى. أو التبع المتبوع[٢]. فأمّا الآية التي حكت حال فرعون وملئه فغايتها والله أعلم التشنيع بفرعون؛ وذلك لأنه كان موصوفاً بعظم الحال وكثرة الجنود والأموال، وضخامة المملكة[٣]. بل هو الوحيد الذي قال ـ والعياذ بالله ـ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وإنّما ذُكر علىٰ هذا النمط؛ لأنه في الأصل سبب لغواية قومه، إذ إنه وعدهم بما يظنونه خيراً فكان مآلهم ما شنع الله به عليه وعليهم، وسيق النظم الكريم علىٰ هذا التركيب ليعتبر به كل من يتخذ ولياً من دون الله.

وأمّا قصة عاد فليس فيها مثل ما في قصة فرعون، وإنّما ذكرت الفاصلة بقوله: ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ للتشنيع بهم وبيان الغرابة من هؤلاء الذين كان هود الرفيقَ الرحيمَ بهم، وهو مع رفقه ورحمته صار له من قومه ما صار. بخلاف فرعون الذي يقتدي به كل الفراعنة من بعده.

ويمكن أن يقال في مزيد من التوضيح: لأن ما ذكر فيها يخصّ فرعون وملأه وكيف أن القوم أظهروا له من الحب بمقدار ما أظهر لهم من المعونة، وهذا الحال يتناسب مع الرفد؛ لأن فيه معونة، والله تعالىٰ أعلم.

السادس عشر:

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ

(١) القصص القرآني (ص ٢٥٩).

(٢) نظم الدرر (٩: ٣٧٠).

(٣) السابق، نفس المكان.

وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٣-٤].

فقال في الأولىٰ: (يتفكرون) وفي الثانية: (يعقلون).

قال صاحب الدرة: (إن التفكر هو المؤدي إلى معرفة الشيء، والعلم بالآيات التي تدل علىٰ توحيد الله تعالىٰ وهو قبل، فإذا استعمل علىٰ وجهه عقل ما جعلت هذه الأشياء أمارة له ودلالة عليه. فبدأ في الأول بما يحتاج إليه أولاً من التفكر والتدبر المفضيين بصاحبهما إلى إدراك المطلوب، وخص الآخر بما يستقر عليه آخر التفكر من إدراك سكون النفس إلىٰ عرفان ما دلت عليه الآيات)(١).

قلت: وهو يريد أن الفكر دليل علىٰ العقل ومؤدٍّ إليه، كما قال الكرماني(٢).

وقال أبو جعفر ابن الزبير: (إن معتبرات الآية الأولىٰ أوضح للاعتبار، ومعتبرات الثانية أغمض... ومعتبرات الأولىٰ يتوصل بالفكر إلى الحصول علىٰ الاعتبار بها وتعقلها، وعجيب الحكمة فيها، وغموض ما في الثانية بادٍ، ولا يتوصل إلى بعض ذلك إلاّ بعد طول الاعتبار والتأييد من الله سبحانه، فلمّا كان العقل أشرف وأعلىٰ منزلة ناسبه أن يتبع به ما هو أغمض وأخفىٰ، وناسب الفكر ما هو أظهر وأجلىٰ)(٣).

قلت: وهذا الكلام آيل في النهاية إلى ما ذهب إليه صاحب الدرة.

وقد نقل الدكتور عبد الفتاح لاشين عن الجواهر ما حاصله: (أن الآية الأولىٰ لما كان فيها من العجائب المثيرة للتأمل في هذا الكون والداعية إلى التفكير في القدرة المبدعة، إلاّ أن الألفة لهذه الظواهر الكونية، وكثرة تكرار هذه المشاهد الحسية مما يهون وقعها علىٰ

---

(١) درة التنزيل (ص٢٤٩).

(٢) أسرار التكرار (ص١١٤).

(٣) ملاك التأويل (٢: ٦٩٨-٦٩٩).

الحس، فختمت بما يدعو للتفكر فحسب، ولمّا كان في الثانية ما يثير العقول وينبه الأفهام ختمت بما يناسب ذلك)[١].

وأشار الإمام الرازي إلى كلية من كليات القرآن في هذا المحل فقال: «اعلم أنه تعالىٰ حيث يذكر الدلائل الموجودة في العلم السفلي يذكر عقبها ﴿فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أو ما يقرب منه بحسب المعنىٰ»[٢].

السابع عشر:

قال تعالىٰ: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١١-١٣].

فهذه ثلاث آيات اختلفت فواصلها كما هو بين:

والجواب عن هذا الاختلاف: «أن التفكر: إعمال النظر لتطلب فائدة، وهذه المخلوقات التي تنجم من الأرض إذا فُكر فيها عُلم أن معظمها ليس إلاّ للأكل، وأن الأكل به قوام ذي الروح، وأن المنعَم عليه يحتاج أن يعرف المنعِم به ليقصده بشكر إحسانه. فهذا موضع تفكر بُعث الناس عليه ليفضي بهم إلى المطلوب. وأمّا تعقيب ذكر الليل والنهار، وما سخر في الهواء من الأنواء بقوله: ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فلأن متدبر ذلك أعلىٰ رتبة من متدبر ما تقدم، إذ كانت المنافع المجعولة فيها أخفىٰ وأغمض، فمن استدرك الآيات فيها استحق الوصف بما هو أعلىٰ من رتبة المتفكر المتدبر؛ لأنه المنزلة الثانية التي تؤدي إليها الفكرة، وهو أن يعقل مطلوبه منها ويدرك فائدته منها. وأمّا الآية الثالثة المختومة بقوله:

---

(١) الفاصلة القرآنية (ص٨٣-٨٥) بتصرّف.

(٢) التفسير الكبير (١٩: ٦).

﴿لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ فجاءت علىٰ هذه الصيغة؛ لأنه تعالىٰ لما نبه في الأوليين علىٰ إثبات الصانع، نبه في الثالثة علىٰ أنه لا شبه له مما صنع؛ لأن من رأى المخلوقات أصنافاً مزدوجة، مؤتلفة أو مختلفة، نفىٰ عنها صفاتها وعلم أن خالقها يخالفها لا يشبهها ولا تشبهه... فيعلم بعد العلم مما تقدم أنه لا صاحبة له ولا ولد، ولا شبه له فيما أنشأ وبرأ، إذا تذكر حاله فيما اتفق فيه واختلف»[١].

وقال في الكشاف عند الآية الثانية: (وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة علىٰ القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة)[٢].

وكلام الكشاف متعلق بدلالة المذكورات أنفسها وليس متعلقاً بذواتها من حيث الظهورُ والخفاء. وقد ذكر الآلوسي كلاماً معاكساً لما ذكر هنا أولاً، فقال عند الآية الأولىٰ: (وحيث كان الاستدلال بما ذكر علىٰ أمر خفي محتاجاً إلى التفكر والتدبر لمن له نظر سديد، ختم الآية بالتفكر)[٣]. وقال عند الآية الثانية: (وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة، ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة علىٰ الوحدانية أظهر جميع الآيات، علقت بمجرد العقل من غير تأمل وتفكر، كأنها لمزيد ظهورها مدرَكة ببداهة العقل، بخلاف الآثار السفلية في ذلك)[٤].

قلت: وهو رحمه الله في هذا يتابع أبا السعود العمادي في تفسيره هذه الآيات[٥].

---

(١) درة التنزيل (ص٢٥٨-٢٥٩)، وملاك التأويل (٢: ٧٣٣)، وأسرار التكرار (ص١٢٠)، والبرهان (١: ٨٤)، والفاصلة القرآنية (ص٨١)، وحاشية الخفاجي علىٰ تفسير البيضاوي (٥: ٣١٦-٣١٧)، والتحرير والتنوير (١٤: ١١٨)، وفيه نسبة الدرة للرازي!

(٢) (٢: ٤٠٤).

(٣) روح المعاني (١٤: ١٠٨).

(٤) السابق (١٤: ١١٠).

(٥) إرشاد العقل السليم (٥: ١٠٠-١٠٣).

ويمكن أن يقال: إن التفكر أخص من التعقل، فلما كان الحديث عن أنواع الأشجار والثمار ناسبه التفكر. وأما قضية التسخير فقضية معقدة وهي تحتاج إلى عقل كبير لفهمها فناسب هذا الختام هذا الموضع، وأما اختلاف الألوان والأصناف فأمره ظاهر ولا يحتاج إلا إلى مجرد تذكر.

الثامن عشر:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥].

ب ـ وقال سبحانه: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

ج ـ وقال سبحانه عن النحل: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

فهذه ثلاث آيات، بثلاث فواصل مختلفة. وفي تعليل هذا الاختلاف يقول ابن عطية في الموضع الأول: «لما أمره بتبيين ما اختلف فيه قصَّ العبر المؤدية إلى تبيين أمر الربوبية، فبدأ بنعمة المطر التي هي أبين العبر، وهي ملاك الحياة، وهي في غاية الظهور لا يخالف فيها عاقل، وحياة الأرض وموتها استعارة وتشبيه بالحيوان، فإذا هي هامدة غبراء غير منبتة فهي كالميت، وإذا هي منبتة مخضرة مهتزة رابية فهي كالحي، وقوله: ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ يدل علىٰ ظهور هذا المعتبر فيه وبيانه؛ لأنه لا يحتاج إلى تفكر ولا نظر قلب، وإنّما يحتاج المنبه إلى أن يسمع القول فقط»[1].

وقال أبو حيان في تعليل الفاصلة الأولىٰ أيضاً: «لما ذكر إنزال الكتاب للتبيين، كان

---

(١) المحرر الوجيز (١٠: ٢٠٤). وانظر كذلك التحرير والتنوير (١٤: ١٩٨)، والدرر (١١: ١٩٢).

القرآن حياة الأرواح وشفاء لما في الصدور من علل العقائد، ولذلك ختم بقوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤] أي: يصدقون، والتصديق محله القلب، فكذا إنزال المطر الذي هو حياة الأجسام وسبب بقائها. ثم أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فكما تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتاً بالجهل، وكذلك ختم بقوله: ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ هذا التشبيه المشار إليه والمعنىٰ سماع إنصاف وتدبر، ولملاحظة هذا المعنىٰ والله أعلم لم يختم بـ(يبصرون) وإن كان إنزال المطر مما يبصَرُ ويشاهد»[1].

وقال الخفاجي في شأن هذه الفاصلة: «قال خاتمة المفسرين[2]: أراد بالسمع: القبول، كما في سمع الله لمن حمده، أي: لقوم يتأملون فيها ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها... وبها قررناه يندفع وجه العدول عن (يبصرون) إلى (يسمعون). قلت ـ الخفاجي ـ: ما ذكره الشيخان[3] هو اللائق بالمقام، وبيانه أنه تعالىٰ لما ذكر أنه أرسل إلى الأمم السالفة رسلاً وكتباً فكفروا بها، فكان لهم خزي في الدنيا والآخرة، عقبه بأنه أرسله ﷺ بسيد الكتب، فكان عين الهدىٰ والرحمة لمن أرسل له، إشارة[4] إلى مخالفة أمته لمن قبلهم لقربهم من سعادة الدارين، وتبشيراً له ﷺ بكثرة متابعيه وقلة مناوئيه، وأنهم سيدخلون في دينه أفواجاً أفواجاً. ثم أتبع ذلك علىٰ طريق التمثيل لإنزاله تلك الرحمة التي أحيت من موتة الضلال إنزال الأمطار التي أحيت موات الأراضي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨]، ولولا هذا لكان قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ كالأجنبي عما قبله وبعده، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ تتميم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا...﴾ والمقصود

---

(١) البحر المحيط (٥: ٥٠٧).

(٢) في روح المعاني أنه المولىٰ ابن الكمال (١٤: ١٧٥).

(٣) لعله يريد الزمخشري والبيضاوي أو الرازي والبيضاوي، لأنهم اقتصروا علىٰ قولهم: (سماع تدبر وإنصاف).

(٤) قال الآلوسي: في هذا خفاء كما لا يخفى (١٤: ١٧٥).

بالذات منه فالمناسب ﴿يَسْمَعُونَ﴾ لا يبصرون، ولو كان تتميماً لما لاصقه من الإنبات لم يكن ليسمعون بمعنىٰ يقبلون مناسبة أيضاً، ومن لم يقف علىٰ محط نظرهم قال في جوابه، يمكن أن يحمل علىٰ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ قول الله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾... إلخ، فإنه مذكر وحامل علىٰ تأمل مدلوله، فتدبر». انتهىٰ[١].

قلت: وقد علق الآلوسي علىٰ قولي أبي حيان والخفاجي بأن فيهما تكلفاً ـ وهو كما قال ـ ورجح قول ابن عطية دون أن يشير إليه[٢].

وقال صاحب درة التنزيل: «إنما ذكر (يسمعون) في الأولىٰ توبيخاً لمن أنكر البعث واستبعد الحياة الثانية، فكأنه قيل له: إن ذلك قبل التدبر مقرر في أول العقل، حتىٰ إن من يسمعه يعترف به، وهو أن الأرض الميتة يسقيها الله بماء السماء فتعود حية بنباتها، فلذلك لا يستنكر أن يحيي الخليقة بعد موتها»[٣].

قلت: وجمع أبو جعفر ابن الزبير رأيي صاحب الدرة وابن عطية[٤]. والذي يظهر للباحث أن أحسن الأجوبة جواب صاحب الدرة.

وأمّا الموضعان الآخران فقال فيهما صاحب الدرة: «وأمّا اختصاص الثانية بقوله: (يعقلون) فلأنه قال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]. وقد علمنا أن الفرث لا ينعصر منه ما يسوغ لشارب، وأن الدم أحمر فيحول بقدرة الله لبناً أبيضَ طيباً بعد بُعْدِهِ مما استحال عنه في اللون والطيب، ففيه عبرة لمن اعتبر، ولمّا قرن إليه ثمرات النخيل والأعناب وما يتحول من عصيرهما إلى ما يستلذ، ويجلب ما

---

(١) ملاك التأويل (١:٤٨١-٤٨٢) بتصرّف.

(٢) روح المعاني (١٤: ١٧٥).

(٣) درة التنزيل (ص ٢٦٧)، وانظر: الفاصلة القرآنية (ص٧٩).

(٤) ملاك التأويل (٢: ٧٤٧).

يسر سوىٰ طيب رطبها ويابسها، احتاج ذلك إلى تدبر يعقل به صنع صانع لا يقدر غيره عليه، فلذلك قال في الثانية: (يعقلون). وأمّا اختصاص الثالثة بقوله: (يتفكرون) فلأن التفكر: استعمال الفكر حالاً بعد حال، وفي النحل عجائب من صنع الله تتبع كلُّ أعجوبة أعجوبة، من طاعتها لرئيسها ثم أشكال ما تبني من بيوتها التي لو حاول الإنسان مثلها بأمثلة يحتذيها، وتقديرات يقدمها لتعذر عليه، ثم إنها تجني من أزاهير النبات والأشجار ما هداها إليه إلهام الله وأرشدها إليه، ثم تقلس ما يجتمع في جوفها عسلاً، فهذه أشياء تقتضي فكراً بعد فكر، ونظراً بعد نظر، فلذلك عقبت بقوله: (يتفكرون)»[١].

وقال أبو حيان في البحر في شأن الآية الثانية: «ولمّا كان مفتتح الكلام: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ ناسب الختم بقوله: (يعقلون) لأنه لا يعتبر إلاّ ذوو العقول)[٢]. وزاد الآلوسي قوله: (إذا كان في الآية إشارة إلى الحظِّ من أمر السكر، ففي الختم المذكور تقوية لذلك، وله في النفوس موقع، وأي موقع، حيث إن العقار كما قيل: للعقول عقال»[٣].

قلت: يريد الآلوسي أن صاحب العقل من يعقل ضرر السكر فيجتنبه؛ لأنه يضيع عقله، وهو كلام حسن.

التاسع عشر:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٨].

ب ـ وقال سبحانه بعدها: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء: ٦٩].

---

(١) درة التنزيل (ص٢٦٧-٢٦٨).

(٢) البحر المحيط (٥: ٥١١)، وانظر (٥: ٥١٣) عن الآية ا لأخيرة ففيه ما هو قريب مما عند صاحب الدرة، وانظر كذلك التحرير والتنوير (١٤: ٢٠٤)، (١٤: ٢١٠)، ففيه كما في الدرة.

(٣) روح المعاني (١٤: ١٨١).

فهاتان آيتان اختلفت فواصلهما.

والجواب عن هذا الاختلاف كما في الدرة: «أن الأولىٰ بعد قوله: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ وهو خطاب لمن ينجيهم من ضر البحر، ويسلمهم إلى البر فيعرضون عن ذكر ما كانوا فيه من المخافة عند الأمن، ويكفرون ما أنعم به عليهم من النجاة، فقال: الذي خفتموه من عذاب الله في البحر لا تأمنونه في البر؛ لأن الغرق الذي خفتموه هناك بإزائه الخسف وإرسال الرياح الحاملة للحصباء، فلا يعجزه الآن ما أمكنه إذ ذاك، ثم لا تجدوا من يقوم مقامكم ويعصمكم مما يريد إنزاله بكم، وهذا أول ما يطلبه من أشرف علىٰ هلكة لينقله إلى نجاة.

وأمّا قوله: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني في البحر ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ ثم لا تجدوا من يتبعنا ـ إذا أهلكناكم ـ بمطالبة بدمائكم، أو بإنكار ما أنزلناه بكم، فالذي يلجأ إليه إذا لم يغنِ الوكيل في دفع الضرر ووقوع الهلكة من يتبع ذلك بإنكار وانتصار، وهذا أيضاً مما لا تجدونه»[1].

قلت: وهو جواب حسن جداً.

العشرون:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٥].

ب ـ وقال سبحانه: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٦].

وهاتان أيضاً آيتان اختلفت فواصلهما:

---

(١) درة التنزيل ص٢٧٥، وانظر: ملاك التأويل (٢: ٧٧١)، والفاصلة القرآنية (ص٦٦).

والجواب عن هذا الاختلاف كما يقول صاحب الدرة: «وأمّا قوله للنبي ﷺ: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: لأنزلنا بك عند قليل الركون إلى الكفار ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، ثم لا تجد لك عزاً تمتنع به مما نريد إحلاله بك، وهذا هو النصير، وكذلك قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: لأنسيناكه ولمحونا من القلوب والكتب ذكره، ثم لا تجد من يتوكل لك برد شيء منه إليك، لكني دبرتك بالرحمة لك فأوليتك من النعم والألطاف ما ثبتَّ به علىٰ الإيمان وسلمت به من الركون إلى ما دعاك إليه أهل الشرك»[1].

وقال ابن عاشور ملخصاً الفرق بين الموضعين: «وذكر هنا (وكيلاً) وفي الآية قبلها (نصيراً) لأن معنىٰ هذه علىٰ فرض سلب نعمة الاصطفاء، فالمطالبة بإرجاع النعمة شفاعة ووكالة عنه.

وأمّا الآية قبلها فهي في فرض إلحاق عقوبة به، فمدافعة تلك العقوبة أو الثأر بها نصر»[2] وهو أوضح من سابقه.

الحادي والعشرون:

أ ـ قال تعالىٰ حكايةً عن موسى ﷺ لما خرق الخضر عليه السلام السفينة: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١].

ب ـ وقال حكايةً عنه لما قتل الخضرُ الغلام: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

فاختلفت الفاصلتان من قوله في الحكاية عن الحدثين اللذين مرّا به.

قال الزمخشري في الجواب عن الفرق بين الموضعين: (قيل: النكر أقل من الإمر؛

(١) الدرة (ص٢٧٥)، وملاك التأويل (٢: ٧٧١)، والفاصلة القرآنية (ص٦٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٥: ٢٠١).

لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة، وقيل معناه جئت شيئاً أنكر من الأول؛ لأن ذلك الخرق كان يمكن تداركه بالسد، وقتل الغلام مما لا يمكن تداركه)[(١)].

وقال ابن عطية في هذا الشأن: «وعندي أنهما لمعنيين. قوله: (إمراً) أفظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم، و(نكراً) أبين في الفساد؛ لأن مكروهه قد وقع»[(٢)].

وقال صاحب الدرة: «قيل: الإمر هو الداهية، وقيل: هو العجب، والنكر: ما تنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوزه، وروي عن قتادة أنه قال: (النكر أعظم من الإمر؛ لأن الإمر إن حمل على الداهية فهي التي تدهي الإنسان مما لم يخشه فيحترز من وقوعه). والعجب قد يكون غير منكر، والنكر لا يستعمل إلاّ في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل أو الدين. فاختص الأول بالإمر؛ لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلك. وقيل: الإمر أعظم من النكر؛ لأن تغريق عدد من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة، وليس كذلك؛ لأن الغرق لم يقع، والقتل قد حصل»[(٣)].

قلت: وهذه إجابات حسنة ولا مدافعة بينها، والأرجح لدى الباحث ما ذهب إليه ابن عطية رحمه الله. وقد بان بمثل هذا المثال دقة اختيار القرآن الكريم لكلماته.

الثاني والعشرون:

أ ـ قال تعالى في قصة يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

---

(١) انظر: الكشاف (٢: ٤٩٣-٤٩٤)، والتفسير الكبير (٢١: ١٥٦)، والبحر المحيط (٦: ١٥٠١٥١)، ونظم الدرر (١٢: ١١٣)، وحاشية الخفاجي (٦: ١٢٤)، وانظر: القصص الهادف في سورة الكهف (ص٢٠٩)، وأسرار التكرار (ص١٣٤)، والتحرير والتنوير (١٥: ٣٧٨)، وفتح الرحمن (ص٤٣٦).

(٢) المحرر الوجيز (١٠: ٤٣٠).

(٣) درة التنزيل (ص٢٨٤)، وملاك التأويل (٢: ٧٨٨).

ب ـ وقال سبحانه في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

وفي الجواب عن هذا الاختلاف الواقع في هاتين القصتين يقول الكرماني: «لأن الأول في حق يحيى عليه السلام، وجاء في الخبر عن النبي ﷺ: «ما من أحد من بني آدم إلا أذنب أو همَّ بذنب، إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام» فنفى عنه العصيان، والثاني: في حق عيسى عليه السلام فنفى عنه الشقاوة وأثبت له السعادة»[1].

وذكر أبو جعفر ابن الزبير في الأول ما هو قريب مما عند الكرماني. وقال في الموضع الثاني: «إنه ملحوظ فيه ما جرى لاتباعه عليه السلام، وما وقعوا فيه من العظيمة حين قالوا: هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فاستحقوا الوصف بالشقاء بمقالهم، والشقي مستحق العذاب الأخروي، فلما لحظ في قصة عيسى عليه السلام عصمته من الرضا بما وقع فيه أتباعه ناسب ذلك نفي صفة الضالين ممن توهم أنه ممن اتبعه ليتبرأ عليه السلام من حالهم كما يتبرأ حين يقول في الآخرة: ﴿قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧][2].

قلت: ويلوح للباحث ـ والله أعلم بأسرار كتابه ـ أن استعمال القرآن لكلمة (عصيّاً) في حق يحيى عليه السلام ملحوظ فيه بلوغ والديه من الكبر عتيّاً، فهذا يلائمه أن يكون الغلام المُهدَى إليهما من الله تعالى طائعاً لا عاصياً، إذ كانا قد انتظراه هذه المدة الطويلة ثم أنعم الله به عليهما. وفيه إشارة إلى رأفة يحيى عليه السلام العظيمة بوالديه في هذه السن.

وأما استعمال (شقيّاً) في حق عيسى عليه السلام، ونفيها عنه، فملحوظ فيه ـ والله

---

(١) أسرار التكرار ص١٣٥. والحديث رواه ابن جرير الطبري عن عمرو بن العاص (١٦: ٤٤)، ورواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس (١: ٢٩٢). والحديث ضعيف كما في حواشي المسند (٤: ١٤٥).

(٢) ملاك التأويل (٢: ٧٩٤-٧٩٥).

أعلم حال أمه ـ إذ الشقاوة خلاف السعادة ـ ومريم عليها السلام قد تعرضت لهزة عنيفة بهذا المولود، فما أراد الله الكريم أن يجمع عليها عداوة قومها وشقاءها بولدها. ولله أمر هذا القرآن العظيم.

الثالث والعشرون:

أ ـ قال تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

ب ـ وقال سبحانه: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥].

ففي هاتين الآيتين فُرّع من الأولى الكافرون، ومن الثانية الظالمون، ورُتب لكلٍّ جزاؤه ولكنه جاء مختلفاً كما هو واضح.

والذي يتحصل مما في كتابي الدرة وملاك التأويل، في الجواب عن اختلاف الجزاءين لكلا المفرعين: «أن الكفر أعظم من الظلم، فناسبه في الآية الأولى بيان عظيم العقاب. ولما ذكر الظلم وهو أخف ناسب وصف العذاب بالإيلام، لاسيما والقوم عشوا عن ذكر الرحمن تطلباً لراحة نفوسهم، فاستحقوا أن ينالوا نقيض قصدهم وهو العذاب المؤلم والعياذ بالله»(١). ويضاف إلى هذا أن في الظلم إيلاماً للمظلوم فناسبه في الجزاء في الآخرة أن ينالَ الظالمين عذاب أليم، ولما ذكر الكفر، والكفر ستر، ناسبه افتضاح أمر هؤلاء في مرأى من العالمين، في يوم القيامة الذي لا أعظم منه.

الرابع والعشرون:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۞ أَلَمْ

---

(١) درة التنزيل ص٢٨٩-٢٩٠، وملاك التأويل (٢: ٧٩٦).

تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٣-٦٥].

قال الزركشي في تعليل اختلاف هذه الفواصل: «إنما فصل الأولى بـ«لطيف خبير» لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض، ولأنه خبير بنفعهم. وفصل الثانية بـ«غني حميد» لأنه قال: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا لحاجة، بل هو غني عنهما، جواد بهما؛ لأنه ليس غني نافعاً غناه إلا إذا جاد به، وإذا جاد وأنعم، حمِدَه المنعم عليه، واستحق عليه الحمد، فذكر ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ على أنه الغني النافع بغناه خلقَه. وفصل الثالثة بـ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم وإجراء الفلك في البحر لهم، وتسييرهم في ذلك الهول العظيم، وجعلِهِ السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع، حسن ختامه بالرأفة والرحمة»[١].

الخامس والعشرون:

أ- قال تعالى في بيان هلاك بعض الأمم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١].

ب- وقال سبحانه في شأن أمم أخرى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

فهاتان آيتان اختلفت فواصلهما.

والجواب عن هذا الاختلاف: «أن الآية الأولى في قوم مخصوصين، وهم قوم صالح، بدليل ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، فلما كانوا معروفين ذكرهم بالمعرفة، وخص الظلم؛ لأنه شيء عاملوا به غيرهم وعاملوا به أنفسهم، لتكذيبهم الرسل وظلمهم لهم بنسبتهم إلى ما هم منزهون عنه، ثم هم ظالمون لأنفسهم، إذ منعوها ما عُرِّضوا له من نعيم الأبد

---

(١) البرهان (١: ٨١)، وانظر الفاصلة القرآنية ص٨٥-٨٦.

والثواب السرمدي. أما الآية الثانية فهي في أقوام غير معلومين، والمراد بهم غيرُ بَيِّن بأعيانهم، فلما كان ذلك وكانوا مكذبين، والتكذيب إنما كان وليد الكفر وعدم الإيمان، ناسب نعتهم بوصف يلم شملهم فيه فقال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[١].

السادس والعشرون:

قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٦]. فهذه آيات عدة وقع فيها التساؤل، ولكن أجوبة المسؤولين أعقبت بما هو مختلف.

قال ابن عطية: «هذه الآيات للتقريع والتوبيخ، جعل التوبيخ مدرجاً بحسب وضوح الحجة شيئاً شيئاً. فوقف على الأرض ومن فيها وجعل بإزاء ذلك التذكير، ثم وقف على السموات السبع والعرش، وجعل بإزاء ذلك التقوى، وهي أبلغ من التذكر، وهذا بحسب وضوح الحجة. وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وعيد. ثم وقف على ملكوت كل شيء، وفي الإقرار بهذا التزام كل ما تقع به الغلبة في الاحتجاج، فوقع التوبيخ بعد في غاية البلاغة بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾»[٢]. انتهى. ونقل أبو حيان هذا الكلام بعبارات مختلفة[٣].

وقال صاحب الدرة: «إن الآيات هذه جاءت عقب الإخبار عن بعض الكفار بأنهم أنكروا البعث، وأمر النبي ﷺ أن يسألهم هذه الأسئلة؛ لأنهم يقرون بأنها كلها لله، وإذا أقروا أمر النبي ﷺ أن يقول لهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إذا قلنا لكم: إنه ينشىء نشأة ثانية ما

---

(١) درة التنزيل ص٣١٦-٣١٧، وملاك التأويل (٢: ٨٧٨-٨٧٩)، وأسرار التكرار ص١٤٩.
(٢) المحرر الوجيز (١١: ٢٤٩).
(٣) البحر المحيط (٦: ٤١٨).

كان من النشأة الأولى كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم: ٢٧]، فخصت بالتذكرة؛ لأنهم إذا أثبتوا الخلق الأول لزمهم الخلق الثاني... وأما الآية الثانية فإنما معناها: مَنِ الذي به قوام السموات السبع والعرش العظيم، ولا يستغنى عنه؟ وهذه الأشياء من أكبر ما يرى من خلق الله تعالى، وما ثبت بالصدق من الخبر عندنا ـ فمن كان مالك السموات والأرض والعرش العظيم، وأقررتم له بذلك: فلم لا تجتنبون معصيته، ولا تتقون عقوبته، إذا كانت هذه الأجرام العظيمة لا تستغني عنه ساعة، فأنتم في ضعفكم أحوج إلى أن يربكم، وأن تقوموا بحق ربوبيته لكم، فتمتنعوا بطاعته من موجب عقابه، فهذه لائقة بمكانها حالّة في موضعها.

وأما الآية الثالثة، وهي ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ فإنها جاءت بعد تقرير ثالث وهو: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾، أي: من الذي ملكه على الأشياء أتم ملك، وهو يمنع ولا يمتنع منه، أي: يمنع من المكروه من شاء، ولا يملك أحد منع من أراده بسوء، وهذا أعظم ملك وأبلغه، فإذا أقروا بذلك فقل لهم: كيف تخدعون عن عقولكم حتى تتخذوا الأوثان والأصنام آلهة وهي لا تسمع ولا تبصر مع القادر العليم الذي أقررتم له بأتم الملك. وبكل الخلق الذي يشهدكم ولا يغيب عنكم، وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ أي: من أين يأتيكم ما يغلب على عقولكم فيخيل الباطل إليها حقاً، والقبيح عندها حسناً؟ أم من علمكم بأن له الملك الأغلب والضر الأغلب، وأنه يمنع ولا يمنع منه، ويحمي من عقابه ولا يُحمى منه، وليس في شيء من ذلك ما يرى الفاسد صحيحاً، والمعوج قوياً، فهذا الذي ختم به الثالثة ناظم معناه بخواتيم ما قبله»(١). انتهى.

وقال ابن عاشور في الموضع الأول: «وخص بالتذكر لما في بعضه من خفاء الدلالة والاحتياج إلى النظر»(٢). وقال في الموضع الثاني: «وخص وعظهم عقب جوابهم بالحث

---

(١) درة التنزيل ص٣١٩-٣٢٠، وانظر ملاك التأويل (٢: ٨٨١-٨٨٣)، والفاصلة القرآنية ص٦٠-٦٢.

(٢) التحرير والتنوير (١٨: ١٠٩).

على تقوى الله؛ لأنه لما تبين من الآية قبلها أنهم لا يسعهم إلا الاعتراف بأن الله مالك الأرض ومن فيها، وعقبت تلك الآية بحضهم على التذكر ليظهر لهم أنهم عباد الله، لا عُبّاد الأصنام، وتبين من هذه الآية أنه رب السموات وهي أعظم من الأرض، وأنهم لا يسعهم إلا الاعتراف بذلك ناسب حثهم على تقواه؛ لأنه يستحق الطاعة له وحده، وأن يطيعوا رسوله، فإن التقوى تتضمن طاعة ما جاء به الرسول ﷺ»[١].

السابع والعشرون:

أ ـ قال الله تعالى في آية الملاعنة بين الأزواج: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

ب ـ وقال سبحانه في آية براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

هاتان آيتان أيضاً اختلف التعقيب فيهما، وفي سبب هذا الاختلاف يقول الآلوسي: «وفي اختلاف التعقيب بين الآيتين ما يؤذن بأن الذنب في الثانية أعظم، وكأنه لا يرتفع إلا بمحض رأفته تعالى، وهو أعظم من أن يرتفع بالتوبة، كما روي عن ابن عباس: من خاض في حديث الإفك وتاب لم تقبل توبته. والغرض التغليظ»[٢].

وقال ابن عاشور في الموضع الأول: «ولولا فضل الله عليكم، فدفع عنكم أذى بعضكم لبعض بما شرع من الزواجر، لَتكالَبَ بعضكم على بعض، ولولا رحمة الله بكم، فقدر لكم تخفيفاً مما شرع من الزواجر في حالة الاضطرار والعذر، لما استطاع أحد أن يسكت على ما يرى من مثار الغيرة، فإذا باح بذلك، أخذ بعقاب، وإذا انتصف لنفسه أهلك بعضاً، أو سكت على ما لا على مثله يُغضى، ولولا أن الله تواب حكيم لما رد على

---

(١) التحرير والتنوير (١٨: ١١١)، وانظر التفسير الكبير (٢٣: ١١٧).

(٢) روح المعاني (١٨: ١٢٣).

من تاب فأصلح ما سلبه منه من العدالة وقبول الشهادة. وفي ذكر وصف (الحكيم) هنا مع وصف (تواب) إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمةً وهي استصلاح الناس»[(١)].

وقال في الموضع الثاني: «وقد ذكر في المرة الأولى وصف الله بأنه ﴿تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ للمناسبة المتقدمة، وذكر هنا بأنه ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لأن هذا التنبيه الذي تضمنه التذييل فيه انتشال لأمته من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها، وانفصام عرى وحدتها، فأنقذها من ذلك رأفة ورحمة لآحادها وجماعتها وحفظاً لأواصرها. وذكر وصف الرأفة والرحمة هنا؛ لأنه قد تقدم إنقاذه إياهم من سوء محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، تلك المحبة التي انطوت عليها ضمائر المنافقين، كان إنقاذ المؤمنين من التخلق بها رأفة بهم من العذاب، ورحمة لهم بثواب المثاب»[(٢)].

قلت: والظاهر والله أعلم أنه سبحانه في الموضع الأول بين فضله بإفساح المجال أمام توبة التائبين، وفي الثاني بيّن رأفته بعدم إهلاكهم على ما ارتكبوه في حق زوج نبيهم صلوات الله وسلامه عليه[(٣)].

الثامن والعشرون:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى

---

(١) التحرير والتنوير (١٨: ١٦٨-١٦٩).

(٢) السابق (١٨: ١٨٦).

(٣) انظر درة التنزيل ص٣٢٢، وملاك التأويل (٢: ٨٨٥).

ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [النمل: ٦٠-٦١].

فهذه آيات اختلفت فواصلها كما هو ظاهر.

ولم أجد بين يدي في كتب التفسير من عرج على تبيين سبب هذا الاختلاف إلا ما ذكره أبو حيان والآلوسي. فقال أبو حيان: «لما ذكر إيجاد العالم: العلوي والسفلي، وما امتن به من إنزال المطر وإنبات الحدائق، اقتضى ذلك أن لا يُعبد إلا موجدُ العالم والممتنُّ بما به قوام الحياة، فختم بقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ أي: عن عبادته، أويعدلون به غيره مما هو مخلوق مخترع. ولما ذكر جعْلَ الأرض مستقراً، وتفجير الأنهار، وإرساء الجبال، وكان ذلك تنبيهاً على تعقل ذلك والفكر فيه ختم بقوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ إذ كان فيهم من يعلم ويفكر في ذلك. ولما ذكر إجابة دعاء المضطر وكشف السوء واستخلافهم في الأرض ناسب أن يستحضر الإنسان دائماً هذه المنة، فختم بقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ إشارة إلى توالي النسيان إذا صار في خير، وزال اضطراره وكشف السوء عنه كما قال: ﴿... نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ [الزمر: ٨]. ولما ذكر الهداية في الظلمات وإرسال الرياح بشراً، ومعبوداتهم لا تهدي ولا ترسل، وهم يشركون بها الله، قال: ﴿تَعَٰلَى عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ واعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على سبيل التوكيد والتقرير أنه لا إله إلا هو تعالى»(١).

وأما الآلوسي فقد نقل عن الكشف أن مبنى الآيات على الترقي؛ لأن الكلام في إثبات أنْ لا خيرية في الأصنام مع أن كل خير منه تبارك وتعالى، فأجمل أولاً بذكر اسمه سبحانه الجامع في قوله: ﴿أَءِلَٰهٞ﴾ ثم أخذ في المفصل، فجعل خلق السموات والأرض تمهيداً لإنزال الماء وإنبات الحدائق .....، يدل عليه الالتفات هناك والتأكيد بقوله: ﴿مَّا

(١) البحر المحيط (٧: ٩١).

﴿كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ﴾ كأنه سبحانه يذكر ما فيها من المنافع الكثيرة لوناً، وطعماً، ورائحةً، واسترواحَ ظل. ولما أثبت أنه فعله الخاص أنكر أن يكون له شريك، وجعلهم عادلين عن منهج الصواب أو عادلين به سبحانه من لا يستحق، والأول أظهر. ثم ترقى منه إلى ما هو أكثر لهم خيراً، وأظهر في نفعهم من جعل الأرض قراراً، وما عقبه، فذكر جل وعلا ما لا يتم الإنبات المذكور إلا به، مع منافع يتصاغر لديها منفعة الإنبات، وعقبه بجهلهم المطلق المنتج للعدول المذكور، وأسوأ منه وأسوأ، ثم تابع الترقي فذكر ما هو لصيق بهم دون واسطة من دفع أو نفع، فخص إجابتهم عند الاضطرار، وعم بكشف السوء والمضار، هذا فيما يرجع إلى دفع المحذور، وإقامتهم خلفاء الأرض ينتفعون بها وبما فيها كما أحبوا، وهذا أتم من الأولين وأعم، وأجل موقعاً وأهم، ولهذا فُصل بعدم التذكر وبولغ فيه تلك المبالغات: وأما ذكر الهداية في ظلمات البر والبحر، وذكر إرسال الرياح المبشرة استطراداً لمناسبة حديث الرياح مع الهداية في البحر فمن متممات الخلافة وإجابة المضطر وكشف السوء، ونبه على هذا بأن فصل بقوله: ﴿تَعَـٰلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ثم قال الآلوسي: وفي غرة التنزيل للراغب ما يؤيده، وقد لخصه الطيبي في شرح الكشاف»(١). انتهى. وواضح أن الآلوسي لم يقصر الحديث على فواصل الآيات وإنما ذكر كذلك المناسبة بين الآيات.

قلت: وأما المذكور في غرة التنزيل فهو تطويل في تفسير هذه المواضع ـ على خلاف المألوف في هذا الكتاب ـ ولكن يمكن أن يكون الشرح كما قال الآلوسي مؤيداً لما هنا(٢).

وفي كتاب الكرماني بعد ذكره فواصل هذه الآيات: «أي: عدلوا إلى الذنوب، وأول الذنوب العدل عن الحق، ثم لم يعلموا، ولو علموا ما عدلوا، ثم لم يذّكروا فيعلموا

---

(١) روح المعاني (٢٠: ٨-٩).

(٢) انظر: درة التنزيل ص٣٣٦-٣٣٩، والفاصلة القرآنية ٤٩-٥٤، وقد عزا للكشاف شيئاً لم أجده فيه. وانظر كذلك: ملاك التأويل (٢: ٩٠٠-٩٠٣)، وأحسن الحديث للبوطي ص٢٧٨-٢٨٧.

بالنظر والاستدلال فأشركوا عن غير حجة وبرهان، قل لهم يا محمد: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]»[١].

التاسع والعشرون:

أ ـ قال سبحانه وتعالى في قصة موسى مع شعيب عليهما الصلاة والسلام من حكاية شعيب: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

ب ـ وقال سبحانه في قصة إسماعيل ـ الذبيح ـ عليه الصلاة والسلام من قوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فهاتان أيضاً آيتان حكي فيهما عن نبيين، واختلفت فاصلتا الآيتين في الكلام المحكي عنهما.

فأما الآية الأولى فهي حديث عن وعد شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام بأنه سيكون معه في تعامله بأخلاق الصالحين ليرسل من خلال هذا الكلام رسالة في بيان ماهية أخلاق الصالحين. وأما الآية الثانية فهي حديث عن إسماعيل عليه السلام لما أن أراد أبوه إبراهيم ﷺ أن يذبحه، تحقيقاً لأمر الله عز وجل الذي رآه في المنام، ولا شك أن الذبح بلاء عظيم، وما كان من إسماعيل ﷺ وهو نبي ابن نبي إلا أن يصبر ويعلن صبره أمام والده، فلذلك قال في هذه الفاصلة ما قال[٢].

الثلاثون:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

---

(١) أسرار التكرار ص١٥٨.

(٢) درة التنزيل ص٣٦٦، وانظر فتح الرحمن ص٤٣٠.

وهاتان أيضاً فاصلتان مختلفتان، ففي الأولى قال عقب الضياء: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وفي الثانية قال عقب الليل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

قال صاحب الدرة جواباً عن ذلك: «قوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾. أي: أفلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع، ليستدرك منه قصد القائل ويحيط بأكثر ما جعل الله في النهار من المنافع، أم أنتم صم عن سماع ما ينفعكم؟ وقوله: ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: أفلا تستدركون من ذلك ما يجب استدراكه، فإن عَقِيب السماع استدراكَ المراد بالمسموع، إذا كان هناك تدبر له وتفكر فيه، ولم يجعله السامع دبر أذنه»(١).

وقال أبو جعفر ابن الزبير: «إن قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ مناسب للمدرَك ليلاً من ضَربي ما يُعتبر به من المسموعات والمبصرات، إذ الليل حائل دون المبصرات، وإنما تدرك فيه المسموعات ولا بد؛ لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها، فجيء بما يناسب، وجيء مع ذكر النهار بما يناسب أيضاً فقيل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن المبصرات تدرك نهاراً ولا تدرك ليلاً، فجيء مع كل بما يناسب والله أعلم»(٢).

وقد أخذ الزركشي هذا الكلام ووسعه في البرهان دون أن يشير إلى صاحبه(٣)، ونقل الآلوسي كلاماً قريباً منه ورده بقوله: «وهو كما ترى»(٤).

ولست أدري ما وجه الرد إلا أن يقال أصلاً: إن الآيتين على سبيل الفرض وليستا على سبيل التحقيق. ويظهر للباحث أنه ما دام الأمر على الفرضية وبدأ الله سبحانه بذكر الليل والقوم في الضياء أصلاً، ناسبه ذكر السماع لإرادة الاتعاظ بهذا الملقى عليهم، ولا شك أن الموعظة إنما تتم بالسماع أولاً. ولما عقبه بفرض ذهاب النهار ناسبه قوله: ﴿أَفَلَا

---

(١) درة التنزيل ص٣٤٥-٣٤٦.

(٢) ملاك التأويل (٢: ٩١٠-٩١١). وانظر فتح الرحمن ص٤٣٣ وأسرار التكرار ص١٦١-١٦٢.

(٣) البرهان (١: ٨٢)، وانظر الفاصلة القرآنية ص٧٢-٧٣.

(٤) روح المعاني (٢٠: ١٠٨).

تُبْصِرُونَ﴾ لأن القوم تعمل أبصارهم على الحقيقة، فليتخيلوا ماذا لوفقدت بذهاب النهار. والله أعلم.

الحادي والثلاثون:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢١-٢٤].

وهذه أيضاً مجموعة آيات اختلفت فيها الفواصل باختلاف ما تقدمها.

قال أبو حيان في تعليل هذه الاختلاف واختصاص كل فاصلة بمحلها: «بدأ سبحانه من الآيات بالنشأة الأولى، وهي خلق الإنسان من التراب، ثم كونه بشراً منتشراً وهو خلقٌ حيٌّ من جماد. ثم أتبعه بأن خلق له من نفسه زوجاً وجعل بينهما توادّاً، وذلك خلق حي من عضو حي(١). وقال: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لأن ذلك لا يدرك إلا بالفكر في التأليف بين شيئين لم يكن بينهما تعارف، ثم أتبعه بما هو مشاهد للعالم كله وهو خلق السموات والأرض واختلاف اللغات والألوان، والاختلاف من لوازم الإنسان لا يفارقه. وقال: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ لأنها آية مكشوفة للعالِـم، ثم أتبعه بالمنام والابتغاء، وهما من الأمور المفارقة في بعض الأوقات بخلاف اختلاف الألسنة والألوان. وقال: ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ لأنه لما كان من أفعال العباد ما قد يتوهم أنه لا يحتاج إلى مرشد فنبه على السماع، ولما ذكر عرضيات الأنفس اللازمة والمفارقة ذكر عرضيات الآفاق المفارقة من إرادة البرق وإنزال المطر، وقدمها على ما هو من الأرض وهو الإنبات والإحياء، كما قدم السموات على

---

(١) هذا على أحد وجهين في تفسير الآية.

الأرض وقدم البرق على الإنزال؛ لأنه كالمبشر يجيء بين يدي القادم، والأعراب لا يعلمون البلاد المعشبة إن لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب إلى جانب. وقال: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأن البرق والإنزال ليس أمراً عادياً فيتوهم أنه طبيعة[1] إذ يقع ذلك ببلدة دون أخرى ووقت دون وقت، وقوياً وضعيفاً، فهو أظهر في العقل، دلالة على الفاعل المختار، فقال: هو آية لمن عقل بأن لم يتفكر تفكراً تاماً»[2].

ونقل الآلوسي عن الطيبي في هذه المواضع أشياء حسنة فقال عند الموضع الأول: «إنه لما كان القصد من خلق الأزواج والسكون إليها وإلقاء المحبة بين الزوجين ليس مجرد قضاء الشهوة التي يشترك بها البهائم، بل تكثير النسل، وبقاء نوع المتفكرين الذي يؤديهم الفكر إلى المعرفة والعبادة التي ما خلقت السموات والأرض إلا لها ناسب كون المتفكرين فاصلة هنا»[3].

ونقل عنه في الموضع الثالث: ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ قوله: «جيء بالفاصلة هكذا لأن أكثر الناس منسدحون بالليل كالأموات، ومترددون بالنهار كالبهائم لايدرون فيم هم ولم ذلك، لكن من ألقى السمع وهو شهيد يتنبه لوعظ الله تعالى ويصغي إليه؛ لأن مر الليالي وكرَّ النهار يناديان بلسان الحال: الرحيل الرحيل، من دار الغرور إلى دار القرار». انتهى.

وأضاف الآلوسي عن الرازي: «إن من الأشياء ما يحتاج في معرفته إلى موقف يوقف عليه، ومرشد يرشد إليه، فيفهم إذا سمع عن ذلك المرشد، ولما كان المنام والابتغاء قد يقع

---

(١) قال أبو السعود هنا: «لأن الآيات المذكورة هنا في الظهور بحيث يكفي في إدراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط أسبابها وكيفية تكونها» (٧: ٥٧).

(٢) البحر (٧: ١٦٨-١٦٩) وانظر التفسير الكبير (٢٥: ١١٣-١١٤)، وفتح الرحمن ص٤٤٢-٤٤٣ والفاصلة القرآنية ص٥٥-٦٠، ودرة التنزيل ص٣٦٨-٣٧٠، وأسرار التكرار ص١٦٧-١٦٨.

(٣) روح المعاني (٢١: ٣١).

لكثير أنهما من أفعال العباد فيحتاج إلى كلام المرشد». انتهى. قال الآلوسي: ولعل الاحتياج إلى مرشد يعين الفكر في أن الليل والنهار من الآيات بناء على ما سمعت في بيان نكتة التوسيط أظهر، فتأمل(١).

وقال الطيبي عند الموضع الأخير: «لما كان ما ذكر تمثيلاً لإحياء الناس وإخراج الموتى، وكان التمثيل لإدناء المتوهم المعقول وإرادة المتخيل في صورة المحقق، ناسب أن تكون الفاصلة ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾»(٢).

الثاني والثلاثون:

أ ـ قال تعالى في شأن الكافرين: ﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ [سبأ: ٩].

ب ـ وقال سبحانه في شأن سبأ: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾.

وهاتان أيضاً آيتان في شأن مختلف، واختلفت لذلك فاصلتاهما.

والجواب عن هذا الاختلاف والله أعلم: أن فاصلة الأولى جاءت للحث والاعتبار بما في دلالتها، وأن العبد المنيب هو أكثر الناس تأملاً، إذ المنيب هو الراجع بفكره إلى البحث عما فيه كماله النفساني، وحسن مصيره في الآخرة، فهو يقدِّر المواعظ حق قدرها ويتلقاها بالشك في الحالة التي وعظ من أجلها، فيعاود النظر حتى يهتدي ولا يرفض نصح الناصحين، وإرشاد المرشدين، متردياً برداء المتكبرين، فهو لا يخلو من النظر في دلائل قدرة الله(٣).

---

(١) روح المعاني (٢١: ٣٢)، وانظر التحرير والتنوير (٣١: ٧٦-٧٧).

(٢) روح المعاني (٢١: ٣٤).

(٣) انظر التحرير والتنوير (٢٢: ١٥٤).

وأما الآية الثانية فإنما جمع فيها بين الوصفين ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لإفادة أن واجب المؤمن التخلق بالخلقين وهما الصبر على المكاره، والشكر على النعم، وهؤلاء المتحدث عنهم لم يشكروا نعمة الله فبطروها ولم يبصروا ما أصابهم من زوالها فاضطربت نفوسهم، وعمهم الجزع، فخرجوا من ديارهم وتفرقوا في الأرض ولا تسأل عما لاقوهُ في ذلك من المتالف والمذلات، فالصبار يعتبر من تلك الأحوال فيعلم أن الصبر على المكاره خير من الجزع ويرتكب أخف الضررين نتيجةً، ولا يستخفه الجزع فيلقي بنفسه إلى الأخطار ولا ينظر في العواقب، والشكور يعتبر بما أعطي من النعم فيزداد شكراً لله تعالى ولا يبطر النعمة، ولا يطغى فيعاقب بسلبها كما سلبت عنهم. ومن وراء ذلك أن يحرمهم الله التوفيق، وأن يقذف بهم الخذلان في بُنَـيّات الطريق(١).

الثالث والثلاثون:

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥١].

فهاتان آيتـان أيضاً فصلت إحداهـما بقوله: ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ والثانية بقوله: ﴿عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

والجواب عن هذا الاختلاف في الفاصلتين والله أعلم: أن الأولى جاءت عقيب بيان أنه سبحانه القادر ولا قدرة كقدرته، وأن سبحانه قهر العباد، وأنه متفرد بالخلق والأمر وحده. واختلاف الأحوال التي ذكرها سبحانه هو لعلمه بما يصلح منها وقدرته على إيجادها، فاقتضى ذلك وصفه هنا بالعلم والقدرة(٢).

---

(١) انظر التحرير والتنوير (٢٢: ١٨٠-١٨١)، ونظم الدرر (١٥: ٤٨٨-٤٨٩).

(٢) درة التنزيل ص٤٣٠، وملاك التأويل (٢: ١٠١٠-١٠١١)، والفاصلة القرآنية ص٧٧-٧٨.

وأما الآية الثانية: فإنما جاء بوصف ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ لمناسبتها للغرض؛ لأن العلو في صفة (العلي) علو عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحظ من جانب القدس بالتصفية، فما كان لها أن تتلقى من الله مراده مباشرة، فاقتضى علوه أن يكون توجيه خطابه إلى البشر بوسائط يفضي بعضها إلى بعض؛ لأن ذلك كما يقول الحكماء: استفادة القابل من المبدأ تتوقف على المناسبة بينهما، أما وصف (الحكيم) فلأن معناه المتقن للصنع العالم بدقائقه، وما خطابه البشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما وقوعه على تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه ولا خروج عن طاقة المتلقين[١].

ويمكن أن يقال: إن قضية الأولاد والعقم متروكة لله تعالى؛ لأنه أعلم من الإنسان بما يصلحه، وكونه عُقِّب بالقدرة فلأن هذا خصوصية لله تعالى. وأما الآية الثانية فهي في شأن النبوة، والنبوة ليست شأناً بشرياً، وإنما هي من الله تعالى العلي، وهي أيضاً من حكمة الله تعالى. انتهى. أفدناه من شيخنا.

الرابع والثلاثون:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

ب ـ وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وهاتان آيتان اختلفت فيهما الفواصل، والجواب عن هذا الاختلاف والله أعلم: أن الآية الأولى جاءت عقب إخبار الله عن الكفار أنهم قالوا: الملائكة بنات الله تعالى، وأن الله

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥: ١٥٠).

أراد أن يعبدوهم ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ وليس ذلك عن علم، بل هم كاذبون فيما يدعونه ويخبرون به، فأبطل خبرهم بالتكذيب لهم، وهو الذي يليق بالموضع.

وأما الآية في سورة الجاثية فهي خبر عن الكفار الذين كانوا يقولون: لا بَعْثَ لنا، وإنما هو: تموت الأسلاف وتحيا الأخلاف، فلما هدم الدهر قوماً فأفناهم نشأ فيه آخرون وأحياهم، وهؤلاء لم يقولوا ما قالوا بمعرفة، بل قالوه على سبيل الظن، فكان قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ لائقاً بهذا المحل(١).

الخامس والثلاثون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾ [الجاثية: ٣-٥].

فهذه ثلاث آيات اختلفت فيها الفواصل كما هو ظاهر.

قال في الكشاف في تفسير هذه الآيات: «إن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة، وأنه لا بد لها من صانع، فآمنوا بالله وأفردوا، فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال، وهيئة إلى هيئة، وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان، ازدادوا إيماناً وأيقنوا، وانتفى عنهم اللبس، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تجدد في كل وقت، كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار، وحياة الأرض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوباً وشمالاً، وقَبولاً ودَبوراً، عقلوا واستحكم علمهم، وخلص يقينهم»(٢).

---

(١) درة التنزيل ص٤٣٢-٤٣٣، وملاك التأويل (٢: ١٠١٣-١٠١٥)، وأسرار التكرار ص١٩١.

(٢) الكشاف (٣: ٥٠٩)، والتحرير والتنوير (٢٥: ٣٢٧-٣٢٨)، ونظم الدرر (١٨: ٦٧)، والقبول هي ريح الصبا التي تهب من المشرق، والدبور مقابلتها.

ونقل الآلوسي في تفسيره عن الطيبي ما حاصله: «أن الآيات آتية على سبيل الترقي، وفيه أن الإيقان مرتبة خاصة في الإيمان، ثم العقل، لما كان مدارهما، أي: الايمان والإيقان ـ ونعني به العقل المؤيد بنور البصيرة ـ جعله لخلوص الإيقان من اعتراء الشكوك من كل وجه، ففي استحكامه كل خير، وروعي في ترتيب الآيات ما روعي في ترتيب المراتب الثلاث من تقديم ما هو أقدم وجوداً، ولا يلزم أن تكون الآية الثانية أعظم من الأولى، ولا الثالثة من الثانية؛ لما ذكره من أن الجامع بين النظرين موقن وبين الثلاثة عاقل، على أنها كذلك في تحصيل هذا الغرض، فإذا كانت أعظم من وجه آخر فلا بأس، فإن النظر إلى حال نفسه وما هو من نوعه ثم جنسه من سائر الأناسي والحيوان، للقرب والتكرر وكثرة العدد، أدخلُ في انتفاء الشك وحصول اليقين، وإن كان النظر في السماء والأرض أتم دلالة على كمال القدرة والعلم، فذلك لا يضر ولا هو المطلوب هنا، ثم النظر إلى الاختلاف المذكور أدل على استحكام ذلك اليقين من حيث إنه يتجدد حيناً فحينا، ويبعث على النظر والاعتبار كلما تجدد هذا، والتحقيق أن تمام النظر في الثاني يضطر إلى النظر في الأول؛ لأن السموات والأرض من أسباب تكون الحيوان بوجه، وكذلك النظر في الثالث يضطر إلى النظر في الأولين، أما على الأول فظاهر، وأما على الثاني فلأنه العلة الغائبة فلا بد أن يكون جامعاً. انتهى.

قال الآلوسي: وهو كلام نفيس جداً»[1].

وفي تفسير الرازي في شأن هذه الفواصل قوله: «أظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل: إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين، فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل»[2].

---

(١) روح المعاني (٢٥: ١٤١)، وانظر درة التنزيل ص٤٣٦-٤٣٧. وملاك التأويل (٢٠: ١٠١٨)، والبرهان (١: ٨٣)، والفاصلة القرآنية ص٦٤.

(٢) التفسير الكبير (٢٧: ٢٦٠-٢٦١).

وقد تعقبه الآلوسي بقوله: «ولايخفى أنه فاته ذلك التحقيق، ولم يختر الترقي وهو بالاختيار حقيق»[١]. وما قاله الرازي يظهر لي عدم ملاءمته لسياق الآيات.

واقتصر أبو السعود على القول: «بأن اختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلاء»[٢]؟ وهو كلام مختصر، ويمكن التعويل على كلام الطيبي فيما قاله في تفاوت المراتب مما يعد شرحاً وتوضيحاً لهذا الكلام.

السادس والثلاثون:

أ ـ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الفتح: ١١].

ب ـ وقال تعالى في هذه السورة كذلك في شأن مقاتلة المؤمنين للكافرين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤].

وهاتان آيتان اختلفت فيهما الفاصلة كذلك.

قال في درة التنزيل: «الآية الأولى في ذكر ما أسرّه المنافقون من نفاقهم؛ لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا، وطلبوا الاستغفار لهم. ولا إرادة فيه منهم، فكأنه سبحانه قال: بل كان الله يَـخْبُر باطنكم.

والآية الثانية: بعد قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ بما قذف في قلوبهم من الرعب ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ بأن أمركم ألا تحاربوهم، ففعلوا كل ما أراده الله منهم. والله أبصر

(١) روح المعاني (٢٥: ١٤١)، وهو يشير إلى ما نقله عن الطيبي.

(٢) إرشاد العقل السليم (٨: ٦٨).

فعلكم، وهو ظاهر يوصف بأن الله تعالى يراه. والذي في الأولى باطن يخبر بأن الله تعالى يـخْبُرُه»(١). انتهى.

السابع والثلاثون:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٦-٢٧].

وهاتان الآيتان الاختلاف بين فواصلهما بيّن والجواب عنه أبين، ففي الآية الأولى الموعظة آتية عن طريق الإخبار؛ لأن العلم بالقرون الأولى لا يكون إلا كذلك، فناسبه الختم بالسمع. وأما الثانية فطريقها المعايشة والنظر فناسب ختمها بالبصر والله أعلم.

الثامن والثلاثون:

أ- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

ب- وقال سبحانه في شأن الماء: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠].

هاتان من الآيات التي اختلفت فيها الفواصل بحسب اختلاف ما تقدمها.

والجواب عن هذا الاختلاف، ما قاله أبو جعفر ابن الزبير: «الآية الأولى لمن تدبرها تذكرة بالعودة الأخروية، فأعقبت بالتحضيض على التذكر بالبداءة على العود، وأما الآية الثانية فمستدعية الشكر على عذوبة الماء، ولو شاء لجعله أجاجاً، فخلقه وجعله غذاء، فوجب شكره تعالى عليه»(٢).

التاسع والثلاثون:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ

---

(١) درة التنزيل ص٤٤٤، وملاك التأويل (٢: ١٠٢٨)، والفاصلة القرآنية ص١٣٢-١٣٣.

(٢) ملاك التأويل (٢: ١٠٦٨)، ودرة التنزيل ص٤٦٧-٤٦٨، والفاصلة القرآنية ص٨٨.

ﭐلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨-٩].

فالآية الأولى أعقبت بقوله: ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ والثانية ﴿ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾.

والجواب عن هذا الاختلاف فيما يظهر للباحث والله أعلم أن الآية الأولى لما ذكر فيها إرادة إطفاء نور الله، والمريد لذلك كأنه يستر نور الله ولا يحب إظهاره. وهذا وصف يليق بعده إغاظة الكافرين؛ لأن لفظ (كفر) مبني في أصله على الستر والتغطية.

وأما الآية الثانية فلما ذكر فيها إظهار دين الحق، وأول شيء يتسبب على هذا الإظهار هو محو الشرك، فلما كان ذلك ناسب أن يذكر بعده إغاظة المشركين والله أعلم.

الأربعون:

قال تعالى في شأن القرآن العظيم: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢].

والاختلاف ظاهر في فاصلتي الآيتين:

قال الكرماني في تعليل هذا الاختلاف: «خص ذكر الشعر بقوله: ﴿مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ لأن من قال: القرآن شعر، ومحمد ﷺ شاعر، بعدما علم اختلاف آيات القرآن في الطول والقصر، واختلاف حروف مقاطعه. فلكفره وقلة إيمانه. وخص ذكر الكهانة بقوله: ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾) لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة وأن محمداً ﷺ كاهن، فهو ذاهل عن كلام الكهان، فإنه أسجاع لا معاني تحتها، وأوضاع تنبو الطباع عنها، ولا يكون في كلامهم ذكر الله تعالى»[(١)].

---

(١) أسرار التكرار ص٢٠٨، ودرة التنزيل ص٤٩٥-٤٩٦، وملاك التأويل (٢: ١٠٩٦)، والإتقان (٢: ١٠٢)، والفاصلة القرآنية ص٧١.

قلت: وهذ الكلام يفيد أن مباينة القرآن للشعر من الظهور بمكان، وأما مباينته للكهانة فهي تحتاج إلى تدبر وتأمل. وقد اعترض أبو السعود على هذا الوجه بقوله: إن الثاني كما لا يخفى ليس بحاجة إلى التامل»[(١)].

وذهب البقاعي مذهباً آخر فقال: «لما كانت مخالفة القرآن للشعر خفية من حيث إنه لا يعرف ذلك إلا الشعراء وهم قليل في الناس، والأغلب لا يعرفون ذلك. ختم الآية بالإيمان الذي هو التصديق بالغيب، فقال تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾... ولما كانت مباينة القرآن للسجع خفية جداً لما فيه من الفواصل في الأغلب وتركها في البعض فارقَ؛ لأن الساجعين لا يرضون أن يأتوا بقرينة لا أخت لها، ويعدون ذلك عياً وعيباً رديئاً، وكذلك تطويل السجعة عن قرينتها وتضعيفها على عديلتها لا يرضى به ساجع ولو أنه هاجع... ومباينة النبي ﷺ للكهنة ظاهرة جداً، فإن الكاهن من ينصب نفسه للدلالة على الضوائع والأخبار بالمغيبات، يصدق فيها تارة ويكذب كثيراً، ويأخذ الجعل على ذلك، ويقتصر على من يسأله، فعبر لذلك بـ(كاهن) دون (ساجع) أدار أمره على التفكر فقال: ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ وأكد أمر القلة والخفاء بإدغام تاء التفعيل فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾[(٢)]. انتهى المراد منه.

قلت: ولا يخفى أن ما قاله عن السجع ومباينته للقرآن وأنها خفية جداً ليس بصحيح، فالأمر في غاية الظهور. ولعل الأظهر هو القول الأول الذي قاله الكرماني وغير واحد.

الحادي والأربعون:

أ ـ قال تعالى في جزاء الطاغين: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٣٦].

ب ـ وقال سبحانه في وصف جزاء المتقين: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٩: ٢٧)، وانظر روح المعاني (٢٩: ٥٤).

(٢) المحرر الوجيز (٢٠: ٣٧٨-٣٧٩).

فاختلف في هاتين الآيتين الحديث عن كلا الجزاءين، ففي الأولى ﴿وِفَاقًا﴾ وفي الثانية ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾.

والجواب عن هذا الاختلاف والله أعلم: أن الله تعالى وعد بتكثير الجزاء على الحسنات إلى عشرةِ أضعاف، إلى أضعاف كثيرة فقال سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وقال في جزاء السيئات: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. فلما كانت الحسنات بأضعافها، والسيئات بأمثالها، استعمل في جزاء السيئة أنه وفاق لها غير زائد عليها ولا قاصر عنها، واستعمل في جزاء الحسنة أنه عطاء يكفي معطاه ويبلغ من مطلوبه منتهاه، فقال: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾، وزاد عليها جعله من ربه ليكون أبلغ ما يكون[1].

وهكذا، ترى الفاصلة القرآنية في صورة واضحة، وقرار مكين، مؤدية رسالتها خير أداء، ومبرزة مظهراً من مظاهر الإعجاز، فسبحان منزل هذا الكتاب، سبحان رب الأرباب.

* * *

(١) درة التنزيل ص٥١٦-٥١٧، وانظر ملاك التأويل (٢: ١١٣١-١١٣٤).

المبحث الثاني

الدلالة المعنوية في تركيب الفاصلة القرآنية من الجملة الفعلية والاسمية

تنقسم فواصل القرآن الكريم إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: فواصلُ حرفيةُ التركيب، وهي عبارة عن الفواصل المركبة من الأحرف المقطعة أوائل بعض السور الكريمة.

القسم الثاني: فواصل اسمية التركيب.

القسم الثالث: فواصل فعلية التركيب.

ويبلغ عدد الفواصل الفعلية في القرآن الكريم كله (١٥٧٠) ألفاً وخمسمئة وسبعين فاصلة، فيكون المتبقي هو (٤٦٦٦) أربعة آلاف وستمئة وستاً وستين فاصلة، وهو مجموع الفواصل الاسمية بإضافة الأحرف المقطعة إليها.

وهذه بعض القراءات النظرية المتعلقة بهذا الجانب من الفواصل:

أولاً: إن غالبية سور القرآن الكريم تشترك فواصلها في أن تكون في بعضها اسمية، وفي الآخر فعلية، إلا في إحدى وعشرين سورة كانت فواصلها كلها منتهية بكلمات اسمية وهي على التوالي: (الإسراء، الكهف، الفرقان، الأحزاب، القتال، الفتح، التغابن، الطلاق، الجن، المزمل، الإنسان، التين، القدر، البينة، العاديات، القارعة، العصر، الفيل، قريش، النصر، والناس).

ثانياً: انفردت ثلاث سور في القرآن الكريم بكون بعض الفواصل فيها على هيئة (ضمائر) وهي: (القتال، القيامة، والزلزلة).

ثالثاً: لفظ الجلالة (الله) لم يرد في فاصلة آية إلا مرة واحدة في آخر سورة الانفطار وذلك عندما أسند الأمر كله لله تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]. وهذا يرشح لدى الباحث أن هذا اللفظ الكريم هو المراد بقولهم: (اسم الله الأعظم).

رابعاً: بالنسبة لفواصل الأفعال، فإن غالب الفواصل القرآنية التي على هذه الصورة أفعال مضارعة جاءت في معظمها مسندة إلى ضمير جمع الذكور. ووقع في القرآن الكريم في سور متعددة وقوعُ فعل الأمر بصيغ مختلفة في (٣٤) أربعة وثلاثين موضعاً، وجاءت الفواصل بالفعل الماضي في (١٧٠) مئة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم، فيكون عدد الفواصل المتكونة من أفعال مضارعة (١٣٦٦) ألفاً وثلاث مئة وستاً وستين فاصلة.

خامساً: سورة القمر ليس فيها أي فعل مضارع في الفواصل.

سادساً: انفردت بعض السور في أن تكون فواصلها كلها اسمية إلا في موضع واحد منها، وهذه السور هي: (النساء، قٓ، الحديد، الممتحنة، الطارق، والبلد).

سابعاً: سورة الرحمن انفردت بكون فواصلها الفعلية كلها أفعالاً مضارعة مسندة إلى ضمير المثنى. ووقع في سورة يوسف فاصلة واحدة على هذا النمط، وهي الآية الحادية والأربعون.

ثامناً: انفردت بعض السور بغلبة الفواصل المتكونة من فعل ماض على ما سواه من الأفعال وهي: (طه، النجم، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، الشمس، والهُمزة).

تاسعاً: سورتا التكوير والغاشية انفردتا بأن كثيراً من أفعال فواصلهما على صيغة المبني للمجهول.

عاشراً: ليس في القرآن الكريم فعل واحد جاء في فاصلة مسنداً إلى خصوص ضمير النسوة العقلاء، سواء أكان مفرداً أم مثنىً أم جمعاً. ولم يرَ الباحث أحداً تنبه إلى هذا أو نبه عليه، ولا يحسب الباحث ذلك إلا لأن المرأة عادة ما تكون تبعاً للذكر، فخطابه خطابها، وسيأتي توضيح هذا بعد قليل.

حادي عشر: لم يرد في القرآن الكريم في الفواصل الاسمية وصف للأنثى إلا على ثلاث صور: وهي لفظ (الأنثى) في سور: القيامة، الليل، والنجم، ولفظ (أتراب) في سور: ص، الواقعة، والنبأ، ولفظ (أبكار) في سورتي التحريم والواقعة.

وإذا نظرنا إلى المسألة الفعلية في تشكيل الفواصل ووجدناها كما بينت ببعض ما سبق فإنه يتضح أن للفعل المضارع المسند إلى جماعة الذكور نصيباً وافراً في تشكيل الفواصل الفعلية، ولا يبدو أن هذا الأمر ـ ولا غيره في القرآن ـ جاء غُفلاً عن السبب، والذي يظهر للباحث أن هذا هو المعروف بالتغليب من أساليب الخطاب والله أعلم.

وأما أن المضارع من الأفعال كان أكثر من غيره في تشكيل هذه الفواصل، فالظاهر ـ والله أعلم ـ لأن المضارع يفيد التجدد والاستمرار واستحضار الحالة، وكل هذه الإفادات مما تتحفز به الأعمال وتساعد في تقوية الحركة واستمرارها، ولهذا ـ والله أعلم بأسرار كتابه ـ كان ما كان.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث

الدلالة المعنوية للحذف والزيادة في تركيب الفاصلة القرآنية

وفيه أربعة مطالب:

الأول: حذف الضمائر والحروف

الثاني: أ ـ حذف الفاعل

ب ـ حذف المفعول

الثالث: الزيادة

المطلب الأول

حذف الضمائر والحروف(*)

أولاً: حذف الياء في فواصل بعض الكلمات القرآنية:

وهذه الياء تقع في الأسماء والأفعال على حد سواء، وعدتها في فواصل القرآن الكريم ما يقارب من نحو من أربعة وتسعين موضعاً خلافاً لمن ذكرها ستةً وثمانين موضعاً[١].

وهذه الياءات المحذوفة[٢] تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون أصلياً وهو في خمسة مواضع من القرآن الكريم وهي ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] و﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] و﴿ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] و﴿يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] و﴿بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: ٩] ومعظم الباقي ياء المتكلم.

وعلة الحذف في هذه المواضع الأربعة والتسعين في كتب القراءات تدور على شيئين اثنين:

الأول: أن هذه لغة للعرب مشهورة تحذف فيها هذه الحروف في أمثال هذه المواضع.

الثاني: أن الحذف بسبب عدم وجودها مكتوبة في خط المصحف الإمام[٣].

وأما المفسرون فعلة الحذف عندهم جهتان أخريان:

(*) هذا الحذف بأنواعه لا يخص الفواصل وحدها، وأغراضه هي واحدة سواء في الفواصل أم في غيرها. وإنما ذكرته هنا؛ لأن هذه من الظواهر البينة في تركيب الفواصل القرآنية.

(١) النشر في القراءات العشر (٢: ١٨٠) وما بعدها.

(٢) هناك من يحذف هذه الياءات في الوقف والوصل، وهم أكثر القراء، وقليل من لا يحذفها لا وقفاً ولا وصلاً.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها (١: ٣٣١-٣٣٣).

الأولى: أن الحذف بسبب وقوع هذه الياءات في الفواصل.

الثانية: أن الحذف بسبب الاكتفاء عن هذه الياءات بالكسرة.

تجد هذه التعليلات في تفاسيرِ كثير من المفسرين عند تفسيرهم هذه المواضع، فتجدها في تفسير الزمخشري، والرازي، وأبي حيان، وأبي السعود، والآلوسي، والصاوي، وابن عاشور وغيرهم.

ولم أجد من المفسرين من حاول أن يجد تخريجات معنوية لحذف هذه الياءات، إلا البقاعي في تفسيره (نظم الدرر) فإنه حاول في بعض المواضع ـ وعدتها سبعة ـ أن يجد تعليلاً معنوياً للحذف، ولكنه تبع المفسرين في بقية المواضع. وها أنا ذا أذكر ما ذكره في المواضع المشار إليها. وأما ما لم يذكره هو ولا غيره فإن وقع بفضل الله الكريم للباحث منه شيء ذكره، وإلا فإن هذا بحاجة إلى من يفتح الله به عليه، والله وحده المستعان وعليه التكلان.

١ ـ قال البقاعي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ: ٤٥]:

(أي: فيما كان له من الشدة التي هي كالجبلة، أي إنكاري على المكذبين لرسلي، ليكون السؤال تنبيهاً لهذا المسؤول، وداعياً له إلى الإذعان خوفاً من أن يحل به ما حل بهم إن فعل مثل فعلهم، سواء أكان الإنكار في أدنى الوجوه كما أوقعناه سبباً من تعطيل الأسباب، أو أعلاها كما أنزلناه بقوم نوح عليه السلام ومن شاكلهم، وصبُّ العذاب والاستئصال ألوحِيٌّ بالمصاب على ما أشارت إليه قراءتا حذف الياء وإثباتها)[1].

٢ ـ وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]:

(أي: من مصيبته إن دعا الأمر إلى المشاقة بما أراده، فإنه بمجرد إرادته لايكون

---

(١) نظم الدرر (١٥: ٥٢٨-٥٢٩).

مراده إنقاذاً ضعيفاً بما أشار إليه من حذف الياء، ولا شديداً بما دل عليه من أثبتها ظاهراً خفياً)[١].

٣ـ وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨]:

(وإطباق أهل الرسم وأكثر القراء على حذف يائه رسماً وقراءة، إشارة إلى أنه العذاب الأدنى المُذهب لحمية الجاهلية، وإثبات يعقوب وحده لها في الحالين إشارة إلى أنه العذاب المعد لإهلاك الأمم الطاغية لا مطلق العذاب)[٢].

٤ـ وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]:

(وحذف ياء المتكلم إشارة إلى أن أدنى شيء من عذابه بأدنى نسبة كافٍ في المراد ـ وإن كان المعذبُ جميع العباد)[٣].

٥ـ وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]:

(أي: الذي لا يستحق أن يوصف بالتلاقي على الحقيقة غيره لكونه يلتقي فيه الأولون والآخرون، وأهل السموات والأرض. ولا حيلة لأحد منهم في فراق غريمه، بغير فصل على وجه العدل، وإلى هذا المعنى أشارت قراءة ابن كثير بإثبات الياء في الحالين، وهو واضح جداً في إفراد حزبي الأسعدِينَ والأخسرينَ، فإنه تلاقٍ لا آخر له، وأشارت قراءة الجمهور بالحذف في الحالين إلى تلاقي هذين الجزءين أحدهما بالآخر، فإنه ـ والله أعلم ـ قل ما يكون حتى يفترقا بالأمر بكل إلى داره، الأسعدون بغير حساب، والأخسرون لا يقام لهم وزن، وأشار الإثبات في الوصل دون الوقف إلى الأمر الوسط، وهي لمن بقي، فإن لقاءهم يمتد إلى حين القصاص لبعضهم من بعض)[٤].

---

(١) نظم الدرر (١٦: ١١٢).

(٢) المصدر السابق (١٦: ٣٣٧).

(٣) المصدر السابق (١٧: ١٠).

(٤) المصدر السابق (١٧: ١٠).

٦ـ وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧]:

(وحذف الياء منه ومن ﴿نَكِيرِ﴾ [الملك: ١٨] إشارة إلى أنه وإن كان خارجاً عن الطرق ليس منتهى مقدوره، بل لديه مزيد عناية له بوجه ولا تحديد)(١).

٧ـ وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]:

(وأثبت الياء في (يَسْرِي) ابن كثير ويعقوب، وحذفها الباقون، وعلة حذفها قد سأل عنها المؤرجُ الأخفشَ فقال: أخدمني سنة، فسأله بعد سنة. فقال: الليل يسري فيه ولا يسري، فعدل به عن معناه، فوجب أن يعدل عن لفظه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨] لما عدل عن باغية عدل لفظه فلم يقل: (بغية). انتهى. وهو يرجع إلى اللفظ، مع أنه يلزم منه رد روايات الإثبات.

والحكمة المعنوية ـ والله أعلم ـ من جهة الساري وما يقع السري فيه. فأما من جهة الساري فانقسامهم ليلة النفر إلى مجاور وراجع إلى بلاده، فأشير إلى المجاورين بالحذف حثاً لهم على ذلك لما فيه من جلالة المسالك، وأن ليل وصالهم ما انقضى كله، فهم يغتنمون حلوله، ويلتذون طوله، من تلك المشاهد، والمشاعر، والمعاهد.

وإلى الراجعين بالإثبات، لمـّا سرى الليل بحذافيره عنهم آبُوا راجعين إلى ديارهم فيما شف من نهارهم. وأما من جهة ما وقع فيه السرى فللإشارة إلى طوله تارة وقصره أخرى، فالحذف إشارة إلى القصير، والإثبات إشارة إلى الطويل، بما وقع من تمام سراه، وما وقع للسارين فيه، من قيام وصف الأقدام بين يدي الملك العلام، كما قال الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله، قال مشيراً لذلك:

كم ليلةٍ فيك وصلنا السرى ... لا نعرِفُ الغمضَ ولا نستريحْ

---

(١) نظم الدرر (٢: ٢٥٠).

وانقسم الليل إلى ذي طول وقصر، والساري فيه إلى ذي حضر وسفر. فدلت المفاوتة في ذلك جميع أفراد القسم على أن فاعلها قادر مختار، واحد قهار)[١].

وبعد، فهذا ما وجدته في هذا التفسير، وهي تعليلات بعضها يقنع، والآخر لا يظن به الإقناع، وربما يكون مُتكلَّفاً. وبالجملة فإن هذا الباب في القرآن الكريم بحاجة إلى درس قوي جديد يفتق أكمام أزهاره التي لا تزال كما هي بلا فتق، نسأل الله أن يفتح من عنده وهو سبحانه الفتاح العليم.

هذا وقد وقع للباحث بعد طول تدبر شيء يمكن أن يذكر هنا عند بعض الآيات الكريمة:

١ـ قوله تعالى على لسان صاحب يوسف: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥].

حذف الياء لعله إشارة إلى تطلب سرعة إنفاذه، مع تلهفه للقاء يوسف عليه السلام كي لا يسبقه إليه سابق، وجزمه بالحصول على جواب يقطع تنازعهم في هذه الرؤيا.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال سعيد الدبل: (وانظر لم خطفت الياء من لفظة (وال)؟ فليس ذلك لمجرد تناسق الفاصلة، وإنما في ذلك تعبير عن إنزال العذاب وسرعته وعدم القدرة على رده والإفلات منه)[٢].

٣ـ قوله تعالى حكاية على لسان لوط عليه السلام مع قومه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۞ وَاتَّقُوا۟ اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٨ -٦٩].

حذفت الياء في الموضعين ـ والله أعلم ـ للدلالة على نفسية هذا النبي العظيم الذي

(١) نظم الدرر (٢٢: ٢٣-٢٤).

(٢) النظم القرآني في سورة الرعد ص٨٨.

لم يرد أن تمس سمعة قومه. فحذف الياء للدلالة على إرادته نفي الفضيحة والخزي عنه وعن قومه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦].

حذفها متناسب تمام المناسبة مع (كاد) فقد كاد اغواؤه أن يرديه، ولولا تفطنه لنزول رحمة الله ونعمته وانتباهه لجلية الأمر، لحاق به ما حاق بالكافر، ولذا جاءت هذه الياء محذوفة للدلالة على سرعة التدارك مع سرعة وصول رحمة الله إليه المتمثلة في نعمته عليه بعدم تبعيته له.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

حذف الياء إشارة منه عليه السلام إلى تحقق الهداية في نظره دون الحاجة إلى تطويل بيان، لا سيما وهو عليه السلام المعاين لبعض شؤون الله تعالى. ولم تقع هذه اللفظة إلا في قصص إبراهيم ﷺ.

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤].

المعنى ـ والله أعلم ـ حق العقاب الموعودون به. وإنما لم يذكر الياء تنبيهاً على أن العقاب لما أُخبِرُوا به صار كالمعروف لهم، ولما وقع لم يحتج إلى إضافته لسابق تحذيرهم منه.

٧ـ قوله تعالى على لسان موسى ﷺ: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠].

حذف الياء جاء تحوطاً منه عليه الصلاة والسلام بأنه أخذ الحيطة بتطمين الله له. فلا داعي للاسترسال بفعل الرجم، مع أنه لم يحصل، لما تم من موعوده.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾ [الفجر: ٩].

حذف الياء ـ والله أعلم ـ إشارة إلى صعوبة عملهم وتكلفهم فيه، فلو مدّت مسترسلة لأوهمت سهولة ما فعلوا، والمراد تخويف الكفار بما حل بمن هم أعظم منهم قدرة.

٩ـ قوله تعالى عن السعداء: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥] وعن مقابلهم: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٦].

حذف الياء في الموضعين ـ والله أعلم ـ للدلالة على سرعة الجواب من الإنسان على كلا الحالين مع زيادة التلهف في الأولى والتحسر في الثانية.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

حذف الياء ـ والله أعلم ـ إشارة إلى قطع لا رجعة فيه ولا تهاون.

❊ ❊ ❊

المطلب الثاني
حذف الفاعل والمفعول في الفواصل القرآنية

الأول: حذف الفاعل في الفواصل:

وأمثلته في الفواصل واقعة في الأفعال التي بنيت للمفعول، وكثيراً ما يظهر هذا فيما يتعلق بأهوال القيامة والبعث والنشور ونحوها من الأمور. وحذف الفاعل لا يتقصر على الفواصل فحسب، بل يحذف في أماكن أخرى وذلك لدواعيه المقررة، وهذه الدواعي هي:

أولاً: كون الفاعل معلوماً لا يحتاج إلى التنصيص عليه ولا بيانه، نحو: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]، فمن المعلوم بداهةً أنه لا يفعل هذا إلا من خلقها، إذ لا يقدر عليه سواه.

ثانياً: الإخبار بوقوع الفعل، وهو واضح في كل أمثلة هذا الباب.

ثالثاً: توجيه النفس للحدث نفسه، وتصور هوله وغرابته، وكونه من الأمور العجيبة، وكل المحذوف مما يتعلق بأهوال القيامة والبعث والنشور كله يمكن تعليله بذلك.

رابعاً: ومن أغراض الحذف بيان العناية بالمتحدث عنهم، وهذا مثل قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فهذا ـ والله أعلم ـ لبيان مزيد العناية بهم والمسارعة إلى تطمينهم.

خامساً: التقليل من شأن المتحدَّث عنهم واستصغارهم، وهذا واقع في بعض الأفعال المبنية للمفعول نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦] وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢].

الثاني: حذف المفعول في الفواصل:

وهو كذلك حذف ليس خاصاً بالفواصل القرآنية، وأغراض حذفه هي هي سواء في الفواصل أم في غيرها، وأذكر هنا أغراضه مع التمثيل من الفواصل.

١ـ قد يحذف المفعول لقصد التعميم، وخصوصاً إذا وقع في حيز النفي كما يقول الزركشي، وكثيراً ما يقع في رؤوس الآي، وهو ما نريده هنا، وقد مثل الزركشي بأمثلة عدة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢] وقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]، وقوله سبحانه﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢] وقوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧] وقوله سبحانه عن الكفار: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤][(١)] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

فهذه المحذوفات في هذه الآيات يراد من حذفها إثبات الفعل على أوسع مدلوله دون التقيـيد بشيء معين، ومثل هذا الحذف كثير لا يُحتاج إلى تتبعه، لظهوره، وقد يكون هذا الحذف لأن الفعل منزّل منزلة اللازم.

٢ـ وقد يكون الغرض إثباتَ معنى الفعل لا غير. ومثَّل له عبد القاهر بعدة أمثلة منها: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

والمعنى كما يقول: «هل يستوي من له علم ومن لا علم له؟ من غير أن يقصر النص

---

(١) البرهان (٣: ١٦٤).

على معلوم. وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۞ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٣ - ٤٤] وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨]»، والمعنى كما يقول: «هو الذي منه الإحياء والإماتة، والإغناء والإقناء، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تُثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء، وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه، فإن الفعل لا يعدى هناك؛ لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى»[١].

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] قال الزمخشري رحمه الله في آية البقرة: «والمفعول الساقط من ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي، كأن الفعل غير متعد أصلاً نحو ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في قوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢]، ومثله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢][٣].

٣ـ وقد يكون الحذف تعظيماً لشأن المحذوف. ومثاله قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

قالت الدكتورة بنت الشاطئ في هذا: «.. ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف وتقتضيه حساسية معنوية، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس، ما قلاك، لما في القلي من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شيء عليه من ذلك. بل لعل الحس اللغوي الذي فيه يؤذن بالفراق على كره مع رجاء العودة»[٤]. وقد قيل في هذا الحذف تعليلات أخر لا نطيل بها هنا[٥].

---

(١) دلائل الإعجاز ص١٥٤ وما بعدها.

(٢) الكشاف (١: ٢٠١-٢٠٢).

(٣) السابق (١: ٢٣٧).

(٤) التفسير البياني (١: ٣٥-٣٦)، وأصل هذا الكلام عند البرقوقي في شرحه على التلخيص ص١٣٢، وانظر البلاغة فنونها وأفنانها قسم علم المعاني ص٢٨٣، وخصائص التراكيب ص٢٨٧.

(٥) المصادر السابقة.

المطلب الثالث

الزيادة

أولاً: زيادة بعض الحروف:

١ـ زيادة الألف:

زيدت الألف في بعض المواضع من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] وقوله سبحانه في شأن النادمين يوم القيامة: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦] وقوله سبحانه: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

هذه هي الآيات التي زيدت فيها هذه الألف في هذه السورة.

فأما قوله سبحانه: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ فقال فيه البقاعي: «وزيادة الألف في قراءة من أثبتها في الحالين وهم: المدنيان وابن عامر وشعبه، إشارة إلى اتساع هذه الأفكار وتشعب تلك الخواطر، وعند من أثبتها في الوقف دون الوصل، وهم: ابن كثير والكسائي وحفص، إشارة إلى اختلاف الحال تارة بالقوة وتارة بالضعف»[١].

وقال الدكتور محمد أبو موسى في تحليله لهذه الآية في هذه السورة ما نصه: «.. فهي ظنون منطلقة من خيال قلق، ووجدان مهموم، وقد يخيل إليك وأنت تسمع هذه الجمل ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ إذا أحسنت الإصغاء النفسي والوجداني إليها، أنك تسمع هذه الهمهات، وهذه الوسوسات، التي تهمس بها نفوسهم في خفاء، وكأن هذه الألف في

---

(١) نظم الدرر (١٥: ٣٠٣).

﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ تؤذن بإطلاق العنان للخيال الفزع، بالخواطر الشُّرَّد، حين زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر»[١].

هذا، والذي يظهر أن هذا الكلام للأستاذ أقرب إلى تفسير التعبير بصيغة الجمع في (الظنون) وليس لتعليل زيادة الألف فيها، ولهذا نحا منحىً آخر في كتابه خصائص التراكيب، فهو يقول: «فإنها ـ أي: الألف ـ جاءت في موقف عنيف، كله حركة واضطراب، وانفعالات موّارة بلغت فيها القلوب الحناجر، وكأن الموقف يكاد ينفجر لولا هذا الانطلاق، وهذا الامتداد في تلك الألف التي أفرغت من توتر الآيات قدراً استوى به نسق الأسلوب»[٢].

والذي يظهر للباحث زيادةً على هذا: أن الألف إنما جاءت مشيرة إلى أن الظنون والأوهام والوساس قد بلغت منهم مبلغاً، حتى كادت، لولا لطفُ الله، تسبب لهم الشيء الكثير، وهم رضي الله عنهم ما كان ينبغي أن يصلوا إلى هذا، ولكنها النفوس البشرية لما رأت إحداق الكفار بها، وما كان خوفهم رضي الله عنهم على جسومهم، ولكنه خوف على ضياع دين، لو تم للكفار ما أرادوه ـ والله أعلم ـ.

وهذه الأجوبة جميعها فيما يبدو للباحث أحسن ما ذهب إليه البيضاوي وتابعه عليه الشراح وغيرهم من المفسرين الذين قالوا: إن زيادة الألف تشبيهاً للفواصل بالقوافي[٣].

وأما قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ * وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ فقال البقاعي في الموضع الأول: وزيادة الألف في قراءة من أثبتها إشارة إلى إيذانهم بأنهم يتلذذون بذكره ويعتقدون أن عظمته لا تنحصر[٤].

---

(١) من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ص٥١.

(٢) خصائص التراكيب ص٢٨٩.

(٣) حاشية زاده على تفسير البيضاوي (٤: ٥٥)، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٧: ١٦٢)، وانظر الفاصلة القرآنية ص٢٣.

(٤) نظم الدرر (١٥: ٤١٨).

وقال في الموضع الآخر: وقراءة من أثبت الألف مشيرة إلى أنه سبيل واسع جداً واضح، وأنه مما يتلذذ بذكره، ويجب تفخيمه[١].

قلت: والظاهر ـ والله أعلم ـ أن البقاعي رحمه الله قد جانبه الصواب هنا، فالقوم ليسوا في مجال يساعدهم على التفخيم، إذ هم في موضع ندامة، قال الدكتور أبو موسى: «إنها صيحة قوم تتقلب وجوههم في النار يقولون في حسرة لاهفة: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۞ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾»[٢]، وفي موضع آخر يقول: «وهذا النداء الممتد في قولهم: يا ليتنا، وكذلك هذه الألف التي أضافوها في آخر صراخهم إلى لفظ ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ هذا، وذلك يفرغان الإحساس بالخيبة والندم ويطلقان العويل الذي يمتد به صوت المكروب»[٣].

والذي يظهر للباحث زيادة على ما قيل، أن أسلوب الكلام يختلف من حالة إلى حالة، ففي حال الفرح والسرور يكون الكلام مختلفاً عنه عند الدعوى بالويل والثبور، ومعلوم أن القوم الذين تتحدث عنهم الآيات الكريمة في حال لا يحسدون عليها، وإنك لتجد الذين يعانون المصائب، ويبكون قتلاهم، أو يندبون حظوظهم في الدنيا، تخرج مع كلماتهم التي يولولون بها هذه الألف التي في آخر بعض الكلمات معبرة عن حال من الذهول وعدم الاستقرار، المنطوي على محاولة استفراغ الأسف بالبكاء ونحوه. وهذا من أساليب الكلام، وهو ما ألمح إليه الأستاذ أحمد الشايب في كتابه (الأسلوب) ولم يفصله[٤].

وقد يُرى أن مثل هذا التعليل أقرب إلى ما هو من قبيل التعليلات الانطباعية، فلا

---

(١) نظم الدرر، المكان نفسه.

(٢) خصائص التراكيب ص٢٨٩.

(٣) من أسرار التعبير القرآني ص٢٨١.

(٤) الأسلوب ص٧٤، ٨٦.

يرى الباحث أن مثله يخرج البحث عن إطاره الصحيح، فإن التعليلات البلاغية المقننة في الأصل إنما تعتمد في جانب كبير منها على الانطباعيات. فليكن هذا من ذاك ـ والله أعلم ـ.

ومن زيادات الألف كذلك ما وقع في سورة الدهر في لفظ ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ [الدهر: ١٥-١٦]، فقال البقاعي فيها: «وقراءة مَن نوّن الاثنين صارفاً ما من حقه المنع، مشيرةٌ إلى عظمتها وامتداد كثرتها، وعلوها في الفضل والشرف»[١]، وأشار البقاعي كذلك إلى أن زيادة الألف مشيرة إلى أنها رأس آية[٢].

هذا أحسن ما وجدته للمتقدمين، وأكثر المفسرين يرون أن الألف في ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الأولى ألف الإطلاق لكونه رأس آية، ولأنه مُراعٍ ما سبقه من الآيات. أما كونها ممنوعة من الصرف أو لا فينظر في مواضعه، ولا نطيل في ذكر الكلام فيه[٣].

والذي يظهر للباحث أن زيادة الألف في ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ لتتناسب مع الجزاء الذي أُعِدّ للأبرار، فإن مَن وصَفَ حالَهم وهم في فرح وسرور ونعيم حق له أن يذكر في وصفهم هذا الترنم الذي يدل على وداعة ما هم فيه والله أعلم.

٢ـ زيادة الهاء:

زيدت الهاء في بعض كلمات من سورة الحاقة وهي في ألفاظ: ﴿كِتَٰبِيَهْ، حِسَابِيَهْ، مَالِيَهْ، سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الآيات: ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩]. وكذلك زيدت الهاء في سورة القارعة في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠].

قال البقاعي في هاء ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾: و«هاؤه للسكت، كأنها إشارة إلى شدة الكرب في

---

(١) نظم الدرر (٢١: ١٤٥).

(٢) المصدر السابق (٢١: ١٤٦).

(٣) انظر ظاهرة التأويل النحوي في إعراب القرآن ص١١٤ -١٢١.

ذلك اليوم، للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت في كل جملة للاستراحة، لا يقدر في الكلام على المضي فما الظن بغيره، وتشير أيضاً مع ذلك إلى فراغ الأمر ونجازة الجزم به، والوثوق بأنه لا يغير»(١).

والذي يظهر للباحث ـ والله تعالى أعلم بأسرار كتابه ـ أن هذه الهاءات في سورة الحاقة مثلٌ لنمطَيْنِ من التعبير في حالين مختلفين يجمعهما موقف واحد هو موقف الحساب بين يدي الملك الجبار، والأعناق مشرئبة لتطاير الصحف والكتب، وعند تطايرها لا يكون المرء المحاسَب إلا بين حالين:

الأولى: أن يؤتى كتابه بيمينه ـ جعلنا الله منهم ـ.

الثانية: أن يؤتى كتابه بشماله ـ أعاذنا الله من ذلك ـ.

فأما **الأول**: فمن هول المفاجأة ووَقْع السرور تصيبه حالة من الفرح والسرور الشديد والتي يتسارع فيها النَّفَس من عظم المسرّه، فتخرج هذه الهاء معبرة عن هذا الشعور العظيم.

وأما **الثاني**: فإنه يصاب بحال من الإحباط تؤدي به إلى الكآبة وفقدان التوازن، وينادي بالويل والثبور، ويأخذ في الصراخ والعويل، الذي لا يعوّل عليه أي تعويل، فتجيء هذه الهاء لتطلعنا على هذه النفسية الكئيبة الحزينة الباكية المهلهلة، والعياذ بالله من موقف كهذا.

هذا، ولسيد قطب رحمه الله كلام حسن في توضيح حالتي الفرح والحزن في هذين الموقعين(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَاهِيَهۡ﴾ فقد قال البقاعي في تعليله: «وهاء السكت إشارة إلى أن ذكرها ـ الهاء ـ مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال في الكلام، أو

---

(١) نظم الدرر (٢٠: ٣٦١).

(٢) في ظلال القرآن (٦: ٣٦٨٠-٣٦٨٢).

إلى أنها مما ينبغي للسامع أن يقرع بهذا الاستفهام عنها سمعه، فيسكت لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت، ويصغي غاية الاصغاء»[١].

والناظر في كتب التفسير يجد أن الجمهور منهم ـ المفسرين ـ بدءاً من الأخفش وانتهاءً بابن عاشور، يعللون وجود هذه الهاء بأنها مثبتة اتباعاً لقراءة سبعية، وأنها كذلك لأنها رأس آية، كما صرح به الأخفش في تفسير سورة القارعة[٢].

وفي البرهان عن بعض المغاربة أنه أنكر أن تكون زيادة الألف والهاء لأجل الفاصلة فقال ـ المغربي ـ: «لم تزد الألف لتناسب رؤوس الآي كما قال قوم؛ لأن في سورة الأحزاب ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] وفيها ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] وكل واحد منها رأس آية، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك في الثاني دون الأول، فلو كان لتناسب رؤوس الآي لثبت في الجميع، قال ـ المغربي ـ: وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك. وكذلك لحاق هاء السكت في قوله: ﴿مَاهِيَهْ﴾ في سورة القارعة هذه الهاء عدلت مقاطع الفواصل في هذه السورة، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثير عظيم في الفصاحة»[٣].

وقال ابن عاشور في هاء ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾: «وحق هذه الهاء أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل. وقد أثبتت في هذه الآية في الحالين عند جمهور القراء، وكتبت في المصاحف، فعلم أنها للتعبير عن الكلام المحكي بلغة ذلك القائل بما يرادفه في الاستعمال العربي، بأنْ يأتي القائل بهذه الهاء بالوقف على كلتا الجملتين، ولأن هذه الكلمات وقعت فواصل،

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٢٢٤).

(٢) معاني القرآن (٢: ٥٤٣).

(٣) البرهان (١: ٦١).

والفواصل مثل الأسجاع، تعتبر بحالة الوقف مثل القوافي، فلو قيل: «اقرأوا كتابي إني ظننت أني ملاقٍ حسابي»، سقطت فاصلتان، وذلك تفريط في محسِّنَيْن»[١].

والذي يظهر للباحث أن هذا التعليل غريب وبعيد، وحسبه من البعد أن لم يحفل به أحد قبل ابن عاشور، إضافة إلى أنه لا دليل عليه أصلاً.

والأغرب من هذا ما ذكره ابن عاشور أيضاً في حق هاء ﴿مَا هِيَهْ﴾ حيث قال: إنها إنما تُجلب لتخفيف اللفظ عند الوقوف عليه[٢].

وليس يظهر للباحث هذا التخفيف الذي جلبته هذه الهاء لكلمة (هي) والله وحدَه هو العالم بمثله.

٣ـ زيادات أخرى:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢].

ذهب الكرماني إلى تعليل ذكر ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ في المرة الثانية في هاتين الآيتين بأنها زيدت لأجل رعاية الفاصلة[٣]، وإلى مثله ذهب الزركشي في البرهان[٤]، واختاره الدكتور لاشين[٥].

وقال الزمخشري في تفسير الموضع الأول: عرَفَ يوسف فكلَّمه كلامَ محترز؛ لأنه ليس على يقين من الرجوع، فربما اخترم دونه، ولا مَن علمهم فربما لم يعلموا، أو معنى

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩: ١٣١).

(٢) المصدر السابق (٣٠: ٥١٥).

(٣) أسرار التكرار ص١١٢.

(٤) (١: ٦٢).

(٥) الفاصلة القرآنية ص٢٥.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلِّصوك من محنتك[١].

وتابعه على ذلك البيضاوي[٢] وأبو السعود[٣] والآلوسي[٤]. ولم أجد لأحد من المفسرين كلاماً في (لعل) في الآية الثانية.

وقال الدكتور أحمد نوفل: «وترداد الترجي منه ينبئك عن حالته النفسية وتعلقه بيوسف وتعليقه عليه الآمال في تعبير هذه الرؤيا. ولم يكن الساقي يتوقع من يوسف المحسن أن ينتقم لنفسه، فيكتم علماً أكرمه الله به، أو يرد ملهوفاً وقت حاجة، انتقاماً للذات، أو تصفية لحسابات»[٥].

ونُقل كذلك عن الطوسي في الثانية ما نصه: «وإنما قال: لعل؛ لأنه جوز أن تشتبه عليهم»[٦].

والذي يظهر للباحث أن كلمة (لعل) في الموضع الثاني من الآية الأولى ليست زائدة ولا تكراراً، وإنما هي ثمرة من ثمار دعوة يوسف عليه السلام في السجن، فقد أفاد منه السجين إعطاءَ مثل هذا الترجي في الكلام وعدم الجزم به؛ لأن المرء لا يدري أين يقع من الأقدار، ولهذا لم يقل هذا السجين في مخاطبة الملك مثل ذلك؛ لأن القوم ـ والله أعلم ـ لا يفهمون هذه اللغة، وقد أشار إلى ذلك استعمال يوسف عليه السلام مثل هذا الأسلوب

---

(١) الكشاف (٢: ٣٢٤–٣٢٥).
(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٥: ١٨٣).
(٣) إرشاد العقل السليم (٤: ٢٨٢).
(٤) روح المعاني (١٢: ٢٥٤).
(٥) سورة يوسف ص٤٠٦.
(٦) المصدر السابق ص٤٦٨ نقلاً عن التبيان (٦: ١٢٦).

حين رد البضاعة التي جاء بها إخوته رداً خفياً عنهم مع كونه نبياً يوحى إليه، إلا أنه أراد أن يطبق عملياً ما كان يُعلّمه، وهذا دأب الأنبياء والمصلحين ـ والله تعالى أعلم ـ.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

قرأ حمزة وحدَه: «لا تَـخَفْ دَرَكاً ولا تَخْشَىٰ» بجزم الفعل الأول ورفع الثاني[١] وأعربوا ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ بأنها مستأنفة. وهذا القول لم يجوِّز النحاس غيره[٢]، ورجحه ابن الأنباري[٣]، وصدر به في الكشاف[٤]، وجوّز الفراء أن يكون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ منوياً به الجزم، وتثبت الألف كما تثبت الياء والواو على تقدير حذف الحركة فيهما[٥]، ومنع هذا مكي[٦]، وأنكره النحاس بشدّة وحمل على الفراء لأجله[٧].

وذهب الزمخشري إلى تجويز أن يكون الفعل مجزوماً وأن الألف الظاهرة هي ألف الاطلاق وليست لام الفعل[٨]، وهو ما صدر به ابن عاشور توجيهه لقراءة حمزة[٩]، وذكره الآلوسي بصيغة قيل[١٠]، وجوّز الزمخشري أيضاً أن يكون مجزوماً بحذف الحركة[١١]، ورده

---

(١) المبسوط في القراءات العشر ص٢٩٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها (٢: ١٠٢).

(٢) إعراب القرآن (٣: ٥١).

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٢: ١٥٠).

(٤) الكشاف (٢: ٥٤٧).

(٥) معاني القرآن (٢: ١٨٧).

(٦) مشكل إعراب القرآن (٢: ٧٤).

(٧) إعراب القرآن (٣: ٥١).

(٨) الكشاف (٢: ٥٤٧).

(٩) التحرير والتنوير (١٦: ٢٧٠ – ٢٧١).

(١٠) روح المعاني (١٦: ٢٣٦).

(١١) الكشاف (٢: ٥٤٧).

الآلوسي بأنه لغة قليلة عند قوم وضرورة عند آخرين[١]. والذي يظهر للباحث أن هذه التخريجات على اختلاف مستوياتها ـ وهي تخريجات نحوية ـ أولى من القول بأن الألف زيدت للفاصلة، على أن أرجح الأقوال فيما يظهر ـ والله أعلم ـ أن ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ ليست نهياً وإنما هي استئناف وبالتالي لا إشكال أصلاً فيها.

٣ـ قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

(لا) فيه ليست للنهي؛ لأن النسيان ليس داخلاً تحت التكليف، فهذا المحل ليس مما نحن فيه، وإنما ذكرت هذه الآية للتنبيه، ولأن في بعض الكتب تجويزَ النهي، وأن الألف زيدت للفاصلة، وهذا فيما يظهر للباحث تكلف شديد[٢].

* * *

(١) روح المعاني (١٦: ٢٣٦).

(٢) المصدر السابق (٣٠: ١٠٥).

المبحث الرابع

الدلالة المعنوية للتقديم والتأخير في تركيب الفاصلة القرآنية

وفيه أربعة مطالب:

الأول: تقديم المفعول في الفاصلة القرآنية.

الثاني: تقديم الجارّ والمجرور أو الظرف على متعلقه في الفواصل القرآنية.

الثالث: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، أو المسند المشتق في الفواصل القرآنية، سواء أكان المسند إليه منفياً أم لم يكن، أم اقتصر النفي على المسند.

الرابع: تقديم بعض الكلمات على بعض مما لا ينضبط بضابط واحد ـ في الفواصل القرآنية ـ.

المطلب الأول

تقديم المفعول في الفاصلة القرآنية

ذهب الزمـخشري في غير ما موضع من الكشاف إلى أن التقديم في مثل هذه الصورة[١] يفيد الاختصاص، وقد أنكر غير واحد من العلماء أن يكون التقديم في مثل ذلك مفيداً الاختصاص، وعلى رأس هؤلاء أبو حيان في البحر[٢]، وابن الأثير في المثل السائر[٣]، وابن الحاجب في شرح المفصّل[٤].

والذي عليه أكثر علماء البيان هو ما ذهب إليه في التلخيص حيث قال: (والتخصيص لازم للتقديم غالباً)[٥]. وقد طوّل شُراح التلخيص الكلام عند هذه العبارة انتصاراً لهذا المذهب[٦].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن اعتراض أبي حيان وغيره هو اصطلاح نحوي، وما ذهب إليه الزمخشري ومن تبعه إنما هو اصطلاح للبيانيـين[٧].

---

(١) وكذلك في تقديم الجار والمجرور أو الظرف على متعلقه، وستأتي أمثلته في المطلب الذي يلي هذا مباشرة.

(٢) (١: ١٦-٢٤).

(٣) (٢: ٣٥) وما بعدها.

(٤) (١: ٤٧).

(٥) ص١٣٤ بشرح البرقوقي.

(٦) شروح التلخيص (٢: ١٥٢-١٦٠)، وانظر تجريد البناني على مختصر السعد (١: ٣٨٥)، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (١: ١٢٠).

(٧) المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري ورقة ٢.

وينبغي التنبيه إلى أن الزمخشري لا يرى في كل صور التقديم أنها مفيدة للاختصاص، وإنما يتحكم السياق في أحيان كثيرة لبيان المقصود وراء تركيب النظم[١].

وبعد: فهذا الذي ذهب إليه البيانيون هو الصواب، وما ذكره النحويون من أن التقديم إنما هو لمجرد العناية والاهتمام، كلام لا ينبغي أن يُحفل به، فهو من الإقناع بوادٍ سحيق، ولهذا قال عنه شيخ البلاغيين منكراً: «قد وقع في ظنون الناس أن يقال: «إنه قُدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يُذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صَغُر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهوّنوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف، ولم ترَ ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه»[٢].

ولنقفِ الآنَ عند أمثلة قرآنية في فواصل الآيات تتجلى فيها روعة التقديم ويظهر فيها سمو الإعجاز، ولكن لا بد من التنبيه على أن القول بالاختصاص، أو العناية والاهتمام، لا ينبغي أن يصد الباحث عن التفكير في وجوه معنوية أخرى يظهر بها سمو الإعجاز القرآني وروعته البلاغية، وقديماً قالوا: النكت لا تتزاحم.

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٦].

هكذا جاء النظم الكريم دون: نعبدك ونستعينك، وقد اختلفت أنظار العلماء في سبب عدول النـظم إلى ما هو عليه، فذهب الزمخشري إلى أن تقديم (إياك) لأجل التخصيص[٣]، وأنكر أبو حيان ذلك وقال: إن التقديم للعناية والاهتمام[٤]، وإلى مثله

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٢٧٠ وما بعدها.

(٢) دلائل الإعجاز ص١٠٨.

(٣) الكشاف (١: ٦١).

(٤) البحر المحيط (١: ٢٤).

نحا ابن الأثير من قبل[١] وابن عطية[٢]، وجمع العلوي في الطراز بين الرأيين[٣].

وذكر القاضي زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي عدة أسباب ونكت لتقديم المفعول فقال:

«أ ـ إن الضمير المنصوب عبارة عن ذات المعبود بالحق، المستحق لأن يعظم بغاية ما يمكن من التعظيم، ومن طرق التعظيم تقديمه في الذكر.

ب ـ إن المطلب الأعلى، والأعم الأقوى بالنسبة إلى القارئ إنما هو موالاة المعبود بالحق الموصوف بجميع صفات الجلال والجمال المستجمع لجميع وجوه الفضل والإفضال، فكان لذلك نصب عينيه، وأهم عنده من جميع ما سواه، بحيث لا يسبق إلى لسانه إلا ذكره، ولا إلى قلبه إلا محبته، ولا إلى جوارحه إلا حضوره والاستكانة إليه، فلم يتمالك لذلك إلا أن يقدم اللفظ الدال عليه على عامله.

ج ـ الدلالة على الحصر.

د ـ إنه قدم ليوافق الترتيب في الذكر للترتيب في الوجود؛ لأنه تعالى مبدأ الكائنات بأسرها، فإنه كان ولا شيء معه.

هـ ـ التنبيه والإرشاد للعابد إلى أنه ينبغي أن يكون نظره إلى معبوده الحقيقي أولاً بالذات، ولا ينظر إلى العبادة إلا من حيث إنها نسبة شريفة إليه تعالى، ووصلة بينه وبين محبوبه، وهذا الوجه إنما يكون وجهاً لتقديم مفعول ﴿نَعۡبُدُ﴾ عليه ويفهم منه تقديمه على ﴿نَسۡتَعِينُ﴾»[٤].

---

(١) المثل السائر (٢: ٣٦).

(٢) المحرر الوجيز (١: ٧٥).

(٣) الطراز المتضمن حقائق البلاغة وأسرار الإعجاز (٢: ٦٧).

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي (١: ٤٣).

والذي يظهر أن قول الشيخ زاده هو الراجح، فهو كلام حسن، وأحسن من قولهم للعناية والاهتمام وإن كان مثله شرحاً لمثله والله الموفق.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ وقوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤٠، ٤١].

الأرجح ـ والله أعلم ـ أن تقديم المفعول هنا للاختصاص كما ذهب إليه غير واحد من المفسرين(١) خلافاً لأبي حيان الذي لم يرتض التخصيصَ في أصل هذا الباب(٢).

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

هكذا جاء النظم الكريم دون (يظلمون أنفسهم) على أصل التركيب النحوي. قال الشيخ محي الدين زاده في تعليل هذا التقديم: «وقدم مفعول﴿ يَظۡلِمُونَ﴾ إيذاناً باختصاص الظلم بهم وأنه لا يتعداهم» (٣). زاد الآلوسي (أن فيه ضرباً من التهكم بهم)(٤).

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧].

ففي فاصلة هذه الآية قدم المفعول ﴿خِيفَةٗ﴾ على فاعله ﴿مُّوسَىٰ﴾، فذهب أبو السعود(٥) والآلوسي(٦) إلى أن التقديم لمراعاة الفاصلة. وقال البقاعي: «ولما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه، فكان ربما أفهم أنه أوقعه في نفس أحد غيره، كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق، فقال لذلك لا لمراعاة الفاصلة ﴿نَفۡسِهِۦ﴾ أي: خاصة، وقدم ما المقام له والاهتمام به فقال: ﴿خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ مثلما خاف مِن عصاه أول ما رآها كذلك، على ما هو من طبع البشر، وللنظر إلى الطبع عبر بالنفس لا القلب مثلاً»(٧).

---

(١) انظر الكشاف (١: ٢٧٦)، وحاشية زادة (١: ٢٨٤)، والتحرير والتنوير (١: ٤٥٤).

(٢) البحر المحيط (١: ١٧٦).

(٣) حاشية زادة على تفسير البيضاوي (١: ٣٠٤) وانظر التحرير والتنوير(١: ٥١٢).

(٤) روح المعاني (١: ٢٦٤).

(٥) إرشاد العقل السليم (٦: ٢٧).

(٦) روح المعاني (١٦: ٢٢٨.

(٧) نظم الدرر (١٢: ٣٠٧).

قلت: وما ذكره من أن تقديم المفعول للاهتمام به، هذا نكتة عامة تصلح لهذا ولغيره، وقد لاح للباحث أن التقديم هنا للتعجيب مما كان منه، فإن موسى ﷺ قد رأى قبلاً انقلاب العصا حيّـة، وأعطاه الله من المعجزات الباهرات والتطمينات الظاهرات ما كان لأجله حرياً به أن لا يستشعر الخوف، فكان محل الغرابة هو أن يحصل منه الإيجاس خوفاً بعد كل ما تقدم، لهذا ـ والله أعلم ـ قدم المفعول.

وإذا علمت هذا علمت ما في قول الدكتور عبد الفتاح لاشين من أن التقديم هنا كان قصداً لتحسين النظم ورعاية الفاصلة[١] فإنه كلام من الغرابة بمكان.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٤] وقوله تعالى في القصص: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٣].

واضح في الآية الأولى ـ والخطاب للمؤمنين ـ أن المراد: تخصونه بالعبادة، فالتقديم لأجل الاختصاص. وكذا الحال بالنسبة للثانية، فالمراد خصوص أنفسهم ليدافعوا عنها بالتبري من عبادة الكفار لهم والإنحاء باللائمة عليهم، وذهب ابن عاشور إلى أن التقديم في الثانية للعناية والاهتمام[٢].

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: ٤١].

ذهب الزركشي في البرهان إلى أن تقديم المفعول لأجل الفاصلة[٣]، وأشار ابن عاشور إلى أن المراد بالتقديم هنا التخصيص؛ لأن آل فرعون هم المعنيون أولاً بالإرسال إليهم كونهم يُصدَّرُ عن رأيهم[٤].

---

(١) الفاصلة القرآنية ص٢٩.

(٢) التحرير والتنوير (٢٠: ١٥٩).

(٣) (١: ٦٣).

(٤) التحرير والتنوير (٢٧: ٢٠٨)، وكلامه مأخوذ عن الرازي (٢٩: ٦٥).

والذي يظهر للباحث أن التقديم يفيد كذلك بيان حكمة الله تعالى، فقد يستغرب أو يظن المرء أن أمثال هؤلاء المتجبرين يقصمهم الله دون إنذار لسابق ما عملوه، ولأن النفوس تواطأت على عدم إنكار أفعال أمثال هؤلاء المتجبرين لجبروتهم، ولكن سنن الله في خلقه أعظم من مثل هذا التفكير ـ والله أعلم ـ.

٧ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١].

ذهب الزمخشري إلى أن التقديم فيها للاختصاص فقال: (أي: لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظمى؛ لأنه كان سلطاناً يتعاظم الناس) [(١)].

وقد أخذ ابن الأثير على الزمخشري في هذا الموضع أخذاً شديداً فقال: «فإن تقديم الجحيم على التصلية وإن كان فيه تقديم المفعول على الفعل، إلا أنه لم يكن ههنا للاختصاص، وإنما هو للفضيلة السجعية، ولامِراءَ في أن هذا النظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل: خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم. فإن قيل: إنما قدمت الجحيم للاختصاص؛ لأنها نار عظيمة، ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيرها، كما يقال: ضربت زيداً، وزيداً ضربت... فالجواب عن ذلك: أن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم، فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون الجحيم، على ما ذهب إليه، وهذا لا يذهب إليه إلا مَن هو بنجوة عن رموز الفصاحة والبلاغة»[(٢)].

وذهب أبو حيان في الرد على الزمخشري إلى القول بأن التقديم للاختصاص مرفوض، وأنه ليس مذهباً لسيبويه ولا لحذاق النحاة[(٣)]. ولعمري! لقد أبعد أبو حيانَ النجعةَ في هذا.

---

(١) الكشاف (٤: ١٥٣)، وانظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٩: ٣٦)، وروح المعاني (٢٩: ٤٩).

(٢) المثل السائر (٢: ٣٧).

(٣) البحر (٨: ٣٢٥).

واقتصر صاحب المحاكمات على القول بأن ما ذهب إليه الزمخشري هو مذهب البيانيين[١]، وقد علمتَ مذهب البيانيين.

وذهب الدكتور فضل عباس إلى أن التقديم هنا للعناية بالمقدّم والاهتمام به، مع أنه لا يرى مانعاً من حمل مثل هذا المثال على الاختصاص[٢]، ولم يبين الدكتور وجه العناية ولا الاهتمام مع أنه قد عوّدنا على عدم التسليم والرضا من مثل هذه التعليلات، وهو في هذا يعتمد أسلوب الشيخ عبد القاهر رحمه الله!

والذي يظهر للباحث أن ما ذهب إليه ابن الأثير من التشنيع على الزمخشري ليس في محله، حتى وإن كان التقديم عنده ليس لما ذهب إليه، فالقول بأن القائل بالتخصيص في هذا المحل، وأن نار جهنم هي النار العظمى، هو بنجوة عن رموز الفصاحة والبلاغة، قول لا ينبغي أن يصدر من مثل ابن الأثير، هذا من جهة، وأما قوله بأن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون الجحيم، فكلام ليس بلازم كثيراً؛ لأنه كما قال غير واحد: إن طبقات جهنم ـ والعياذ بالله ـ قد يُطلق أسماءُ بعضِها على بعض[٣].

وبالجملة، فإن ما ذهب إليه الزمخشري من القول بالاختصاص في هذا المحل وإن كان غير مرضي عند كثير من أهل التفسير، فهو أجود من القول بأن تقديم الجحيم لأجل نظم الكلام؛ ذلك لأن التعليل بالاختصاص تعليل معنوي، وأما الآخر فلفظي، وقد أظهرت الدراسات البيانية ترجيح جوانب المعنى في مثل هذا الجانب.

وأحسن جواب وقفت عليه هو ما قاله ابن عاشور من أن تقديم الجحيم ههنا لتعجيل

---

(١) المحاكمات ورقة ٢٨٥ أ.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها ص٢٣٦.

(٣) انظر روح المعاني (٥: ١٧٧).

المساءة مع الرعاية على الفاصلة[١]، فإن الكافر حين يفاجأ بأن صحيفته قد استلمها بشماله يعجل له بالجحيم ليصلاها حتى يزداد عذاباً فوق العذاب ـ والعياذ بالله ـ.

ويظهر للباحث وجه آخر حاصله أن لفظ الجحيم من الألفاظ الدارج استعمالها كثيراً عن النار، ولهذا اللفظ في النفس البشرية حظ كبير من التصور الرهيب، فلعل التقديم لأجل مراعاة ذلك ـ والله أعلم ـ ولهذا جاء أن جهنم من الجهامة وهي كراهة المنظر[٢].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

الجمهور عدا أبي حيان[٣] ومن وافقه يقولون بأن التقديم هنا للاختصاص[٤].

٩ـ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩-١٠].

ظاهر كلام الزمخشري أن التقديم في الآيتين للاختصاص، إذ قال: «والمعنى أنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فآواك الله وهداك وأغناك، فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث، واقتد بالله، فتعطّف على اليتيم، وآوه، فقد ذقت اليتم وهوانَه، ورأيت كيف فعل الله بك، وترحّم على السائل وتفقده بمعروفك، ولا تزجره عن بابك، كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر، وحدّث بنعمة الله كلها»[٥].

وذهب ابن عاشور إلى أن التقديم فيهما للاهتمام بشأن اليتيم والسائل[٦]، ومال إلى

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩: ١٣٨).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ص٢٦٠.

(٣) البحر المحيط (٨: ٣٧٠).

(٤) انظر الكشاف (٤: ١٨٠)، وروح المعاني (٢٩: ١١٦)، والتحرير والتنوير(٢٩: ٢٩٥).

(٥) الكشاف (٤: ٢٦٥) وقد يفهم هذا الكلام على أنه حث للاهتمام بالمذكورين من الأصناف.

(٦) التحرير والتنوير (٣٠: ٤٠١).

مثل هذا أستاذنا الدكتور فضل عباس في كتاب البلاغة[١]، وإن كان لا يرى مانعاً من الحمل على التخصيص فقال: « ويلوح لي في الآيات الكريمة كذلك أنها لا مانع من أن تحمل على التخصيص، كأنه قيل: إذا كان لا بد من قهر ونهر، فحذارِ أن يكون لليتيم والسائل».

وللبقاعي كلام حسن في هذا الموضع حيث قال: «ولما بدأ بها كان بداية له (أي: اليتم) ثنّى بما هو نهاية له من حيث كونه يصير رأس الخلق فيصير محط الرجال في كل سؤال من علم ومال، فقال مقدماً له اهتماماً به إشارة إلى أن جبر الخواطر، واستئلاف الخلق، من أعظم المقاصد في تمام الدين ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾»[٢].

وبعد، فهذه أهم الأمثلة التي وجدت يتقدم فيها المفعول (المعمول) على فاعله (عامله) في الفواصل القرآنية، وما أغفلته عن قصد أو غير قصد يمكن قياسه على ما قصد بيانه والله الموفق.

❋ ❋ ❋

---

(١) ص ٢٣٦.

(٢) نظم الدرر (٢٢: ١١١).

المطلب الثاني
تقديم الجار والمجرور أو الظرف على متعلقه
في الفواصل القرآنية

وأمثلة هذا النوع كثيرة جداً، يمكن الوقوف عند بعضها ويترك الآخر لإمكان قياسه بالمذكور، وقد علمت قبلاً أن البيانيين يرون أن مثل هذا التقديم يفيد الاختصاص، خلافاً لمن منعه من النحاة، وقد سبق التنبيه على أنني لا أقتصر على هذه الفائدة المعنوية وحدَها، وإنما أتطلب المزيد من المعاني من وراء سياقات الآيات الكريمة، أسأل الله الكريم العون والتوفيق.

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨].

هكذا جاء النظم الكريم دون قوله: لَتحشرون إلى الله، والمراد تحشرون إليه لا إلى غيره كما هو ظاهر من النظم الكريم[١].

وقال الزمخشري: معناه (لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم التواب تحشرون، ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه، وإدخال اللام على الحرف المتصل به، شأنٌ ليس بالخفي)[٢].

وهو يعني بهذا (الاختصاص).

---

(١) خصائص التراكيب ٢٩١.

(٢) الكشاف (١: ٤٧٤).

وقد اعترضه أبو حيان ـ بعد أن نقل كلامه ـ بقوله: «يشير بذلك إلى مذهبه من أن التقديم يؤذن بالاختصاص... فكان المعنى عنده: فإلى الله لا غيره تحشرون، وهو عندنا لا يدل بالوضع على ذلك، وإنما يدل التقديم على الاعتناء بالشيء والاهتمام بذكره كما قال سيبويه، وزاده حسناً هنا أنّ تأخُّر الفعل هنا فاصلة، فلو تأخر المجرور لفات هذا الغرض»(١).

والقول بالاختصاص اختيار الرازي في تفسيره(٢) والآلوسي حيث رد قول أبي حيان بقوله: (وادَّعى بعضهم) (٣).

والذي يظهر للباحث ترجيح القول بالاختصاص، ولا ينافي ذلك ما لهذا التركيب من ميزة لفظية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الحجر: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [النحل: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الشعراء: ٦] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠] وقوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠].

فهذه الآيات كلها تقدم في فواصلها الجار والمجرور على الفعل المتعلق به. وليس للمفسرين كلام كثير عند هذه الآيات، بل إن أكثر المفسرين لم يعرض إلى هذا التقديم في

---

(١) البحر (٣: ٩٦).
(٢) التفسير الكبير (٩: ٦٢).
(٣) روح المعاني (٤: ١٠٥).

هذه الآيات، وبعضهم عرض له عند بعض هذه الآيات فقط. من ذلك أن البقاعي ذهب إلى أن التقديم في آية الشعراء للاختصاص[١]، وذهب الآلوسي إلى أن التقديم في آية الأنعام إنما هو لرعاية الفواصل[٢]، وإلى مثل ذلك ذهب في آية النحل[٣]، وأما في آية يس فقد ذهب إلى أن التقديم للحصر الادعائي، وجوّز أن يكون لمراعاة الفواصل[٤].

وذهب ابن عاشور إلى أن التقديم في آية الأنعام للرعاية على الفاصلة[٥] وإلى أن التقديم في آية الحجر لإفادة القصر مبالغة[٦]، وإلى أن التقديم في آية النحل للرعاية على الفاصلة[٧] وإلى أن التقديم في آية الروم للاهتمام والرعاية على الفاصلة[٨]، ومثله في آية يس[٩]، ولم أجد لأحد من المفسرين ـ فيما اطلعت عليه ـ كلاماً آخر.

والذي يظهر للباحث أن آيتي الأنعام والنحل من باب واحد، وأن التقديم فيهما لزيادة النكاية بهؤلاء المكذبين، فكأن المراد هذا الشيء الذي كذبوا به هو بعينه الذي يعذبون من أجله، وفي هذا مبالغة في إيقاع العذاب بالمكذبين، ووعيد شديد لهم بأنهم سيلاقون عين ما كانوا يفعلون لكن بنتيجة مؤلمة.

وأما الآيات الأخر فهي من باب واحد، وقد يكون الاختصاص طابعاً عاماً للتقديم

---

(١) نظم الدرر (١٤: ٩).
(٢) روح المعاني (٧: ١٠٣).
(٣) السابق (١٤: ١٣٥).
(٤) السابق (٢٣: ٤).
(٥) التحرير والتنوير (٧: ١٤٨).
(٦) السابق (١٤: ٢٣).
(٧) السابق (١٤: ١٤٧).
(٨) السابق (٢١: ٦٠).
(٩) السابق (٢٣: ٩).

فيها، غير أنه يلوح للباحث أن التقديم هنا للتعجيب من جهة، وبيان استعجالهم الاستهزاء من جهة أخرى، يضاف إلى ذلك أن من فوائده تعجيلَ المساءة ببيان أن الذي كانوا به يستهزئون هو الذي سيأتيهم نبأه على شر ما يريدون.

فأما التعجيب فهو أن هذه الآيات وهؤلاء الرسل إنما يجيئون لأجل إنقاذ الأمم، فكان الحري بهم أن يصدقوهم لا أن يكذبوهم، وأما الاستعجال فهو أن هؤلاء الأقوام ما كانت الآية تأتيهم أو الرسل ينذرونهم إلا كان الاستهزاء أول مواجهتهم لهم، وهو بالرسل أول شر أفعال أقوامهم معهم. ولهذا ـ والله أعلم ـ قدم المجرور في هذه الآيات.

ويمكن أن يقاس على هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] وذلك لبيان أن الإعراض كان مباشرة للذي يجيء، بغض النظر عما هو، وقبل أن يفكروا فيه ـ والله تعالى أعلم ـ.

٣ـ هناك أمور كثيرة رُدّ الأمر فيها إلى الله عز وجل، ولكن جاءت صياغة النظم الكريم على تقديم الجار والمجرور فيها على عامله، وأقتصر على عَشْر من الآيات تمثيلاً لا حصراً:

ففي سورة هود في قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]، وفي خطاب النبي ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ

لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨] وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن: ٣].

هذه نماذج لأمثلة كثيرة، تركيبها واحد، تختلف أحياناً من حيث البناء اللفظي، وهي من سور متعددة. ومعلوم بداية أن الزمخشري والبيانيين يرون في مثلها أن التقديم فيها للاختصاص.

وفي كلها ذهب البقاعي والآلوسي إلى أنها مفيدة للاختصاص، والآلوسي ينقل عبارات كثيرة عن أبي السعود في هذه المواضع من تفسيره[١].

وذهب ابن عاشور في تفسيره مذاهب شتى في هذه الآيات، مرة يجعل التقديم فيها للاختصاص، ومرة للاهتمام، وأخرى لمراعاة الفواصل، فهذا كلامه على التوالي أذكره لأن لي وقفة عنده. قال في آية هود: «والتقديم في ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للاهتمام ولرعاية الفاصلة، وليس للقصر؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث أصلاً بله أن يزعموا أنهم يحضرون إلى الله وإلى غيره»[٢].

وقال في آية الرعد: «إن التقديم فيها للاختصاص»[٣]، وفي آية الأنبياء قال: «وتقديم المجرور لرعاية الفاصلة، وإفادة تقوي الخبر، وأما احتمال القصر فلا يقوم هنا، إذ ليس ضد ذلك باعتقادٍ للمخاطَبين كيفما افترضتهم»[٤]، ومراده بذلك الضد عدم الرجوع، ومعنى كلامه حينئذ أن المخاطب بهذه الآية كيفما عُد لا يؤمن بالرجوع أصلاً فضلاً عن أن يكون لله!!

وقال في آية الحج: إن التقديم فيها للحصر الحقيقي[٥]، وفي آية النور: إن التقديم

(١) انظر التفاسير المشار إليها عند الآيات المذكورة آنفاً.

(٢) التحرير والتنوير (١٢: ٦٣).

(٣) السابق (١٣: ١٤٢).

(٤) السابق (١٧: ٦٥).

(٥) السابق (١٧: ٢٩٣).

فيها للاختصاص[١]، وفي آية القصص قال: «وتقديم المجرور بـ(إلى) للاهتمام بالخبر؛ لأن المشركين نفوا الرجوع من أصله، ولم يقولوا بالشركة في ذلك حتى يكون التقديم للتخصيص»[٢]. وقال في آية العنكبوت: «وتقديم المجرور على عامله للاهتمام والتأكيد، إذ ليس المقام للحصر، إذ ليس ثمة اعتقاد مردود»[٣].

في آية العنكبوت الثانية قال: «إن التقديم لإفادة الاختصاص تعريضاً بالمشركين الذين لم يفردوا الله بالإلهية»[٤]، في آية فاطر قال: «إن التقديم للاهتمام للتنبيه على أنه مصير إلى من اقتضى اسمه الجليل الصفات المناسبة لإقامة العدل، وإفادة الفضل مع الرعاية على الفاصلة»[٥]، وفي آية التغابن قال: «وتقديم ﴿إِلَيۡهِ﴾ على ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾ للرعاية على الفاصلة مع إفادة الاهتمام بتعلق ذلك المصير بتصرف الله المحض. وليس مراداً بالتقديم قصرٌ؛ لأن المشركين لا يصدقون بهذا المصير من أصله بله أن يدّعوا أنه مصير إلى غيره حتى يرد عليهم بالقصر»[٦].

قلت: ولم أرَ لأحد من المفسرين قبل ابن عاشور أنه نفى احتمال الآيات لأن تكون مفيدة للتخصيص لما اعتل به من العلل. ومن العجيب قوله عن آية هود ما قال، فهي أولاً: ليست من كلام المشركين، وأما ثانياً: فهي تهديد لهم ووعيد بأنهم سيرجعون إلى الله لينالوا جزاءهم، وليس لعقيدة المشركين ـ إن كان لهم عقيدة ـ دخل في هذا الجانب حتى يقول ما يقول.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨: ٢٦٠).

(٢) السابق (٢٠: ١٩٧).

(٣) السابق (٢٠: ٢٣٢).

(٤) السابق (٢١: ٨).

(٥) السابق (٢٢: ٢٩٢).

(٦) السابق (٢٨: ٢٦٦).

وبناء عليه فإن القول الصواب فيما يراه الباحث أن هذه الآيات جميعها التقديم فيها مفيد للاختصاص، ولا يمنع هذا من إضافة نكت معنوية أخرى لبعضها، من أمثال القول بأن في بعضها التخصيص مضافاً إليه تهديد المشركين ووعيدهم ـ والله أعلم ـ.

٤ـ هناك آيات كثيرة جداً وقع فيها تقديم الجار والمجرور على متعلقه غير ما تحدثت عنه، وقعت في سياقات مختلفة، ويحسن الوقوف عند بعضها هنا تمثيلاً لا حصراً:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ١١٣].

حيث تقدم في هذه الآية الكريم ﴿عَلَيْهَا﴾ على قوله: ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

فقال ابن عاشور: «إن التقديم هنا للرعاية على الفاصلة»[(١)].

قلت: ولم أر للمفسرين شيئاً عند هذا المحل، بل إن أكثر المفسرين قد طوّل الكلام على إعراب هذا المحل بأوجه مختلفة. والذي يظهر للباحث أن التقديم ليس لما ذهب إليه ابن عاشور، بل ليدلل على مدى اهتمامهم وترقبهم لهذه المائدة التي ستكون هي محل شهادتهم، فقدموا ما يخص هذه المائدة ليقع التقديم في نفس عيسى عليه السلام موقعه فيبادر إلى طلبها من الله تعالى. وقد حصل ذلك كله.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

قال الزمخشري: «ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم، لا يخشون ولا يرجون إلا إياه»[(٢)]، وهو ظاهر في إفادة الاختصاص، وبه قال الآلوسي[(٣)].

وقال ابن عاشور: «والتقديم إما للرعاية على الفاصلة، فهو من مقتضيات الفصاحة،

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ١٠٧).

(٢) الكشاف (٢: ١٤٢).

(٣) روح المعاني (٩: ١٦٧).

مع ما فيه من الاهتمـام باسم الله. وإما للتعريض بالمشركين؛ لأنهم يتوكلون على إعانة الأصنام»(١).

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].

ذهب البقاعي إلى أن التقديم فيها للاختصاص، وأضاف: «أن فيه إشارة إلى أن هذا الأمر الذي دُعوا إليه ليس أمراً طارئاً حادثاً، فيكون بحيث يتوقف فيه للنظر في عواقبه، والتأمل في مصادره وموارده، بل هو مع ظهور دلائله، واستقامة مناهجه، وصحة مذاهبه، وإلقاء الفطَر أزِمّة الانقياد إليه، أصل ما كان العباد عليه، وما هم فيه الآن هو الطارئ الحادث مع ظهور فساده ووضوح سقمه»(٢).

وذهب ابن عاشور إلى أن التقديم لمراعاة الفاصلة(٣).

والذي يظهر للباحث أن ما ذهب إليه البقاعي أجود وأحسن والله أعلم.

د ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

قال البقاعي: «وتقديم الجار للإشارة إلى زيادة التشنيع عليهم من حيث إنهم أشد الناس تبرؤاً من الكذب، وقد خصوا الله ـ على تقدير التسليم لهم ـ بأن تعمدوا الكذب عليه»(٤).

وذهب إلى هذا الرأي ابن عاشور(٥) وأبو السعود، مع مراعاة الفاصلة وتجويزه

---

(١) التحرير والتنوير (٩: ٢٥٩).

(٢) نظم الدرر (٩: ٩٣).

(٣) التحرير والتنوير (١١: ١٢٩).

(٤) نظم الدرر (٩: ١٤٨).

(٥) التحرير والتنوير (١١: ٢١٠).

أن يكون التقديم للقصر[١]. وقال الآلوسي: «إن التقديم إما للقصر مطلقاً وإما لمراعاة الفاصلة»[٢].

والذي يظهر للباحث أن أقوى الأقوال ما عند البقاعي.

هـ ـ قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

ذهب الآلوسي إلى أن التقديم في ﴿لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ للرعاية على الفاصلة[٣]، وبمثله قال ابن عاشور إلا أنه زاد (مع الاهتمام بشأنها)[٤].

والذي يظهر للباحث أن التقديم للقصر الادعائي بتنزيل هؤلاء مع كراهتهم لهذه البينة وشدتهم في عدم قبولها وكأنهم لا يكرهون شيئاً غيرها. ولذلك قدمت ـ والله أعلم ـ.

و ـ قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

ذهب البقاعي إلى أن التقديم فيها للاختصاص[٥]، وقال أبو السعود: «وتقديم الجار والمجرور لإظهار العناية والاهتمام بما هو الأهم، مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة»[٦]، واختار أستاذنا الدكتور أحمد نوفل أن التقديم في الآية للاهتمام[٧]، غير أنه لم يبين ما هو هذا الاهتمام وكيفيته وبأي شيء.

---

(١) إرشاد العقل السليم (٤: ١٦٥).

(٢) روح المعاني (١١: ١٤٢).

(٣) السابق (١٢: ٤٠).

(٤) التحرير والتنوير (١٢: ٥٣).

(٥) نظم الدرر (١٠: ١٧).

(٦) إرشاد العقل السلم (٤: ٢٥٢).

(٧) تفسير سورة يوسف ص٢٥٠.

وذهب الدكتور محمد حسن باجوده إلى أن التقديم: «للاختصاص، وهو يدل ـ كما يقول ـ على شفافية في نفس الفتى، وإشراق روحي وصفاء، ذلك أن هذا الغلام حينما يتبين أن الشمس والقمر والأحدَ عشَرَ كوكباً ساجدةٌ له سجودَ العقلاء، فهذا دليل على أن الشمس والقمر كانتا من يوسف بالذات في وضع معين، جعله يوقن أنه هو المقصود بالسجود»(١).

والذي يظهر أن هذا كلام حسن، والحمل معه على الاختصاص أولى من الاهتمام ورعاية الفاصلة.

ز ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

ذهب أبو السعود إلى أن التقديم فيها إنما هو لرعاية الفواصل(٢)، وذهب ابن عاشور إلى أن التقديم للرعاية على الفاصلة مع الاهتمام بالرؤيا في التعبير(٣).

وقال الدكتور محمد حسن باجوده: «وحينما يجيء على لسان الملك ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فربما كان ذلك دليلاً على رهافة إحساس هذا الملك، فلعل طلبه من الملأ أن يعبروا رؤياه شيء لم تَجْرِ بِهِ العادة، وكان على علم تام بذلك، ولكن اهتمامه بهذه الرؤيا هو الذي دفعه إلى طلب فتيا الذين يفتون في معضلات الأمور، ثم هو على علم تام بأن طلبه غير العادي ليس من الضروري أن يتحقق على أيديهم، فهو لا يريد أن يكلفهم من أمرهم عسراً، مع قدرتهم الفائقة على الإفتاء في المعضلات من صميم اختصاصهم، ولا يخفى أن أصل الكلام (إن كنتم تعبُرونَ الرؤيا) وأن تقديم الرؤيا دليل على فرط الاهتمام بها»(٤).

---

(١) الوحدة الموضوعية في تفسير سورة يوسف ص٣٤٠.

(٢) إرشاد العقل السليم (٤: ٢٨١).

(٣) التحرير والتنوير (١٢: ٢٨١).

(٤) الوحدة الموضوعية ص١١٩.

والذي يظهر للباحث أن هذه الرؤيا أفزعت الملك لغرابتها ووضوحها، فلما طلب حاشيته لاستشارتهم كان أول ما كان عليه تقديم ما هو به معني، فلذلك قدم (الرؤيا) للتدليل على مدى ما في نفسه من تعلق وخوف من هذه الرؤيا العجيبة ـ والله أعلم. ـ.

ح ـ قوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].

قال ابن عاشور: «وتقديم المجرور بلام التقوية في ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ للرعاية على الفاصلة وللاهتمام بتعلق نكرتهم إياه للتنبيه على أن ذلك من صنع الله تعالى، وإلا فإن شمائل يوسف عليه السلام ليست مما شأنه أن يُجهل أو ينسى»(١).

ط ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥].

ذهب الزمخشري إلى أن التقديم فيها للاختصاص(٢)، وذهب القاضي البيضاوي إلى أن تقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي، أو لأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش، أما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكه(٣)، وتبعه على ذلك أبو السعود في تفسيره(٤). وجمع الآلوسي أشتات الأقوال فقال: «وتقديم الظرف للحصر، على معنى أن الأكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش من بين سائر الحيوانات، فلا يرد الأكل من الدجاج والبط، وصيد البر والبحر، فإنه من قبيل التفكه، وكذا لا يرد أكل لحم الخيل عند من أباحه لأنه ليس من المعتاد المعتمد أيضاً. والحاصل أن الحصر إضافي، وبذلك لا يرد أيضاً أكل الخبز والبقول ونحوها، ويُضم إلى هذا الوجه في

---

(١) التحرير والتنوير (١٣: ١٢).

(٢) الكشاف (٢: ٤٠١).

(٣) تفسير البيضاوي بهامش حاشية الشهاب الخفاجي (٥: ٣١٢).

(٤) إرشاد العقل السليم (٥: ٩٧).

التقديم رعايةُ الفواصل، وجعله لمجرد ذلك، كما في الكشف قصور، وأبو حيان ينكر كون التقديم مطلقاً للحصر، فينحصر وجهه هنا حينئذ في الرعاية المذكورة»(١).

ي ـ قوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

ذهب الآلوسي إلى أن التقديم هنا إما للاهتمام أو لإيهام الاختصاص مبالغة، أو لرعاية رؤوس الآي(٢). واختار ابن عاشور أن التقديم للرعاية على الفاصلة(٣).

والذي يظهر للباحث أن التقديم هنا مراد به الإنحاء باللائمة على هؤلاء الذين فضلهم الله بالرزق على مماليكهم، مع كونهم وإياهم متساوين في البشرية، وهم في الرزق من حيث إنهم عبيد الله أمرهم واحد، ومع هذا التفضيل فهم بالله يشركون، وإنما ذكر الله الرزق؛ لأن مناحيَه معلومة لهم مركوزة في أذهانهم، لا ينكرها أحد، ومع ذلك يجحدون هذه النعمة. وأيضاً، يمكن أن يكون التقديم لاختصاص هذه النعمة دون غيرها لهذا السبب ـ والله أعلم ـ.

ك ـ قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

الظاهر ـ والله أعلم ـ أن التقديم مفيد الاختصاص؛ لأن المراد من الآية إلجاؤهم إلى الإيمان لو أن الله أراد ذلك.

ل ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ [الشعراء: ٥٥] حكايةً عن فرعون.

الذي يظهر من قول البقاعي هنا وهو: «﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا﴾ ونحن على ما نحن عليه من

---

(١) روح المعاني (١٤: ٩٩)، واللمز المذكور بأبي حيان مما لا ينبغي.

(٢) السابق (١٤: ١٨٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٤: ٢١٧).

الكثرة والعظمة»[١]، الذي يفهم منه أن التقديم للاستغراب والإنكار، إذ كيف يسوغ لهؤلاء أن يغيظوا فرعون وملأه وهو من هو. وذهب الآلوسي إلى أن التقديم للحصر والفاصلة[٢]، وبالثاني من أقواله قال ابن عاشور[٣].

م ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

ذهب بعض المفسرين إلى أن ﴿لَكَ﴾ ليست معمولة لـ ﴿ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ قال أبو حيان و﴿لَكَ﴾ إما متعلق بمحذوف، أي: ناصح لك من الناصحين، أو بمحذوف على جهة البيان، أي: لك أعني. أو بالناصحين وإن كان في صلة (أل) لأنه يتسامح في الظرف والمجرور ما لا يتسامح في غيرهما، وهي ثلاثة أقوال للنحويين فيما أشبه هذا[٤]. واختار ابن عاشور ثالث الأقوال، ورأى أن تقديم المجرور للرعاية على الفاصلة[٥]، وذهب البقاعي إلى أن التقديم هنا للاختصاص[٦].

والذي يراه الباحث إضافةً إلى ما عند البقاعي: أن التقديم لبيان إمحاض النصح لموسى عليه السلام، وبيان تلهف الناصح لاستجابته عليه السلام، وقد فعل عليه السلام ذلك بدليل ﴿فَخَرَجَ﴾ [القصص: ٢١] ـ والله أعلم ـ.

ن ـ قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

---

(١) نظم الدرر (١٤: ٣٩).
(٢) روح المعاني (١٩: ٨٢).
(٣) التحرير والتنوير (١٩: ١٣١).
(٤) البحر المحيط (٧: ١١١)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٤: ١٣٨)، وحاشية الجمل على تفسير الجلالين (٣: ٣٤٣)، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٧: ٩٦)، والكشاف (٣: ١٧٠).
(٥) التحرير والتنوير (٢٠: ٩٦).
(٦) نظم الدرر (١٤: ٢٦٢).

قال في الكشاف: «وتقديم الظرف للدلالة على أن منفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه»[١]، وهو يعني بذلك أن التقديم للاختصاص، وتعقبه أبو حيان هنا فقال: «هو على طريقته في دعواه أن تقديم المفعول وما جرى مجراه يدل على الاختصاص، وأما على مذهبنا فيدل على الاهتمام. وأما ما يدل عليه من الاختصاص فمفهوم من آي كثيرة في القرآن منها: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]»[٢].

قلت: وتبع الزمخشري كلٌّ من البيضاوي والشهاب الخفاجي[٣] والبقاعي[٤] وأبي السعود[٥]، ونقل الآلوسي كعادته كلا الرأيين دون ترجيح[٦]، ورجح ابن عاشور رأي أبي حيان بقوله: وتقديم ﴿لِأَنفُسِهِمْ﴾ على ﴿يَمْهَدُونَ﴾ للرعاية على الفاصلة مع الاهتمام بذكر أنفس المؤمنين، لأن قرينه عدم الاختصاص واضحة[٧].

س ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١ -٧٢].

ذهب الزمخشري إلى أن التقديم في الأولى للاختصاص[٨] ولم يعرض للثانية، وكأنه

(١) الكشاف (٢: ٣٢٥).
(٢) البحر المحيط (٧: ١٧٧).
(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٧: ١٢٦).
(٤) نظم الدرر (١٥: ١١٠).
(٥) إرشاد العقل السليم (٧: ٦٣).
(٦) روح المعاني (٢١: ٥٠).
(٧) التحرير والتنوير (٢١: ١١٧).
(٨) الكشاف (٣: ٢٣٠).

اكتفى بالأولى عنها. وذهب البقاعي إلى أن التقديم في الثانية لبيان عظمة الأكل منها[١]، ولم يعرض للأولى، وذهب الآلوسي إلى أن التقديم في الأولى لرعاية الفواصل مع الاهتمام[٢]، ولم يعرض للثانية.

والذي يظهر للباحث أن أرجح الأقوال في هذا ما ذهب إليه ابن عاشور حيث قال: «إن التقديم لزيادة استحضار الأنعام عند السامعين قبل سماع متعلقه، ليقع كلاهما أمكن وقع بالتقديم وبالتشويق، وقضى بذلك أيضاً رعي الفاصلة»[٣].

ع ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

حيث تقدم فيها الظرف.

قال الزمخشري: «فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر، ولا يقدم، وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه، فما باله مقدماً في أفصح كلام وأعربه؟ قلت: هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبّه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأحقه بالتقديم وأحراه»[٤].

وذهب ابن الحاجب في شرح المفصل إلى أن التقديم في (له) إنما جاء لأجل الاهتمام بتناسب الفواصل، وأمرها أهم من تأخير اللغو، فوجب لأجل صحة الفواصل تقديمه وإن كان لغواً[٥]. قد رده الخفاجي بأن فيه نظراً[٦]، وتبعه الآلوسي[٧] ولم يبينا هذا النظر.

---

(١) نظم الدرر (١٦: ١٧٣).

(٢) روح المعاني (٢٣: ٥١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣: ٥١).

(٤) الكشاف (٤: ٢٩٩) وانظر التحرير والتنوير (٣٠: ٦٢٠).

(٥) الإيضاح في شرح المفصل (٢: ٨٩)، ومراده باللغو: ما لا يكون خبراً ولا يحتاجه الخبر.

(٦) حاشية الشهاب (٨: ٤١٣).

(٧) روح المعاني (٣٠: ٢٧٧).

والذي يظهر للباحث أن النظر المعني يظهر من اختلاف النقل عن سيبويه في هذا المحل، وقد نقل أبو حيان كلام العلماء وكلام الزمخشري. ورده بما هو آت: قال: «وقال مكي: سيبويه يختار أن يكون الظرف خبراً إذا قدمه، وقد خطأه المبرد بهذه الآية؛ لأنه قدم الظرف ولم يجعله خبراً، والجواب أن سيبويه لم يمنع إلغاء الظرف إذا تقدم، إنما أجاز أن يكون خبراً وأن لا يكون خبراً. ويجوز أن يكون حالاً من النكرة وهي ﴿أَحَدٌ﴾ لما تقدم نعتها عليها نُصب على الحال، فيكون ﴿لَهُۥ﴾ خبراً على مذهب سيبويه واختياره، ولا يكون للمبرد حجة على هذا القول.. ثم نقل كلام الزمخشري المذكور قبلاً وقال: وهذه الجملة ليست من هذا الباب، وذلك أن قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ليس الجار والمجرور فيه تاماً، إنما هو ناقص لا يصلح أن يكون خبراً لكان، بل هو متعلق بكفواً وقدم عليه، فالتقدير لم يكن أحد كفواً له، أي: مكافئه، فهو في معنى المفعول متعلق بـ﴿كُفُوًا﴾ وتقدم على ﴿كُفُوًا﴾ للاهتمام به، إذ فيه ضمير الباري تعالى، وتوسط الخبر وإن كان الأصل التأخر؛ لأن تأخر الاسم هو فاصلة، فحسن ذلك، وعلى هذا الذي قررناه يبطل إعراب مكي وغيره أن ﴿لَهُۥ﴾ الخبر، و﴿كُفُوًا﴾ حال من ﴿أَحَدٌ﴾ لأنه ظرف ناقص لا يصلح أن يكون خبراً، ويصلح أن يكون غير خبر»[1].

* * *

---

(١) البحر المحيط (٨: ٥٢٨)، وانظر كتاب سيبويه (١: ٥٦)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٢: ٥١٠).

المطلب الثالث

تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، أو المسند المشتق في الفواصل القرآنية، سواء أكان المسند إليه منفياً أم لم يكن، أم اقتصر النفي على المسند

أولاً: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في الفواصل القرآنية إذا كان مثبتاً

وهذا النوع من التقديم كما يذكر البلاغيون يفيد أمرين:

الأول: تقوية الحكم. **والثاني**: الاختصاص إذا دلت له القرينة أو السياق[١]، بهذا قال جمهور البلاغيين. ومن صور هذا التقديم في الفواصل القرآنية ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

يرى السكاكي أن تقديم المسند إليه يفيد تقوية الحكم، أما السعد فيرى أنه مفيد الاختصاص[٢]، ورجح الدكتور محمد أبو موسى إفادة التقديم لتقوية الحكم في هذه الآية[٣].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه هو الصواب، وهذا المذهب في الأصل لعبد القاهر كما ذكره في دلائل الإعجاز[٤].

---

(١) انظر خصائص التراكيب ص١٧٠-١٨٠، والبلاغة فنونها وأفنانها ص٢١٣.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها ص٢١٨.

(٣) خصائص التراكيب ص١٧٢.

(٤) دلائل الإعجاز ص١٣٣.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

وهذه الآية يفيد التقديم فيها تقوية الحكم كما ذهب إليه ابن عاشور[١]، غير أنه ليس هناك ما يمنع من حملها على الاختصاص، وذلك لبيان سوء ما صنعوا، إذ كانت الآيات تنزل عليهم أنفسهم وهم أنفسهم يعرضون عنها.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

قال عبد القاهر: «إن هذه من الصور التي لا يستقيم المعنى بها إلا على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم، فلو قال: ويتولى الصالحين، لوجدت اللفظ قد نبا عن المعنى، والمعنى قد زال عن صورته والحال التي ينبغي أن يكون عليها. ومثلها قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧][٢].

وقال الدكتور محمد أبو موسى موضحاً كلام الجرجاني وإن لم يصرح بذلك: «قال المفسرون: إن الوثنيين قد خوّفوا رسول الله ﷺ آلهتهم، فأُمر عليه السلام أن يقول لهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٦].

السياق كما ترى استهانة بآلهتم وتسفيه عابديها ثم إظهار عدم المبالاة بالعابدين والمعبودين، وأنه عليه السلام يدعوهم لكيده في أسلوب متهكم لاذع يثير الحمية، وقد أشار إلى القوة التي تدفع عنه وتجعله يعارضهم هذه المعارضة قال: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فساق الكلام مؤكداً بما ترى ليشعرهم بوثوقه فيه، وأنه يقول مع موفور الثقة،

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ٢٣٦).

(٢) دلائل الإعجاز ص١٣٣ بتصرف.

ومتين الاعتقاد، وأن نفسه ممتلئة بهذا اليقين، ولهذا جاء قوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بهذا التوكيد ليلائم هذا السياق الذي يقررهم فيه الرسول عليه السلام حال يقينه في وثاقته بربه. وهو يعارضهم تلك المعارضة التي لا تبالي بهم ولا بمقدساتهم، ثم تراه يذكر بعد ذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧] فأشار إلى ما يقابل ثقته في ناصره سبحانه من عجز آلهتهم عن نصرهم، إذن لو قال: ويتولى الصالحين، هكذا كلاماً خالياً من التوكيد، لنبا عنه معناه.

وشيء آخر في تفسير الضرورة البلاغية لهذا التقديم هو أن قوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ دال على أن الله يتولاه عليه السلام بطريق الكناية؛ لأنه يلزم من توليته سبحانه الصالحين أن يكون وليه عليه السلام؛ لأنه سيد الصالحين، وطريق الكناية أوكد في إثبات المعنى من طريق التصريح، فاقتضى حسنُ السياق أن يجيء بناء العبارة على ما هو عليه حتى لا تكون الصياغة فاترة في هذا السياق الذي علت فيه نبرة التوكيد»(١).

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

ذهب الزمخشري في الكشاف إلى أن التقديم في الآية للاختصاص، فقال: «كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون، والمراد بهم قريش، كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخُصّوا»(٢).

وفي كلام الزمخشري السابق عرض لتقديم كلمتي ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ و﴿هُمْ﴾.

وذهب الآلوسي إلى أن تقديم الجار مراعاة للفاصلة، والضمير للتقوّي إن أريد بالكلام غير معين، وإلا فهو للتخصيص كما هو عند الزمخشري(٣).

---

(١) خصائص التراكيب ص١٧٣-١٧٤.

(٢) الكشاف (٢: ٤٠٥).

(٣) روح المعاني (١٤: ١١٧).

وذهب ابن عاشور إلى أن التقديم في ﴿هُمْ﴾لتقوّي الحكم، وليس المقام بسامح بقصد القصر، وأن ما عند الزمخشري هو تكلف[١].

والذي يظهر للباحث أن ما أخذه ابن عاشور على الزمخشري لا يصح، ومذهب الزمخشري صواب على أحد وجهي مراجع الضمير ـ إما أن تكون خصوصاً أو عامة ـ في الآية، وعلى كل فليس هناك ما يمنع من تعدد الوجوه ـ والله أعلم ـ.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ [النحل: ٢٠].

جاء التقديم هنا للتقوّي، قال الدكتور محمد أبو موسى: «إن قوله ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ مخالف لمقتضى حال عبادتهم لها؛ لأن المعبود لا يكون مخلوقاً، فهم ينكرون مخلوقيتها، أو الأصل أن ينكروا ذلك، فوجب توكيد أنهم يُـخلقون (بضم الياء) فجاء على ما ترى»[٢].

٦ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وظاهرٌ من هاتين الآيتين أن التقديم مراد به التخصيص، فالهداية والشفاء لا يقدر عليهما إلا الله[٣].

٧ـ قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١].

صرح الزمخشري في هذا المحل بأن تقديم المسند إليه للاختصاص[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١٤: ١٢٣).

(٢) خصائص التراكيب ص١٧٣، وقوله: فوجب توكيد.. إلخ عبارة فيها كزازة، والأحسن فحَسُنَ، والمراد بالتوكيد في كلامه هو الحاصل من وجود الضمير مضافاً إليه ما يجرّه تقديمه.

(٣) انظر الطراز المتضمن لحقائق البلاغة (٢: ٢٥-٢٦)، وروح المعاني (١٩: ٩٥) وما بعدها، والتحرير والتنوير (١٩: ١٤٢-١٤٣).

(٤) الكشاف (٢: ٥٦٧) وبه قال الآلوسي (١٧: ٢٢) وكذا ابن عاشور (١٧: ٣٨).

والآية ظاهرة في إفادة الاختصاص كما هو واضح من سياقها في الإنكار على هؤلاء الكفار، وقد أنكر ابن المنيرِّ أن يكون هذا المحل مراداً منه الاختصاص فقال: «وفي هذه النكتة نظر؛ لأن آلات الحصر مفقودة، وليس ذلك من قبيل: صديقي زيد، فإن المبتدأ في الآية أخص شيء؛ لأنه ضمير، وأيضاً فلا ينبني على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم، وتخصيص الإنشار بهم ونفيه عن الله تعالى، إذ هذا لا يناسب السياق، فإنه قال عقبها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وأما والمتلوّ خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزمخشري. وعندي أنه محتمل ـ والله أعلم ـ أن تكون فائدة ﴿هُمْ﴾ الإيذان بأنهم لم يدّعوا لها الإنشار، وأن قوله: ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ استئناف إلزام لهم، وكأنه قال: اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم إذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة، ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وإلزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموتى نظم في إبطالهم هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾»[١].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

قال الدكتور أبو موسى: «أي: يحبس أولهم على آخرهم، بإيقاف أولهم حتى يلحق به آخرهم. جاء قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ بتقديم المسند إليه ليؤكد هذا الخبر الغريب فتأنس به النفوس؛ لأن حشر الإنس والجن والطير على هذه الهيئة من الإيزاع والتداخل أمر غريب تحتاج النفوس إلى ما يؤنسها به، ويقرره عندها، فلو قال: ﴿يُوزَعُونَ﴾ هكذا مرسلاً من غير توكيد، لما كان التركيب ملائماً لحال النفس المتلقية لمثله والتي تحتاج إلى ما يؤنسها بالأمر الغريب»[٢]. قلت: وهذا كلام حسن.

---

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف (٢: ٥٦٧).

(٢) خصائص التراكيب ص١٧٥.

٩ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣].

قال الزمخشري: «وكرر فيها المبتدأ الذي هو ﴿هُمۡ﴾ حتى صار معناها: وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح؛ لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق»[١].

وهو ظاهر في الحمل على الاختصاص وإن رفضه ابن المنير في (الانتصاف) في التعليق على هذا المحل، قال: «قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مر في قوله تعالى: ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١] أن معناه لا ينشر إلا هم، وعَدُّ الضمير من آلات الحصر كما مر ليس ببيّن، وقد بينا لمجيء الضمير في سورة اقترب[٢] وجهاً سوى الحصر، وأما وجه تكراره هنا ـ والله أعلم ـ فهو أنه لما كان أصل الكلام: وهم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر، فأريد أن يلي المبتدأ خبره، وقد حال المجرور بينهما فطُرّي ذكره ليليه الخبر، ولم يفت مقصود العناية بالمجرور حيث بقي على حاله مقدماً، ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعدما يوجب التطرية»[٣]. وقد نقل أبو حيان كلام الزمخشري في هذا المحل في البحر وقال: إن فيه دسيسةً اعتزاليةً[٤]، وقد تعقبه الآلوسي بقوله: «وزعم أبو حيان أن فيما ذكره الزمخشري دسيسة اعتزال، ولا يخفى أنه ليس في كلامه أكثر من الإشارة إلى أن المؤمن العاصي لم يوقن بالآخرة حق الإيقان، ولعل جعل ذلك دسيسة مبني على أنه بنى ذلك

---

(١) الكشاف (٣: ١٣٥-١٣٦).

(٢) سورة الأنبياء.

(٣) الانتصاف بحاشية الكشاف (٣: ١٣٥)، وانظر: التحرير والتنوير (١٩: ٢١٩).

(٤) البحر المحيط (٧: ٣٥).

على مذهبه في أصحاب الكبائر، وقوله فيهم بالمنزلة بين المنزلتين، وأنت تعلم أن القول بما اختاره في الآية لا يتوقف على القول المذكور». ولم يرتض الآلوسي كذلك مذهب ابن المنير، وذكر أن الآية تفيد مع الحصر التأكيد. وكلامه مأخوذ من حاشية الشهاب»[(١)].

ثانياً: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي أو المسند المشتق إذا كان المسند إليه منفياً، أو اقتصر النفي على المسند في الفواصل القرآنية

وههنا صور ثلاث لا بد من بيانها:

الأولى: أن يكون المسند إليه منفياً والخبر فعلياً.

الثانية: أن يكون المسند إليه منفياً والخبر مشتقاً.

الثالثة: أن يكون المسند هو المنفي.

فأما الصورة الأولى: فهي مفيدة الاختصاص بالقطع عند عبد القاهر الجرجاني، وتابعه على ذلك شراح التلخيص[(٢)].

وأما الصورة الثانية فقال فيها ابن عاشور ما نصه: «إن تقديم المسند إليه على المسند المشتق لا يفيد الاختصاص عند جمهور البلاغيين»[(٣)]، في حين يرى أستاذنا الدكتور فضل عباس أن هذه الصورة لا تفيد التخصيص عند عبد القاهر، بينما عند الزمخشري وكثير من العلماء يرون في مثل هذا التركيب إفادة الاختصاص[(٤)]، وقد سبق الآلوسي إلى هذا بقوله: إن الزمخشري يرى الاختصاص في كل الأمثلة التي على هذا النمط من التركيب[(٥)].

---

(١) روح المعاني (١٩: ١٥٧).

(٢) شروح التلخيص (١: ٣٩٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢: ١٠٠).

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها ص٢١٦.

(٥) روح المعاني (١٢: ١٢٤-١٢٥).

بينما يرى الدكتور محمد أبو موسى أن الزمخشري لا يرى في مثل هذه الصور دائماً الاختصاص، وإنما يرى أن للسياق دوراً في تحديد هذه الدلالة[١]. وقال ابن عاشور: إن السكاكي يقول: إن تقديم المسند إليه المنفي على الخبر المشتق قد يفيد التخصيص[٢].

ويظهر للباحث أن ما قاله الدكتور أبو موسى هو أدق شيء عن الزمخشري، فإن الدكتور قد قام بدرس البلاغة في تفسير الزمخشري دراسة مستوعبة، يستطيع القارئ من خلالها الوقوف على آراء الزمخشري بدقة.

هذا، وقد طوّل صاحب التلخيص الكلام عند رأي عبد القاهر. وذكر أن هناك خلافاً بين رأيه ورأي السكاكي في تحديد دلالات هذه التراكيب من النمط الأول، غير أن السبكي قد رد هذا القول[٣]. وقال الصعيدي: «والحق أنه لا خلاف بين عبد القاهر والسكاكي في ذلك إلا في التوجيه فقط، والخلاف في التوجيه لا يُؤَثِّرُ في اتفاقهما على ذلك الشيء، وما كان أغنى الخطيب عن التطويل بما طول به في هذا الموضع»[٤].

وإذا كان عبد القاهر يرى في النمط الأول أنه يفيد التخصيص دائماً، فقد جاء من الباحثين من يخالفه في هذا، ويرى أن هذه من الدلالات الأغلبية لا المطردة في مثل هذه التراكيب[٥].

وأما الصورة الثالثة: فهي مما اتفق على أنه إنما يراد بها تقوية الحكم والمبالغة في إثبات النفي، غير أنها قد تفيد التخصيص بقرائن[٦].

---

(١) خصائص التراكيب ص ١٨٠-١٨١.

(٢) التحرير والتنوير (٢: ١٠٠-١٠١).

(٣) عروس الأفراح (١: ٤١٣) وتبع الدكتور أبو موسى صاحبَ التلخيص في خصائص التراكيب ص١٧٨-١٧٩.

(٤) بغية الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح (١: ١٣١).

(٥) خصائص التراكيب ص١٧٩.

(٦) البلاغة فنونها وأفنانها ص٢١٧.

هذا هو محصل ما عند الكاتبين في تبيين دلالات هذه التراكيب. وقد كثر ورود هذه التراكيب بصورها المختلفة في الفواصل القرآنية، وهذه أمثلة متنوعة تتوضح بها سبل البلاغة القرآنية ودلالته الإعجازية.

أولاً: تقديم المسند إليه المنفي على الخبر الفعلي

أ ـ ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقد وقع في القرآن الكريم هذا التركيب في مواضعَ متعددة، منها في: [البقرة: ٣٨-٦٢-١١٢] و[آل عمران: ١٧٠] و[المائدة: ٦٩] و[الزمر: ٦١] و[الأحقاف: ١٣].

وقد بحثت في تفسير الكشاف فلم أقع للزمخشري على شيء في هذه المواضع، ولعلها لظهورها عنده لم يتحدث عنها. وإذا أردنا تطبيق القواعد السابقة فإن هذه المواضع كلها مفيدة للتخصيص عند عبد القاهر.

قال أبو السعود في مثل هذا التركيب: «والمراد بيان دوام انتفائه، لابيان انتفاء دوامه كما يتوهم من كون الخبر مضارعاً، لما تقرر في موضعه من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام»(١).

ومعنى عبارته الأولى: «بيان دوام انتفائه لابيان انتفاء دوامه» أن الحزن لا يصيبهم دائماً فهم في منأى عنه، لا أن الحزن يصيبهم لكن لا يدوم عليهم. فهل هذه العبارة يراد منها أن التركيب يفيد الاختصاص أم المبالغة في بيان ما عليه هؤلاء من مسرة أحوالهم؟ لا يظهر لي أي الجوابين.

وقد تابعه الآلوسي، ونقل مثل هذه العبارات(٢)، إلا أنه صرح أن هذا التركيب

---

(١) إرشاد العقل السليم (١: ٩٣) بتصرف وانظر كذلك (١: ١٠٨)، (١: ٢٥٨)، (٢: ١١٣)، (٣: ٦٣)، (٧: ٢٦١)، (٩: ٨٢).

(٢) روح المعاني (٣: ٣٤)، (٤: ١٢٤).

يفيد الاختصاص في بعض أماكن وروده[١] وكونه لاستمرار النفي في بعض آخر[٢].

في حين ذهب من قبله البقاعي إلى أن التركيب يفيد الاختصاص، ذكر ذلك في أثناء تفسيره لهذه الآيات[٣].

وذهب ابن عاشور إلى القول بإفادة هذا التركيب في هذه الآيات الاختصاص[٤] لكنه سكت عند معظم الأمثلة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ورد هذا التركيب في [البقرة: ٤٨-٨٦-١٢٣] وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ في [البقرة: ١٦٢] و[آل عمران: ٨٨] و[النحل: ٨٥] و[الأنبياء: ٤٠] و[الأنبياء: ٣٩] و[الطور: ٤٦] وقريب منه كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤] و[الروم: ٥٧] و[الجاثية: ٣٥].

وكل هذه المواضع لم يصرح الزمخشري فيها بشيء، غير أنه قد ذكر الدكتور محمد أبو موسى عن سعد الدين في شرحه للكشاف عند قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ قوله: «ولا ينصرهم أحد ـ إشارة إلى أن التقديم في ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ليس للحصر بل للتقوي ورعاية الفاصلة»[٥].

وذهب البقاعي إلى أن التركيب في مثل هذه الآيات يفيد التخصيص، ذكر ذلك في عدة مواضع سواء نقلها عن غيره أم ابتدأها هو بنفسه[٦].

---

(١) روح المعاني (١: ٢٣٩).

(٢) السابق (٢٦: ١٦).

(٣) نظم الدرر (٢: ١١٤)، (٦: ٢٤٢).

(٤) التحرير والتنوير (١: ٥٤١)، (٢٦: ٢٧).

(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٢٧٦-٢٧٧ نقلاً عن شرح الكشاف لسعد الدين ورقة ٨١ مخطوط. انتهى منه.

(٦) نظم الدرر (٢: ٢٧٩)، (١٥: ١٣٤)، (١٨: ١١٤).

وظاهرُ ما عند أبي السعود في بعض المواضع إفادة الاختصاص في مثل هذه التراكيب في الآيات المذكورة[١].

ولم يذهب الآلوسي في مثل هذا التركيب في مواضعه مذهباً واحداً، إذ قال بالاختصاص في بعض المواضع[٢] وقال بغير ذلك في مواضع أخرى، فقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]: «وتقديم المسند إليه لرعاية الفاصلة والتقوي لا للحصر، إذ ليس المقام مقامه»[٣]. وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢]: «وإيثار الجملة الإسمية لإفادة دوام النفي واستمراره»[٤].

وذكر ابن عاشور في أحد المواضع إفادته للاختصاص[٥]، وفي آخر إفادته للتقوي[٦].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧].

وفي هذه المواضع الثلاثة لم أجد لأحد من المفسرين ـ الذين وقعتُ على كتبهم ـ كلاماً يصرح فيه برأي أو يلمح إليه إلماحاً.

والذي يظهر للباحث أن أمثلة هذا النمط من التركيب لا يتحدد فيها التخصيص أو المبالغة والتقوي من التركيب نفسه، وإنما الذي يحدد ذلك السياق الذي وقع فيه هذا التركيب، وإذا كان الأمر على هذا فليس غريباً أن تختلف الأقوال في التركيب الواحد؛

(١) إرشاد العقل السليم (١: ٩٩)، (١: ١٨٣).

(٢) روح المعاني (١: ٢٥٢).

(٣) السابق (١: ٣١٥).

(٤) السابق (٢: ٢٩).

(٥) التحرير والتنوير (٢٥: ٣٧٧).

(٦) السابق (١٤: ٢٨٦).

لأن لكل واحد من الناظرين نظره الخاص للسياق القرآني للآية الكريمة، ويصل كل واحد إلى النتيجة بحسب اجتهاده والله الموفق.

ثانياً: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المنفي في الفواصل القرآنية

وصور هذا النمط من التقديم متعددة، ومن أمثلته ما يلي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] وقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣] ومثلها في [العنكبوت: ٦٣].

وهذه الآيات لم أجد فيما بين يدي من التفاسير من صرح فيها بشيء، سوى أن البقاعي قال عند تفسيره آية البقرة: «إن هذا التركيب يفيد المبالغة في النفي»(١).

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦، ٢٣٢] و[آل عمران: ٦٦] و[النحل: ٧٤].

ذكر البقاعي في أحد المواضع أن التركيب لإفادة المبالغة في نفي العلم عنهم(٢)، وقال الآلوسي في آية آل عمران: «والجملة تأكيد لنفي العلم عنهم في شأن إبراهيم عليه السلام»(٣).

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] و[الأنفال: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] و[آل عمران: ٢٥، ١٦١] و[يونس: ٤٧، ٥٤] و[النحل: ١١١] و[المؤمنون: ٦٢] و[الزمر: ٦٩] و[الأحقاف: ١٩].

وفي هذه المواضع كلها لم أجد لأحد من المفسرين فيما اطلعت عليه أيّ نص، ولعله لظهوره اكتفي عن بيانه.

---

(١) نظم الدرر (٢: ٢٣٥).

(٢) السابق (٣: ٢٢٣).

(٣) روح المعاني (٣: ١٩٥).

د ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥] و[يوسف: ١٠٧] و[النمل: ١٨] و[العنكبوت: ٥٣] ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥] و[الحجرات: ٢] وكذا قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] و[الأنفال: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] و[يس: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦] وقوله تعالى: ﴿هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

وأمثال هذه التراكيب كثير في القرآن الكريم، ولعل المذكور يكفي في الدلالة على ما لم أذكره هنا.

ذكر الزمخشري في آية الزمر ما حاصله أن التركيب لبيان المبالغة في شدة الغفلة[١]، وفي آية يس أورد لها سبباً خاصاً، فإن يكن أراده يكون التركيب في خصوص هؤلاء المعنيين ولكنه صدره بلفظ (قيل)[٢]. وصرح البقاعي في معظم الأمثلة السابقة أن التركيب فيها جاء لبيان المبالغة في الفعل المنفي[٣]، وظاهر كلام أبي السعود عند آية [الأنفال: ٢١] أن التركيب للمبالغة[٤].

وذهب الآلوسي في أحد مواضع سورة [الزمر: ٤] إلى أن التركيب للتقوية والمبالغة[٥].

وأما ابن عاشور ـ قد سبق مذهبه ـ فيرى في مثل هذا التركيب إفادة التقوي والمبالغة[٦].

---

(١) الكشاف (٣: ٤٠٤).

(٢) السابق (٣: ٣١٦).

(٣) نظم الدرر (٨: ١٥)، (٨: ١٩٨)، (٨: ٢٤٧)، (١٠: ٢٤٠)، (١٤: ١٥٢)، (١٤، ١٦٣)، (١٦: ٩٨)، (١٦: ٥٣٧).

(٤) إرشاد العقل السليم (٤: ١٥).

(٥) روح المعاني (٢٤: ٩٦).

(٦) التحرير والتنوير (١٦: ١٠٩)، (١٧: ١٥٣)، (٢٢: ٣٥٢)، (٢٤: ٢٣٣).

وقال السبكي في عروس الأفراح: القسم الثاني من قسمي المسند إليه المثبت المعرفة أن يكون المسند منفياً نحو: أنت لا تكذب، فإنه أبلغ لنفي الكذب من قولك: لا تكذب، ومن قولك: لا تكذب أنت؛ لأنه تأكيد المحكوم عليه لا الحكم، وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] فإن فيه من التأكيد ما ليس في «والذين لا يشركون بربهم» أو «الذين بربهم لا يشركون»، وقوله تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]، وهذا يفيد التأكيد والتقوية قطعاً، وهل يفيد التخصيص عند الشيخ؟[١]، وقد أجاب فيما بعد عما سأل عنه، ورجح أن رأي عبد القاهر أقرب إلى القول بعدم التخصيص في مثل هذه التراكيب[٢].

هـ- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

قال ابن عاشور: «وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المنفي مع عدم إيلاء المسند إليه حرف النفي لقصد إفادته تقوية نفي الإيمان عنهم، أي: الذين ينتفي الإيمان منهم في المستقبل انتفاءً لا أثر له في الصلة، ولأن الأكثر في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المنفي إذا لم يقع المسند إليه عقب حرف النفي، أن لا يفيد تقديمه إلا للتقوّي، دون التخصيص، وذلك هو الأكثر في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٍ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]»[٣].

والذي يظهر للباحث أن هذا هو الصواب إن شاء الله تعالى، وابن عاشور يتكئ في هذا الكلام على ما ذهب إليه الجرجاني في الدلائل[٤]، وتبعه عليه الزمخشري[٥].

---

(١) شروح التلخيص (١: ٣٩٩).

(٢) السابق (١: ٤١٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٠: ٤٧).

(٤) دلائل الإعجاز ص١٣٨.

(٥) الكشاف (٢: ١٦٤).

ثالثاً: تقديم المسند إليه المنفي على الخبر المشتق في الفواصل القرآنية

وأمثلة هذا النوع كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] و[المؤمنون: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].

هذه بعض آيات هذا القسم، وقد سبق التنبيه إلى أن ابن عاشور يقول: «إن تقديم المسند إليه على المسند المشتق لا يفيد الاختصاص عند جمهور أئمة المعاني، وأن الاختصاص مفروض في تقديمه على المسند الفعلي خاصة». وقال ذلك أيضاً في توجيه بعض أقوال الزمخشري عند هذا النمط في الآيات[١] التي ستأتي بعد قليل، وأضاف بعد ذلك قوله: «(إن السكاكي ادعى أن مثل هذا التقديم قد يفيد الاختصاص) وأنكره عليه بقوله: (والحق أن التقديم فيه لا يفيد الاختصاص بذاته، وقد يستفاد من بعض مواقعه معنى التخصيص بالقرائن)»[٢].

ومن الغريب ما صرح به الآلوسي أن الزمخشري صرح في الكشاف هو وغيره بإفادة التقديم للاختصاص في مثل هذا التركيب في كل الأمثلة[٣].

وقد استند أستاذنا الدكتور فضل عباس إلى أن هذا التركيب يفيد الاختصاص من موقف الزمخشري عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ الآتي ذكره، فقال في أمثلة كثيرة منه بما مر[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢: ١٠٠ – ١٠١).

(٢) السابق نفس المكان.

(٣) روح المعاني (١٢: ١٢٤ – ١٢٥).

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، ص٢١٦–٢١٧.

وسيتضح إن شاء الله من خلال الأمثلة أن مذهب الزمخشري ليس كما قرره هؤلاء الأجلّة جميعاً.

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ [هود: ٩١].

قال الزمخشري: (وقد دلّ إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل. كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز، بل رهطك هم الأعزّة علينا، ولذلك قال في جوابهم: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٩٢]. انتهى[(١)].

ويظهر للباحث أن ابن عاشور لما أحس أن هذه الآية تنقض ما ذهب إليه قال: «وتقديم المسند إليه في ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ لا يفيد اختصاصاً ولا تقوياً»[(٢)]، وهو خروج ظاهر عما عند جميع البلاغيين.

نعود إلى الزمخشري، حيث إن كلامه ظاهر في أنه يريد أن التركيب في هذه الآية يفيد الاختصاص، غير أنه لم يلتزم ذلك في كل الأمثلة التي على هذا التركيب، وإنما يرى أن للسياق دورَه في تحديد هذه الأدلة.

٢ـ فهو يقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]:

«﴿هُم﴾ بمنزلته في قوله: «هُمُ يفرِشونَ اللِّبْدَ كلَّ طِمِرَّةٍ» في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم، لا على الاختصاص»[(٣)].

وواضح كذلك أنه يتابع الشيخ الجرجاني في إيضاح دلالة هذا الشعر على المطلوب، يقول الجرجاني في شرح هذا البيت وهو:

---

(١) الكشاف (٢: ٢٨٩)، وانظر روح المعاني (١٢: ١٢٤-١٢٥)، والتحرير والتنوير (٢: ١٠٠-١٠١).

(٢) التحرير والتنوير (١٢: ١٥٠).

(٣) الكشاف (١: ٣٢٧)، والكلام المضمّن في كلام الزمخشري من قصيدة للمعذل بن عبد الله الليثي، وهي في ديوان الحماسة (٢: ٣٥٩).

(همُ يفرشون اللّبد كـلَّ طمِـرّةٍ وأجـرد سـباح يَبُـــذّ المغاليـا

لم يرد أن يدعي له هذه الصفة دعوى من يفردهم بها، وينص عليهم فيها حتى كأنه يعرّض بقوم آخرين وينفي أن يكونوا أصحابها. هذا محال، وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل وأنهم يقتعدون الجياد منها، وأن ذلك دأبهم. من غير أن يعرّض لنفيه عن غيرهم إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ويعلم بدياً قصده إليهم بما في نفسه من الصفة)[1].

وقد ذهب بعض الأجلة إلى أن تركيب هذه الآية يراد منه الاختصاص، فقال الآلوسي: (المتبادر في أمثاله حصر النفي في المسند إليه نحو: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [هود: ٢٩]. و﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ [هود: ٩١] ففيه إشارة إلى عدم خلود عصاة المؤمنين الداخلين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] في النار، وإذا أريد من (الذين ظلموا) الكفار مطلقاً دون المشركين فقط كان الحصر حقيقياً، ويكون المقصود منه المبالغة في الوعيد ـ لا حصر النفي ـ إذ ليس المقام مقام تردد ونزاع في أن الخارج هم أو غيرهم، على الشركة أو الانفراد، وإن كان صحيحاً بالنظر إلى العصاة، إلا أنه غيّر إلى ما ترى إفادة للمبالغة في الخلود، والإقناط عن الخلاص والرجوع إلى الدنيا. وزيادة (الباء) وإخراج ذواتهم من عداد الخارجين لتأكيد النفي، وأنت تعلم أنه إذا لم يعتبر في الحصر حال المخاطب لم يبق فيه ما يقال سوى أن ظواهر بعض الآيات تقتضي عدم إرادة الحصر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ [المائدة: ٣٧] فليس القول بعدم الحصر نصاً في الاعتزال كما وُهم)[2].

---

(١) دلائل الإعجاز، ص١٢٩.

(٢) روح المعاني (٢: ٣٧). ومراده في الأخير الإشارة إلى السبكي وابن المنير حيث انتقدا الزمخشري في هذا المحل، كما في حواشي الكشاف وحاشية الشهاب (١: ٣٠٨–٣٠٩)، وانظر روح المعاني كذلك (١٢: ٨٢)، (٢٥: ١٥٨)، (١٨: ٣٣)، (١٨: ١٩٥)، (٢٥: ٣٧٣) حيث قال مرة بهذا ومرة أخرى بذلك.

وإذا كان هذا المحل يوهم أن الزمخشري إنما لجأ فيه إلى نصرة مذهبه الاعتزالي، فقد قال في موضع آخر، لا علاقة له بالمذهب، ما هو قريب مما هنا، وهو ما ذكره عند تفسيره الآيَةَ التالية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

قال: «إن فيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان، وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البتّ والقطع، ونحوه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] وهو أبلغ من قولك: وما يخرجون منها»[١].

وقد ذكر الآلوسي أن نظم هذه الآية لا يدل على الاختصاص، وإنما هو على سبيل المبالغة في نفي الإيمان عنهم، ثم عرض للقول بأن النظم في تركيبه هذا يدل على الاختصاص وردّه بأن الذوق يبعده[٢].

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

قال الزمخشري: «أي: أحفظُ أعمالكم وأجازيكم عليها، إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم»[٣].

---

(١) الكشاف (١: ١٦٩) وسكت عليه السيد الجرجاني، وانظر البلاغة القرآنية ص٢٧٨، وما قبلها وخصائص التراكيب ص١٨١، وحاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي (١: ٣٠٨ -٣٠٩)، والتحرير والتنوير (١: ٢٦٤ – ٢٦٥).

(٢) روح المعاني (١: ١٤٥).

(٣) الكشاف (٢: ٤٢).

وهذا التحليل تحليل من يريد الاختصاص من تركيب هذه الآية، ولكن قال ابن عاشور: «ولا يفيد تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية اختصاصاً، خلافاً لما يوهمه ظاهر تفسير الزمخشري، وإن كان العلّامة التفتزاني مال إليه، وسكت عنه السيد الجرجاني، وهو وقوف مع الظاهر»(١).

والذي يظهر للباحث أن الحق مع التفتزاني، إذ عبارة الزمخشري مفضية إلى ما ذهب إليه، وهذا دليل على أن الزمخشري يستخرج دلالات هذه التراكيب تبعاً للسياق الذي وقعت فيه.

وذهب البقاعي في تفسيره أكثَرَ هذه الأمثلة إلى أنها من الدوالِّ على الاختصاص، غير أنه في قلة منها مال إلى القول الآخر(٢)، وكذلك فعل أبو السعود في تفسيره(٣).

وقبل الختام لهذا الباب، لا بد من الوقوف على ما أشرت إليه أول البحث بأن الأستاذ محمد أبو موسى قد تعقب الشيخ عبد القاهر فيما سلمه له جميع البلاغيين فقال: «ولعل الذي أغرى عبد القاهر بالقطع بأن مثل: (ما أنا فعلت) يفيد الاختصاص قطعاً، هو ما لحظَهُ من تسلط النفي على الفاعل، ففهم من ذلك أن النفي خاص بالفاعل وأن الفعل غير منفي، وإذا كان الفعل غير منفي، وقد نُفي فاعل معين فقد وجب أن يكون هذا الفعل مسنداً إلى فاعل آخر، وهذا هو معنى الاختصاص. والذي قال عبد القاهر مع دقته التي أغرت الباحثين من بعده ليس عندنا على إطلاقه، وإنما هو أمر غالب لا لازم؛ لأن المتكلم حين يسلط النفي على الفاعل لا يلزم منه ثبوت الفعل؛ لأن الفعل مسكوت عنه فيمكن أن يكون ثابتاً كما في أمثلة الاختصاص التي ذكرها عبد القاهر، وقد يكون

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ٤٢١).

(٢) نظم الدرر (١: ١٠١)، (٢: ٣١٣)، (٧: ٨٨)، (٧: ٢٢٣)، (٩: ٣٠٨)، (٩: ٣٦٣)، (٢٢: ١٩).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٤٠)، (١: ١٨٧)، (٤: ١٥)، (٤: ٢١٧)، (٤: ٢٣٦).

غير ثابت كما في قولنا: ما أنا قلت هذا، أي: هذا الذي تزعمون أنه قد قيل. نعم، يمكنك في هذا المعنى أن تقول: ما قلت هذا، ولكنك قدمت الفاعل للاهتمام والرغبة في نفي الفعل عنه، وقد جاء هذا التركيب في القرآن الكريم من غير أن يكون دالاً على الاختصاص وذلك كقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩-٤٠] فقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ و﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ قدم فيه المسند إليه على الخبر الفعلي، وهو مسبوق بحرف النفي، ومع هذا يفيد التقوية فقط؛ لأن الاختصاص يعني أن غيرهم ينصر من عذاب الله ويُنظر حيث تأتيه الساعة، وذلك لا يكون»[١]. وهو كلام حريّ بالتأمل، وكذا في ما ذكره عبد القاهر، هل يوجد في الكلام البليغ ما يناقض ما ذكره؟ أم أن القضية محتملة؟

وبعد، فإن الذي يظهر للباحث في مثل هذه التراكيب جميعاً خضوعها للسياق، وتحديد الدلالة من خلال ذلك، وما قاله عبد القاهر ينبغي أن يقيد بقيد الأغلبية لا الاطراد، وما ذهب إليه المفسرون كما رأيت شاهد على ذلك والله الموفق.

* * *

---

(١) دلالات التراكيب ص١٧٩.

المطلب الرابع
تقديم بعض الكلمات علىٰ بعض
ممّا لا ينضبط بضابط واحد في الفواصل القرآنية

١ ـ تقديم هارون علىٰ موسىٰ عليهما السلام في سورة طه وحدها [آية ٧٠] وعكس الأمر في [الأعراف: ١٢٢] و[الشعراء: ٤٨] و[المؤمنون: ٤٥] و[الصافات: ١١٤].

والآية الكريمة المعنية هي قوله سبحانه علىٰ لسان سحرة فرعون: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾. وفي هذه الآية يرى الحسناوي ـ كما ذكرت ذلك عنه فيما مضىٰ ـ أن هذه الآية تُعد من الحجج القوية لمثبتي السجع في القرآن الكريم(١)، وقبل أن أذكر ما اختاره الحسناوي أبدأ بالمتقدمين كي يظهر هذا الذي قالوه أولاً.

قال الباقلاني: (إن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنىً واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة، وتتبين به البلاغة، وأعيد كثيرٌ من القصص في مواضع كثيرة مختلفة، علىٰ ترتيبات متفاوتة، ونُبهوا بذلك علىٰ عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً به ومكرراً.. فعلىٰ هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها ـ إظهار الإعجاز علىٰ الطريقتين جميعاً، دون السجع الذي توهّموه)(٢).

---

(١) الفاصلة في القرآن (ص١٣٨)، وهذا الكلام أصله للباقلاني في إعجاز القرآن (ص٧٥).

(٢) إعجاز القرآن: ص٦١-٦٢.

وذهب ابن جرير الطبري إلىٰ أن تقديم (هارون) في سورة طه، هو لتستوي به رؤوس الآي[١]، وتبعه علىٰ هذا ابن عطية في التفسير[٢].

وذكر أبو حيان في البحر عدة وجوه لهذا التقديم: (أن ذلك بسبب الفواصل، وأن الواو لا تقتضي الترتيب، وأنه يحتمل أن يكون القولان من قائلين نطقت طائفة بقولهم: رب موسىٰ وهارون، وطائفة بقولهم: رب هارون وموسىٰ، ولمّا اشتركوا في المعنىٰ صحّ نسبة كل من القولين إلىٰ الجميع. وقيل: قدّم: هارون لأنه كان أكبر سناً من موسىٰ، وقيل: لأن فرعون كان ربّىٰ موسىٰ عليه السلام فبدأوا بهارون ليزول تمويه فرعون أنه ربّىٰ موسىٰ، فيقول: أنا ربّيته، وقالوا: ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ولم يكتفوا بقولهم: (برب العالمين) للنص علىٰ أنهم آمنوا برب هذين، وكان فيما قيل يزعم أنه رب العالمين)[٣].

ومعظم المفسرين لا يخرجون عن هذه الأقوال التي ذكرها أبو حيان في البحر، يزيد بعضهم أحياناً علىٰ بعض في ذكر هذه الوجوه[٤].

وأمّا المعاصرون: فذهب الدكتور عبد الفتاح لاشين إلىٰ أن التقديم لأجل الفاصلة[٥]، ونقل الحسناوي عن الغمراوي أن هارون عليه السلام أفصح من موسىٰ عليه السلام، وأكبر منه، وهما ميزتان تسوغان تقديمه في أحد المواضع حين يذكران[٦].

---

(١) جامع البيان (١٣: ١٦).

(٢) المحرر الوجيز (١١: ٨٨).

(٣) البحر المحيط (٦: ٢٦١)، وعبارته الأخيرة ليست دقيقة، ففرعون قال هذا الكلام حقيقةً، إذ ذكر الله عنه ذلك.

(٤) انظر تفسير البيضاوي (٦: ٢١٥-٢١٦) مع حاشية الشهاب، ومدارك التنزيل (٣: ٩٥)، والسراج المنير (٢: ٤٧٣)، وإرشاد العقل السليم (٦: ٢٨)، وروح المعاني (١٦: ٢٣٠)، وفتح القدير (٣: ٣٧٥)، وروح البيان (٥: ٤٠٥)، وتيسير التفسير (٨: ٢٠١)، والتحرير والتنوير (١٦: ٢٦٢)، والتفسير الكبير (٢٢: ٨٧).

(٥) الفاصلة القرآنية، ص٣٥ وما بعدها.

(٦) الفاصلة في القرآن، ص١٣٨-١٣٩ نقلاً عن مجلة الأزهر، س٣٩، ج١٠: ٨٥٤.

وذهب عبد الكريم الخطيب إلىٰ أن السحرة قالوا أقوالاً عدة، وأن ما ذكره القرآن مما قالوه هو الغالب فيما حكوه[١].

وذهب الأستاذ فضل عباس مذهباً آخر غير ما ذكر فقال: (سورة طه هي السورة الوحيدة التي حدثتنا عما حصل لموسىٰ عليه السلام من خوف مما فعله السحرة، وكان حرياً به أن لا يكون منه ذلك، فهارون أولىٰ منه؛ لأنه لم يشاهد ما شاهده موسىٰ، ولم يَشرُف بمناجاة الحق. قال تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه: ٦٧]، فكان حرياً به أن يكون رابط الجأش، ثابت الجَنان، من أجل ذلك يلوح لي أن هارون عليه السلام قدِّم في هذه السورة. وهي قيمة قرآنية عظيمة حري بنا أن نقف عندها، ونتدبرها، وهي تقدير كل عامل بعمله)[٢].

وقد يشكل علىٰ هذا الرأي أن القرآن لم يحدثنا عن هارون عليه السلام، فما أدرانا أنه خاف، وأن القرآن طوىٰ ذكر خوفه إيجازاً أولاً، واكتفاءً بما كان من موسىٰ عليه السلام ثانياً؟

ويجاب عن هذا بأن هارون حتى لو خاف، فما خوفه أمام خوف موسىٰ عليه السلام الذي رأىٰ انقلاب العصا حية قبل هذا الموقف، فيُقدّر هارون عليه السلام حتىٰ لو حصل منه الخوف؛ لأنه خوف لا عن سابق مشاهدات، بخلاف موسىٰ ﷺ وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وذهب الدكتور أحمد نوفل إلىٰ القول بأن سورة طه هي السورة الوحيدة التي ذكر في أولها الحرف (هاء) من بين السور المبدوءة بمثل هذه الحروف وفيها ذكر هذه القصة، فتقديم هارون لمراعاة التناسب بين الهاء وهاء هارون!! هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالسحرة لما رأوا مِن عصا موسىٰ عليه السلام وفعلها الأعاجيب علىٰ جهة الحقيقة لا علىٰ

---

(١) إعجاز القرآن (٢: ٢٢٠).

(٢) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز، ص٤٥.

جهل التخييل أيقنوا أن موسىٰ عليه السلام نبي، وأن فرعون قد خدعهم بزعمه أن موسىٰ ساحر، فقدموا هارون نكاية بفرعون، وكأنهم يريدون القول: نحن لم نؤمن بموسىٰ وحده، بل بهارون قبله)(١).

ويجيء علىٰ هذا القول أن السؤال في أصله لم يحلّ، فلماذا وقع تقدير هذه النكاية في سورة طه دون غيرها؟

وبعد، فإن أرجح الأقوال فيما يظن الباحث هو ما ذهب إليه الأستاذ فضل عباس.

ولا بد قبل مغادرة هذه الآية الكريمة من الوقوف علىٰ ما ذهب إليه الحسناوي في تعليل التقديم في هذه الآية، حيث لا أظن أحداً سيجد أغرب مما قاله. قال: «إن هناك وجهاً بيانياً بعيداً، يصوّر الحال النفسية التي كان عليها السحرة، لما ظهرت معجزة (موسىٰ) فألْقُوا سُجداً يتلعثمون بالشهادة كحال العبد الذي فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها.. » وذكر الحديث المشهور في ذلك(٢).

وموضع الغرابة في هذا القول، وكله غريب، أنه يناقض الآيات القرآنية التي ذكرت أن السحرة ثبتوا علىٰ إيمانهم، وأعلنوه بكل جرأة على الرغم من تهديد فرعون لهم بالصلب، وليس يظهر للباحث كيف يجتمع الثبات والجرأة في القول مع التلعثم فيه والتخبط، وكيف يكون حال المتلعثم بالكلام لا يدري ما يقول؟هل يثبت علىٰ إيمان يزلزل كيان فرعون وجبروته أم حين يحس بالخطر يتراجع؟

٢ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦].

حيث قدمت الإراحة علىٰ السرح، وهي في الواقع مؤخرة، أو أخّرَ السرح وهو في الواقع متقدم.

---

(١) هذا الكلام كتبته كما فهمته من أستاذنا الدكتور، وليس هو مكتوباً في كتاب.

(٢) الفاصلة في القرآن، ص١٤٠.

قال الرازي صاحب المسائل: (لأن الأنعام في وقت الإراحة ـ وهي ردها عشياً إلى المراح ـ تكون أجمل وأحسن؛ لأنها تُقبل ملأىٰ البطون، حافلة الضروع متهادية في مشيها، يتبع بعضها بعضاً، بخلاف وقت السروح وهو إخراجها إلى المرعىٰ، فإن كل هذه الأمور تكون ضد ذلك)[١].

وكلامه هذا توسيع لما في الكشاف حيث قال الزمخشري: (لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأىٰ البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها)[٢].

٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

ففي هذه الآية في فاصلتها أَخَّرَ القيام عن السجود. فقال البقاعي: «ولمّا كان السجود أشد أركان الصلاة تقرباً إلىٰ الله لكونه أنهىٰ الخضوع، مع أنه الذي أباه الجاهلون، قدمه لذلك، وليعلم بادي بدء أن القيام في الصلاة. فقال ﴿سُجَّدًا﴾ وأتبعه ما هو تلوه في المشقة تحقيقاً؛ لأن السجود علىٰ حقيقته. فيتمحض الفعلان للصلاة»[٣].

وقال الآلوسي: «وقدم السجود علىٰ القيام ولم يعكس وإن كان متأخراً في الفعل لأجل الفواصل، ولأنه أقرب ما يكون العبد فيه من ربه سبحانه، وإباء المستكبرين عنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ...﴾ [الفرقان: ٦٠]»[٤].

والذي يظهر للباحث أن ما ذهب إليه البقاعي أغوص علىٰ معنىٰ الآية.

٤ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

في هذه الآية جاء الموصوف مؤخراً، إذ إنهم يقولون: أسود غربيب، وليس العكس.

---

(١) مسائل الرازي، ص١٦٩.

(٢) الكشاف (٢: ٤٠١)، وانظر روح المعاني (١٤: ٩٩)، والتحرير والتنوير (١٤: ١٠٥).

(٣) نظم الدرر (١٣: ٤٢٢).

(٤) روح المعاني (١٩: ٤٥) وبمثله قال ابن عاشور (١٩: ٧٠)، واقتصر أبو السعود علىٰ مراعاة الفواصل (٦: ٢٢٨).

ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن إلىٰ أن ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ مقدم ومؤخر؛ لأنه يقال: أسود غربيب[١]، وذهب الطبري مذهب أبي عبيدة[٢]، ونقله عنه ابن كثير وقال: فيه نظر، ولم يبين هذا النظر[٣]، وقد نسب الطبرسي[٤] والآلوسي[٥] وابن عاشور[٦] هذا القول للفراء. ولكني لم أجده في معاني القرآن له، ولعله في غيره. وقد قال ابن عاشور في هذا القول بأنه تكلف واضح.

وذهب أبو علي الفارسي في المسائل المشكلة إلىٰ أن الغرابيب هي السود، وإنّما خالف بين اللفظين علىٰ طريق الاتساع في اللغة لأجل التأكيد[٧].

وقد شرح ابن سيده هذا الكلام في المخصص فقال: «إن في الآية ثلاثة أنواع من اللون محمولة بالاشتقاق علىٰ موضوعاتها، وهي الأبيض، والأحمر، والأسود، ولهذا الأنواع الثلاثة في هذه اللسان العربية أسماء مستعملة قريبة، وأُخَرُ بالإضافة إليها وحشية غريبة، لا تدور في اللغة مدارها، ولا تستمر استمرارها، ألا ترىٰ أن قولنا: أبيض، وأحمر، وأسود، من اللفظ المشهور، وقد تداولته ألسنة الجمهور، وقولنا في الأبيض: ناصع، وفي الأحمر قُمُد، وفي الأسود. غربيب من الأفراد التي وقفت عن الابتذال وأودعت صواناً في قلة الاستعمال، مع أنك لا تجدها في غالب الأمر إلاّ تابعة للألفاظ المشهورة، يقولون: أبيض ناصع، وأحمر قُمُد، وأسود غربيب، وإن كان قد يستعمل مفرداً كقوله: (بالحق الذي هو

---

(١) مجاز القرآن (٢: ١٥٤).

(٢) جامع البيان (٢١: ٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣: ٥٥٣).

(٤) مجمع البيان (٨: ٦٣٥).

(٥) روح المعاني (٢٢: ١٩٠).

(٦) التحرير والتنوير (٢٢: ٣٠٣).

(٧) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ص٥٣٣-٥٣٤.

ناصعُ)[١] و(يعصر منها مُلاحِي وغربيب)[٢] و(بقُمُد كسائل الجريال)[٣].

ولكن قلت بالأغلب والأذهب، فلمّا ذكر تعالىٰ هذين النوعين المشتقين بالاسمين المشهورين، الأبيض والأحمر، وشفعهما باللفظ الغريب الذي لا تكاد تراه إلاّ تابعاً (وهو الغربيب) قرنه بالاسم المشهور الذي هو الأسود وصار بمنزلة صفة». انتهى[٤]. ونجد ابن سيده كذلك يجمل هذا الكلام كله في موضع آخر، فيقول: الغرابيب: هي السود عند أهل اللغة، فحسن التكرير لاختلاف اللفظين[٥].

ومذهب الزمخشري أن الغربيب تأكيد للأسود، إلاّ أنه علل التقديم بإضمار المؤكد قبله، ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر، كقول النابغة: (والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسَحُها)[٦]، وإنّما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدل علىٰ المعنىٰ الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعاً)[٧].

---

(١) للنابغة الذبياني، وهو قوله:

أتاك بقولٍ هلهلِ النسج كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحقِّ الذي هُو ناصعُ

انظر ديوانه (١: ٥٨).

(٢) الشاهد أوّله: ومن تعاجيب خلق الله غاطية، ولم أعرف قائله. غير أن ابن قتيبة قال: إنه من إنشاد الأصمعي كما في أدب الكاتب (١: ٢٩٢) وفي أساس البلاغة أنه لعبد الله الغامدي (٢: ١٩).

(٣) الشعر غير منسوب ولم أستطع العثور عليه.

(٤) المخصص (١: ١٠٦).

(٥) السابق (١٣: ٢٥٩).

(٦) قال الخفاجي: «وتمامه (ركبان مكة بين الغيل والسندِ) والواو للقسم، أقسم بالله المؤمن الطير الملتجآت إلىٰ حرمة مكة ـ زادها الله شرفاً ـ والغيل والسند: موضعان، والعائذات: مجرور بالإضافة؛ لأنه يجوز إضافة الوصف ذي اللام لمثله، أو منصوب بالكسرة علىٰ أنه مفعول لمؤمن، والطير بدل منه، أو عطف بيان، ومن الوهم ما قيل أنه لا محل له من الإعراب؛ لأنه إنّما جيء به لتفسير المحذوف؛ لأن ما ذكره النحاة إنّما هو في الجملة المفسرة لا في المفرد؛ لأنه غير متصور فيه، ومن جوّز تقديم الصفة علىٰ موصوفها جعله صفة للطير». انتهى. (٧: ٢٢٤).

(٧) الكشاف (٣: ٣٠٧)، وتبعه في هذا البيضاوي. انظر حاشية زاده (٤: ١١٠) وحاشية الخفاجي (٧: ٢٢٤).

واعترض أبو حيان مذهب الزمخشري بأنه لا يصح إلاّ علىٰ مذهب من يجيز حذف المؤكد، ومن النحاة من منع ذلك، وهو اختيار ابن مالك[١]. ورد ابن عاشور قول الزمخشري بأنه تكلف واضح[٢].

وأشار الآلوسي إلىٰ أن حاصل ما عند مَن لم يجوز ما ذهب إليه الزمخشري، هو أن التأكيد يقتضي الاعتناء والتقوية، وقصدَ التطويل، والحذفُ يقتضي خلافه، ونقل عن الصفّار رد هذا القول؛ لأن المحذوف لدليل كالمذكور، فلا ينافي تأكيده. وذكر أن في بعض شروح المفصل أنه صفة لذلك المحذوف أقيم مقامه بعد حذفه[٣].

وذكر الخطيب الشربيني في تفسيره دفاعاً عن الزمخشري: «أن هذا ليس من التأكيد المختلف في حذف مؤكده؛ لأن هذا من باب الصفة والموصوف، ومعنىٰ تسمية الزمخشري له توكيداً من حيث إنه لا يفيد معنىً زائداً، وإنّما يفيد المبالغة، والتوكيد في ذلك اللون. والنحويون قد سموا الوصف إذا لم يفد غير الأول توكيداً، فقالوا: وقد يجيء لمجرد التوكيد نحو قوله: ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [الحاقة: ١٣].

والتوكيد المختلف في حذف مؤكده إنّما هو في باب التوكيد الصناعي، ومذهب سيبويه جوازه، وقال ابن عادل: والأولىٰ أن يسمىٰ توكيداً لفظياً إذ الأصل: سودٌ غرابيب»[٤].

وذهب ابن عطية إلىٰ أن الغربيب أبلغ من الأسود، وإنّما قدم عليه؛ لأن كلام العرب الفصيح يأتي كثيراً علىٰ هذا النحو[٥]. وقال أبو حيان: «قيل: هو علىٰ التقديم والتأخير، وقيل: سود: بدل من غرابيب، وهذا حسن، ويحسّنه كون غرابيب لم يلزم فيه أن يستعمل

---

(١) البحر المحيط (٧: ٣١١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢: ٣٠٣).

(٣) روح المعاني (٢٢: ١٩٠).

(٤) السراج المنير (٣: ٣٢٥).

(٥) المحرر الوجيز (١٣: ١٧٢).

تأكيداً، ومنه ما جاء في الحديث: «إن الله يبغض الشيخ الغربيب»[١] يعني الذي يخضب بالسواد، وقال الشاعر:

العـــين طامحـــة واليـــدُ ســـابحةٌ — والرجل لائحة والوجهُ غربيـبُ[٢]

وقال آخر:

ومــن تعاجيــب خلــق الله غاطيــةٌ — البعضُ منها مُلاحِـيٌّ وغربيـبُ»[٣]

قلت: وهذا الذي حسّنه نقله القرطبي عن الجوهري ولم يذكر بعده شيئاً، وذكر الأبيات بغير ما عند أبي حيان[٤].

وذهب بيان الحق النيسابوري إلىٰ أن الغرابيب تأكيد للسود. ومن شرط التأكيد أن يتقدم الأظهر، وإنّما قدم الغرابيب؛ لأن العرب ترغب عن اسم السواد حتى يسمون الأسود من الخيل: الأدهم، والأسود من الإبل: الأصفر. قاله أبو عبيدة في بيت الأعشىٰ:

تلك خيلي منهمْ وتلك ركابي — هنّ صُفرٌ أولادهـا كالزبيـبِ

فبدأ بما هو واجب عندهم وأخر ما هو اكره في أسماعهم[٥].

وقال الطبرسي ينبغي أن يكون (سود) عطفَ بيان يبيِّن غرابيب به، والأجود أن يكون تأكيداً، إذ الغرابيب لا تكون إلاّ سوداً... وهذا أولى من الحمل علىٰ التقديم والتأخير[٦].

---

(١) والحديث رواه ابن عدي عن أبي هريرة (٢: ١٣٧)، وهو ضعيف كما في فيض القدير (٢: ٢٨٤).

(٢) نسبه القرطبي في التفسير (١٤: ٣٤٣) إلى امرئ القيس.

(٣) البحر المحيط (٧: ٣١١-٣١٢)، والبيت ينسب للأصمعي، أدب الكاتب (١: ٢٩٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٤: ٣٤٣).

(٥) وضع البرهان في تفسير القرآن (٢: ٢٠٥-٢٠٦). والبيت في ديوان الأعشىٰ (٦٨: ١٨).

(٦) مجمع البيان (٨: ٦٣٥)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤: ١٢٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣: ١٥٨)، وإرشاد العقل السليم (٧: ١٥١)، واللسان ومختار الصحاح (غَرَبَ) وحاشية الجمل علىٰ الجلالين =

وقال البقاعي: (قدم التأكيد لدلالة السياق، علىٰ أن أصل العبارة: سود غرابيب سود، فأضمر الأول ليتقدم علىٰ المؤكد؛ لأنه تابع، أو دلّ بالثاني ليكون مبالغاً في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه: أشد سواد الغربيب الشديد السواد رواه عنه البخاري؛ لأن السواد الخالص في الأرض مستغرب)(١).

وذهب ابن عاشور إلىٰ أن التقديم للرعاية علىٰ الفواصل المبنية علىٰ الواو والياء الساكنَـيْنِ ابتداءً من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] والتأكيد حاصل علىٰ كل حال كما قال(٢).

والذي يظهر للباحث أن أحسن الأجوبة ما كان عند بيان الحق، يليه ما عند ابن سيده ثم البقاعي والله وحده الهادي.

٥ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].

قال الزمخشري: «﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لا يخلو من أن يكون معطوفاً علىٰ ﴿كَلِمَةٌ﴾ أو علىٰ الضمير في ﴿لَكَانَ﴾ أي: لكان الأجل العاجل وأجل مسمىٰ لازمين لهم، كما كانا لازمين لعاد وثمود»(٣).

قلت: وعلى هذا الوجه لا تقديم ولا تأخير. وعلىٰ الوجه الأول يكون هناك فصل بين المتعاطفين.

= (٣: ٤٩٤) وحاشية الصاوي علىٰ الجلالين (٣: ٢٥٩) وفيه أن تقديم الصفة علىٰ الموصوف خلاف الأصل ويرتكب للمبالغة.

(١) نظم الدرر (١٦: ٤٦)، وقول ابن عباس في البخاري في طالعة سورة فاطر (٤: ١٨٠٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢: ٣٠٣).

(٣) الكشاف (٢: ٥٥٨).

وذهب ابن عطية إلىٰ أن تأخير ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لمراعاة الفواصل[١]، وتبعه علىٰ هذا أبو حيان في البحر[٢] والزركشي في البرهان[٣].

والذي يظهر للباحث أن أحسن جواب علىٰ هذا التقديم والتأخير ما قاله أبو السعود: (أن التقديم للمسارعة إلىٰ بيان جواب لولا، وللإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، ومراعاة فواصل الآي الكريمة)[٤] ونقله عنه الآلوسي في التفسير[٥].

ونقل الحسناوي عن الغمراوي أن ذلك لزيادة التنبيه والإنذار[٦]، وليس هذا بظاهر لدىٰ الباحث.

٦ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم:٢٥].

قال الآلوسي: (وتقديم الآخرة اهتماماً برد ما هو أهم أطماعهم عندهم من الفوز فيها)[٧]، وقال ابن عاشور: (وإنما قدمت الآخرة للاهتمام بها والتثنية إلى أنها التي يجب أن يكون اعتناء المؤمنين بها؛ لأن الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ والمسلمين، مع ما في هذا التقديم من الرعاية علىٰ الفاصلة)[٨].

٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

حيث قدم فيها خبر﴿يَكُن﴾ علىٰ اسمها.

---

(١) المحرر الوجيز (١١: ١١٥).
(٢) البحر (٦: ٢٨٩).
(٣) البرهان (١: ٦٣).
(٤) إرشاد العقل السليم (٥: ٤٩).
(٥) روح المعاني (١٦: ٢٨٠).
(٦) الفاصلة في القرآن، ص١٢٨، نقلاً عن مجلة الأزهر، س٣٩، ع١٠: ٨٥٤.
(٧) روح المعاني (٢٧: ٥٨).
(٨) التحرير والتنوير (٢٧: ١١٢).

قال أبو السعود: وتقديم الخبر لأجل الرعاية على الفاصلة[١]، وقال الآلوسي: هو للاهتمام وللرعاية على الفاصلة[٢]، وزاد ابن عاشور: للاهتمام بذكر الكفؤ عقب الفعل المنفي؛ ليكون أسبق إلى السمع[٣].

والذي يظهر للباحث أن القرآن الكريم جاء فيه هذا النص هكذا لأجل المبالغة في نفي الكفؤ، والمتمثل في هذا اللفظ، والذي كان له وقعه على الأسماع في ذلك الوقت، فهو مركز الآية ومحط عنايتها.

❊ ❊ ❊

---

(١) إرشاد العقل السليم (٩: ٢١٣).

(٢) روح المعاني (٣٠: ٢٧٧).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠: ٦٢٠).

المبحث الخامس

الدلالة المعنوية لاختيار اللفظ مفرداً ومثنىً ومجموعاً في الفواصل القرآنية

١ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

جاء في هذه الآية الكريمة لفظ ﴿رَفِيقًا﴾ مفرداً مع أنه كلام عن ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ وهي لفظ يدل علىٰ الجمع. وفي هذا المحل من القرآن جمع الخفاجي في حواشي التفسير كلامَ من سبقه من العلماء فقال: (لم يجمع ﴿رَفِيقًا﴾ لأن فعيلا يستوي فيه الواحد وغيره، أو اكتفاء بالواحد عن الجمع لفهم المعنىٰ، وحسَّنه وقوعه في الفاصلة، أو لأنه بتأويل حَسُنَ كل واحد منهم، أو لأنه قصد بيان الجنس بقطع النظر عن الأنواع كما في الكشاف). انتهى[(١)].

والذي يظهر للباحث أن الإفراد جاء لأن منزلة هؤلاء المنعم عليهم مما تشرئب إليه الأعناق، فكأنها جهة واحدة، من حيث كونها متميزة عن غيرها من المنازل، ولا يعني هذا أنهم درجة واحدة؛ لأن اللفظ لا يدل علىٰ هذا.

٢ـ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

لم يقل القرآن: بعيدين أو بعداء، وفي تفسير ذلك قال الزمخشري ما حاصله أن لهذا ثلاثةَ تأويلات:

---

(١) حاشية الخفاجي (٣: ١٥٣)، وانظر الكشاف (١: ٥٤٠) والتفسير الكبير (١٠: ١٨٠)، وإرشاد العقل السليم (٢: ١٩٩).

الأول: أن يكون التقدير: ما هلاكهم بشيء بعيد.

الثاني: ما هم بشيء بعيد، أو بزمان أو مكان.

الثالث: أنه يجوز أن يسوي في (قريب وبعيد) بين المذكر والمؤنث لورودهما علىٰ زنة المصادر، كالصهيل والنهيق ونحوها). انتهى، وتبعه علىٰ هذا كثير من المفسرين(١).

والذي يظهر للباحث أن لا تناقض بين الأول والثاني وهما مرادان، ويحتملها اللفظ، وأما ثالث الأقوال فقضية لفظية محضة إذ المراد والله أعلم التخويف بهلاكهم، وإن كان يدخل فيه الأمور الأخرى.

٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

جاء لفظ ﴿خِلَٰلٌ﴾ مجموعاً في فاصلة هذه الآية، ولكن هذا اللفظ وقع في غير الفاصلة بالإفراد في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

قال الدكتور عبد الفتاح لاشين: جُمع في الآية الأولى لأجل مناسبة رؤوس الآيات(٢).

والذي يظهر للباحث أن هذا كلام غير حسن، وفي التفسير أوجه أحسن من هذا: قال ابن عاشور: «إن المراد من الخلال هنا آثارها، بقرينة المقام، وليس المراد نفي الخلة، أي: الصحبة والمودة؛ لأن المودة ثابتة بين المتقين، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقد كنى بنفي البيع والخلال التي هي وسائل النوال والإرفاد عن انتفاء الاستزادة»(٣).

---

(١) الكشاف (٢: ٢٨٨) وانظر التفسير الكبير (١٨: ٤٩)، وأنوار التنزيل (٣: ٦١) بحاشية زاده، ومسائل الرازي ص١٣٩، وتفسير المنار (١٢: ١٢٠).

(٢) الفاصلة القرآنية ص٣١، وهو منقول عن البرهان (١: ٦٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٣: ٢٣٣-٢٣٤).

وهذا أحد وجهين في تفسير هذه الآية ذكرهما الآلوسي وغيره، وزاد الآلوسي في التفريق بين الموضعين قوله: (إن الأول خطاب عام فكان الحث فيه علىٰ الإنفاق مطلقاً وتصوير أن الإنفاق نفسه هو المطلوب فليُغتنم قبل أن يأتي يوم يفوت فيه ولا يدركه الطالب هو الموافق لمقتضى المقام، وأن الثاني لما اختص بالخُلَّص كان الموافق تحريضهم علىٰ ما هم عليه من الإنفاق ليدوموا عليه، فقيل: دوموا عليه وتمسكوا به تغتبطوا يوم لا ينفع إلا من دام عليه). انتهى. وهذا الكلام نقله الآلوسي عن صاحب الكشف ولم يعجبه، إذ قال: ولا يخلو عن دغدغة[1]، وهذا الذي قاله الآلوسي صواب، ويضاف إليه أن هذا الكلام المنقول عن الكشف ليس نصاً في تبيان سبب جمع الكلمة في موضع وإفرادها في موضع آخر، اللهم إلا أن يكون بطريق الرمز البعيد.

والذي يظهر للباحث في تبيان الفرق بين الموضعين، أو في تبيان سر جمع الكلمة في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، هو أن سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكية بالإجماع، وسورة البقرة مدنية بالإجماع، وكان القوم في مكة لا يزالون يتعاملون بما تعاهدوه من جماعيتهم وكثرتهم، وخاطب القرآن الناس بلفظ ﴿ خِلَٰلٌ ﴾ في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليؤثر في تلك العقليات التي كان القرآن المكي ينزل ليقارعها، وأما في المدينة فالحال مختلف، ولذلك وحد (خلّه) ـ والله أعلم ـ.

ويمكن أن يقال: إنّ سورة البقرة مدنية والخطاب فيها للمؤمنين، فلأجل هذا وحّد الخلّة، وسورة إبراهيم الخطاب فيها لعموم الناس فناسب الجمع. انتهى أفدناه من شيخنا.

٤ـ كلمة (المرسلين) وردت في أثناء تبيان تكذيب الأقوام لرسلهم، ووردت عند كل قوم بلفظ الجمع، مع أن كل قوم كذبوا رسولهم، وهذه الصيغة وردت في ستة مواضع: في الحجر في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [٨٠]، والبقية في

---

(١) روح المعاني (١٣: ٢٢٣).

سورة الشعراء عن قوم نوح، وعاد، وثود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة في الآيات «١٠٥، ١٢٣، ١٤١، ١٦٠، ١٧٦» علىٰ التوالي.

وهذا الأمر ظاهر لعدة أسباب منها:

١ـ الدلالة علىٰ وحدة الرسل (من حيث الهدف).

٢ـ الدلالة علىٰ وحدة الرسالات في الأصل، وأن الدين عند الله واحد، وإنما تختلف الشرائع، ومن هنا كان خطأ ما يسميه الكثيرون (الأديان الثلاثة) فهو دين واحد لا أديان.

٣ـ دلت هذه الآيات صراحة علىٰ أن المكذب بنبي واحد مكذب بجميع الأنبياء، ولذلك أثبت القرآن أن من يفعل ذلك هو الكافر حقاً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وأما قوله تعالىٰ في سورة يس: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [٢٠] بالجمع، فلأنه جاءهم أكثر من رسول كما صرح بذلك القرآن في نفس السورة الآيات [١٣، ٢٠]، والله أعلم.

٥ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

نقل الزركشي عن ابن سيده في المحكم قوله في ﴿عَضُدًا﴾ أي: أعضاداً، وإنما أفرد ليعدل رؤوس الآيات بالإفراد[1].

وقال الآلوسي: والعضد في الأصل: ما بين المرفق إلى الكتف، ويستعار للمُعين،

---

(١) البرهان (١: ٦٤)، وانظر الفاصلة القرآنية ص ٣١.

كاليد، وهو المراد هنا، ولكونه نكرة في سياق النفي عمّ، وفسر بالجمع والإفراد لرؤوس الآي، وقيل: إنما لم يجمع؛ لأن الجمع في حكم الواحد في عدم الصلاحية للاعتضاد(١).

والذي يظهر للباحث أن الذي قاله الآلوسي هنا مصدِّراً إياه بصيغة (قيل) ـ وهي من صيغ التمريض كما يقولون ـ هو أوجه مما ذكره أولاً؛ لأنه أبلغ في الدلالة علىٰ خفة المضلين أياً كان شأنهم، لاسيما وهم دائماً ممن يحفل بكثرته، فكانوا مع كثرتهم لا بركة فيهم ولا خير، والله تعالىٰ أعلم.

٦ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٧].

ففي هذه الآية وحَّد فعل الفاصلة، مع أن المخاطب آدم عليه الصلاة والسلام وزوجه، فقال الرازي صاحب المسائل إن ذلك لوجوه:

الأول: أن الرجل قيّمُ أهله وأميرهم فشقاؤه يتضمن شقاءهم كما أن معاداته تتضمن معاداتهم، فاختصر الكلام بإسناد الشقاء إليه دونها لما كان متضمناً له.

الثاني: أنه إنما أسنده إليه دونها للمحافظة علىٰ الفاصلة.

الثالث: أنه أراد بالشقاء الشقاء في طلب القوت وإصلاح المعاش، وذلك وظيفة الرجل دون المرأة(٢).

وذكر ابن عطية الوجه الثالث وزاد عليه: أن آدم كان المخاطب والمقصود بالكلام(٣).

٧ ـ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

---

(١) روح المعاني (١٥: ٢٩٦).

(٢) مسائل الرازي ص٢٢٣، وانظر الكشاف (٢: ٥٥٥) وما بعدها، والتفسير الكبير (٢: ١٢٥)، والتحرير والتنوير (١٦: ٣٢١)، ونظم الدرر (١٢: ٣٥٧).

(٣) المحرر الوجير (١١: ١١٠).

فلم يقل في هذه الآية مثلاً: رب (ارجعني)، فقيل هو جمع للتفخيم والتعظيم، وعلى هذا القول أكثر المفسرين[١].

وهذا القول مبني على أن الضمير في ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ لله تبارك تعالى. وذهب بعض العلماء إلى أن الضمير يعود للملائكة، وعزا هذا القول الطبريُّ في تفسيره إلى ابن جريج[٢].

وبناء على هذا القول يكون ذكر الرب للقسم. كأنه قال: بحق الرب ارجعون[٣]، أو للاستغاثة كما نسبه للنسفي القاضي زاده في حواشي التفسير[٤]، وقد بحثت عنه في تفسيره فلم أجده.

والذي يذهب مذهب ابن جريج يحتج بحديث للنبي ﷺ، وفيه أن الذي يصل إلى هذا الموصل يكون الخطاب بينه وبين الملائكة. وهذا الحديث ذكره الطبري عن ابن جريج مرسلاً[٥]، وذكره البيضاوي في التفسير[٦].

وهذا الحديث مع إرساله، فإنه ضعيف كما في الفتح السماوي وحواشيه[٧]، وقد رد الخفاجي هذا القول برمته وقال فيه: إنه تعسف[٨].

---

(١) الكشاف (٣: ٤٢)، والمحرر الوجيز (١١: ٢٥٨)، والتفسير الكبير (٢٣: ١٢١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤: ٢١)، والبحر المحيط (٦: ٤٢١)، ومسائل الرازي ص٢٣٨، وحاشية الجمل على الجلالين (٣: ٢٠٢)، ومدارك التنزيل (٣: ١٢٦)، وغرائب القرآن (١٨: ٣١)، والتحرير والتنوير (٨: ١٢٣).

(٢) جامع البيان (١٨: ٤٠)، وانظر أنوار التنزيل (٦: ٣٣٦) بحاشية الخفاجي، وصدر به البقاعي تفسيره هذه الآية (١٣: ١٨٤)، وانظر التفسير الكبير (٢٣: ١٢١).

(٣) التفسير الكبير (٢٣: ١٢١).

(٤) حاشية زاده (٣: ٤١١)، وانظر جامع البيان (١٨: ٤٠)، والبحر المحيط (٦: ٤٢١)، حيث نسباه إلى ابن جريج أيضاً.

(٥) جامع البيان (١٨: ٤٠).

(٦) حاشية زادة (٣: ٤١١).

(٧) الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي (٢: ٨٥٧).

(٨) حاشية الخفاجي (٦: ٣٤٦).

والذي يظهر للباحث صواب ما ذهب إليه الخفاجي، ولا داعي أصلاً لمثل هذا القول.

ومن العلماء من يرى أن ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ هذه الضمير فيها للتكرير، أي: لتكرير الفعل، والمعنى: ارجعني ارجعني(١).

وهذا القول معناه أنهم استعاضوا عن مجموع أفعال بفعل واحد، وجمعوا الضمائر المستترة في تلك الأفعال إلى ضمير جماعة ظاهر، فجعلوا هذا التركيب عوضاً عن التكرير(٢).

وليس يظهر للباحث لماذا اللجوء إلى مثل هذه الأقوال، مع أن في غيرها غناءً عنها، اللهم إلا أن يقال: إن هذا من باب التخريج علىٰ أساليب نحوية مألوفة للعرب، وعلى كل حتى لو كان ذلك كذلك فلسنا بحاجة إلى مثل هذا التكلف. وقد أوضح ابن هشام أن ذلك من قبيل الظواهر الأسلوبية فقط فقال: أفرد ثم جمع؛ لأن غير المبتدأ والخبر لا يجب لهما من التطابق ما يجب لهما(٣).

وبعد، فالذي يظهر للباحث ترجيح القول الأول: فإن الكافر إذا جاءه الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندماً علىٰ ما فات وتلهفاً علىٰ ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسألته للإقالة ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾(٤)، يقول هذا بصيغة التعظيم ظناً منه أنها ستنفعه في مثل هذا الموقف والله تعالىٰ أعلم.

٨ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن (٢: ١١٣)، والبيان في غريب إعراب القرآن (٢: ١٨٩)، وإعراب القرآن (٣: ١٢٢).

(٢) ينظر شرح الخفاجي علىٰ قول المازني في شرح قوله تعالىٰ: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ علىٰ أنه ألق ألق (٦: ٣٤٦).

(٣) مغني اللبيب (٢: ٦٨٨).

(٤) انظر جامع البيان (١٨: ٤٠).

ورد النص بإفراد كلمة (إمام) دون أئمة، فذكر الرازي صاحب المسائل أن ذلك مراعاة للفواصل، وقيل: تقديره: واجعل كل واحد منا إماماً[١].

وذهب كثير من العلماء إلى تجويز عدة احتمالات في تركيب هذا النظم الكريم، منها: أنّ إمام اسم الجنس، أو مفرد دال علىٰ الجنس، أو مصدر، أو أنه مما يستعمل للواحد والجمع، أو أنه جمع آم.[٢]

وقال ابن عاشور في هذا: «وقع الإخبار بـ﴿إِمَامًا﴾ وهو مفرد عن ضمير جماعة المتكلمين لأن المقصود أن يكون كل واحد منهم إماماً يقتدى به، فالكلام علىٰ التوزيع. أو أريد من إمام معناه الحقيقي، وجرى الكلام علىٰ التشبيه البليغ، وقيل: إمام جمع، مثل: هجان وصيام، ومفرده إم»[٣].

قلت: أما كون إمام جمع آم أو إمّ كما يقول بالثاني ابن عاشور فقد استبعده الخفاجي في حواشي التفسير[٤]، وحق له ذلك.

وذهب الأخفش إلى أن إماماً ههنا جماعة كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، ويكون علىٰ الحكاية كما يقول الرجل إذا قيل له: من أميركم؟ قال: هؤلاء أميرنا. وقال الشاعر:

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي ... إن العواذلَ ليس لي بـأميرِ[٥]

---

(١) مسائل الرازي ص ٢٤٧.

(٢) انظر الكشاف (٣: ١٠٢)، وإرشاد العقل السليم (٦: ٢٣١)، وحاشية الخفاجي (٦: ٤٨٣)، والمحرر الوجيز (١٢: ٤٥)، وروح المعاني (١٩: ٥٣)، والمخصص (٣: ١٣٤)، والبرهان(٢: ٢٣٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٩: ٨٣).

(٤) حاشية الخفاجي (٦: ٤٣٨).

(٥) معاني القرآن ص٤٢٣، وهذا البيت من شواهد ابن جني في الخصائص (٣: ١٧٤) ولم ينسبه، وهو من شواهد المغني. قال البغدادي في شرح الشواهد: البيت مشهور بتداول العلماء إياه في مصنفاتهم ولم أقف علىٰ قائله (٤: ٢٨٤).

والذي يظهر للباحث أن أحسن ما قيل في تفسير هذه الكلمة علىٰ الإفراد في هذا المحل ما ذكره البقاعي حيث قال: «ولمّا كان المطلوب من المسلمين الاجتماع في الطاعة حتى تكون الكلمة في المتابعة واحدة، أشاروا إلى ذلك بتوحيد الإمام، وإن كان المراد الجنس فقالوا: (إماماً)، أي: فنكون علماء مخبتين متواضعين كما هو شأن إمامة التقوى في إفادة التواضع والسكينة لنحوز الأجر العظيم»(١).

٩ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٩-١٠٠] حيث جُمع في إحدى الآيتين الشافِعِين، وأفرد في الأخرى الصَّدِيق.

وأحسن كلمة في تعليل ذلك فيما يبدو للباحث ما قاله الزمخشري: (فإن قلت: لم جمع الشافع ووحد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق، ألا ترىٰ أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له، وحسبة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأما الصديق وهو الصادق في ودادك، الذي يهمه ما أهمك، فأعز من بيض الأنوق، وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال: (اسم لا معنىٰ له)(٢).

١٠ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

قال ابن فارس في الصاحبي: وهو واحد، يدل عليه قوله جل ثناؤه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ [٣٧] وقال بعد ذلك: وكان ابن مسعود يقرأ (ارجعوا إليهم) أراد الرسول (ارجع إليهم) فكأنه خاطب مُدْرَهم(٣).

وقد نقل في البرهان كلام ابن فارس في الأول ورده بقوله: وفيه نظر، من جهة أنه

---

(١) نظم الدرر (١٣: ٤٣٥).

(٢) الكشاف (٣: ١١٩).

(٣) الصاحبي ص٣٥٠، ٣٥٥، ومدرهم يعني كبيرهم.

يحتمل أن يكون الخطاب لرئيسهم، فإن العادة جارية لاسيما من الملوك ألا يرسلوا واحداً[١].

ثم عاد بعد ذلك، وذكره مرة ثانية ورده نفس الرد[٢].

والذي يظهر للباحث أن ما ذكره ابن فارس تكلُّف لا داعي له، وجواب الزركشي حسن، وأما ما نسبه لابن مسعود من القراءة فشاذ لا يعول عليه ـ والله أعلم ـ، وعليه فالجمع على الحقيقة.

١١ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

ففي هذه الآية وحد الصوت وجمع (الحمير) ولم يجمع الصوت ولم يفرد (الحمير).

قال الزمخشري: (فإن قلت: لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس، حتى يجمع. وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيده)[٣].

وقد وسع الشهاب الخفاجي الكلام علىٰ هذا عند شرحه لقول البيضاوي: (وتوحيد الصوت) حيث قال: (يعني المراد بصوت الحمير صوت هذا الجنس، ولكون المراد من المضاف الجنس، لا وجه لجمعه، فإن قلت: فينبغي أن يوحد المضاف إليه أيضاً، قلت: أجيب بأن المراد بالجمع المحلى باللام: الجنس، بخلاف الجمع المضاف إلى المحلى بها، وفيه نظر، وقد أجيب أيضاً بأن المقصود من الجمع التعميم والمبالغة في التفسير، فإن الصوت إذا توافقت عليه الحمير كان أنكر. وأورد عليه أنه يوهم أن الأنكريّة في التوافق دون الانفراد، وهو لا يناسب المقام فتأمل!...

وأما التوجيه بمراعاة الفواصل فلا يكفي دون نكتة معنوية تليق بالتنزيل)[٤].

---

(١) البرهان (٢: ٢٣٧).

(٢) السابق (٣: ٧).

(٣) الكشاف (٣: ٢٣٤)، وكلمة وجب لا تنبغي.

(٤) حاشية الخفاجي (٧: ١٣٨-١٣٩).

وزاد الآلوسي هنا أن السبب في إفراد الصوت مع جمع ما أضيف إليه هو الإشارة إلى قوة تشابه أصوات الحمير حتى كأنها صوت واحد هو أنكر الأصوات... ثم أجاب عما أورده الخفاجي قبل طلب التأمل! بأنه توهم لا يلتفت إليه(١).

١٢ـ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]:

علىٰ هذا النظم الكريم جاءت هذه الآية، ولم يقل: طائِعَيْن ولا طائِعَتيْن أو طائعات.

قال في البرهان: «إنما جمعهما جمع السلامة ولم يقل: (طائعين) ولا (طائعات) لأنه أراد: ائتيا بمن فيكم من الخلائق طائِعِين، فخرجت الحال بلفظ الجمع، وغلب من يعقل من الذكور»(٢).

وذكر الآلوسي: «إنما جاء (طائعين) جمع مذكر سالماً ـ مع اختصاصه بالعقلاء ـ باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب، وغلب المذكر علىٰ المؤنث». انتهى. وهو نقل عما عند الزمخشري(٣).

١٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق: ١٧].

فجاء ﴿قَعِيدٞ﴾ بالإفراد مع أن المعني مَلَكَيِّ الحسنات والسيئات.

قال الطبري: «واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد، وقد ذكر من قبل متلقيان، فقال بعض نحويي البصرة: قيل: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ ولم يقل: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، أي: أحدهما، ثم استغنى كما قال: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [الحج: ٥] ثم استغنى بالواحد عن الجمع كما قال: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾ [النساء: ٤]، وقال بعض نحويي الكوفة ﴿قَعِيدٞ﴾: يريد قعوداً عن اليمين وعن الشمال، فجعل فعيلاً جمعاً، كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦] لموسى وأخيه.

---

(١) روح المعاني (٢١: ٩٢).

(٢) البرهان (٣: ٣٠٦).

(٣) روح المعاني (٢١: ٩٢).

وقال الشاعر:

أَلِكْنْـي إليهـا وخـير الرسـو ... لِ أعلمُهم بنواحي الخبرْ (١)

فجعل الرسول للجمع، فهذا وجه، كما قال جعلت القعيد واحداً اكتفاءً به من صاحبه كما قال الشاعر:

نحـن بـما عنـدنا وأنـت بـما ... عنـدَك راضٍ والـرأيُ مختلـفُ(٢)

وقال الفرزدق:

إنّي ضمِنتُ لمن أتاني ما جَنَى ... وأبي، وكان وكنتُ غيرَ غَـدورِ

ولم يقل: غدورين»(٣).

وقال الرازي في المسائل: «معناه: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، إلا أنه حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، كما قال الشاعر: نحن بما عندنا...

وقال آخر:

رماني بأمر كنـت منـه ووالـدي ... بريئاً ومن أجل الطويِّ رماني(٤)

وقيل: إن فعيلاً يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] وإنما لم يقل: قعيدان رعاية للفاصلة»(٥).

---

(١) الشعر لم أجد قائله بعد طول تفتيش.

(٢) البيت لعمرو بن امرئ القيس، كما في البيان والتبيين (١: ٤٣٦).

(٣) جامع البيان (٢٦: ٩٩) والبيت لم أجده في ديوان الفرزدق. وقد ذكره ابن عطية في تفسيره (٥: ١٦١) منسوباً له، وهو في تفسير الفراء (٥: ٣٢) وفي لسان العرب (قعد) منسوبة للفرزدق.

(٤) الشعر: لم أقف علىٰ قائله.

(٥) مسائل الرازي ص٣٢٣.

وأوضح ابن الأنباري إعراب هذه الكلمة فقال: «في قعيد ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون قعيد خبراً عن الثاني، وحذف (قعيد) من الأول، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

الثاني: أن يكون (قعيد) خبراً عن الأول ولكن أُخر اتساعاً، وحذف (قعيد) من الثاني لدلالة الأول عليه.

الثالث: أن يكون (قعيد) يؤدي عن اثنين أو أكثر ولا حذف في الكلام، وهو قول الفراء»(١). وبمثل هذه الأعاريب قال جمهور المفسرين(٢).

والذي يظهر للباحث أن كل هذه الأقوال بما في بعضها من التكلف مبنية علىٰ ظاهرة أسلوبية نحوية، وليست دلالية معنوية. ولم يذكر أحد من المفسرين ـ فيما أعلم ـ شيئاً زائداً عما ذكره هؤلاء في السبب الذي من أجله جاءت (قعيد) مفردة وهي كلام عن اثنين إلا ما ألمح إليه أبو السعود العمادي عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] حيث قال: «والإفراد مع وقوفهما معاً علىٰ ما صدر عنه لما أن كل واحد منهما رقيب لما فوض إلى صاحبه كما ينبئ عنه قوله: ﴿عَتِيدٌ﴾، أي: معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر، ومن لم ينتبه له توهم أن معناه رقيبان عتيدان»(٣).

قلت: والإفراد في ﴿قَعِيدٌ﴾ أبلغ مما سواه؛ لأنه يدل بقوة علىٰ انصراف الملك لما وجه إليه من ملازمة المكلف وعدم التشاغل بشيء آخر عما سواه، ولهذا جاءت مفردة لتدل علىٰ أن كل ملك من الملكين علىٰ هذا الحال، فيكون أوقع في نفس المكلف، فيحرص علىٰ

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (٢: ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٣٠: ٧٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٤: ٢٢٤)، والكشاف (٤: ٦) وحاشية الخفاجي (٨: ٨٧)، وحاشية زاده (٤: ٣٨١) وروح المعاني (٢٦: ١٧٩)، والتحرير والتنوير (٢٦: ٣٠١)، وأضواء البيان (٧: ٦٤٨).

(٣) إرشاد العقل السليم (٨: ١٢٩).

عمل الخير، ويتجنب الشرور، ذلك أنه عندما يعلم أن كل ملك وكل عليه بحراسة مشددة فإن هذا يكون أبلغ في نفسه من القول بأن عليه ملكين يحرسانه ويسجلان عليه؛ لأنه ربما توهم تشاغلهما معاً عنه والله أعلم.

١٤ـ في سورة القمر ثلاثة مواضع، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [٤٤-٤٥] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [٥٤].

فأما الموضعان الأولان فقال الفراء في أحدهما: (قال: الدُّبر فوَحَّد، ولم يقل: الأدبار وكل جائز، صواب أن تقول: ضربنا منهم الرؤوس والأعين، وضربنا منهم الرأس واليد، وهو كما تقول: إنه لكثير الدينار والدرهم، تريد: الدنانير والدراهم)[١]. وهو يلمح في هذا إلى أن الأمر لمشاكلة رؤوس الآيات.

وقال الآلوسي في الآية الأولى: «وكان الظاهر (منتصرون) إلا أنه أفرد باعتبار لفظ الجميع، فإنه مفرد لفظاً، جَمْعٌ معنىٰ، ورجح هنا جانب اللفظ لخفة الإفراد مع رعاية الفاصلة، وليس في الآية رعاية جانب المعنىٰ أولاً، ثم رعاية جانب اللفظ ثانياً. علىٰ عكس المشهور. وإن كان ذلك جائزاً علىٰ الصحيح كما لا يخفى علىٰ الخبير»[٢].

وقال عن الموضع الثاني: (والإفراد لإرادة الجنس الصادق علىٰ الكثير مع رعاية الفواصل ومشاكلة القرائن، أو لأنه في تأويل: يولي كل واحد منهم دبره)[٣].

والذي يظهر للباحث في هذين الموضعين أن المشركين قد بلغ بهم الغرور مبلغاً أن يقولوا: إنهم صف واحد ملتئم، لا مطمع لأحد فيه ولا يقدر علىٰ مجابهته أحد، فلهذا وحَّد

---

(١) معاني القرآن (٣: ١١٠).

(٢) روح المعاني (٢٧: ٩٢) وانظر الجامع لأحكام القرآن (١٧: ١٤٥-١٤٦) والسراج المنير (٤: ١٥٣)، وإرشاد العقل السليم (٨: ١٧٤).

(٣) روح المعاني (٢٧: ٩٢).

منتصر. وهذا الكلام ألمح إليه الرازي في تفسيره[١] وكذا البقاعي[٢]. وأما الآية الثانية فهي أبلغ رد علىٰ هؤلاء المغرورين، بأن هذا الكل الذي هو علىٰ شاكلة واحدة كما زعموا ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ سيولي الدبر، وهو كناية عن انهزامهم دفعة واحدة أمام جحافل الحق، دون أن يبقى منهم أحد، فلهذا والله أعلم جاءت الكلمتان علىٰ صيغة المفرد.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ فقد قال فيه الفراء ما قاله فيما سبق، غير أنه أضاف معنىً آخر، وهو أن معنىٰ ﴿وَنَهَرٍ﴾ الضياء والسعة[٣].

وقال ابن عطية: (إنه ـ نهر ـ اسم جنس يريد به الأنهار، أو أنه بمعنى: وسعة في الأرزاق والمنازل، ومنه قول قيس بن الخطيم:

ملكت بها كفي فأنهرتُ فتقَها   يرى قائمٌ مِن دونِها ما وراءها

فقوله: أنهرتُ، معناه جعلت فتقها كنهر)[٤].

وقال البقاعي: «﴿وَنَهَرٍ﴾ وأفرده؛ لأن التعبير بـ﴿فِى﴾ مفهوم لعمومهم به عمومَ ما كأنه ظرف وهم مظروفون له، ولكثرة الأنـهار وعظمها، حتى إنها لقُرب بعضها من بعض واتصال منابعها، وتهيؤ جميع الأرض لجري الأنهار منها كأنها شيء واحد، وما وعد به المتقون من النعيم في تلك الدار، فرقائقه معجَّلة لهم في هذه الدار، فلهم اليوم جنات العيـون، وأنهار المعارف، وفي الآخرة الأنهار الجارية والرياض والأشجار والقصور والزخارف، وهو يصلح مع ذلك لأن يكون مما منه النهار، فيكون المعنىٰ إنهم في ضياء وسعة، لا يزايلونه أصلاً، بضد ما عليه المجرم من العمى الناشئ عن الظلام، ولمثل هذه الأغراض أفرده مع إرادة الجنس لا الفاصلة فقط»[٥].

---

(١) التفسير الكبير (٢٩: ٦٨-٦٩).

(٢) نظم الدرر (١٩: ١٣٠).

(٣) معاني القرآن (٣: ١١١).

(٤) المحرر الوجيز (١٥: ٣١٧)، وانظر الجامع لأحكام القرآن (١٧: ١٤٩)، والبيت في ديوان قيس ص٤٦.

(٥) نظم الدرر (١٩: ١٣٦).

وكلام البقاعي هذا حسن كثيراً، وقد ذكر الرازي أن ﴿ وَنَهَرٍ﴾ يُحتمل أن يكون التنكير فيه للتعظيم، وفي الجنّة نهر هو أعظمها وأحسنها، وهو المشار إليه هنا[١]، وبناءً علىٰ هذا القول يكون الإفراد في ﴿وَنَهَرٍ﴾ في غاية الوضوح.

١٥ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

قال الرازي صاحب المسائل في سبب إفراد ﴿ظَهِيرٌ﴾ ما يأتي:

(١ـ هو مفرد وضع موضع الجمع.

٢ـ اسم علىٰ وزن المصدر كالزميل والدبيب والصليل، فيستوي فيه المفرد والتثنية والجمع.

٣ـ إن فعيلاً يستوي فيه الواحد والاثنان والجميع)[٢].

وأكثر المفسرين علىٰ الثالث من هذه الأقوال. إلا أنهم زادوا أن السبب في اختيار المفرد هنا الإشارة إلى أن الملائكة علىٰ كلمة واحدة في المظاهرة، وبعض المفسرين يجعل ﴿ظَهِيرٌ﴾ خبراً عن جبريل، وما بينهما معطوف عليه، وعلى هذا فليس هناك تساؤل أصلاً[٣]. وهذا الكلام الأخير غير مقبول لأن فيه تشتيتاً للنظم الكريم.

١٦ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

قال في الكشاف: ﴿حَٰجِزِينَ﴾ في وصف ﴿أَحَدٍ﴾ لأنه في معنىٰ الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام مستوياً فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث)[٤].

وقال الآلوسي مبيناً شيئاً آخر: «والظاهر في ﴿حَٰجِزِينَ﴾ أن يكون خبراً علىٰ لغة الحجازيـين؛ لأنه هو محط الفائدة و﴿مِّنْ﴾ زائدة، و﴿أَحَدٍ﴾ اسمها، و﴿مِنكُم﴾ قيل: في

---

(١) التفسير الكبير (٢٩: ٨٠).

(٢) مسائل الرازي ص٣٤٩.

(٣) انظر نظم الدرر (٢٠: ١٩٢)، والكشاف (٤: ١٢٧)، والبحر المحيط (٨: ٢٩١)، وحاشية الخفاجي (٨: ٢١٢)، وروح المعاني (٢٨: ١٥٣).

(٤) الكشاف (٤: ١٥٥)، مسائل الرازي، ص٢٤.

موضع الحال منه؛ لأنه لو تأخر لكان صفة له، فلمّا تقدم أعرب حالاً كما هو الشائع في نعت النكرة، إذا تقدم عليها، ونُظر في ذلك، وقيل: للبيان أو متعلق بحاجزين، كما تقول: ما فيك زيد راغباً، ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب خبر ما، وقال الحوفي وغيره: إن ﴿حَٰجِزِينَ﴾ نعت لأحد، وجمع علىٰ المعنىٰ؛ لأنه في معنىٰ الجماعة، يقع في النفي العام للواحد، والجمع والمذكر والمؤنث، ومنه: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] و﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] فأحد مبتدأ والخبر ﴿مِنكُم﴾، وضعف هذا القول، بأن النفي يتسلط علىٰ الخبر، وهو كينونته منكم، فلا يتسلط علىٰ الحجز مع أنه الحقيق بتسلطه عليه»(١).

قلت: هذا ما ذكره هؤلاء السادة، وهو كما ترىٰ توسع في الأعاريب، ولم يعرّج أحد منهم علىٰ الفائدة المعنوية لمثل هذا الجمع في هذا المحل، غير أن البقاعي قال: واختار الإخبار بالجمع؛ لأنه يدل علىٰ عدم حجز الفرد من باب الأولىٰ(٢).

والذي يظهر للباحث أن سر التعبير هو إرادة بيان أن هؤلاء المخاطبين لو تظاهروا علىٰ الدفاع عنه في تلك الحالة ما كانوا يستطيعون ذلك، فالتعبير بالجمع أبلغ في نفي قدرتهم علىٰ المساعدة، والله تعالىٰ أعلم.

١٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢].

قال الفراء: يقال: «إنهما كانا اثنين فلان بن دهر والآخر قدار. ولم يقل: أشقياها، وذلك جائز لو أتىٰ، لأن العرب إذا أضافت أفعل التي يمدحون بها، وتدخل فيها (من) إلىٰ أسماء: وحّدوها في موضع الاثنين والمؤنث والجمع، فيقولون للاثنين: هذان أفضل الناس، وهذان خير الناس، ويثنّون أيضاً، أنشدني في تثنيته أبو القمقام الأسدي:

ألا بكّر الناعي بخيري بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمدْ
فإن تسلوني بالبيان فإنه ... أبو معقل لا حيّ عنه ولا حددْ

---

(١) روح المعاني (٢٩: ٥٤)، وانظر مجمع البيان (٥: ٥٢٤).

(٢) نظم الدرر (٢٩: ٣٨٢).

قال الفرّاء: أي: لا يكفي عنه حي، أي: لا يقال حيّ علىٰ فلان سواه، ولا حدد: أي لا يَـحِدْ عنه لا يحرم. وأنشدني آخر في التوحيد، وهو يلوم ابنين له:

يا أخبث الناس كل الناس قد علموا ... لـو تـستطيعانِ كنـا مثـل معـضادِ

فوحَّده ولم يقل: يا أخبثَي، وكل صواب، ومن وحد في الاثنين قال في الأنثىٰ أيضاً: هي أشقىٰ القوم، ومن ثنّىٰ قال: هي شُقيا النسوة، علىٰ فُعلىٰ، وأنشدني المفضل الضبيّ:

غَبَقْتك عظماها سـناما أو انـبرى ... برزقـك بـراق المتـون أريـبُ»[١]

وقال الزمخشري هنا: (يجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل، إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وكان يجوز أن يقال: أشقَوْها، كما نقول: أفاضلهم)[٢].

قلت: ولسنا بحاجة لا إلىٰ ما ذهب إليه الفرّاء ولا الزمخشري، فإن (أشقاها)، أي أشقىٰ ثمود هو رجل واحد، وهو الذي باشر الفعل بإيحاء وإيعاز وتشجيع من بقية القوم فلذلك نُصّ عليه. ويؤيد هذا قول الله تعالىٰ: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] ويؤيده كذلك حديث يروىٰ عن النبي ﷺ في هذا الشأن حيث صرح فيه بأن الفاعل واحد، وأنه ذو عزة ومنعة في قومه.[٣]

---

(١) معاني القرآن (٣: ٢٨٦)، وانظر أسرار التكرار، ص٢١٩، حيث قال الكرماني فيه: قيل: هما رجلان: قدار ابن سالف ومصدع بن يزدهر، فوحّد لروي الآية!! والبيتين الأولين في تفسير الطبري (٢٤: ٦٩٢) وفي زاد المسير (٩: ٢٦٨) وفي بصائر ذوي التمييز ص١٠١٥ وفي معاني القرآن للفراء (٥: ٢١٤) وفي سيرة ابن هشام (٣: ١١١) وفي شرح الشافية لابن الحاجي (٤: ١٤٠) والبيت الثالث لم أقف عليه إلا عند الفراء. وأما البيت الأخير فهو للمخبل السعدي كما في الأغاني (١٣: ٢١١).

(٢) الكشاف (٤: ٢٥٩)، وانظر إرشاد العقل السليم (٩: ١٦٤)، والسراج المنير (٤: ٥٤٣).

(٣) فتح الباري (٦: ٣٧٨).

والدليل علىٰ اشتراك القوم في توجيه هذا الشقي، وتقوية عزيمته لارتكاب شنيعته هو قول الله تعالىٰ: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ إذ ليس يعقل أن يكونوا كلهم قد باشروا هذا الفعل، وإنّما الذي قام به هو أشقاهم، وهم قد سكتوا، أو شجعوا، أو رضوا. ويبقىٰ كل لفظ في محله لا يحتاج إلىٰ ما ذكروه.

١٨ـ قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢].

قال الفرّاء: (قيل: من علق، وإنّما هي علقة؛ لأن الإنسان في معنىٰ الجمع، فذهب بالعلق إلىٰ الجمع لمشاكلة رؤوس الآيات). انتهى. وتبعه علىٰ هذا كثير من المفسرين[1].

هكذا قال هؤلاء السادة وغيرهم، أن لفظ الإنسان لمّا كان في معنىٰ الجمع جاء بالعلق علىٰ هذه الشاكلة ليحصل التناسب وليكون كذلك مراعياً للفواصل.

١٩ـ وقع في القرآن الكريم لفظا ـ المشارق والمغارب ـ في [المعارج: ٤٠]، ووقع في الصافات لفظ المشارق [آية ٥]، وفي الرحمن: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [١٧]، ووقع في غير الفواصل المشرق والمغرب بالتوحيد في أكثر من موضع كـ[البقرة: ١١٥] و[المزمل: ٩] وغيرهما.

وأحسن كلام وأجمعه بشأن الجمع والتثنية والإفراد في هذين اللفظين هو ما ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد في مكان واحد، حيث جمع فيه أشتات الأقوال، فقال: «ومن هذا المعنىٰ ـ أي: الإفراد والتثنية والجمع وما فيها من فوائد ـ يجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعيْن وتارة مثنييْن وتارة مفرديْن لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك، فالأول كقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] والثاني كقوله: ﴿رَبُّ

---

(١) معاني القرآن (٣: ٢٨٧)، وانظر السراج المنير (٤: ٥٦١)، وإرشاد العقل السليم (٩: ١٧٧)، وروح المعاني (٣٠: ١٨٠)، وحاشية الخفاجي (٨: ٣٧٩)، والتفسير البياني (٢: ١٨) حيث قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن: واستعمال العلق هنا، جمع علقة، إيذان بما ذهبنا إليه من إطلاقه في عموم لفظ الإنسان.

ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] والثالث كقوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩] فتأمّل هذه الحكمة البالغة في تغاير هذه المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب موادها يطلعك علىٰ عظمة القرآن وجلالته وأنه تنزيل من حكيم حميد، فحيث جُمعت كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة وهي متعددة، وحيث أفردا كان المراد أفقي المشرق والمغرب، وحيث ثُنيا كان المراد مشرقي صعودها وهبوطها، ومغربيهما، فإنها تبتدي صاعدة حتىٰ تنتهي إلىٰ غاية أوجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء، فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقاً واحداً، ومشرق هبوطها بجملته مشرقاً واحداً، ويقابلهما مغرباها، فهذا وجه اختلاف هذه في الإفراد و التثنية والجمع. وأمّا وجه اختصاص كل موضع بما وقع فيه، فلم أر أحداً عرض له ولا فتح بابه، وهو بحمد الله بيّن من السياق. فتأمّل وروده مثنىً في سورة الرحمن لمّا كان مساق السورة مساق المثاني المزدوجات، فذكر أولاً نوعي الإيجاد وهما الخلق والتعظيم، ثم ذكر سراجي العالم ومظهري نوره وهما الشمس والقمر، ثم ذكر نوعي النبات ما قام منه علىٰ ساق، وما انبسط منه علىٰ وجه الأرض، وهما النجم والشجر، ثم ذكر نوعي السماء المرفوعة، والأرض الموضوعة، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ووسط، بينهما ذكر الميزان ثم ذكر العدل والظلم في الميزان، فأمر بالعدل ونهىٰ عن الظلم، ثم ذكر نوعي المشرقين ونوعي المغربين، ثم ذكر بعد ذلك البحرين، الملح والعذب، فتأمّل حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة وجلالة ورودهما لذلك، وقدر موضعهما، اللفظ مفرداً ومجموعاً، تجد السمع ينبو عنه، ويشهد العقل بمنافرته للنظم.

ثم تأمّل ورودهما مفردين في سورة المزمل لما تقدمهما ذكر الليل والنهار، فأمر رسوله بقيام الليل، ثم أخبر أن له في النهار سبحاً طويلاً، فلمّا تقدم ذكر الليل وما أمر به فيه، وذكر النهار وما يكون منه فيه، عقب ذلك بذكر المشرق و المغرب اللذين هما مظهرا الليل والنهار، فكان ورودهما مفردين في هذا السياق أحسن من التثنية والجمع، لأن ظهور الليل والنهار هما واحد، فالنهار أبداً يظهر من المشرق، والليل أبداً يظهر من المغرب.

ثم تأمّل مجيئهما مجموعين في سورة المعارج في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠-٤١]. لمّا كان هذا القسم في سياق سعة ربوبيته وإحاطة قدرته والمقسم عليه أرباب هؤلاء والإتيان بخير منهم، ذكر المشارق والمغارب لتضمنهما انتقال الشمس التي هي إحدى آياته العظيمة الكثيرة ونقله سبحانه لها وتصريفها كل يوم في مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يعجزه أن يبدل هؤلاء وينقل إلىٰ أمكنتهم خيراً منهم؟ وأيضاً، فإن تأثير مشارق الشمس ومغاربها في اختلاف أحوال النبات وأحوال الحيوانات وانتقالها من حال إلىٰ غيره، وتبدُّل الحر بالبرد، والبرد بالحر، والصيف بالشتاء، والشتاء بالصيف، إلىٰ سائر تبدُّل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج، وغير ذلك من التبدلات والتغيرات الواقعة في العالم بسبب اختلاف مشارق الشمس ومغاربها، كان ذلك تقدير العزيز العليم، فكيف لا يقدر مع ما يشهدونه من ذلك علىٰ أن يبدل خيراً منهم؟ وأكد هذا المعنىٰ بقوله: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظة الجمع. ثم تأمّل كيف جاءت أيضاً في سورة الصافات مجموعة في قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥] لمّا جاءت مع جملة المربوبات المتعددة وهي السماوات والأرض وما بينهما، كان الأحسن مجيئها مجموعة لينتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد، ثم تأمّل كيف اقتصر علىٰ المشارق دون المغارب لاقتضاء الحال لذلك، فإن المشارق مظهر الأنوار وأسباب انتشار الحيوان وحياته وتصرفه ومعاشه وانبساطه، فهو إنشاء مشهود، فقدمه بين يدي الرد علىٰ منكري البعث، ثم ذكر تعجب نبيّه من تكذيبهم واستبعادهم البعثَ بعد الموت، ثم قدر الموت وحالهم فيه، وكان الاقتصار علىٰ ذكر المشارق ههنا في غاية المناسبة للغرض المطلوب ـ والله أعلم ـ». انتهى[1].

---

(١) بدائع الفوائد (١: ١٢١-١٢٣)، وانظر تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٤٣٥، وانظر البرهان (٤: ١٥) وما بعدها.

قلت: هذا كلام حسن ولم أجده مجموعاً إلاّ في هذا الكتاب ولذلك أطلتُ به هنا لما فيه من الفوائد.

٢٠ـ لفظ (الألباب) في القرآن الكريم لم يقع في القرآن مفرداً البتة.

وفي هذا يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين: (ولم ترد لفظة (اللب) في القرآن مفردة، ولمّا احتاج القرآن إلىٰ استعمالها مفردة جاء في مكانها بالقلب فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] وذلك لأن حرف الباء في لفظ (اللب) شديد مجتمع، ولا يفضي إلىٰ هذه الشدة إلاّ من اللام المسترخية، فلمّا لم يكن ثَمّ فصل بين الحرفين يتهيأ معه الانتقال علىٰ نسبة بين الرخاوة والشدة، لم تحسن اللفظة مهما كانت حركة الإعراب فيها، فأسقطها القرآن من نظمه بتة. علىٰ أن في نظم القرآن لفظة ﴿ٱلْجُبِّ﴾ وهي في وزنها ونطقها، وذلك لما فيها من حسن الائتلاف بين الجيم والباء، فالانتقال من هذه (الجيم) المضمومة الشديدة إلىٰ (الباء) أيسر من الانتقال في (اللب) من اللام المسترخية إلىٰ الباء المشددة[(١)].

وقد استعملت لفظة (اللب) في غير القرآن الكريم وكانت مضافة أو مضافاً إليها، فوقوعها مضافة في قول الرسول ﷺ في ذكر النساء: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الحازم من إحداكن يا معشر النساء»[(٢)].

ووقوعها مضافاً إليها كقول جرير:

إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ ... قتلنَنا ثم لم يُحيين قتلانا

يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حِراكَ بهِ ... وهن أضعف خلق الله إنسانا[(٣)]

---

(١) إلىٰ هنا كلام الرافعي، إعجاز القرآن (ص٢٣٢).

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، انظر فتح الباري (٤: ٣٠).

(٣) الشعر: في ديوانه، ج١: ١٦٣.

ولم يستخدم القرآن الكريم لفظ المفرد (لب)، لأن هذا الجمع أرق، والمقام يستدعيه، كما استدعى جمع الأشرار في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢]، ولم يستخدم القرآن لفظة شرير)[١].

والذي يظهر للباحث أن هذا تحليل لفظي فحسب، ولا بدَّ لمتطلب من مزيد من الثراء المعنوي من ألفاظ القرآن الكريم. وقد ذهب الأستاذ الدكتور فضل عباس مذهباً آخر فقال: «إننا نجد كلمة ﴿حِجْرٍ﴾ بمعنىٰ (العقل) وردت مفردة فحسب في كتاب الله: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

وأمّا الألباب فقد وردت بصيغة الجمع؛ لأننا نظن ـ والله أعلم ـ أن هناك سراً بديعاً، وغاية رائعة قصد إليها، نحن نعلم أن الحِجر هو المنع، أمّا (اللب) فهو الثمرة والنتاج، وقضية الامتناع عن الوقوع في الردىٰ، والابتعاد عن المساوئ والرذائل، وتجنب الهوىٰ، التي تعطيها كلمة ﴿حِجْرٍ﴾ نعلم أن هذه قضية فردية، تخص أول ما تخص الفرد نفسه؛ لأنها ذات تعلق بميوله واتجاهاته واستعداداته، أمّا كلمة (اللب) بما تحمله من معنىٰ محدد فهي في الواقع أمر يخص الجماعة أكثر من الفرد؛ لأن الجماعة من شأنها أن تنتج وتجد ثمرة جهادها، من أجل ذلك نرجح ـ والله أعلم ـ أن كلمة ﴿حِجْرٍ﴾ لم ترد مجموعة بمعناها الدال علىٰ العقل كما أن كلمة (ألباب) لم ترد مفردة كذلك؛ لأن الحجر يتجلىٰ فيه الجانب السلبي، وهو ألصق بالفرد، ولأن اللب يتجلىٰ فيه الجانب الإيجابي، وهو من شأن الجماعة، فكم من مقررات تتخذها الجماعات لا تنفذ لعدم التزام الأفراد بتنفيذها»[٢].

٢١ـ لفظ (النار) يجيء مفرداً دائماً في الفواصل وغيرها، في حين أن لفظ (الجنّة) يرد مجموعاً ومفرداً ومثنىٰ في الفواصل وغيرها.

---

(١) صفاء الكلمة، ص١٤٦-١٤٧، وانظر الطراز (٣: ٤٧).

(٢) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز، ص٨٦.

خذ (الجنّة) مفردة في [الشعراء: ٨٥]، و[النجم: ١٥]، و[الواقعة: ٨٩]، و[الحاقة: ٢٢]، و[المعارج: ٣٨]، و[الغاشية: ١٠]، ويجيء مثنىٰ في [الرحمن: ٤٦، ٦٢]، ومجموعاً في [لقمان: ٨]، و[الصافات: ٤٣]، و[الواقعة: ١٢]، و[القلم: ٣٤]، و[النبأ: ١٦]، ولم يرد مطلقاً لفظ (النار) إلاّ مفرداً.

قال في البرهان: وفي ذلك وجهان:

(**أحدهما**: لمّا كانت الجنات مختلفة الأنواع، حسن جمعها وإفرادها، ولمّا كانت النار واحدة أفردت باعتبار الجنس.

الثاني: أنه لمّا كانت النار تعذيباً، والجنة رحمة، ناسب جمع الرحمة وإفراد العذاب، وأيضاً، فالنار دار حبس، والغاضب يجمع جماعة من المحبوسين في موضع واحد، وذلك أنكد لعيشهم، والكريم لا يترك ضيفه، ولا سيما إذا كان للدوام، إلاّ في دار مفردة مهيأة له وحده، فالنار لكل مذنب، ولكل مطيع جنة، فجَمَع الجنان ولم يجمع النار). انتهى[1]. وهو كلام حسن جداً.

❊ ❊ ❊

(١) البرهان (٤: ١٤)، وانظر معترك الأقران (٣: ٥٩٧)، وصفاء الكلمة (ص١٤٧)، والمفردات القرآنية (ص٩).

المبحث السادس

الدلالة المعنوية للتذكير والتأنيث في الفواصل القرآنية

وردت بعض الألفاظ المؤنثة المخاطب بها جاء الحديث عنها بألفاظ مذكرة وكذا العكس في بعض الفواصل القرآنية، وهي أمثلة قليلة وليست كثيرة. أسأل الله أن ينفعنا بها وسائر القرآن العظيم.

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

وكلتا الآيتين حديث عن مريم عليها السلام، ولم يأتِ النص ـ بالراكعات ولا القانتات ـ مع أن كلمة (القانتات) وردت ثلاث مرات في القرآنَ الكريم: في [النساء: ٣٤]، و[التحريم: ٥]، و[الأحزاب: ٣٥].

قال الآلوسي في الموضع الأول: «وجاء ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ دون الراكعات؛ لأن هذا الجمع أعم إذ يشمل الرجال والنساء علىٰ سبيل التغليب، ولمناسبة رؤوس الآي، ولأن الاقتداء بالرجال أفضل إن قلنا: إنها مأمورة بصلاة الجماعة»[(١)].

وقال ابن عاشور: «وقوله: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ إذْنٌ لها بالصلاة مع الجماعة، وهذه خصوصية لها من بين نساء بني إسرائيل إظهاراً لمعنىٰ ارتفاعها عن بقية النساء، ولذلك جيء في الراكعين بعلامة جمع التذكير»[(٢)].

---

(١) روح المعاني (٣: ١٥٧-١٥٨)، وانظر نظم الدرر (٤: ٣٧٤). وكيف يقال: إنها مأمورة بصلاة الجمعة وقد كانت تعيش وحدها!

(٢) التحرير والتنوير (٣: ٢٤٤).

وهذا الكلام من ابن عاشور يحتاج إلىٰ دعامة أخرى تدلل علىٰ ما ذهب إليه، وهل كون مريم تؤمر بالصلاة مع الرجال وحدها يعد ميزة لها، ثم هل كانت حقاً تصلي مع الرجال؟

وأمّا الموضع الثاني فقال فيه الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل: ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ علىٰ التذكير؟ قلت: لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره علىٰ إناثه، و﴿مِنَ﴾ للتبعيض، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية علىٰ أنها ولدت من القانتين؛ لأنها من أعقاب هارون أخي موسى صلوات الله عليهما[1]. والقول الأول أظهر في هذا الجانب.

والذي يظهر للباحث أن مريم عليها السلام قد اصطفاها الله تعالىٰ وآتاها شيئاً لم يؤتِهِ أحداً من نساء العالمين، وتحملت علىٰ إثر هذه النعم ما لا يمكن أن تتحمله امرأة لولا عناية الله. إن المواقف التي وقفتها مريم عليها السلام يسقط أمامها كثير من الرجال، لذلك استحقت أن توصف وتخاطب بمثل ما خوطبت به ـ والله أعلم ـ.

٢ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣].

وهذه الآية في الحديث عن هلاك امرأة لوط عليه السلام، ولم يقل القرآن: من الغابرات مع أنه كما يتبادر كان هناك هلكىٰ من النساء.

قال البقاعي: (والتذكير إشارة إلىٰ أنه أصابها مثل عذاب الرجال والنساء، لم تنقص عنهم؛ لأنها كانت كافرة مثلهم)[2].

وقال أبو السعود: (والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون

---

(١) الكشاف (٤: ١٣٢)، وانظر حاشية الشهاب (٨: ٢١٤)، والسراج المنير (٤: ٣٣٦)، وإرشاد العقل السليم (٨: ٣٧٠)، وروح المعاني (٢٨: ١٦٥).

(٢) نظم الدرر (٧: ٤٥٧)، وانظر جامع البيان (٨: ١٦٥).

للفاحشة)[١]، وقد أنكر في البرهان القول بالتغليب واستعجبه، ولم يبدِ وجهاً جديداً عند هذه الآية[٢].

والذي يظهر للباحث أن التداعي علىٰ هذه الفاحشة العجيبة كان من شأن الرجال، والظاهر أن امرأة لوط كانت تساعد رجال القبيلة علىٰ شيء من هذا، كأن تدل قومها علىٰ ضيوف لوط عليه السلام إن كانوا من الجمال علىٰ شيء حتىٰ يأتوا إليهم، فلمّا وقع الهلاك، قيل: من ﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ لأنها كانت تُعينهم علىٰ ما أجرموا. ولفظ ﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ بما يوحيه من معنىٰ الغبار المتطاير الذي ليس له قوة الاستجماع لم يرد في القرآن الكريم إلاّ في قصص لوط عليه السلام وفي بيان هلاك امرأته مع الهالكين، فقد وقع في [الحجر: ٦٠]، و[الشعراء: ١٧١]، و[النمل: ٥٧]، و[العنكبوت: ٣٢، ٣٣]، و[الصافات: ١٣٥]، وهذا كله يوحي ـ والله أعلم ـ بأن هلاك قوم لوط كان من الأعاجيب نظير أعاجيب أفعالهم.

٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢ ـ٨٣].

قال الآلوسي: «وتذكير (بعيد) يحتمل أن يكون علىٰ تأويل الحجارة بالحجر المراد به الجنس، أو إجرائه علىٰ موصوف مذكر، أي: بشيء بعيد، أو بمكان بعيد، فإنها وإن كانت في السماء وهي في غاية البعد من الأرض، إلاّ أنها إذا هوت منها، فهي أسرع شيء لحوقاً بهم، فكأنها بمكان قريب منهم، أو لأنها علىٰ زنة المصدر كالزفير والصهيل، والمصادر يستوي فيها الوصف بالمذكر والمؤنث»[٣].

قلت: وهذا تعليل لفظي، ولا ينبغي الاقتصار علىٰ مثله وإن كان صحيحاً في أصله.

---

(١) إرشاد العقل السليم (٣: ٢٦٤)، وانظر السراج المنير (١: ٤٩٢).

(٢) البرهان (٣: ٣٠٢).

(٣) روح المعاني (١٢: ١١٤)، والكشاف (٢: ٢٨٤)، والتحرير والتنوير (١٢: ١٣٥).

٤ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

وهذا قول مريم عليها السلام، ولم تقل: بغية.

لخص الرازي صاحب المسائل أقوال من سبقه فقال: «فإن قيل: كيف قالت: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ولم تقل: بغية مع أنه وصف مؤنث؟ قلنا: قال ابن الأنباري: لمّا كان هذا الوصف غالباً علىٰ النساء، وقلّما تقول العرب: رجل بغي، لم يلحقوا به علامة التأنيث إجراء له مجرىٰ حائض وعاقر. وقال الأزهري: لا يقال رجل بغي، بل هو مختص بالمؤنث، ولام الكلمة ياء يقال: بغت تبغي، وهي فعول عند المبرد، أصلها بَغُويْ، قلبت الواو ياء وأدغمت، وكسرت الغين إتباعاً، فهو كصبور وشكور، في عدم دخول التاء. وقال ابن جني في كتابه التمام: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لقيل: بغُوّ، كما قيل: هو نَهُوٌّ عنِ المنكر، ثم قيل: هي فعيل بمعنىٰ فاعل كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال الأخفش: هي مثل: ملحفةٌ جديدٌ، فجعلها بمعنىٰ مفعول. وقيل: إنّما لم يقل بغية مراعاة لبقية رؤوس الآيات»[١].

وزاد الآلوسي: «إن اعتراض ابن جنّي قد رُدّ بأنه لا يقاس علىٰ الشاذ، وقد نصوا علىٰ أن (نهو) شاذ لمخالفته القواعد»[٢].

ونقل أبو تراب الظاهري عن طبقات الزبيدي: «قال المازني: حضرت يوماً عند الواثق وعنده نحاة الكوفة فقال لي الواثق: يا مازني، هات مسألة؟ فقلت: ما تقولون في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ لِمَ لمْ يقل: بغية وهي صفة لمؤنث؟ فأجابوا بجوابات غير مرضية، فقال الواثق: هاتِ ما عندك؟ فقلت: لو كانت بغي علىٰ تقدير فعيل بمعنى

---

(١) مسائل الرازي، ص٢١٢. ومعاني القرآن للأخفش (٢: ٤٠٢)، و البيان في غريب إعراب القرآن (٢: ١٢٤)، والتفسير الكبير (٢١: ٢٠١)، والبرهان (٣: ٣٦٢-٣٦٣).

(٢) روح المعاني (١٦: ٧٨)، وقد نقل فيه كلاماً كثيراً.

فاعلة لحقتها الهاء مثل: كريمة وظريفة، وإنّما تحذف الهاء إذا كانت في معنىٰ مفعولة نحو: المرأة قتيل، وكف خضيب، وبغي ههنا ليس بفعيل، إنّما هو فعول، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث، نحو: امرأة شكور، وبئر شطون، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي: بغوىٰ، قلبت الواو ياء ثم أدغمت مع الياء فصارت ياء ثقيلة نحو: سيّد وميت، فاستحسن الجواب.

قال أبو تراب: المرأة قتيل بمعنىٰ مقتولة، وكف خضيب بمعنىٰ مخضوبة، والكف من المؤنثات السماعية، وسيد وميت أصلهما سَيُود ومَيُوت، أبدلت واواهما ياءين، ثم أدغمتا في الياءين الأخريين، والبغي صيغة مصدر يائية، ركب منها فعول، فكانت بلفظ بَغُوي، ثم قلبت الواو ياء، وأدغمت في أختها الأصلية من المصدر، فلهذا لم تلحقها ياء التأنيث التي تنقلب هاء في السكت؛ لأنها ليست بمعنىٰ المفعول، بل هي مبالغة في صيغ اسم الفاعل، ولهذا السر لا يقال للمرأة: لعوبة، بل هي لعوب، وإنّما تلحق التاء صيغة فعيل إذا كانت بمعنىٰ فاعلة في التأنيث»(١).

والذي يظهر للباحث أنه بناء علىٰ تصريح بعض النحويين، وكذا ما صرح به في اللسان من أنه لا يقال: رجل بغي(٢) فإن الآية حينئذ في غاية الظهور ولا تحتاج إلىٰ كل ما قالوه ـ والله أعلم ـ.

٥ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

وهذه الآية إن كان ﴿خَٰضِعِينَ﴾ خبراً عن الأعناق، فالأصل أن يكون التعبير حسب المألوف اللغوي (خاضعة)، ولهذا اختلف المفسرون في هذا المحل كثيراً، فذكر الأخفش أوجهاً عدة لكون ﴿خَٰضِعِينَ﴾ جاءت علىٰ هذه الصيغة فقال: (يزعمون أنها على الجماعات، نحو هذا عنق من الناس، يعنون الكثير، أو ذُكِّر كما يذكّر بعض المؤنث لـمّا

---

(١) لجام الأقلام، ص١٩٦.

(٢) لسان العرب: بغىٰ.

أضافه إلىٰ مذكر... أو يكون ذكره لإضافته إلىٰ المذكر، كما يؤنث لإضافته إلىٰ المؤنث.. ويقولون: بنات عرس، وبنات نعش، وبنو نعش، وقالت امرأة من العرب: أنا امرؤ لا أحب الشر، وذُكِر لرؤبة رجل، فقال: كانت أحد بناتِ مساجد الله، كأنه جعله حصاه)[١].

وزاد الفرّاء بعض الأوجه: (فنقل عن مجاهد أن الأعناق: الرجال الكبراء، واختار هو أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعلت الفعل أولاً للأعناق، ثم جعلت خاضعين للرجال)[٢].

ونقل الطبري كلام كلا الرجلين دون أن يصرح باسميهما، وبعد ذلك رجح من الأقوال ما هو آت: «أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال وأن يكون معنىٰ الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء، وأن يكون قوله ﴿خَٰضِعِينَ﴾ مذكراً لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق، فيكون ذلك نظير قول جرير:

أرى مرَّ السنين أخـذن منـي كما أخذ الـسراةُ مـن الهـلالِ

وذلك أن قوله: مرّ لو أسقط من الكلام لأدّىٰ ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنىٰ الكلام عما كان به قبل سقوطه، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله: (فظلت أعناقهم) لأدّىٰ ما بقي من الكلام عنها، وذلك أن الرجال إذا ذلوا فقد ذلت رقابهم، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا، فإن قيل في الكلام فظلوا لها خاضعين كان الكلام غير فاسد لسقوط الأعناق، ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها، فصرف الخبر بالخضوع إلىٰ أصحاب الأعناق، وإن كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرىٰ به استعمال العرب في كلامهم إذا كان الاسم المبتدأ به، وما أضيف إليه يؤدي الخبر كل واحد منهما عن الآخر»[٣].

---

(١) معاني القرآن (٢: ٤٢٥-٤٢٦).

(٢) السابق (٢: ٢٧٧).

(٣) جامع البيان (١٩: ٣٨-٣٩)، وقد رد ابن الأنباري قوله كما في البيان في غريب إعراب القرآن (٢: ٢١١) والبيت في ديوان جرير (١: ٤٤٩) وصدره: رأت مرّ السنين.

وأكثر المفسرين يذكر هذه الأقوال ولا يزيد إلاّ ما لا يؤدي غرضاً[١].

وكل هذه التعليلات تعليلات نحوية أسلوبية لا يكاد أكثرها يمس جانب المعنىٰ، وليس يظهر للباحث شيء يضيفه ـ والله تعالىٰ أعلم ـ وربما يقال: لو قال خاضعة لكان الحديث عن الأعناق وحدها وهذا ليس مقصوداً وإنما أراد أن الخضوع يصيب كل شيء في المكذبين. انتهى أفدناه من شيخنا.

٦ـ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

قال في الكشاف: (والرميم اسم لما بلي من العظام، غير صفة، كالرمة والرفات، فلا يقال: لِمَ لَمْ يؤنث، وقد وقع خبراً لمؤنث، ولا هو فعيل بمعنىٰ فاعل أو مفعول)؟[٢].

وقال البغوي: (رميم: بالية، ولم يقل: رميمة؛ لأنه معدول عن فاعله، وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن أخواته)[٣].

واختار الآلوسي كونه صفة، ولم يؤنث؛ لأنه غلب استعماله غير جارٍ علىٰ موصوف. فألحق بالأسماء الجامدة، أو حمل علىٰ فعيل بمعنىٰ مفعول[٤].

٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].

---

(١) انظر غرائب القرآن (١٩ ٤٩) بهامش تفسير الطبري، ومعاني القرآن وإعرابه (٤: ٨٢-٨٣)، والبحر (٧: ٥)، والتفسير الكبير (٢٤: ١١٨)، وروح المعاني (١٩: ٦٠)، وحاشية الجمل علىٰ الجلالين (٣: ٢٧٢)، والتحرير والتنوير (١٩: ٩٦-٩٧)، ورد ابن عاشور رأي مجاهد بأنه ضعيف، وكذا القول بأن العنق معناه الجماعة، وقال إنه أضعف من رأي مجاهد. وانظر كذلك تنزيه القرآن عن المطاعن (ص٢٩٥)، والبرهان (٣: ٣٦١).

(٢) الكشاف (٣: ٣٣١)، وتبعه البقاعي (١٦: ١٧٨)، وأبو السعود (٧: ١٨١)، والجمل (٣: ٥٢٦)، واختار أنها اسم فاعل أو اسم مفعول البيضاوي كما في حاشية الخفاجي (٧: ٢٥٤)، وتبعه الشربيني (٣: ٣٦٥).

(٣) معالم التنزيل (٤: ٢٠)، وتبعه علىٰ هذا القرطبي (١٥: ٥٨).

(٤) روح المعاني (٢٣: ٤٥).

قال الزمخشري: «﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في تأويل البعث، ولذلك قيل: ﴿قَرِيبٌ﴾، أو لعل مجيء الساعة قريب»[١].

وقال البقاعي: «ولمّا كان تأنيث الساعة غير حقيقي لأنها بمعنىٰ الوقت ذكّرها فقال: ﴿قَرِيبٌ﴾ فأفهم ذلك أنها ذات شدائد، وأن شدائدها ذكور الشدائد، وأن قربها أسرع من لمع البرق لما له من الثبات في الحق، أو ذكّرها علىٰ إرادة السبب، أي: ذات قرب، أو علىٰ حذف مضاف أي: مجيئها، وعلى كل حال فهو دال علىٰ تفخيمها، أي أنك بمظنة من قرب القيامة فيقع بهم ما توعدوا به مما ينبغي الإشفاق منه»[٢].

والذي يظهر للباحث أنه لما كان ذكر الساعة إنّما يصرف القلوب والعقول إلىٰ ما يصاحبها من هول ينسي المرء نفسه فضلاً عن غيره، حسن تذكير هذه الكلمة لمراعاة ذلك ـ والله أعلم ـ.

٨ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

قال الزمخشري: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: نصب علىٰ الظرف، أي: مكاناً غير بعيد، أو علىٰ الحال، وتذكيره لأنه علىٰ زنة المصدر كالزئير والصليل، والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث، أو علىٰ حذف الموصوف، أي: شيئاً غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل[٣].

وجمع ابن عاشور أقوال من سبقه بقوله: «وتجريد ﴿بَعِيدٍ﴾ من علامة التأنيث: إما علىٰ اعتبار ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وصفاً لـ(مكان)، وإما جريٌ علىٰ الاستعمال الغالب في وصف (بعيد وقريب) إذا أريد البعد والقرب بالجهة دون النسب أن يجرّدا من علامة التأنيث كما

(١) الكشاف (٣: ٤٦٥).

(٢) نظم الدرر (١٧: ٢٨٢)، وانظر روح المعاني (٢٥: ٢٦)، والتحرير والتنوير (٢٥: ٦٩).

(٣) الكشاف (٤: ١٠)، وانظر التفسير الكبير (٢٨: ١٧٥)، وروح المعاني (٢٦: ١٨٩)، ومسائل الرازي، ص٣٢٤.

قاله الفرّاء، أو لأن تأنيث اسم الجنّة غير حقيقي كما قال الزجاج، وإما لأنه جاء علىٰ زنة المصدر كما قال الزمخشري»[١].

وقال البقاعي: «ولمّا كان القرب أمراً نسبياً أكده بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: إزلافاً لا يصح وصفه ببعيد»[٢].

٩ـ قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

قال الرازي صاحب المسائل: «إنّما ذكّر الصفة؛ لأن الموصوف، وهو النخل، مذكّر اللفظ ليس فيه علامة تأنيث، فاعتبر اللفظ، وفي موضع آخر اعتبر المعنىٰ وهو كونه جمعاً فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] وقال أبو عبيدة: النخل يذكر ويؤنث، فجمع القرآن اللغتين، وقيل: إنّما ذكّر رعاية للفواصل»[٣].

وطوّل الرازي في هذا المحل لاعتبار الفاصلة[٤].

وقال البقاعي في سورة القمر: «ولمّا كان الحكم هنا علىٰ ظاهر حالهم، وكان الظاهر دون الباطن، حمل علىٰ اللفظ قوله: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ أي: منصرع من أسفل قعره، وأصل مغرسه. والتشبيه يشير إلىٰ أنهم طوال قد قطعت رؤوسهم. وفي الحاقة وقع التشبيه في الباطن الذي فيه الأعضاء الرئيسة، والمعاني اللطيفة، فأنث الوصف حملاً علىٰ معنىٰ النخل لا للفظها والله أعلم»[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦: ٣١٩).

(٢) نظم الدرر (١٨: ٤٣٢).

(٣) مسائل الرازي، ص٣٣١، وانظر الكشاف (٤: ٣٩)، وروح المعاني (٢٧: ٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥: ٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧: ١٣٧).

(٤) التفسير الكبير (٢٧: ٨٤).

(٥) نظم الدرر (١٩: ١١٥-١١٦).

وقال ابن عاشور: «ووجه الوصف بـ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ الإشارة إلىٰ أن الريح صرعتهم صرعاً تفلقت منه بطونهم وتطايرت أمعاؤهم وأفئدتهم فصاروا جثثاً فارغة، وهذا تفظيع لحالهم ومثلة لتخويف من يراهم»[١].

وقول ابن عاشور عكس قول البقاعي، والمتبادر للباحث أن رأي البقاعي أرجح.

وقال ابن عاشور في آية الحاقة: «ووصف ﴿نَخْلٍ﴾ بأنها ﴿خَاوِيَةٍ﴾ باعتبار إطلاق اسم النخل علىٰ مكانه بتأويل الجنّة أو الحديقة، ففيه استخدام[٢]، والمعنىٰ خالية من الناس، وهذا الوصف لتشويه المشبه به بتشويه مكانه، ولا أثر له في المشابهة، وأحسنه ما كان فيه مناسبة للغرض من التشبيه كما في الآية، فإن لهذا الوصف وقعاً في التنفير من حالتهم ليناسب الموعظة والتحذير من الوقوع في مثل أسبابها»[٣].

قلت: هذا تفسير بغير المتبادر فيبعد لأجل ذلك ـ والله أعلم ـ.

١٠ ـ قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١١-١٢].

قال البقاعي: «(إنها) أي: القرآن، ولعله أنث الضمير باعتبار ما تلي عليهم في ذلك المجلس من الآيات أو السور ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ تذكرهم تذكيراً عظيماً... ﴿ذَكَرَهُۥ﴾ أي: حفظ القرآن كله، وتذكر ما فيه من الوعظ من غير تكرير ولا معالجة تحوج إلىٰ الإعراض عن بعض المقبلين الراغبين، وللإشارة إلىٰ حفظه كله ذكّر الضمير»[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧: ١٩٤).

(٢) الاستخدام معناه: ذكر لفظ له معنيان يراد به أحدهما، وبالضمير العائد لذلك اللفظ معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحد معنييه ثم بالآخر الآخر. انتهى من التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، ص٥٦.

(٣) التحرير والتنوير (٢٩: ١١٩)، وانظر الجامع لأحكام القرآن (١٨: ٢٦١).

(٤) نظم الدرر (٢١: ٢٥٦ـ٢٥٧)، وانظر مسائل الرازي (ص٣٦٦)، وروح المعاني (٣٠: ٤١)، والجامع لأحكام القرآن (١٩: ٢١٥).

وذهب الكرماني إلىٰ أن ذلك لأجل الفاصلة[١]، وبمثله قال الدكتور عبدالفتاح لاشين[٢].

ويمكن أن يقال: (إنها تذكرة) أي الحالة التي في السورة من عبس... فهي أي الحالة تذكرة. وأما ما بعدها فالحديث عن القرآن ولذلك ناسبه التذكير. انتهى.

* * *

(١) أسرار التكرار (ص٢١١).

(٢) الفاصلة القرآنية، ص٢٦.

المبحث السابع
الدلالة المعنوية للإضمار والإظهار في الفواصل القرآنية

قد وقعت في القرآن الكريم في فواصل آياته ألفاظ ذُكرت صراحة، وقد كانت مذكورة قبلاً، مما لو جاءت ـ بحسب النظر الظاهر ـ علىٰ هيئة الضمائر ما كان ذلك خفياً ولا معيباً، وبالطبع لا بد أن تكون هذه الكلمات ذكرت مرة ثانية لأغراض معنوية هي في غاية الضرورة، وها هي أمثلة هذا القسم.

١ـ فمن هذا الباب أن يذكر القرآن الكريم حديثاً عن قوم أو طائفة ثم يعقب الحديث عنهم بذكرهم من خلال فاصلة تصرح بوصفهم بأحد الأوصاف، ومثال هذا قوله تعالىٰ عن قوم فرعون: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، وقبلها جاء قوله تعالىٰ في شأن قوم لوط عليه السلام: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤] فلم يقل القرآن: فانظر كيف كان عاقبتهم، ولا قال في تلك مثل ذلك.

ومثل هذه الآيات التي تأتي تعقيباً علىٰ قصص الأنبياء مع أقوامهم باختلاف جرائم الأقوام، يقع هذا الإظهار في أحسن مواقعه؛ ذلك أنه يريد ختم قصة هؤلاء بهذا الوصف كأن يقال في قوم فرعون: إنهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه إلاّ بسبب فسادهم وإفسادهم، وفي قوم لوط: إنهم إنّما وقعوا في الهلكة بسبب إجرامهم، فتخلص من هذه القصص موعظة للسامعين والقارئين، باستحضار الأوصاف المذكورة بشأنهم، وما نشأ عن ذلك من عقاب، فترتدع نفوس السامعين، إذ يعلموا أن من السنن الإلهية أن الله تعالىٰ ما ذكر

الفساد والإجرام لأجل الإخبار ومعرفة مصائر الأمم ومصارعها، وإنّما ذكر ذلك وذكر غيره تنبيهاً علىٰ شدة ما كانوا فيه من المخالفة وتحذيراً لمن بعدهم أن يقعوا فيما وقعوا فيه بأنه ينالهم ما نالهم. وهذه من أحسن فوائد الإظهار في مقام الإضمار، فلو ذُكروا بضمائرهم، لم يفد ذلك ـ والله تعالىٰ أعلم ـ بكل المسالك.

هذا، ويمكن قياس كل الآيات التي علىٰ هذا النمط بمثل هذا، قال ابن عاشور في الموضع الأول: (والمراد بالمفسدين فرعون وملؤه، فهو من الإظهار في مقام الإضمار تنبيهاً علىٰ أنهم أصيبوا بسوء العاقبة لكفرهم وفسادهم)(١)، وكان ينبغي علىٰ الشيخ رحمه الله أن يزيد مع التنبيه التحذير.

وقال البقاعي في الموضع الثاني: (وأظهر في مقام الإضمار تعليقاً للحكم بوصف القطع لما حقه الوصل، بوصل ما حقه القطع من فاحش المعصية، دليلاً علىٰ أن الرجم جزاء من فعل هذا الفعل بشرطه؛ لأن الحكم يدور مع العلّة)(٢).

٢ـ قد يقع اسم الجلالة في مثل هذا الموضع، فيظهر في مقام الإضمار، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

دون قوله: أم عليه تفترون.

والحاصل أن مثل هذا التركيب يفيد أمرين اثنين:

الأول: التنبيه علىٰ قبح ما اقترفوه من الأفعال(٣).

الثاني: زيادة التشنيع عليهم، ولتهويل الافتراء علىٰ الله تعالىٰ(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٩: ٣٦) وانظر كذلك (٩: ٣٤٢)، و(١: ٦١٦).

(٢) نظم الدرر (٧: ٤٥٨).

(٣) روح المعاني (١١: ١٤٢).

(٤) التحرير والتنوير (١١: ٢١٠).

ويمكن تعميم هاتين الفائدتين من مثل هذا التركيب في كل الجوانب السلبية التي يقع فيها مثل هذا الإظهار. والله المتولي للأعمال وأهلها بالليل والنهار.

٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

دون قوله: ويبشركم مثلاً، أو: وبشرهم.

وهذه الآية الكريمة وأمثالها عكس ما مر في المثال الأول، ويراد بمثل هذا الإظهارِ أمران اثنان:

الأول: أن هؤلاء قد بلغوا مرتبة الإحسان بالتزامهم أوامر الله تعالىٰ، فحُقَّ لهم أن يُمتدحوا بمثل هذا الوصف.

الثاني: أن الفاعل مثل ما فعلوا مبشَّر بمثل ما بُشِّروا. وفي هذا من الإطماع بفضل الله المتفضل ما فيه.

قال ابن عاشور في هذه الآية: (وتغيير الأسلوب تخريج علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر، بالإظهار في مقام الإضمار، للإشارة إلىٰ أنهم قد اهتدوا وعملوا بالاهتداء فأحسنوا)[١]. وقوله هذا حديث عن جانب واحد مما يفيده هذا الإظهار.

٤ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

إذ لم يقل: وما كنا عنكم، أو: ما كنا عنها، وذلك بحسب مراجع الضمير.

قال الآلوسي علىٰ القول بأن الخلق المذكور هو السماوات السبع: (والإظهار في قام الإضمار للاعتناء بشأنها)[٢]، ولم يبين رحمه الله وجه هذه العناية، فإن كان ـ والله أعلم ـ

---

(١) التحرير والتنوير (١٧: ٢٧٠).

(٢) روح المعاني (١٨: ١٨).

إظهارها بوصف الخلق أدل علىٰ العناية من لو عبر عنها بالضمير، فإن ترك المخلوق دون عناية دليل علىٰ الغفلة، وهو ما يتنزه عنه الباري سبحانه)(١).

وقال ابن عاشور: «والعدول عن الإضمار إلىٰ الإظهار في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ دون أن يقال: وما كنا عنكم غافلين: لما يفيده المشتق من معنىٰ التعليل، أي: ما كنا عنكم غافلين؛ لأنكم مخلوقاتنا، فنحن نعاملكم بوصف الربوبية، وفي ذلك تنبيه علىٰ وجوب الشكر، والإقلاع عن الكفر»(٢).

٥- قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

دون: وكفىٰ به.

قال ابن عاشور: وإظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار حيث تقدم ذكره لقصد أن تكون هذه الجملة جارية مجرىٰ المثل والحكمة(٣).

قلت: ومتىٰ يكون الضمير كالتصريح باسمه جل ثناؤه وعظم عطاؤه ولا إله إلاّ هو؟

٦- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

دون أن يقول: ولا تطغوا فيه، ولا تخسروه(٤).

قال أبو جعفر ابن الزبير: (إن لفظ الميزان ورد مظهراً ومكرراً ثلاث مرات جرياً علىٰ عادة العرب إذا قصدوا الاهتمام والاعتناء والتهويل والاستعظام)(٥).

---

(١) نظم الدرر (١٣: ١٢٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٨: ٢٨).

(٣) السابق (٢٢: ٤٣).

(٤) قد يجوز أن تدرس مثل هذه الفواصل في مبحث التكرار، ولكني رأيتها بهذا المحل أعلق.

(٥) ملاك التأويل (٢: ١٠٥٨).

وقال القاضي عبد الجبار من قبل: «وربما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ أن ذلك تكرار لا معنىٰ له. وجوابنا: أن وضع الميزان المراد به ما تستقيم به المعاملات من الموازين. وقوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ المراد به كيفية استعماله في المعاملات، فأحد الأمرين مخالف للآخر»(١).

وقال الكرماني: قوله: «﴿ٱلْمِيزَانِ﴾ أعاده ثلاث مرات فصرَّحَ ولم يضمر ليكون كل واحد قائماً بنفسه غير محتاج إلىٰ الأول. وقيل: لأن كل واحد غير الآخر.

الأول: ميزان الدنيا.

والثاني: ميزان الآخرة.

والثالث: ميزان العقل.

وقيل: نزلت متفرقة فاقتضىٰ الإظهار»(٢).

والذي يظهر للباحث أنه إذا كان الميزان في هذه الآيات مختلف المعاني كما قرره غير واحد، فالخطب حينئذ سهل، وهو كذلك دائماً، فليس هناك إظهار ولا تكرار علىٰ هذا الوجه. وإن كان المراد به شيئاً واحداً فإظهاره في هذه المرات كما يقول الزمخشري (تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه)(٣).

وقال البقاعي: (وقد عُلم بتكرير الميزان ما أريد من التأكيد في الأمر به لما له من الضخامة، سواء أكان بمعنىٰ واحد أم بمعانٍ مختلفة)(٤).

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص٤٠٩).

(٢) أسرار التكرار (ص١٩٨).

(٣) الكشاف (٤: ٤٤)، ونقله عنه أبو حيان في البحر المحيط (٨: ١٨٩)، والآلوسي في تفسيره (٢٧: ١٠٢).

(٤) نظم الدرر (١٩: ١٤٩).

قلت: وإنّما ذكر لفظ الميزان في هذه الأمكنة المتقاربة جداً، وفي هذه السورة المفتتحة بهذا الاسم الجليل تنبيهاً علىٰ أنه من رحمته تعالىٰ وضع الميزان أولاً، وأنه ينبغي أن يكون الميزان بمختلف معانيه متقرراً في الأذهان أوضح تقرير؛ لأن الخلل فيه مهما كان يسيراً مؤذِن بوقوع الظلم الذي يقود إلىٰ الفوضىٰ، بدءاً بالتفكير وانتهاءً بكل المعاملات ـ والله أعلم ـ.

٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۞ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٣]، وقوله سبحانه: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۞ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [المرسلات: ١٣-١٤].

أطبق المفسرون في تفسير هذه المواضع علىٰ أن المراد من النظم الكريم ومجيئه علىٰ هذا النمط هو التهويل لشأن المذكورات تهويلاً تذهب النفوس في تصوره كل مذهب بحيث ينقطع عنها ما يمكن أن يتطرق إلىٰ تلك المذكورات من شكوك، ولا بد أن يضاف إلىٰ ما ذكروه هنا أن مثل هذه التراكيب يراد منها كذلك تحقيق وقوع هذه المذكورات تحقيقاً يزول معه كل شك أو تردد في صحة ذلك؛ لأنه لم يَـجْرِ التأكيد علىٰ شيء لا وقوع له آناً أو استقبالاً ـ والله تعالىٰ أعلم ـ[1].

وإنّما ذُكرت هذه علىٰ هذا النمط؛ لأن المشركين كانوا ينكرون وقوع البعث بشدة، ولذلك حسن أن يهوَّل أمره تعظيماً له ورداً وردعاً لمنكريه. ولله در سيد قطب علىٰ ما أبدع قلمه في مثل هذه المواقف القرآنية، وهاك مقتطفاً يسيراً من كلامه في هذا المحل عن الحاقة: «والألفاظ في السورة بجرسها وبمعانيها، وباجتماعها في التركيب، وبدلالة التركيب كله تشترك في إطلاق هذا الجو وتصويره ـ يريد التهويل والتعظيم ـ فهو يبدأ فيلقيها كلمةً مفردة، لا خبر لها في ظاهر اللفظ ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾، ثم يُتبعها باستفهام حافل بالاستهوال والاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾، ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام

(١) ينظر الكشاف، والبحر، ونظم الدرر، وروح المعاني، وإرشاد العقل السليم، وملاك التأويل، والتحرير والتنوير، كلهم في تفسير هذه المواضع.

بالتجهيل، وإخراج المسألة عن حدود العلم والإدراك، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ ثم يسكت فلا يجيب علىٰ هذا السؤال، ويدعك واقفاً أمام هذا الأمر المستهول، المستعظم، الذي لا تدريه، ولا يتأتىٰ لك أن تدريَه؛ لأنه أعظم من أن يحيط به العلم والإدراك»[(١)].

٨ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ * وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١-٢].

دون أن يقول: وأنت حل به.

قال ابن الزبير الغَرناطي: (إن تكرار هذا اللفظ وجعله فاصلة يعود لثلاثة أسباب:

الأول: أن البلد نفسه معظم، وهذا مسوغ كاف.

الثاني: أن الكلام جملتان، وهذا مسوغ أيضاً.

الثالث: أن الجملة الواقع فيها التكرار جملة اعتراض، والاعتراض بالنسبة للكلام كالكلام الأجنبي، ويحسن فيه ما لا يحسن في غيره)[(٢)].

وقال البقاعي: (وكرر إظهاره ولم يضمره ـ يريد البلد ـ زيادة في تعظيمه تقبيحاً لما يستحلونه من أذىٰ المؤمنين فيه، وأشار إلىٰ أنه يتلذذ بذكره، فقد وقع القسَم بسيد البلاد وسيد العباد، ولكل جنس سيد، وهو انتهاؤه في الشرف...)[(٣)].

٩ـ ويمكن أن يراعىٰ مثل هذا الجانب في الإظهار، أعني تعظيم الشأن، وكون المعظم مما تشرئب الأعناق إليه ـ يمكن أن يراعىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ١-٣]، فإنه لا يخفىٰ أن إظهار

---

(١) في ظلال القرآن (٦: ٣٦٧٧)، وانظر (٦: ٣٩٦٠ـ القارعة).

(٢) ملاك التأويل (٢: ١١٤٣- ١١٤٥) بتصرّف. والقول بأن الجملة اعتراض ليس بلازم والأحسن كونها حالية كما استظهره أبو حيان في البحر المحيط (٨: ٤٧٤).

(٣) نظم الدرر (٢٢: ٤٧). وفي درة التنزيل أنه لا تكرار؛ لأن البلد موصوف بوصفين مختلفين، في الأول البلد حرام وفي الثاني حلال، ص٥٣٠.

هذه الليلة لما لها من الفضل ليس كالتعبير عنها بالضمير. ويقاس علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]، فإنه لمّا أراد بيان ما لهم من الفضل أظهرهم علىٰ هذه الطريقة، ولو قال: (ما هم) لم يفد ما أفاده النص، وكذا الحال في: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١] لمّا أراد تحقيرهم وبيان سوء ما هم فيه ذكرهم بهذه الطريقة، ولأجل أن يرسخ في الذهن حال كلا الفريقين، ذكر الاسم صريحاً دون التعبير بضميرهم ـ والله تعالىٰ أعلم ـ.

١٠ـ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣].

دون أن يقال مثلاً: ملكهم. إلههم.

قال الزمخشري: (فإن قلت: فهلا اكتفىٰ بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة؟ قلت: لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار)(١).

وهو يريد أن عطف البيان يقتضي الإظهار ليكون الاسم المبيِّن (بكسر الياء) مستقلاً بنفسه؛ لأن عطف البيان بمنزلة علم للاسم المبيَّن (بفتح الياء)(٢).

وقد شرح هذا الكلام ابن الزبير بقوله: (إن التبعية في ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ علىٰ عطف البيان، ولا تحسن فيه الإضافة إلىٰ الضمير؛ لأن ذلك يؤدي إلىٰ الاسمين بضمير الأول الذي عليه حملهما، فكأن يكون الأول في حكم الأعرف من اللفظ التابع له، وذلك عكس ما عليه عطف البيان، أمّا إذا أضيف التابع لِما أضيف إليه متبوعه فإنه إذ ذاك لا يكون مساوياً له، وذلك هو الجاري المطرد في هذا الضرب من التوابع، أعني أن يكون في الأغلب الكثير مساوياً للأول، أو أعرف، فلهذا جاء مضافاً إلىٰ الظاهر هنا ـ والله أعلم ـ)(٣).

---

(١) الكشاف (٤: ٣٠٢).

(٢) انظر التحرير والتنوير (٣٠: ٦٣٣).

(٣) ملاك التأويل (٢: ١١٦٦).

وذكر أبو السعود أن إظهار لفظ الناس هنا لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة[١]، ونقله عنه الآلوسي وذكر أن هناك قولاً حاصله أنه لا تكرار؛ لأن لفظ الناس في كل موضع معني به غير ما عني بسابقه، ولكن الآلوسي استبعده بما ذكره النحاة من أن المعرف بأل إذا أعيد فلا يعني إلاّ نفسه[٢].

وقال الشيخ علي الطنطاوي: «وقد أراني الله معنىً لسورة الناس، فيه رد على من يقر بوجود الله وبربوبيته وملكه، ولكنه لا يوحده توحيد الألوهية، معنىً لم أجد من المفسرين من ذكره، وأرجو أن يكون صواباً. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ فلماذا كرر لفظ الناس وعمد إلى الإظهار بدل الإضمار، فلم يقل مثلاً: رب الناس وملكهم وإلههم؟ الذي يظهر لي كأن ربنا ـ والله أعلم ـ يقول لهم: (هذه ثلاث قضايا، متماثلة، متكاملة، كل قضية مستقلة بنفسها، مع ارتباطها بأختها: فهو ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أي: خالقهم وحافظهم، وهو ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: مالكهم المتصرف فيهم، وهو ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: المستحق وحده لعبادتهم، لا يجوز أن يكون له شريك فيها... ومقتضى ذلك أن تصدقوا بالقضايا الثلاث، أو أن تنكروا القضايا الثلاث، فما بالكم تصدقون بالأولى والثانية، وترفضون الثالثة؟ كيف تفرقون بين المتماثلات؟ فتقبلون بعضاً وتأبون بعضاً؟ والثلاث سواء في الثبوت، لا سبيل إلى التفريق بينها في الحكم؟»[٣].

قلت: وهذا التفسير مبني على تفكيك التوحيد وجعله أقساماً وأن المشركين يوحدون ببعض الأنواع، وهو غير مسلَّم ولا سليم.

* * *

---

(١) إرشاد العقل السليم (٩: ٢١٦).

(٢) روح المعاني (٣٠: ٢٨٦).

(٣) تعريف عام بدين الإسلام، ص٧٥.

المبحث الثامن

الدلالة المعنوية للتكرار[١] في الفواصل القرآنية

وهو ما يدخل ضمن إطار ما تحدَّث العلماء عنه من تكرار بعضِ الجمل والتراكيب في القرآن الكريم. ولا بد أن نقف أولاً عند معنى التكرار عند من عرض له:

قال الخطابي: «إن تكرار الكلام على ضربين: أحدهما مذموم. وهو ما كان مستغنى عنه، غير مستفاد به زيادةُ معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول؛ لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً، وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والضرب الآخر: ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن ترك التكرار في الموضع الذي تقتضيه وتدعو الحاجة إليه فيه، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها. وقد يقول الرجل لصاحبه في الحث والتحريض على العمل: عجل، عجل، وارم ارم، كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب: مهم مهم مهم. ونحوها من الأمور»[٢].

وعرّفه الزركشي بقوله: «وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشيةَ تناسي

---

(١) هكذا جعلتُه متابعةً للقوم فيما كتبوه، وإلا فليس في القرآن تكرار، وكان ينبغي أن تكون العنونة (الدلالة المعنوية لما سموه التكرار) لكن جعلتها كذلك واقتصرت في التنبيه على الحاشية.

(٢) بيان إعجاز القرآن ص٤٧-٤٨، وانظر بيان إعجاز القرآن تحليل ومقارنة ونقد ص٢٥٥.

الأول، لطول العهد به، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه كقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي * فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١١-١٥]، فأعاد قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، لا لتقرير الأول، وإنما لغرض آخر؛ لأن معنى الأول: الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها، ومعنى الثاني: أنه يخص الله وحدو دون غيره بالعبادة والإخلاص.. واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا، ولهذا لا يتجه سؤالهم: لم كرر (إياك) في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]»[١].

قلت: ولا زلت أتعجب من القول بأنه تكرار مع أنه يفيد فائدة جديدة لم تكن في سابقه من اللفظ، وعلى كل حال فإن إيجاز القرآن وإعجازه يقضيان في مثل هذه الأمثلة التي ستذكر بعد قليل أن لا تسمى تكراراً. قال صاحب الدرة: «إنه إذا أعيد الكلام لأسباب مختلفة لم يسمَّ تكراراً»[٢].

وقال ابن الأثير: «وبالجملة، فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف لك الفائدة منه»[٣].

وإذا كان ما يخص اللفظ هكذا قالوا فيه، فاعلم أن ما ذهب إليه ابن قتيبة وابن الأثير من أن هناك تكراراً في المعنى بألفاظ مختلفة، مما لا ينبغي أن يُلتفت إليه، فليس في القرآن معانٍ متكررة أبداً، ولا بدع، فطبيعة الإعجاز تقتضي ذلك. فلا يذهبنّ امرؤ مذهب ابن

---

(١) البرهان (٣: ١٠-١١).

(٢) درة التنزيل ص٢.

(٣) المثل السائر (٢: ١٤٩)، وانظر تأويل مشكل القرآن ص٢٤٠.

الأثير حيث جعل هذا النوع من أنواع التكرار في القرآن، وضرب له أمثلة لا يتثلج الفؤاد بعدِّ واحد منها تحت هذا النوع غير الموجود[١].

وهذا الذي سموه تكراراً لفظياً في القرآن يأتي على ضربين:

الأول: أن لا يكون هناك بُعد أو فصل طويل أو غريب بين المكررات.

الثاني: أن يكون هناك انفصال وبعد بين المكرر من الألفاظ أو التراكيب. فالأول كقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣-٤]، والثاني كقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بعد كل نعمة من نعم الله تعالى.

وهؤلاء الذين ذهبوا إلى أنّ مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم يسمى تكراراً قالوا: إنه لا يخرج عن أساليب العرب. وإن له من الفوائد ما، على رأسها التقرير والتأكيد، وإنه يراد به التأثير في النفوس، وغير ذلك مما قالوه[٢].

وها هي الأمثلة التي عدوها تحت هذا الباب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

فهذه الآية ذكرت بكاملها في موضعين، وذلك بعد الحديث عن بناء الكعبة ودعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وعلى نبينا الصلاة والسلام، ووصية كل من إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لبنيه بالتوحيد والإسلام لله رب العالمين. وذكرت الثانية بعد ادعاء أهل الكتاب أنهم هم المهتدون، وطلبهم من المسلمين أن يكونوا مثلهم، وادعائهم أن إبراهيم وبنيه كانوا هوداً أو نصارى، ومحاجَّتِهم في ذلك[٣].

---

(١) المثل السائر (٢: ١٦٠)، وانظر المعاني الثانية في ضوء قضية الإعجاز ص٤٣٧.
(٢) قضية التكرار ص٢١.
(٣) انظر قضية التكرار ص٤٤.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في الآيتين لليهود، وبناء عليه قالوا: إن الثانية تكرير للأولى على وجه التقرير والتأكيد(١).

وقال صاحب الدرة: «إن معنى الآية الأولى أن يعقوب عليه السلام قرر بنيه على عبادتهم التي ثبتت عندهم، ووصاهم بها، فقال تعالى لهؤلاء: أتنفون ما ثبت من وصية يعقوب عليه السلام بنيه، وتقريره إياهم وإقرارهم به، والأمة قد انقضت وحالها في عبادتها ثبتت، ومن نفى ما ثبت من الدين فقد دخل في الكفر. فهذه الآية الأولى عقب ما ثبت من تقرير يعقوب عليه السلام لبنيه، وإقرارهم له، وهذه الآية كررت بعينها بعد قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ ...﴾ [البقرة: ١٤٠] أم أنتم مثبتون ما هو منتفٍ؟ ومن أثبت في الدين ما ليس فيه من هذا البهتان العظيم فهو في الإثم كمن نفى عنه ما هو منه. ففي الأول نفي ما هو ثابت من إقرار بني إسرائيل، وفي الثاني إثبات ما هو منفي من كون إبراهيم وإسماعيل هوداً أو نصارى، وكل واحد من هذين يوجب من البراءة ويستحق بهم من غلظ الوعيد والتخويف بالعقاب والتنبيه على الكبيرة التي تحبط الحسنات مثل ما يوجبه الآخر، فلذلك أعيد في الدعوى الثانية الباطلة ما قدم في الدعوى الأولى الكاذبة، فكما استحقت تلك براءة الذمة من قائلها وتنبيهه على فساد قوله، كذلك استحقت هذه. فصارت الثانية في مكانها وحقها، كما وقعت الأولى في محلها ومستحقها، فلم يكن ذلك تكراراً بل كان وعيداً عقيب كبيرة. كما كان الأول وعيداً عقيب كبيرة أخرى غير الثانية (٢). وهذا من أحسن الأجوبة عن هذه الآية ـ والله أعلم ـ.

وقال الرازي: «فإن قيل: لم كررت الآية؟ قلنا: فيه قولان:

---

(١) انظر المحرر الوجيز (١: ٣٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢: ١٤٧)، وإرشاد العقل السليم (١: ١٧٠)، وروح المعاني (١: ٤٠١)، والتحرير والتنوير (١: ٨٤٧).

(٢) درة التنزيل ص٣٣-٣٤.

أحدهما: أنه عنى بالآية الأولى إبراهيم ومن ذكر معه. والثانية: أسلاف اليهود. قال الجبائي: قال القاضي: هذا بعيد؛ لأن أسلاف اليهود والنصارى لم يجرِ لهم ذكر مصرح. وموضع الشبهة في هذا القول: أن القوم لما قالوا في إبراهيم وبنيه: إنهم كانوا هوداً فكأنهم قالوا: إنهم كانوا على مثل طريقة أسلافنا من اليهود. فصار سلفهم في حكم المذكورين فجاز أن يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ويعنيهم، ولكن ذلك كالتعسف، بل المذكور السابق هو إبراهيم وبنوه، فقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ يجب أن يكون عائداً إليهم.

والقول الثاني: أنه متى اختلفت الأوقات والأحوال والمواطن لم يكن التكرار عبثاً فكأنه تعالى قال: ما هذا إلا بشر، فوصفُ هؤلاء الأنبياء فيما أنتم عليه من الدين لا يسوِّغ التقليدَ في هذا الجنس، فعليكم بترك الكلام في تلك الأمة فلها ما كسبت، وانظروا فيما دعاكم إليه محمد ﷺ، فإن ذلك أنفع لكم وأعود عليكم، ولا تسألون إلا عن عملكم»[1].

وقال أبو حيان: «تقدم الكلام على شرح هذه الجمل وتضمنت معنى التخويف والتهديد وليس ذلك بتكرار؛ لأن ذلك ورد إثر شيء مخالف لما وردت الجمل الأولى بأثره، وإذا كان كذلك فقد اختلف السياق فلا تكرار. بيان ذلك أن الأولى وردت إثر ذكر الأنبياء فتلك إشارة إليهم. وهذه وردت عقب أسلاف اليهود والنصارى، فالمشار إليه هم. فقد اختلف المخبر عنه والسياق. والمعنى أنه إذا كان الأنبياء على فضلهم وتقدمهم يجازون بما كسبوا فأنتم أحق بذلك. وقيل: الإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ إلى إبراهيم ومن ذكر معه، وأستبعد أن يراد بذلك أسلاف اليهود والنصارى؛ لأنه لم يجر لهم ذكر مصرح بهم. وإذا كانت الإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ إلى إبراهيم ومن معه فالتكرار حسن لاختلاف الأقوال والسياق»[2].

وقال في المنار: «قد سبق القول بأن الآية أفادت في وضعها الأول أن إبراهيم وبنيه

---

(١) التفسير الكبير (٤: ٩٩-١٠٠).

(٢) البحر المحيط (١: ٤١٦).

وحفَدَتَه قد مضوا إلى ربهم بسلامة قلوبهم، وإخلاصهم في أعمالهم، وقد انقطعت النسبة بينهم وبين من جاء بعدهم فتنكب طريقهم، وانحرف عن صراطهم، وإن أدلى إليهم بنسب، فكل واحد من السلف والخلف مجزيٌّ بعمله لا ينفع أحداً منهم عملُ غيره من حيث هو عمل ذلك الغير ولا شخصه بالأولى، وذلك أنها جاءت عقب بيان ملة إبراهيم وإيصاء بعضهم بعضاً بها وبيان دروجهم عليها، ثم جاء بعد ذلك الاحتجاج على القوم بمن يعتقدون فيهم الخير والكمال وكونهم لم يكونوا على هذه اليهودية ولا هذه النصرانية اللتين حدثتا بعدهم، فجاءت قاعدة الأعمال في هذا الموضع تبين أن المتخالفين في الأعمال والمقاصد لا يكونون متحدين في الدين ولا متساوين في الجزاء، فأفادت هنا ما لم تفده هناك»[(١)].

ويقرب من هذا ما ذكره الأستاذ فضل عباس حيث يقول: «الآية الأولى ذُكرت لإرشاد المسلمين كي يواصلوا المسيرة، فاتحين القلوب والبلاد باسم الله، ما دام الله قد شرَّفهم بأبوة إبراهيم وإسماعيل وبهذا النبي العظيم دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾ [البقرة: ١٢٩]، وجاءت الآية الثانية لتقيم الحجة على أهل الكتاب الذين هم في عهد الرسول ﷺ، بأن الله لن يسألهم عن إعراض آبائهم وتوليهم وجحدهم لنعم الله، وتحريفهم لآياته إذا آمنوا بمثل ما آمنتم به أيها المؤمنون. وإن المتدبر لسياق الآيات يمكنه أن يلمح ذلك ويستنتجه، وهكذا نجد أن كلتا الآيتين لها موضوعها الذي يقتضي وجودها. فلم تذكر الثانية تأكيداً للأولى كي تدخل في باب التكرار»[(٢)].

قلت: ومتى دار الكلام بين أن يكون تأسيساً أو تأكيداً فالأولى الحمل على التأسيس كما لا يخفى.

---

(١) المنار (١: ٤٠٤).

(٢) قضية التكرار ص٤٤.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعرا: ٨-٩].

وقع هذا النص الكريم في سورة الشعراء ثماني مرات؛ ففي الأولى جاء عقب الحديث عن تكذيب الكفار رسالةَ النبي ﷺ. وفي الثانية (٦٧، ٦٨) عقب قصة موسى عليه السلام مع فرعون لعنه الله. وفي الثالثة (١٠٣، ١٠٤) عقب قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه. وفي الرابعة (١٢١، ١٢٢) عقب قصة نوح عليه السلام مع قومه. وفي الخامسة (١٣٩، ١٤٠) عقب قصة هود عليه السلام مع قومه. وفي السادسة (١٥٨، ١٥٩) عقب قصة صالح عليه السلام مع قومه. وفي السابعة (١٧٤، ١٧٥) عقب قصة لوط عليه السلام مع قومه. وفي الثامنة (١٩٠، ١٩١) عقب قصة شعيب عليه السلام مع قومه.

واعلم أنه على أي وجه أرجعت الضمائر في هذه الآيات فليس شيء منها تكراراً لشيء آخر، لاختلاف السياق بما فيه من القصص المختلفة، فكل موضع جاء قاراً في مكانه، مفيداً فائدته، من غير أن يكون لموضع آخر تدخل في تلك الفائدة عينها، والله تعالى أعلم[١]، كما أنَّ هذا يدلّ على أن رحمة الله تعالى لا تختص بأمة دون أمة، ولا بفريق دون فريق ولذلك ذكرت عقب قصة كل نبي، وعقب إهلاك كل قوم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

حيث وقع قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ مرتين.

قال صاحب الدرة: «إن قبل هاتين الآيتين قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] ومعناه خلقنا من الحيوانات ذكراً وأنثى، ومن غيرها الشيء وما يزاوجه بما يماثله أو يضادّه، فيقابله، لتذكروا أن خالقكم بعيد عن شبهكم، وأنه وحده

(١) انظر قضية التكرار ص٥٨.

لا نظير له يشاكله ولا ضد له يناصبه ويقابله؛ لأن الخالق بخلاف خلقه لا يجوز ما ذكرنا في نعته، ففروا إلى الله عما حذركم من معصيته إلى ما حثكم عليه من طاعته، فإني أنذركم ما تواعدكم به من عقوبته، وهذا تحذير من المعاصي كلها، وبعث على الطاعات جميعها، ثم خص ما هو أعظم فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: لا تتخذوا الأصنام آلهة تعبدونها مع عبادة الله تعالى، فإني أحذركم أن تجعلوا له مثلاً، فالنذارة الأولى متعلقة بترك الطاعة إلى المعصية، والثانية متعلقة بالشرك الذي هو أعظم المعاصي، وإذا كانت متعلقة بغير ما تعلقت به الأولى لم يكن ذلك تكراراً»[١]، وهذا كلام حسن.

٤ـ وقع في سورة القمر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أربع مرات: (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠)، ووقع فيها كذلك قوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أربع مرات: (١٦، ١٨، ٢١، ٣٠)، ووقع فيها كذلك قوله سبحانه: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ مرتين: (٣٧، ٣٩).

ومجيء هذه الآيات على التوالي: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ثم يعقبه قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ وقد وقعت أولاً عقب بيان قصة نوح عليه الصلاة والسلام وبيان إغراق الله للمكذبين، وجعلهم آية لمن يعتبر من بعدهم. ووقعت الآيتان ثانياً عقب بيان إهلاك الله تعالى لعاد، وفي الثالثة عقب إهلاك الله تعالى لثمود، وافترق هذا الموضع عما سبقه بوقوع الفصل بآية بين الآيتين بخلاف الموضعين السابقين حيث ذكرت الآيتان متعاقبتين دون فصل، وفي الرابعة وقعت الآيتان عقب بيان إهلاك الله تعالى لقوم لوط، غير أن الصيغة التركيبية للآية الأولى اختلفت، فبدلاً عن ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ صار النظم إلى ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى..﴾.

وحال هذه الآيات كحال الآيات الواقعة في سورة الشعراء من حيث استقرارها

---

(١) درة التنزيل ص٤٥١–٤٥٢ وانظر أسرار التكرار ص١٩٦.

في أمكنتها، وتأديتها لمعانيها دون أن يشركها غيرها فيها، فليس في هذه المواضع لا تكرار ولا تأكيد، لاختلاف السياق باختلاف القصص الواردة فيه ـ والله أعلم ـ.

وقال أبو حيان: «قيل: وفائدة تكرار هذه الآيات التجرد عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين للاتعاظ، واستئناف التيقظ إذا سمعوا الحث على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة، وهذا حكم التكرير لقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عند كل آية أوردها في سورة المرسلات»(١).

قلت: وهذا خلاف ما ذهب إليه أبو حيان نفسه في تفسيره سورة البقرة، وقد سبق كلامه فتأمله فهو دليل على أن الكمال لله وحده. وأبو حيان هنا نقل كلام الزمخشري في هذا المحل بحروفه(٢).

وقبل مغادرة هذا المحل يحسن الوقوف عند سبب اختلاف النظم في قصص قوم لوط عليه السلام عن باقي القصص. فقال سبحانه في قصتهم: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أما في قصص غيرهم فجاء النظم بقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، فقال البقاعي: «وكرر الأمر بالذوق في قصة لوط عليه السلام(٣) لأنهم عذبوا بما يروع من كان له قلب بالطمس، فلما لم ينفعهم ذلك أتاهم أكبر منه فكانوا كأمس الدابر، ...وخصوا بالذوق لما في فاحشتهم الخبيثة ما يستلذونه(٤).

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

حيث وقعت هذه الآية الكريمة في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة.

---

(١) البحر المحيط (٨: ١٨٢).

(٢) الكشاف (٤: ٤٠).

(٣) الصواب قصة قوم لوط.

(٤) نظم الدرر (١٩: ١١٣).

قال ابن قتيبة: «فإنه تعالى عدد في هذه السورة نعماءه، وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع كل خلة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، ليفهمهم النعم ويقررهم بها»[(١)].

وزاد الخطابي على هذا بقوله: «فإن قيل: إذا كان المعنى في تكريره قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تجديد ذكر النعم في هذه السورة واقتضاء الشكر عليها، فما معنى قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] ثم أتبعه بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ وأي موضع نعمة ههنا وهو إنما يتوعدهم بلهب السعير والدخان المستطير؟ قيل: إن نعمة الله تعالى فيما أنذر به، وحذر من عقوباته على معاصيه، ليحذروها فيرتدعوا عنها، بإزاء نعمه على ما وعد وبشّر من ثوابه على طاعته ليرغبوا فيها، ويحرصوا عليها، وإنما تُحقَّق معرفة الشيء بأن يعتبر بضده ليوقف على حدّه. والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتها، فإنهما متوازيان في موضع النعم بالتوقيف على مآل أمرهما والإبانة على مواقع مصيرهما، وعلى هذا ما قاله بعض الحكماء من الشعراء:

والحادثات وإن أصابك بؤسُها ... فهْو الذي أنباك كيف نعيمُها»[(٢)]

وقد طوّل البقاعي في هذا المحل بذكر سبب التكرار واختصاص سورة القمر به، بما ليس موجوداً في كتاب آخر، وفيه ما يحوج المرء إلى التأمل فيه فليراجع هناك[(٣)].

٦ـ وقع في سورة المدثر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨-٢٠].

(١) تأويل مشكل القرآن ص٢٣٩، ونقله أبو هلال في الصناعتين ٢١٣.

(٢) بيان إعجاز القرآن ص٤٩، وانظر ملاك التأويل (٢: ١٠٦١)، ونظم الدرر (١٩: ١٥٢) وما بعدها. والبيت لأبي تمام كما في ديوانه (١: ٣٠٧) وهو في زهر الآداب (٢: ٢٥٠).

(٣) نظم الدرر (١٩: ١٠٩-١١٣).

قال الزمخشري: «﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧] كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى، والذل بعد العز في الدنيا لعناده، ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه، في تفكيره وتسميته القرآن سحراً. ويجوز أن يكون ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ بدلاً من قوله: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١٦] ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره وإصابتِه فيه المحَزَّ ورَمْيِـه الغرض الذي كانت تنتحيه قريش، أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به، أو حكاية لما كرروه من قولهم: ﴿قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تهكماً بهم، وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله. ومعنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه، وأخزاه الله ما أشعره، الإشعار بأن قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد، ويدعو عليه حاسده بذلك.. فإن قلت: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى»(١).

ونحا صاحب ملاك التأويل منحى الزمخشري فقال: «... فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ إخبار عن حال الوليد وتفكره فيما يقول، وتقديره كل ما يرد عليه إذ قال: بأنه عليه السلام شاعر أو مجنون أو غير ذلك مما رموه به، وأنهم مكذبون في كل ما يرومون رميه به من ذلك لبيان حاله عليه السلام. وقوله: ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾تعجب من إصابته في نفي الجنون والتكهن والشعر عنه ﷺ في قوله: لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، فصدق تقديره في هذا لو أتم الله له الأمر. فالأول إخبار. أعني قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، والثاني تعجب عن إصابه تقديره بعد الفكر وهو قوله: ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾، والثالث وهو قوله: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تأكيد للتعجب من حاله في تحويمه.. وجاء بـ﴿ثُمَّ﴾ لتحرز نية اعتناء بهذا المعطوف بها وأنه آكد من الأول، فوضح وجه ورود ما يتوهم تكراراً، واستدعاء مقصود الكلام إياه والله سبحانه أعلم»(٢).

---

(١) الكشاف (٤: ١٨٢-١٨٣).

(٢) ملاك التأويل (٢: ١١١٧-١١١٨) بتصرف.

والذي يظهر للباحث أن أحسن كلام في تفسير هذه الآيات هو ما ذكره صاحب الدرة حيث قال: «كان الوليد بن المغيرة لما سئل عن النبي ﷺ قدّر ما أتى به من القرآن فقال: إن قلنا: شاعر كذبتنا العرب إذا عرضت ما أتى به على الشعر ولم يكن إياه، وكان يقصد في هذا التقدير تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام بضرب من الاحتيال يمكن تجويزه على العقلاء، فلذلك كان كل تقدير مستحقاً لعقوبة من الله تعالى هي كالقتل إهلاكاً له، فهذا معنى ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، أي: هلك هلاك المقتول كيف قدر، أي هو في تقديره ونظره غير طالب لحق بل هو مثبت باطلاً، وإن كان القرآن ليس بشعر ولا يجوز مثله على من عرف النثر والنظم، فهو بالصدق في ذلك قاصد إلى تكذيب النبي ﷺ بوجه آخر يدعيه على ما أتى به.. وقوله: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، أي: أنه قال: وليس ما أتى به من كلام الكهنة، فإن ادعينا عليه ذلك كذبتنا العرب إذا رأوا هذا الكلام مخالفاً لكلام الكهان، فهو في تقديره له على كلام الكهنة مستحق من العقوبة لما هو كالقتل، إهلاكاً له، فهو في نفيه عن القرآن الأقسام الفاسدة قاصد إلى إبطاله، وإلى إثبات قسم لا يصح إثباته، وهو قول الله تعالى حاكياً عنه: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥] وإذا كان كذلك لم يكن في إعادة (قدّر) تكرار، بل المعنى ما ذكرناه من تعلق كل تقدير بمقدر غير الأول لفائدة تخصه جديدة»(١).

٧ـ قال تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨-٩].

فذكر القمر في فاصلتي الآيتين.

والظاهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن ذلك لأنه تعالى أخبر عن القمر بخبرين مختلفين(٢). وذهب الكرماني إلى أنه قيل في الأول: إن معناه بياض العين(٣).

---

(١) درة التنزيل ص٥٠٦، وقد نقله الآلوسي في التفسير (٢٩: ١٢٤)، وذكر أن الدرة للراغب الأصفهاني.

(٢) روح البيان (١٠: ٢٤٦).

(٣) أسرار التكرار ص٢١١، وكلامه هذا مأخوذ من درة التنزيل ص٥٠٨.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥].

وقد جعل ابن عطية هذا الوارد في النص الكريم من قبيل التكرار لأجل التأكيد[١]، وتبعه على هذا أبو السعود[٢]، وجعله أبو حيان مكرراً للتهويل[٣].

وقال القرطبي: «هو تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد، أي: فهو وعيد أربعة لأربعة. كما روي أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربه فقال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١-٣٢] أي: لا صدق رسول الله، ولا وقف بين يديَّ فصلى، ولكن كذب رسولي، وتولى عن التصلية بين يدي[٤]، فترك التصديق خصلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولي عن الله خصلة، فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة ـ والله أعلم ـ»[٥].

وبعد أن قال بأن هذا من قبيل الإغلاظ في الوعيد والشدة في التهديد قال البقاعي: «ويمكن تنزيل الكلمات الأربع على حالاته الأربع: الحياة ثم الموت ثم البعث ثم دخول النار فيكون المعنى لك المكروه الآن وفي الموت والبعث ودخول النار»[٦].

ويظهر مما عند القرطبي وما ذكره البقاعي أخيراً أن ليس ثم تكرار أصلاً.

٩ـ وقع في سورة المرسلات قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات.

---

(١) المحرر الوجيز (١٦: ١٨٠).

(٢) إرشاد العقل السليم (٩: ٦٩).

(٣) البحر (٨: ٣٩٠)، وانظر روح المعاني (٢٩: ١٤٩)، والتحرير والتنوير (٢٩: ٣٦٣)، وفتح الرحمن ص٥٩٠.

(٤) ينبغي أن تكون عن الصلاة لا عَنِ التصلية.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩: ١١٤).

(٦) نظم الدرر (٢١: ١١٤)، وانظر أسرار التكرار ص٢١٢.

قال الخطابي: «وكذلك هو في سورة المرسلات، ذَكَرَ أحوالَ يوم القيامة وأهوالها، فقدم الوعيد فيها وحدد القول عند ذكر كل حال من أحوالها لتكون أبلغ في القرآن وأوكد لإقامة الحجة والإعذار»[(١)].

وقد تحدث الأستاذ فضل عباس عما قيل من تكرار في هذه السورة الكريمة فقال: «جاءت الآية الأولى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بعد ذكر مشهد من المشاهد التي ستحدث لهذا الكون إيذاناً بمجيء يوم الفصل: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٨-١٥].

وجاءت الثانية عقب التنبيه والإشارة لهذا التقرير التاريخي عن شؤون الأمم السابقة: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٦-١٩].

أما الآية الثالثة: فقد ذكرت بعد هذا التقرير الرائع والالتزام القاطع لهذا الإنسان بالحجة، وهي تحدثه عن خلقه، بل عن المراحل الأولى من هذا الخلق، وما حفه الله به من عناية ورعاية، ما كان ليوجَدَ لولاهما، سواء أكان ذلك من حيث ما للأب أم للأم، من حيث الماء أم القرار: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٤].

أما الآية الرابعة: فقد ذكرت بعد أن منّ الله على هذا الإنسان، فهيأ له هذه الأرض لتكون صالحة للحياة، بأن هيأ له ما لا بد منه إذا لم تتوفر له العوامل التي تهيئ له البقاء، وصدق الله: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، ومن هنا نجد أن الله تبارك وتعالى لا يذكر نعمة الخلق إلا ويذكر معها ما لا يستمر الخلق بدونه، لذلك ذكرت هذه الآيات بعد آيات خلق الإنسان التي قرأناها: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ

---

(١) بيان إعجاز القرآن ص٤٩.

كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٨].

وبعد هذه الإشارات التاريخية والنفسية والكونية التي لا يسوغ لأحد أن ينكرها، أقول بعد هذه التوطئة الضرورية: رجعت الآيات الكريمة تذكرنا بالغاية، تنبه المكذبين إلى عاقبة أمرهم الوخيمة وما سيحيق بهم، فتجيء الآية الخامسة بعد هذا المشهد المروع، وبالطبع فهو يختلف كما سنرى عن المشهد الأول اختلافاً تاماً، ولنقرأ ولنستمع: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٩-٣٤].

أما الآية السادسة: فإنها تأتي بعد بيان ما يلقاه أولئك المكذبون من حرج، وما يشعرون به من ضيق، حيث يُختم على أفواههم فلا يستطيعون النطق، ويسلبون القدرة على الاعتذار عن قبيح ما فعلوه، وبخاصة عن هذا التكذيب الذي كذبوه.

وأما الآية السابعة: فإنها تُذكر بعد الحديث عن يوم الفصل الذي جُمع فيه الخلائق، وبعد أن يمكنوا من النطق، ويرخى لهم العنان، ليوقنوا أن ما أصابهم إنما هو بأيديهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] نقرأ ذلك كله فيما يلي: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٤٠].

أما الآية الثامنة: فقد ذكرت بعد ما أعد الله للمتقين، ومن سنة القرآن أنه حينما يذكرفريقاً يذكر الفريق الآخر، ترهيباً وترغيباً، ووعداً ووعيداً، نقرأ ذلك في هذه الآيات: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٥].

أما الآية التاسعة والعاشرة: فتأتيان تبكيتاً للمجرمين بعد خطابهم، كما خوطب المؤمنون، وبعد توبيخهم على عدم الاستجابة لرسل الله والامتناع عن عبادة الله المنعم:

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

تلك هي السورة الكريمة في نظمها المحكم وإحكامها المنظم، أفنجد بعد ذلك أيها القارئ موطن تكرار؟ أفنشعر بعد هذا السرد بتكرار موطن في السورة الكريمة؟ ما أظن إلا أنك معي بأن لكل آية موطنَها الذي يختلف جغرافياً وتاريخياً عن موطن الآية الأخرى. يا للروعة في الإبداع! ويا للبيان يأخذ بالألباب»[١].

انتهى كلام الأستاذ الفاضل، وهو كلام حسن أوضح فيه اختصاص كل آية مما قيل إنها تكرار لسابقتها، أوضح اختصاصها بمكانها، وأنها تؤدي ما لا تؤديه غيرها.

١٠ـ وقع في سورة النبأ قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤-٥].

وقريب من هذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤].

ذهب الزمخشري في تفسيرسورة النبأ إلى أن ما بعدَ ثم من الوعيد أبلغ مما قبلها وأشد[٢]، وتبعه على هذا ابن عاشور في هذا المحل[٣].

وذهب صاحب الدرة في الجواب عن هذا إلى: «إن الأول وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها من مقرّهم، والثاني وعيد بما يلقونه في الآخرة من عذاب ربهم، وإذا لم يرد بالثاني ما أريد بالأول لم يكن تكراراً، وقيل: الأول توعد بالقيامة وهَوْلِـها، والآخر توعد بما بعدها من النار وحرها»[٤]. وذهب أبو حيان إلى أن الثاني تكرير للأول على سبيل التأكيد والتهويل[٥].

---

(١) قضية التكرار في كتاب الله ص٥٨-٦٠.

(٢) الكشاف (٤: ٢٠٧).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠: ١٢).

(٤) درة التنزيل ص٥١٦.

(٥) البحر المحيط (٨: ٤١١).

ونقل الآلوسي في هذا المحل أقوالاً كثيرة منهاما يفيد أن الجملة الثانية توكيد للأولى، ومنها ما يفيد شيئاً آخر فقد نقل ما نصه: «قيل: الأول إشارة إلى ما يكون عند النزع وخروج الروح من زجر ملائكة الموت عليهم السلام، وملاقاة كربات الموت وشدائده، وانكشاف الغطاء. والثاني: إشارة إلى ما يكون في القيامة من زجر ملائكة العذاب عليهم السلام، وملاقاة شديد العقاب. فـ﴿ ثُمَّ ﴾ في محلها لما بينهما من البعد الزماني ولا تكرار فيه»(١).

وأما في السورة الثانية فذهب الزمخشري إلى أن الثاني توكيد للأول للردع والإنذار عليهم(٢). ونقل أبو حيان قول الزمخشري المذكور في سورة النبأ إلى هذه السورة، وذكر أن الجمهور على أن التكرير توكيد. ونقل عن علي كرم الله وجهه: «كلا سوف تعلمون في القبور، ثم كلا سوف تعلمون في البعث» ثم قال: «غاير بينهما بحسب التعلق وتبقى ﴿ ثُمَّ ﴾ على بابها من المهلة في الزمان»(٣).

ونقل ابن عاشور ما نقله أبو حيان عن علي، ونسبه إلى ابن عباس في ضمن أقوال أخرى(٤). وقال صاحب الدرة: «إن أحدهما توعد غير ما توعد به الآخر، فالأول توعد بما ينالهم في الدنيا، والثاني توعد بما أعد لهم في الأخرى.. وقيل: الأول ما يلقونه عند الفراق إذا بشروا بالمصير إلى النار، والثاني ما يرونه من عذاب القبر. فكلاهما عذاب في الدنيا، إلا أن أحدهما غير الآخر، وهو مثله في الشدة، فلذلك أعيد بتلك اللفظة، وإذا حمل على عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لم يكن تكراراً»(٥).

وقال الدكتور فتحي عامر: «إن التأكيد في الآية الأولى وراءه الارتداع عن الظن

---

(١) روح المعاني(٣٠: ٥).

(٢) الكشاف (٤: ٢٨١).

(٣) البحر المحيط (٨: ٥٠٨)، وانظر روح المعاني (٣٠: ٢٢٤).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠: ٥٢١).

(٥) درة التنزيل ص٣٥٣.

الباطل في الفوز بالتكاثر، والتخويف من ذوق عذاب النار ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾؛ لأن المعاني الثانية في السورة هنا تنشأ عن أجزائها باعتبارها متضامنة في وحدة متناسقة متآلفة، وكلمة ﴿سَوْفَ﴾ توحي بأن عواقب اللهو إنما تأتي بعد إمهال من الله، وطول مدة في الأغلب، وإعادة الخبر مقترناً بـ﴿ ثُمَّ ﴾ يوحي بأن الغفلة كانت شديدة واللهو في النفوس قد تمكن منها، ووضع على القلوب حجاباً كثيفاً يحول دون البصائر والمصائر، مع أن الجمل المؤكدة لا توصل بحروف العطف، ليفيدك أنه خبر جديد بمعناه، جيء به بعد الخبر الأول، لا مجرد إعادة لفظ»(١).

وقد ذكرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن أقوالاً أخرى في هذه الآية وخلصت إلى أن التكرير ما هو إلا مبالغة في ردعهم ـ الذين ألهاهم التكاثر ـ وزجرهم وإنذارهم(٢).

وبالجملة، فقد تقدم القول: إنه متى دار الأمر بين أن يكون تأسيساً أو توكيداً فالحمل على التأسيس لا شك أولى وأقوى ـ والله أعلم ـ.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥-٦].

قال الكرماني: «ليس بتكرار؛ لأن المعنى: إنّ مع العسر الذي أنت فيه من مقاساة الكفار يسراً في العاجل، وإنّ مع العسر الذي أنت فيه من الكفار يسراً في الآجل، فالعسر واحد واليسر اثنان»(٣).

ورجح الآلوسي كون الثاني وعداً مستأنفاً. قال: لما علم من فضل التأسيس على التأكيد كيف وكلام الله تعالى محمول على أبلغ الاحتمالين وأوفاهما والمقام مقام التسلية والتنفيس والاستئناف(٤).

---

(١) المعاني الثانية ص٤٣٢-٤٣٣، وأحال إلى تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده.

(٢) التفسير البياني (١: ٢٠٨) وما بعدها.

(٣) أسرار التكرار ص٢٢١، وتبعه الشيخ زكريا في فتح الرحمن ص٦١٧.

(٤) روح المعاني (٣٠: ١٧٠).

وللمفسرين كلام كثير حول النكرة والمعرفة لا يحتاج هذا المحل إلى التطويل به.

وقالت الدكتور عائشة عبد الرحمن: «وهذا التقرير يأتي مؤكَّداً بـ﴿إِنَّ ﴾، ثم يقوى التأكيد فيه بتكرار الجملة مرتين نفياً للشك وإبعاداً للارتياب. وما أكثر ما يلقانا هذا التكرار المؤكد في السور المكية الأولى، حيث العهد بالرسالة قريب والحاجة إلى اليقين النفسي أقوى وأمسّ، وتبدو أهمية هذا التكرار اللفظي في قصار السور بوجه خاص، حيث لا مجال للإطالة بإعادة لفظ أو تكرار جملة، إلا أن تكون لهذه الإعادة أهميتها القصوى في التأثير والتقرير والإقناع والحزم.. وواضح أن المقام في سورة الشرح ـ وهي مكية مبكرة، وقد نزلت بعد الضحى ـ مما يحتاج إلى مثل ذلك التقرير والتأكيد بثاً لليقين النفسي. والسياق في السورة كلها يثبت هذا ويدعمه».. ثم قالت بعد أن نقلت أقوال المفسرين: «والذي نطمئن إليه هو أن الجملة الثانية تأكيد للأولى، لتقوية اليقين النفسي وترسيخ ما مَنّ الله به على عبده من شرح صدره، ووَضْع وزره، ورفع ذكره»[١].

قلت: وعلى رغم هذا الذي قالته من طبيعة الفترة المكية، وغيرها من قضايا، إلا أن الحمل على التأسيس أولى مما ذهبت إليه، والتأسيس كالعماد بالنسبة للتأكيد، ويدخل التأكيد في ثناياه، وبهذا يترجح لدى الباحث ما ذهب إليه الآلوسي وغيره.

١٢ـ ما قيل عن التكرار في سورة الكافرون.

قد لخص الأستاذ فضل عباس الأقوال التي سبقته في ذلك ثم قال: «هذه السورة من أقوى ما تمسك به القائلون بالتكرار،... وهي ست آيات عدا التسمية. إحداها خطاب للنبي ﷺ فيه نداء للكافرين وهي: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ وآخر آية حكم ونتيجة وهي: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾، وما بين هاتين الآيتين أربع آيات يمكن أن نقسمها من حيث المعنى إلى مجموعتين.

---

(١) التفسير البياني (١: ٧١-٧٤) بتصرف يسير.

المجموعة الأولى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ و﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾، فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن النبي ﷺ لا يعبد ما يعبده الكافرون.

والمجموعة الثانية: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ و﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ الأولى هي الثالثة، والثانية هي الخامسة في آيات السورة. وهما تنفيان عبادة المشركين لما يعبد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام.

والذين ذهبوا إلى التكرار قالوا: إنه للتأكيد، وممن ذهب إلى هذا القول ودافع عنه بقوة واستدل له بأقوال العرب وبما جاء في أشعارهم (الفراء)، ولكن الجمهور من العلماء ذهب إلى غير هذا، ذهبوا إلى عدم التكرار في السورة الكريمة، وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم في تفسير الآيات تفسيراً يبعد القول بالتكرار.

فذهب أبو مسلم[1] إلى أن ﴿مَآ﴾ في الآيتين الأوليين اسم موصول بمعنى (الذي)، وفي الآيتين الأخريين مصدرية، أي: ﴿لَآ﴾ أعبد الذي تعبدون ولا أنتم عابدون الذي أعبد، ولا أنا عابد عبادتكم التي هي الشرك، ولا أنتم عابدون عبادتي التي هي التوحيد، وذهب غيره مذاهب في تفسير هذه الآيات... وجميل أن نعرف السياق الذي جاءت فيه الآيات الكريمة، والسبب الذي نزلت من أجله، فقد ذكر ابن جرير رحمه الله وغيره أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يهادنهم، أن يعبد آلهتهم ويعبدوا إلهه، فأبى عليهم ذلك، ونزلت السورة الكريمة، وعلى هذا فإن ما نرجحه في تفسير الآيات الكريمة: أن السورة ليس فيها تكرار لما يلي: قال لهم النبي ﷺ: «يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون» أي: ﴿لَآ﴾ يمكن أن أعبد في مستقبل الأيام معبوداتكم الفاسدة، كيف وقد أكرمني الله بالنبوة، وهداني الصراط المستقيم؟ وأنتم تعلمون أنه قبل أن يكرمني الله بالوحي ما عبدت آلهتكم، فكيف ترجون أن أعبدها اليوم، أو أعبدها فيما بعد؟ أما أنتم فلا يمكن أن

---

(١) انظر أيضاً روح المعاني (٣٠: ٢٥٢).

تعبدوا الله الذي أعبده ـ والسورة خطاب لقوم علم الله أنهم لا يؤمنون ـ وبخاصة بعد أن استحكم بيني وبينكم العداء، فأنتم ما عبدتم الله الذي دعوتكم إليه لعبادته يوم أن كنتم تدعونني فيما بينكم الصادق الأمين، وقبل أن يحدث بيني وبينكم ما يعكر الصفو. والخلاصة أن كل آية من المجموعتين جاءت على صورة الدعوى وجاءت الثانية على صورة الدليل»[1].

والذي يظهر للباحث أن هذه السورة لنفي مشاركة أي فريق للآخر في تعبده، سواء أكان ذلك حاضراً الآن أثناء الخطاب أم كان ذلك مستقبلاً تترقبه الأنظار، ويمكن تنزيل كل آيتين على ذلك وبهذا لا يكون هناك شيء اسمه التكرار.

وبعد، فهذه هي الآيات التي قيل: إن فيها تكراراً، وقد تبين على الأقل أن أدلة التكرار فيها يمكن أن تناقش، فحينئذ لا يسلم الباحث أن في القرآن الكريم شيئاً مكرراً ألبتة، وأن كل حرف فيه جاء ليعطي ما لا يعطيه غيره. ولا غرو، فهذا هو الإعجاز ـ والله تعالى أعلم ـ.

* * *

---

(١) قضية التكرار ص٦٢ – ٦٤ بتصرف، وانظر ملاك التأويل (٢: ١١٥٠ – ١١٥٤)، وما فيه قد يمكن أن يكون الأستاذ لخصه هنا دون قول أبي مسلم، وانظر فتح الرحمن ص٦٣٠، وتنزيه القرآن ص٤٨٤، وروح المعاني (٣٠: ٢٥١ – ٢٥٤).

الفصل الثاني

متشابه الآيات القرآنية

وفيه مبحثان:

الأول: الدلالة المعنوية لاختلاف فواصل الآيات مع اتحاد موضوعاتها أو تقاربه

الثاني: الدلالة المعنوية لاتفاق الفواصل اختلفت الموضوعات أو اتفقت

المبحث الأول

الدلالة المعنوية لاختلاف فواصل الآيات
مع اتحاد موضوعاتها أو تقاربه

وفيه مطلبان:

الأول: اختلاف المحكي في حكاية واحدة في القصة القرآنية في الفواصل منها.

الثاني: آيات غير القَصَص القرآني في هذا الباب.

المطلب الأول
ما وقع من ذلك في القَصَص القرآني

القصص القرآني جانب مهم من جوانب هذا الكتاب العزيز، وفيه من الفوائد ما لا يزال بحاجة إلى من يكشف عنه الغطاء. وقع كثير من القصص القرآني بموضوعها الخاص في أكثر من سورة كريمة، ووقع فيما بين هذه السور اختلاف في نظم هذه القصص من حيث الألفاظ. وسنعالج هنا ما وقع من اختلاف النظم للقصة الواحدة في السور المختلفة، وفيما يخص الاختلاف الواقع في فواصل الآيات المختلفة فقط، ويجمل أن أشير إلى أن الدكتور عبد الغني الراجحي رحمه الله قد قدم أطروحة دكتوراه لجامعة الأزهر بعنوان: (متشابه النظم في القصص القرآني). وهذه الرسالة تخص الموضوع هنا مباشرة، ولما كانت الرسالة لا تزال محفوظة في مكتبة جامعة الأزهر. فقد عسر علي الإفادة منها. إذ تعسر السفر إلى هناك، ثم جاء فيما بعد الدكتور عبد الباسط بلبول وقدم أطروحة دكتوراه لجامعة الأزهر أيضاً وهي بعنوان (القصص القرآني) حيث عرض الأخير لرسالة الدكتور عبد الغني الراجحي وامتدحها جداً، وعلى رغم أنه كتب في رسالته فصلاً يخص التشابه اللفظي في القصة القرآنية إلا أنه لم يفد من تلك الرسالة مطلقاً، وقد قرأت رسالة القصص هذه فلم أجد فيها إحالة واحدة على الدكتور الراجحي، وإن هذا لمما يؤسف له.

هذا ما لزم بشأن هاتين الرسالتين ذكرته للأمانة العلمية التي تحملت مسؤوليتها، وأسال الله الكريم أن يعينني على أداء هذه الأمانة خير أداء، وإلى التشابه اللفظي في فواصل آيات القصص القرآني.

أولاً: ما وقع في قصص آدم ﷺ:

وفي قصص هذا النبي ﷺ أخبر الله سبحانه وتعالى عن خلقه، وطلبه تعالى من الملائكة أن يسجدوا له، وإباء إبليس أن يسجد لهذا المخلوق العجيب.

في هذا الجانب وقعت تعبيرات لفظية مختلفة بحاجة إلى تأمل، فقد أخبر سبحانه وتعالى في عدة آيات عن طرف مادة الخلق وكيفيته فقال سبحانه:

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١].

٤ـ قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١].

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٨] مرتين في آخرها فقط.

٦ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].

٧ـ قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٩].

وهذه الآية ليست في خصوص خلق آدم وإنما جاءت هكذا لأنها وقعت في سياق الحديث عن الكافرين الذين طمعوا في الجنة لما حسبوه من مراكز اجتماعية تؤدي بهم إلى ذلك، فناسب ذلك هذا الإبهام.

هذا ما وقع في الفواصل القرآنية، ووقع في غير الفواصل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وأما جواب إبليس ومحاورته للخالق ـ جل ثناؤه ـ بشأن عدم سجوده لآدم فقد جاء بعدة صيغ:

١ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢٠]، [ص: ٧٦].

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وهذه الآية هي كلام ابتدائي من إبليس دون سؤال من الخالق سبحانه وتعالى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

وأما ما وقع من حكاية طرده من الجنة فوقع على صورتين:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤].

وهذا كما ترى نموذج من نماذج كثيرة من القصص القرآني مصوغ بصياغة معجزة، ومثل هذه الاختلاقات اللفظية تستدعي من الباحث وقفة حول أصل الموضوع، وهو ما يحكى في القرآن من كلام الغير، أو عن الغير، كيف يتم ذلك؟ إذ المشاهد في القرآن الكريم أن جانب الحكاية عن الغير، سواء أكان من السابقين كالأنبياء عليهم السلام مثلاً في قصصهم، وهذا قد أخذ جانباً ليس قليلاً من حجم القرآن الكريم، أم أكان من أقوال الغير نفسها، كتلك الأقوال التي نقلت عن الذين يجادلون النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه ويحاورونه، فقد أخذت حيزاً لا بأس به من القرآن الكريم أيضاً، والإجابة عن هذا تمر بأمرين اثنين:

الأول: أن القرآن الكريم لا يأتي بالمحكيِّ نفسه، وإنما يأتي بمعناه، وقد أشار إلى هذا الجانب غير واحد من أهل العلم، قال البقاعي في نظم الدرر: «إن المقصود في حكاية القصص في القرآن إنما هي المعاني، فلا يضر اختلاف اللفظ، إذا أدى جميعها، ولم يكن هناك تناقض، فإن القصة كانت حين وقوعها بأوفى المعاني، ثم إن الله تبارك وتعالى يعبر لنا في كل سورة بذكر القصة فيها بالألفاظ المناسبة للمعاني ويطرح ما لا يقتضيه المقام»[(١)].

---

(١) نظم الدرر (١: ٢٨٤)، وانظر مسائل الرازي ص٩٧-٩٨.

وقال أبو السعود: «إن الذي يجب مراعاته عند النقل إنما هو أصل المعنى ونفس مدلوله الذي يفيده، أما كيفية إفادته فليس مما يجب مراعاته عند النقل ألبتة، بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام، ولا يقدح أصل الكلام في تجريده عنها، بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصائص لم يردها المتكلم أصلاً!! ولا يخل ذلك أن يكون المنقول أصل المعنى، ألا ترى أن جميع المقاولات المنقولة في القرآن الكريم إنما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتماً، وإلا لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما إذا كان المحكي كلاماً»[(١)].

وقال الدكتور عبد الباسط بلبول: «إن أسلوب القرآن المعجز يأتي من حيث حكايته عن الغير، لا فيما هو محكي عن الغير، أي أن البلاغة في الحكاية لا في المحكي، ذلك أن القائل يقول قولاً، ويقصد به حالة خاصة، فالله تبارك وتعالى يصوغها بحيث يكون تأثيرها أعمَّ وأشمل مما لا يقدر القائل على الإحاطة بأسرار صياغته، فالقصة كما نراها ونقرؤها، أو نسمعها في القرآن هي من قول الله العليم بكل شيء، ولا يستطيع بشر أن يأتي بمثلها، وإلا لأمكن للبشر أن يأتوا بلفظ القرآن وأسلوبه. وهذا ما نفاه القرآن ذاته، من حيث إنها ذات خصائص وصلت إلى رتبة الإعجاز»[(٢)].

قلت: وكلام أبي السعود مقرر لما سبق غير أنه أفاد أن النظم قد يراعي عند نقله كيفيات وخصائص لم يردها المتكلم أصلاً. فإن كان معناه أنه يأتي في القرآن من الأقوال والحكايات، ما لم يذكره أو يرده من نقلت عنهم فهذا باطل؛ لأنه حينئذ يستلزم وقوع الكذب في الحكاية، وهذا مستحيل.

الثاني: أن المخاطبات التي جاءت في القرآن الكريم عن السابقين ليست بلغة العرب،

---

(١) إرشاد العقل السليم (٣: ٢١٨)، ونقله الآلوسي بنصه (٨: ٩٣-٩٤).

(٢) القصص القرآني، عبده إبراهيم محمد بلبول، ص٣٥٠.

وإنما النظم العربي هذا بكيفياته الخاصة هو تعبير صادق عما كان يقال بلغة خاصة لا ندري تحديداً ما هي، ولا كيفية التخاطب بها، فمن المقطوع به مثلاً أن الله تبارك وتعالى لم يخاطب الملائكة ولا إبليس ولا آدم ولا موسى باللغة العربية؛ لأن أولئك لم يكونوا يتكلمون بها، وكيف ونشوء اللغة متأخر عن هؤلاء كثيراً؟

وينسحب هذا الكلام على المقاولات التي كانت تجري بين النبي ﷺ وبين المشركين، وقد كان القوم يتكلمون العربية، إلا أن ما جاء في القرآن ليس هو عينَ ما قالوه، وإنما هو معنى ما قالوه، ولو سُلِّم جدلاً أن المحكي في القرآن من أقوال المشركين هو نفسه الذي قالوه بنفس الكيفية التي جاءت في القرآن، فإنه يبطل الإعجاز بهذا[١].

وإذا تبين هذا فإنه لا يصعب حينئذ توجيه النظم الكريم على وجوهه المختلفة، ولا ضير في الاختلاف ولا مشكلة، ولكن الذي هو بحاجة إلى بحث لماذا اختصت كل سورة من السور بما اختصت به. وقد كانت جهود مفيدة للعلماء حول اختلاف النظم الكريم بعامّة. ومما يؤسف له أن هذا الجانب من البحث يكاد يكون مغفولاً عنه، إلا ما ورد في ثنايا بعض الكتب وبخاصة كتابي درة التنزيل وملاك التأويل، إلا أن الحديث فيهما عن هذا الجانب كان بالتبع لا بالأصالة. ولهذا فإن هذا الجانب من القرآن الكريم بحاجة إلى مؤلف خاص، أسأل الله تعالى أن يهيئ له من يقوم به.

وعودة إلى إخبار الله تعالى عن خلق آدم عليه السلام، حيث جاء التعبير عن هذا الخلق بعدة عبارات، إلا أن هذه العبارات المختلفة ليست مختلفة في الأصل، إذ كلها تدل على أنه مخلوق من الطين، وما العبارات الأخرى إلا وصف لهذا الطين. وقد عالج بعض المفسرين هذه الناحية بما يدفع أي تساؤل عنها، فقد لخص الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] لخص

---

(١) جزى الله خيراً أستاذنا الدكتور فضل عباس، فهو الذي نبهني على هذا.

الجواب عن هذا الاختلاف بين تلك العبارات، وذلك بعد أن جمع تلك الآيات الخاصة بذلك فقال: «والظاهر أنْ ليس المراد أنه تعالى خلقه من هذه المذكورات المتخالفة في حالة واحدة، لقيام التنافي بين هذه الأوصاف في شيء واحد في زمان واحد، فيشتبه، فثبت أن يكون المراد من هذه المذكورات أن مبدأ خلق آدم عليه الصلاة والسلام على اختلاف الأحوال والأوقات بأن يكون مبدأ التكوين في أول الحال تراباً، وفي حال آخر صار طيناً لازباً، وفي آخر صار حمأ مسنوناً، وهو الذي اسودّ وتغيّر بطول مكثه، وفي حال آخر صار صلصالاً كالفخار، قبل أن يخلق فيه اللحم والعظم، ويركب فيه الجوارح والأعضاء، ولما كان على هذه الأحوال المذكورة على ما أخبر الله تعالى، وكان تغير أحوال أولاده كذلك حيث قال: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الحج: ٥] فذكر أن أولاده كانوا على هذه الأحوال قبل أن يخلق فيهم لحماً وعظماً، كما ذكر في حق آدم عليه السلام، من أنه خلق من تراب وطين لازب وصلصال وحمأ مسنون، حمل على ما ذكر في أولاده. قال المفسرون: خلق الله آدم من طين، فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة فصار صلصالاً لا يدري أحد ما يراد منه، ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه، إلى أن نفخ فيه الروح. وحقيقة كلامهم أن الله خلق آدم من طين على صورة الإنسان، فجف، فكانت الريح إذا مرت به سمع له صلصلة، ولذلك سماه الله صلصالاً..»[١].

وأما الاختلاف من جهة مناسبة كل سورة لما حكي فيها، فقال بعض العلماء في هذا كلاماً حسناً، منه قول البقاعي وهو يفسر سورة الرحمن: «إن المذكور فيها غاية تخليقه، وهو أنسب بالرحمانية، وفي غيرها من السور تارة مبدأوه وتارة أثناؤه»[٢].

---

(١) حاشية زاده (٣: ١٥٢ - ١٥٣)، وانظر الكشاف (٤: ٤٥)، والمحرر الوجيز (١٥: ٣٢٧)، والتفسير الكبير (٢٩: ٩٨)، والسراج المنير (٤: ١٦١)، وإرشاد العقل السليم (٨: ١٧٩)، وحاشية الجمل على الجلالين (٤: ٢٥٥)، وحاشية الصاوي على الجلالين (٤: ١٣٠)، وفتح الرحمن ص٥٤٥.

(٢) نظم الدرر (١٩: ١٥٦)، والسراج المنير (٤: ١٦١).

وذكر الأستاذ فضل عباس في سر التعبير بقوله: ﴿صَلْصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ ما نصه: «ذلك أن لقضية الصلصال والحمأ المسنون، في خلق الإنسان، وفي حياته بعد ذلك، دوراً وأثراً لا يمكن إغفالهما، فالصلصال لا يتماسك كثيراً، بل سرعان ما يتحطم ويتفتت؛ لأنه هش فليس في شدته كالفخار، والحمأ المسنون لا يملك خاصية المحافظة على ذاته، فسرعان ما يطرأ عليه الفساد. هاتان خاصيتان: عدم التماسك وعدم الاحتفاظ بخاصية الصلاح، وطروء الفساد والتغيير، وهما ملازمتان للإنسان. إلا إذا تداركه الله بعفوه ورحمته، فإنه حينذاك يكون قوياً بعيداً عن أن يطرأ عليه فساد»[١].

هذا ما يتعلق بهذا الجانب، وأما ما يتعلق بجواب إبليس اللعين، فكما نلاحظ فيه أنه احتج بخلق آدم من الطين إلا في السورة التي فيها: ﴿صَلْصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ فإن الاحتجاج كان متطابقاً لهذه الجملة، وهذا يدل على أن إبليس إنما قال بلغته كلاماً، والمنقول في القرآن بالنظم العربي هو حاصله ومعناه، لا أن إبليس تكلم بالنظم العربي بهذه الاختلافات، فإن لغة التخاطب بين الخالق وهذا المخلوق غير معروفة، وإنما جاء خبرها بهذا النظم الذي نعرفه. وإذا عرفت هذا سهل عليك رد ما ذهب إليه الأستاذ عبد الكريم الخطيب من أن بعض الأقوال المذكورة عن إبليس إنما قالها إبليس في نفسه، والقرآن هو الذي أظهرها[٢]، إذ إن هذا القول يؤدي إلى أمر بيّن الفساد وهو تقويل إبليس ما لم يقله. فتأمله.

وأما ما وقع من خبر طرده من الجنة حيث ورد التعبير بقوله تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] وجاء أيضاً في سورة الحجر ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [الحجر: ٣٤]، فالواقع أنه ليس هناك تخالف بين الآيتين، فمن أخرج رجيماً فإنه يخرج صاغراً، وإنما اقتصر في كل سورة على ما جاء فيها للتناسب بين موضوع السورة وما ورد فيها. ولما ذكر في سورة الأعراف أنه تكبّر بقوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ ناسبه ما ذكر

---

(١) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ص٥٠.

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص٣٦٣-٣٦٤.

من هذا الوصف. فإن مَن كان حُلِيُّه الاستكبار ألزمه الله الصغار. وذكر الرجم في السورة الأخرى لما لم يصرح بالاستكبار والله تعالى أعلم.

*** فيما حدث لآدم عليه السلام بعد الإغواء:**

١ـ قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

٢ـ وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وليس هناك تضارب بين الآيتين، فلا شك أن من أصابه الشقاء فهو في خوف وحزن. ولكن، لَـم اختصت كل سورة بما فيها؟

والجواب عن ذلك أن سورة طه متقدمة النزول على سورة البقرة، فتلك مكية وهذه مدنية، وسورة طه ذكر فيها شيء يخص هذا الجانب ولم يذكر في سورة البقرة، ألا وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

فذكر الشقاء في التحذير ولم يذكره في البقرة، فناسبه ختم هذه الآية به.

ولما كانت هذه السورة متقدمة فإنه يناسبها ذكر الشقاء؛ لأنه أصل الخوف والحزن، ثم لما جاءت سورة البقرة وهي متأخرة عن تلك السورة وذكرت فيها تلك القصة، ناسبها أن يذكر فيها ما هو من قبيل نتيجة الشقاء والله أعلم.

ثانياً: ما وقع في قصص نوح عليه السلام

١ـ في شأن إرساله عليه الصلاة والسلام.

وقع في ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وجاء في سورة أخرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥-٢٦].

وجاء في سورة ثالثة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

ففي الآية الأولى حذرهم عذاباً عظيماً، وفي الثانية عذاباً أليماً، وفي الثالثة قال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن مثل هذا الاختلاف مراعى فيه تعدد الوقائع باختلاف الأوقات، وقد نص على هذا غير واحد. قال صاحب الدرة: «للأنبياء مقامات مع أممهم يكون فيها الإعذار والإنذار، ويرجع فيها عَوْداً على بدء، الوعد والوعيد، ولا يكون دعاؤهم إلى الإيمان بالله ورفض عبادة ما سوى الله في موقف واحد، بلفظ واحد، لا يتغير عن حاله، بل الواعظ يفتنُّ في مقاله، والجاحد المنكر تختلف أجوبته في مواقفه. فإذا جاءت المحكيات على اختلافها، لم يُطالَبْ، وقد اختلف في الأصل باتفاقها[1]؛ لأنه قال لهم مرة باللفظ الذي حكى، ومرة بلفظ آخر في معناه، كما ذكر كذلك الجواب يرد من أقوام يكثر عددهم ويختلف كلامهم ومقصدهم»[2].

أما لماذا اختصت كل سورة بما اختصت به فقال أبو جعفر ابن الزبير في الجواب عن ذلك: «أن آية سورة الأعراف تقدمها ذكر اليوم الآخر في غير ما آية، من أول السورة إلى ابتداء قصة نوح عليه السلام، وقد تضمن المذكور ما يعظم فيه أمر ذلك اليوم. فلما ذُكر في هذه السورة ما ذكر، ولم يُذكَر في السورتين شيء منه، ناسبه من مقالات نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. وأما آية سورة هود فمناسبة لقوله تعالى على لسان نبينا ﷺ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]، وقوله:

(١) هكذا العبارة في المطبوعة ص١٥١، وفي مخطوطة شستر بيتي ورقة ٧٦ أ وفيها اضطراب ظاهر، وهي كذلك في النسخة الجديدة المحققة (٢: ٥٩٩).

(٢) درة التنزيل ص١٥١.

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ [هود: ٨]، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]، فتكرُّر ذكر العذاب يناسبه ما ذكر في آية نوح عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(١).

وأما آية سورة المؤمنون فآتية عقب بيان كيفية الخلق، وبعدها قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، فذكرهم الله سبحانه بإيجادهم وانتقالهم متقلبين في أطوار مكتنفين بتوالي إنعامه، منسوقاً بعضُ ذلك على بعض، مفتتحة المطالعُ بما يتأتى به القسم من قوله تعالى تحكيماً وإظهاراً للظاهر من اكتناف إنعامه وإحسانه، ثم عطف على ذلك ما أنعم به من إرسال الرسل فذكر أولهم إرسالاً إلى الخلق ليناسب ما بُدئوا به من النعم الأولية فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وكل ما ذكر في هذه الآي نعم متناسبة، وآلاء متوالية، ولهذا لم يذكر في هذه الآية ذكر عذاب إلا بالإيماء الوجيز، وخصت بقوله عقب الأمر بالعبادة: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فذكرهم بالتقوى المجردة لنجاتهم، وتخلصهم من العذاب، ولم يكن لبلائهم ذكر العذاب والإفصاح به ما تقدم من التذكير بإحسانه سبحانه، وإنعامه من أول السورة إلى هنا»(٢).

قلت: وهو كلام حسن غير أنه غير مختص باختلاف الفواصل فقط خصوصاً ما يتعلق بـ﴿عَظِيمٍ﴾ و﴿أَلِيمٍ﴾. ووقع في تفسير البقاعي كلام آخر غير هذا، قال: «ولعله قال هنا: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وفي هود ﴿أَلِيمٍ﴾ وفي المؤمنون ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لأن ترتيب السور الثلاث ـ وإن كان الصحيح أنه باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم ـ(٣) فلعله جاء على ترتيبها في النزول؛ لأنها مكيات، وعلى ترتيب مقال نوح عليه السلام لهم، فألان لهم أولاً المقال من حيث إنه أوهم أن العِظَم الموصوف به (اليوم) لا بسبب العذاب

---

(١) ملاك التأويل (١: ٥١٤ - ٥١٥) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (١: ٥١٢ - ٥١٣).

(٣) هذا غريب والصواب عكسه.

بل لأمر آخر، فيصير العذاب مطلقاً يتناول أي عذاب كان، ولو قل، فلما تمادى تكذيبهم بين لهم أن عِظمه إنما هو من جهة إيلام العذاب الواقع فيه، فلما لجّوا في عتوهم قال لهم قول القادر إذا هدد عند مخالفة غيره له: ألا تفعل ما أقول لك! أي متى خالفت بعد هذا عاجلتك بالعقاب وأنت تعرف قدرتي»[١]، وزاد البقاعي في تفسير سورة هود عند محل قول نوح عليه السلام: «ولم يذكر بشارة ـ أي نوح ـ كما تقدم عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢] إرشاد إلى ما سيقت له القصة من تقرير معنى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: ١٢] ولذلك صرح بالألم، بخلاف الأعراف، وكذا ما أمر به النبي ﷺ أول هذه ـ من عذاب يوم كبير، وهما متقاربان»[٢].

هذا وكلام صاحب الدرة أجود، ولكل وجهة.

٢ـ في شأن دعاء نوح عليه السلام على قومه.

وقع فيه قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا﴾ [نوح: ٢٤]، ووقع فيه أيضاً قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

والجواب عن هذا ـ والله أعلم ـ أن الأول جاء بعد قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۞ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤] أي: حصل لهم الضلال الكثير بما قالوه، فأمروا أتباعهم بالتمسك بعبادة الأصنام المذكورة، وأضلوهم عن طريق الرشاد، فلما كان ذلك كذلك دعا عليهم نوح عليه السلام بأن يضلهم الله تعالى بعد استحقاق العقاب، ليجاوب قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾.

أما الموضع الآخر فإن معناه: زدهم هلاكاً على هلاك، وعذاباً فوق عذاب، بما وافوا عليه القيامة من كفر وضلال، وذلك عند دخول النار[٣].

---

(١) نظم الدرر (٧: ٤٢٧ – ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق (٩: ٢٦٨ – ٢٦٩).

(٣) درة التنزيل ص٥٠١، وملاك التأويل (٢: ١٠٩٧)، وأسرار التكرار ص٢٠٩.

ثالثاً: في هلاك عاد:

وقع التعبير عن الريح التي اقتلعتهم وحالهم معها بصورتين:

١ـ قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

وهاتان الآيتان ليس بينهما تعارض، وقد فرق البقاعي بينهما: بأن التشبيه في الأولى يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤوسهم. وفي الحاقة وقع التشبيه في الباطن الذي فيه الأعضاء الرئيسة، والمعاني اللطيفة، فأنث الوصف حملاً على معنى النخل لا للطفها[١].

والذي يظهر للباحث أن سورة القمر، وهي معدودة في عداد السور المتقدمة نزولاً إذ هي السابعة والثلاثون في ترتيب السور نزولاً، بينما سورة الحاقة فمتأخرة عن ذلك كثيراً إذ هي السابعة والسبعون في عداد نزول السور. ولهذا ففي السورة الأولى كان المراد بيان إهلاكهم والعبرة باجتثاثهم. قال الراغب في المفردات: «وإنما أراد الله تعالى أنّ هؤلاء اجتثوا كما اجتثت النخل الذاهب في قعر الأرض فلم يبق لهم رسم ولا أثر»[٢]، وعليه فالعبرة في هذه السورة هي ببيان القضاء عليهم دون ذكر التفاصيل. وأما سورة الحاقة فالعبرة فيها بشخوصهم لا بالحدث الواقع عليهم والعذاب النازل بهم، والدليل على هذا أن الله تبارك وتعالى ذكر فيها لفظ ﴿فَتَرَى﴾ خطاباً لمن تصلح منه الرؤية، ولم يقع هذا في سورة القمر. وعليه فالعبرة هنا بمرآهم على حالتهم التي وصفها القرآن، وأما سورة القمر فالعبرة فيها ليست بمرآهم وإنما بالإخبار عنهم بوقوع العذاب الذي فعل بهم ما فعل والله أعلم.

---

(١) نظم الدرر (١٩: ١١٦).

(٢) المفردات: قعر.

وقد قرأت للإمام الرازي قوله: «إن الانقعار قبل الوقوع، فكأن الريح تنزع الواحد وتقعره فينقعر فيقع صريعاً، فيخلو الموضع عنه فيخوى، وقوله في الحاقة: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ إشارة إلى حاله بعد الانقعار الذي هو بعد النزع، وهذا يفيد أن الحكاية في سورة القمر مختصرة حيث لم يشر إلى صرعهم وخلو منازلهم عنهم بالكلية، فإن حال الانقعار لا يحصل الخلو التام، إذ هو مثل الشروع في الخروج والأخذ فيه»(١).

رابعاً: في هلاك قوم صالح عليه السلام

١ـ قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

٢ـ قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧].

وأصل التركيب النحوي للكلام: فأصبحوا جاثمين في دارهم أو ديارهم، ولهذا جعلت هذا المثال هنا. إذ إن الملاحظ أنه وَحَّدَ الدار في موضع وجمعها في موضع آخر مع أن القصة واحدة.

فقال الرازي في الجواب عن ذلك: «دارهم: بلدهم، وحينما جمع أراد ما لكل واحد منهم من منزله الخاص»(٢).

وقال البقاعي: «لعل توحيد الدار هنا ـ الأعراف ـ مع الرجفة في قصة صالح وشعيب عليهما السلام في قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾ أي: مساكنهم، وجمعها في القصتين مع الصيحة في هود عليه السلام للإشارة إلى عظم الزلزلة والصيحة في الموضعين؛ وذلك لأن الزلزلة إذ كانت في شيء واحد كانت أمكن، فتكون في المقصود من النكال أعظم،

---

(١) التفسير الكبير (٢٩: ٤٨).

(٢) المصدر السابق (١٤: ١٧٣).

والصيحة من شأنها الانتشار، فإذا عمت الأماكن المتنائية والديار المتباعدة، فأهلكت أهلها، ومزقت جماعتها، وفرقت شملها كانت من القوة المفرطة والشدة البالغة بحيث تنزعج في تأمل وصفها النفوس، وتَجِبُ له القلوب، وحاصله أنه حيث عبر بالرجفة وَحَّد الدار إشارة إلى شدة العذاب بعظم الاضطراب، وحيث عبّر بالصيحة جمع، إيماء إلى عموم الموت بشدة الصوت، ولا مخالفة؛ لأن عذابهم كان بكل منهما. ولعل إحداهما كانت سبباً للأخرى، ولعل المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطراباً قطعها، أو أن الدار رجفت فرجفت القلوب وهو الأقرب، وخصت الأعراف بما ذكر فيها؛ لأن مقصودها إنذار المعرضين، والرجفة أعظم قرعاً، لعدم الإلف لها»[(١)]، ثم قال في موضع آخر: «وخصت هود بما ذكر فيها؛ لأن لمقصودها أعظم نظر إلى التفصيل، وكل من الديار والصيحة أقرب إلى ذلك»[(٢)].

ونقل أبو حيان عن الكرماني قوله: «حيث ذكر الرجفة وهي الزلزلة وَحَّد الدار، وحيث ذكر الصيحة جمع؛ لأن الصيحة كانت من السماء، فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتصل كل واحد منهما بما هو لائق به... وقيل: وحد والمرادَ الجنس»[(٣)].

وقال الشيخ إسماعيل حقي: «ولا تناقض في الأوصاف؛ لأن الرجفة مترتبة على الصيحة؛ لأنه لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا، فجاز أن يسند الإهلاك إلى كل واحد منهما»[(٤)].

والذي يظهر للباحث أنه في سورة الأعراف في قصة صالح وشعيب عليهما السلام

---

(١) نظم الدرر (٧: ٤٤٩-٤٥٠)، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٧: ٢٤٢)، ومجمع البيان (٤: ٦٨١)، وروح المعاني (٨: ١٦٥).

(٢) نظم الدرر (٩: ٣٢٦).

(٣) البحر المحيط (٤: ٣٣١)، ونقله السمين الحلبي في الدر المصون (٥: ٣٦٩)، وكذا الشيخ إسماعيل حقي (٣: ١٩٣) وما بعدها.

(٤) روح البيان (٣: ١٩٣).

ذكر الملأ ـ المتحدثين باسم القوم ـ وهم طائفة من القوم لا كلهم، ولم يذكر في سورة هود في كلتا القصتين ـ الملأ ـ وإنما ذكر القوم بمجملهم في القصتين بوصف ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فناسب الجمع حيث جمعوا وناسب الإفراد حيث ذكرت طائفة والله أعلم.

*** في تحذير قوم صالح عليه السلام من المسّ بالناقة**

أ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤].

ج ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن مثل هذا الكلام قد تكرر بصوره المختلفة فلا تضارب بين هذه الصور الثلاث من التحذير، ومن عادة المحذِّرين أن يخالفوا بين أساليب التحذير وينوعوها لعلها تكون أعون على استجابة المحذَّرين. ولا يمنع هذا من السؤال عن اختصاص كل سورة بما اختصت به.

وفي هذا قال الكرماني: «إن سورة الأعراف لما بالغ فيها في الوعظ بالغ في الوعيد فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وفي هود لما اتصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، وزاد في الشعراء ذكر اليوم؛ لأن قبله: ﴿لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، فالتقدير لها شرب يوم معلوم. فختم الآية بذكر اليوم فقال: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾»(١).

وهذا كلام كما تراه، ومثله ـ وهو كثير في الكتب ـ قد يراه بعض الأجلة من قبيل التكلف الذي لا داعي له(٢).

---

(١) انظر أسرار التكرار ص٨٤، وملاك التأويل (١: ٥٣٢)، ودرة التنزيل ص١٥٦.

(٢) انظر القصص القرآني للدكتور فضل عباس ص١٢٥.

خامساً: ما وقع في قصص أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام

١ـ في وصف إبراهيم عليه السلام.

أ ـ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

ب ـ قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤-٧٥].

ففي الأولى وصفه بقوله: ﴿لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ وفي الثانية: ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾.

قال الرازي في التفسير عند الموضع الأول: «واعلم أنه تعالى إنما وصفه بهذين الوصفين في هذا المقام؛ لأنه تعالى وصفه بشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل، ومن كان كذلك فإنه تعظم رقته على أبيه وأولاده، فبين تعالى أنه مع هذه العادة، أمن أبيه وغلظ قلبه عليه، لما ظهر له إصراره على الكفر ـ فأنتم بهذا المعنى أولى ـ وكذلك وصفه أيضاً بأنه حليم؛ لأن أحد أسباب الحلم رقة القلب، وشدة العطف؛ لأن المرء إذا كان حاله هكذا اشتد حلمه عند الغضب»(١).

وفي الموضع الثاني قال الرازي: «وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم، أما الحليم فهو الذي لا يتعجل بمكافأة غيره، بل يتأنى فيه، فيؤخر ويعفو، ومن هذا حاله فإنه يحب من غيره هذه الطريقة، وهذا كالدلالة على أن جداله كان في أمر متعلق بالحلم وتأخير العقاب، ثم ضم إلى ذلك ما هو متعلق بالحلم وهو ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾؛ لأن من يستعمل الحلم في غيره فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير، فلما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب ذلك، وأخذ يتأوه عليه، فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة،

---

(١) التفسير الكبير (١٦: ٢١٧).

ووصفه أيضاً بأنه منيب؛ لأن من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على الغير، فإنه ينيب ويتوب ويرجع إلى الله في إزالة ذلك العذاب عنهم، أو يقال: إن من كان لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فإنه لا يرضى بوقوع نفسه فيها، كان أولى، ولا طريق إلى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله إلا بالتوبة والإنابة، فوجب فيمن هذا شأنه أن يكون منيباً»[١].

وذهب أبو جعفر ابن الزبير في ملاك التأويل إلى قريب مما هو عند الرازي[٢].

وما ذكره هذان العلمان أولى مما ذكره الكرماني من أن السبب في هذا الاختلاف في الوصف بين الموضعين إنما هو مراعاة الفواصل[٣]. ومن المفيد بيانه أن وصف إبراهيم عليه السلام بـ﴿لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ جاء في سورة التوبة التي لم تتحدث عن إبراهيم بينما في السورة الثانية استفاض الحديث فيها عن إبراهيم فكان هذا مناسباً لهذه الاستفاضة.

٢ـ في مجادلة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه

أ ـ قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ * إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ * قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧١].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٣].

ج ـ قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ * أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥-٨٦].

هذه ثلاثة مواضع في سور مختلفة، اختلف فيها التعبير عن سؤال إبراهيم عليه السلام لقومه كما اختلف جواب قومه تبعاً لذلك.

---

(١) التفسير الكبير (١٨: ٣١).

(٢) ملاك التأويل (١: ٦٠٤-٦٠٥).

(٣) أسرار التكرار ص١٠٨.

والجواب عن هذه الاختلافات: أن القصة المذكورة في سورها الثلاث ليس بالضرورة أن تكون حدثت في موقف واحد، بل إن الظاهر تعدد المواقف واختلاف أزمنتها، وترتيب السور كما هو بين أن سورة الشعراء أولاً، ثم سورة الأنبياء، ثم سورة الصافات.

ولما كانت سورة الشعراء أولاً كان السؤال فيها عن ماهية العبادة، إذ لم يكن لإبراهيم عليه السلام بيان[1]، وإنما كان يعلم أنهم يعبدون غير ما يعبد، وأراد استيضاح ماهية عبادتهم فقال: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ فجاوبوه الجواب الذي ذكره عنهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾.

وأما في سورة الأنبياء فقد تطور الموقف قليلاً عن سابقه، وأصبح لإبراهيم عليه السلام علم بعبادتهم الأصنام وعكوفهم عليها، فكان سؤاله بعد أن آتاه الله رشده: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ واستخدم لفظ (عاكفين) لأنهم أخبروه هم بذلك في الآية التي في السورة قبل هذه السورة، ولما كان سؤاله موهماً الاستيضاح والاستفسار، أجابوه بقولهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فهم قصارى ما عندهم أنهم مقلدون لآبائهم في العبادة، وهذا جوابُ من يريد التملص من تعلق المسألة وتحلقها به.

وأما سورة الصافات، وهي آخر الثلاث نزولاً، فقد بين فيها الحق سبحانه وتعالى آخر مواقف إبراهيم عليه السلام، حيث تكسرت الأصنام، وأريد حرقه لكن الله نجاه. وفي هذه السورة يتهجم إبراهيم عليه السلام على عبادتهم بقوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: ما هذا الذي تعبدونه؟ واتبعه بزيادة الإنحاء عليهم بأن ما يعبدون هو الإفك، فكان تناسب المحكي مع السور التي حكي فيها في غاية الرتابة ـ والله تعالى أعلم ـ.

٣ـ ما أراده قومه به:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

---

(١) راجع في هذه الفقرة ملاك التأويل (٢: ٨٣٨-٨٣٩).

ب ـ قال تعالى: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٩٨].

والجواب عن هذا الاختلاف في فاصلتي الآيتين: «أن الله تبارك وتعالى أخبر في سورة الأنبياء، أن إبراهيم عليه السلام كادهم: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وأخبر سبحانه أنهم قابلوه بكيد آخر ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ فجرت بينهم مكايدة، فغلبهم إبراهيم عليه السلام؛ لأنه كسر أصنامهم، ولم يغلبوه؛ لأنهم لم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فكانوا هم الأخسرين. وأما في الصافات فقد ذكر الحق سبحانه وتعالى فيها: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ فأجّجوا ناراً عظيمة، وبنوا بنياناً عالياً، ورفعوه إليه، ورموه إلى أسفل، فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من الأسفلين، وردهم في العقبى أسفل سافلين، فلهذا خصت هذه السورة بما ذكر فيها»[(١)].

٤ ـ في شأن بشارة إبراهيم عليه السلام:

أ ـ قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠١].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات: ٢٨].

ج ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الحجر: ٥٣].

ذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى أن المبشر به في سورتي الذاريات والصافات واحد، ولم يعرض لآية الحجر، وعلل الاختلاف بقوله: «إن تخصيص الأولى بصفة الحلم لما اقترن بها من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وجواب ابنه عليه السلام بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ واتباعه ذلك تسلية لأبيه وامتثالاً لأمر ربه ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، فلما دل جوابه على عظيم حاله، وتلقيه عظيمَ هذا الابتلاء بالرضا والصبر التام امتثالاً لأمر ربه،

---

(١) درة التنزيل ص٣٠٠، وانظر أسرار التكرار ص١٤٢.

وإرضاء لأبيه، كان ذلك مبيناً لجليل حلمه، ووفور كماله في حاله، مع وصفه في سنه بالأولية والابتداء.

أما آية سورة الذاريات فلم يقع فيها ذكر هذه القصة، فورد فيها وصفه بالعلم المحرز لجليل نبوته»[١].

وهذا الجواب، عن وصف إسماعيل عليه السلام بالحلم، صواب وفي غاية الصحة. وأما القول بأن الموصوفين هنا هما شخص واحد فهذا خلاف الصواب، إذ إن إسماعيل عليه السلام هو الذي وصف بالحلم، وأما إسحاق فوصف في السورتين بالعلم، والدليل على ذلك أنه في كلتا السورتين وقع التصريح بشيخوخة إبراهيم عليه السلام وزوجه، ومن المعلوم أن إسماعيل عليه السلام كان متقدم الولادة، وبناء على هذا يعد ما عند أبي جعفر رحمه الله من الغفلات. ووصف إسماعيل عليه السلام بالحلم يحوز ميزة ليست لإسحاق عليه الصلاة والسلام وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه، فالحلم كما يقول البقاعي: لا يأتي إلا بعد العلم[٢].

وأرجو الله تعالى أن لا يكون هذا الكلام من باب المفاضلة بين الأنبياء، للنهي الوارد في الحديث[٣].

ولا بد قبل مغادرة هذا الموضع من الوقوف على كلام لأحمد ديدات وقع في أحد كتبه فيما يخص هذا المحل، قال: «لاحظ أيضاً التغيير المحكم في التعبير عندما جاءته البشرى بمولد ابنه الثاني إسحق: ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾. إن الابن الأكبر إسماعيل

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٩٦٠-٩٦١).

(٢) نظم الدرر (١٦: ٢١٦)، وانظر روح المعاني (٢٧: ١٣)، والتحرير والتنوير (٢٦: ٣٦٠)، وأسرار التكرار ص١٨١.

(٣) حديث «لا تفاضلوا بين الأنبياء» رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦: ٤٥٠-٥٤١) مع الفتح.

في صفاته ومميزاته وفطرته التي أورثها لذريته من العرب قد نبأ عنها في كلام الله من القرآن بكلمة ﴿حَلِيمٍ﴾، وهي تعني متواضعاً مطيعاً مستعداً للسير في طريق الله. وإسحق الجد الأكبر لليهود، فقد عبر عنه القرآن كشخص وهب الحكمة والعقل والذكاء بكل ما يترتب عليها من مسؤوليات». انتهى(١).

وهذا الكلام إن أريد منه أن طريق العرب التواضع والحلم وأن طريق اليهود الحكمة والعلم فهو في غاية الضعف، لا يمتري في هذا من له نصيب من العلم، وأما ما هو ملاحظ في العصر الذي نعيش من السيطرة العلمية لليهود فهذا ليس بوجه استشهاد ـ لأن الوضع برمته غير طبيعي ـ وليس هذا بدليل عليه، فاليهود مُكن لهم وهيئ لهم ما لم يتهيأ للعرب قاطبة ولذلك وصلوا إلى ما وصلوا إليه، والله وحده المستعان على ما يفعله أبناء هذا الزمان، وهو سبحانه حسيب من ألّب على هذه الأمة وكالب وزعم أنه لا يقهر ولا يغالب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سادساً: ما وقع في قصص لوط عليه السلام

١ ـ في إنكاره على قومه سوءَ أخلاقهم

أ ـ قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] و[العنكبوت: ٢٨].

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤].

ويمكن أن يفسر هذا باختلاف المقامات وتعدد المواجهات، وأما اختصاص كل سورة بما اختصت به «فسورة الأعراف والعنكبوت ذكر فيهما شيء من عظيم فظائع الأمم السابقة، وأَخْذِ الله لهم بذنوبهم، ثم قفَّى بذكر قوم لوط، فأريد توبيخ قوم لوط بقبيح جريمتهم، وأن من قبلهم على سوء صنيعهم وسيئ أحوالهم لم يرتض هذه الفاحشة،

(١) إسرائيل والعرب نزاع أم مصالحة ص٢٨.

فكأنه سبحانه أراد: هذه قصص من قبلكم وهذه مرتكباتهم التي أُخذوا بها، فهل وقع منهم ما وقع منكم؟ أو هل سبق أحد منهم إلى مرتكَبِكم الشنيع؟ فناسب ذكر الأمم المكذبين قبلهم تقريعُ هؤلاء بكونهم أول من فعل تلك الشنيعة، وأنهم لم يسبقهم سابق.

ولما لم يذكر في سورة النمل من التفاصيل السابقة لأمم متقدمة، عدل عن توبيخهم بما وُبِّخوا به، إلى نوع آخر من التوبيخ، وهو بيان أن هذه الجريمة الشنعاء غير خافية، وأنها مما يستبشعه ذوو العقول السليمة فقال لهم: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾»(١).

٢ـ مع قومه أيضاً في إنكاره الفاحشةَ عليهم

أ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف: ٨١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل: ٥٥].

قال صاحب الدرة في الجواب عن هذا الاختلاف: «إن هذا من قبيل اختلاف المقامات، وأما لـمَ اختصت كل سورة بما اختصت به؟ فللملاءمة بين الكلمة المعنية وفواصل السورة في كلا الموضعين في السورتين»(٢).

والذي يظهر للباحث أن الجواب الثاني ضعيف، فليس هناك كبير فرق بين ﴿مُّسْرِفُونَ ﴾ و﴿تَجْهَلُونَ ﴾ من حيث الفواصل والروي، فالجواب هذا لا يعوَّل عليه. ولعل ما قاله أبو جعفر ابن الزبير أوفق من هذا حيث قال: «إنه قصد بما ذكر في سورة الأعراف الإشارة إلى التعريف بانتهاكهم في الجرائم وقبيح المرتكبات، فنص على أفحشها، وحصل الإيماء إلى ما وراء ذلك بما ذكر من إسرافهم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾. ولما قيل في سورة النمل ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ كان أهم شيء أن تُنفى عنهم فائدة الإبصار، إذ لم تغن عنهم شيئاً، فأعقب بقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾، أي:

(١) راجع الدرة ص١٦٣-١٦٤، وملاك التأويل (١: ٥٤٥-٥٤٧).

(٢) درة التنزيل ص١٦١ -١٦٢، وتابعه الكرماني عليه ص٨٦، وكذا الآلوسي (٨: ١٧٠).

أن مرتكبكم مع علمكم بشنيع ما فيه من أقبح ما يرتكبه الجهال، ولم يذكر هنا إسرافهم، إذ قد حصل فيما ذكر في الأعراف»[(١)].

وقال البقاعي في سبب اختصاص سورة النمل بما اختصت به: «ولما كان مقصود السورة إظهار العلم والحكمة وكانوا قد خالفوا ذلك، إما بالفعل، وإما بكونهم يفعلون من الإسراف وغيره فعل الجهلة قال: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ أي: تفعلون ذلك إظهاراً للتزين بالشهوات فعل المبالغين في الجهل الذين ليس لهم نوع علم في التجاهر بالقبائح خبثاً، وتغليباً لأخلاق البهائم مع ما رزقكم الله من العقول التي أهملتموها حتى غلبت عليها الشهوة»[(٢)].

٣ـ في عاقبة قوم لوط عليه السلام

أ ـ قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٨].

ذهب الكرماني إلى أن آية الأعراف وقعت هكذا ليتم التوافق بينها وبين ما بعدها، وهو قوله: ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦][(٣)].

قلت: وهذا غريب، فإن الآية الثانية في قصة غير قصة تلك الآية، إذ الأولى في قصة لوط عليه السلام والثانية في قصة شعيب عليه السلام. اللهم إلا أن يريد قوله السابق: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ولكن وقع سهو في الكتابة أو الطباعة والتحقيق ـ والله أعلم ـ.

---

(١) ملاك التأويل (١: ٥٤٨).

(٢) نظم الدرر (١٤: ١٨٢).

(٣) أسرار التكرار ص٨٦.

وقال صاحب ملاك التأويل: «إنه لما تقدم في الأعراف قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] حصل منه أن ارتكابهم ما لم يسبق إليه غيرهم، قد جمع إلى قبيح الفحش: الاجترام، فأعقبت بما أعقبت به، ولما تقدم في النمل: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ حصل منه تعنيف وإنذار لم يقع مثله في الأعراف، فناسب إنذارهم ما جاء في هذه الآية»[1].

٤ـ في هلاك قوم لوط عليه السلام أيضاً

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣].

الآية الأولى في محاورة الملائكة للوط عليه السلام والإصباح قبل الإشراق، وقالوا له ذلك اللفظ ليتعجل بالهروب ومن معه. وأما قوله تعالى: ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ فهو أبلغ في بيان وقوع العذاب بهم وهم يعاينونه ولهذا فسرت الصيحة هنا بالفزع كما قال الراغب[2] ـ والله أعلم ـ.

٥ـ في العبرة من هلاك قوم لوط عليه السلام

أ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

ب ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧] وذلك في شأنهم أنفسهم.

قال صاحب الدرة: «قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ إشارة إلى ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم عليهما السلام وتعرض لوط لهم طمعاً فيهم، وما كان من أمرهم آخراً من إهلاك الكفار وقلب المدينة على من فيها، وإمطار الحجارة على من غاب عنها، وهذه أشياءُ كثيرة، في كل واحد منها آية، وفي جميعها آيات لمن يتوسم، أي: لمن

---

(١) ملاك التأويل (١: ٥٥٢) بتصرف.

(٢) المفردات: صيح.

يتدبر السمة، وهي ما وسم الله تعالى به العاصين من عباده ليستدلوا بها على حال مَن عَنَد عن عبادته فتجنبها، وكان ذكر الآيات هنا أولى وأشبه بالمعنى، وأما قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار مقيمة للنظار، فكأنها بمرأى العيون لبقاء آثارها. وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك جاء عقبها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾»(١).

ونقل أبو جعفر ابن الزبير كلام صاحب الدرة ولم يزد عليه شيئاً سوى أن ذكر في ثنايا كلامه كثيراً من الآيات القرآنية(٢).

والذي يبدو جلياً أن حديث العَلَمين منصبٌّ على بيان السبب في جمع الآيات في الأولى، وإفرادها في الثانية، مع الإلماح إلى شيء يسير يخص الفاصلتين.

وفي تفسير البقاعي أن الآيات مراد بها شيء غير ما ذكره صاحب الدرة، قال: «وهي ـ الآيات ـ غمرها بالماء بعد خسفها، ومن جهة كونه مخالفاً لمياه الأرض بالنتن والخباثة، وعدم عيش الحيوان فيه، وعدم النفع به، ومن جهة فظاعة منظره»(٣).

فإن كان مراده الحديث عن البحر الميت ـ الذي يسميه الناس تجاوزاً: بحيرة لوط ـ فهذا التفسير للآيات غير صحيح؛ لأن البحر الميت موجود على الأرض قبل زمان لوط عليه السلام بكثير، إذ قد دلت الآثار الجغرافية على أن البحر الميت موجود قبل زمان إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام إنما كان في زمانه(٤).

وقال ابن عاشور في تعليل الفاصلتين: (عبّر في التذييل بالمؤمنين للتنبيه على أن المتوسمين هم المؤمنون)(٥).

---

(١) درة التنزيل ص٢٥٢- ٢٥٣.

(٢) ملاك التأويل (٢: ٧٢٦ -٧٢٩).

(٣) نظم الدرر (١١: ٧٨).

(٤) يراجع جغرافية البحر الميت للدكتور عبد القادر عابد.

(٥) التحرير والتنوير (١٤: ٧٠).

والذي يظهر للباحث أن الحق سبحانه وتعالى لما ذكر الآيات مجموعة ناسب الختم بالمتوسمين؛ لأن المتوسم هو من يتفرس في الآيات المختلفة ليعتبر، ولما قص القرآن من خبر هؤلاء المهلكين، وبيّن أن مواضع هلاكهم في غاية الوضوح، وأخبر عنهم إخبار صدق، كان هذا الإخبار كافياً لإيمان المخبر به لو أراده، والمؤمن تكفيه الآية الواحدة للإيمان[1].

٦ـ في آخر خبر عن قوم لوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

ففي هاتين الآيتين الكلام عن آل لوط المنجَّيْنَ، ووصفهم في الأولى بالمؤمنين وفي الثانية بالمسلمين.

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الوصفين ليس لهما مفهوم متحد، وإلا لكان ذكرهما معاً تكراراً ينبو عنه النظم الكريم، ولذا لا بد من تفسير لكل وصف خاص به. فالأول حديث عن الأمر الباطن الذي بسببه تم إنقاذ لوط عليه السلام ومن معه، ألا وهو الإيمان، فإنه هو سبب نجاتهم من الهلاك، فلهذا صرّح به هنا، ولما كان الحديث عن الفعل الحقيقي الذي هو الإهلاك فإن الرسل عليهم السلام لم يروا من المنقادين لله إلا لوطاً عليه السلام ومن معه، والانقياد هو الاستسلام الظاهر المعبَّر عنه بالإسلام، فلذلك حسن في كل موضع مما ختم به ـ والله أعلم ـ.

سابعاً: قصص أيوب عليه السلام

أ ـ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤١-٤٣].

---

(١) قد ألمح البقاعي إلى شيء من هذا إلماحاً (١١: ٧٥).

ب ـ قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

ففي هذه الآيات في السورتين اختلف الحديث عن أيوب عليه السلام. ففي سورة (ص) نسب المرض إلى الشيطان، فأخبره الله تعالى سبيل العلاج، وجُعل ذلك ذكرى لأولي الألباب.

وفي سورة الأنبياء: أجمل في إصابة الضر، ولم يصرح بسببه، فكشفه الله تعالى، وأخبر أن ذلك كان ذكرى للعابدين.

والجواب عن هذا الاختلاف والله تعالى أعلم يُلحظ بترتيب نزول السور أولاً: فسورة (ص) نزلت قبل سورة الأنبياء بثلاث وثلاثين سورة، إذ كانت الثامنة والثلاثين في تعداد النزول بينما كانت سورة الأنبياء الحادية والسبعين في ترتيب النزول. فالتفصيل الواقع في سورة (ص) مراعى فيه هذا الجانب، هذا أولاً. وأما ثانياً: فسورة (ص) فصِّل فيها بعض ما أصاب بعض الأنبياء عليهم السلام(١)، فلما ذكرت فيها قصة أيوب عليه السلام ناسبها مثل هذا التفصيل المركز.

ويظهر والله أعلم أن النداء لم يذكر هكذا على أنه حكاية لوقوعه مرة واحدة، بل العكس هو الظاهر، فالنداء والاستغاثة بالله تتكرر كثيراً على ألسنة الطائعين وعلى رأسهم الأنبياءُ والأخيار. وفي سورة (ص) نسب أيوب ما به إلى الشيطان، وهذا من الأدب الرفيع مع المولى الكريم، فلما ذكر سبب مرضه، دله الكريم على سبيل علاجه، فكان ذكر سبب المرض وبيان طريق علاجه ذكرى وأي ذكرى لأصحاب العقول، المفكرين الذين يتفحصون في الأسباب ونتائجها.

---

(١) راجع القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ص٣٦، وملاك التأويل (٢: ٨٤٤).

ولما أجمل في سورة الأنبياء واقتصر على أن الضر أصابه، وشفعه بدعائه الرقيق، كشفه المولى جلّ وعز عنه، فكان هذا ذكرى للعابدين الذين لا يتفحصون الأسباب والنتائج، وإنما يسلمون الأمور إلى الخالق الكريم، وهذا مقام لا يصل إليه إلا مَن أوصله الله، فكان المناسب هنا ذكر ﴿ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾، وفي (ص) ﴿لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾.

وبالجملة، فذكر هذه القصة في هذين السياقين مفضٍ إلى الترقي في الأحوال ـ والله تعالى أعلم ـ.

ثامناً: قصص موسى عليه السلام

١ـ في شأن الذين ظلموا من قومه

أ ـ قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩].

ب ـ قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٢].

فهاتان آيتان في قصص موسى عليه السلام مع بني إسرائيل جعل في إحداهما نزول الرجز عليهم بسبب فسقهم، وفي الأخرى بسبب ظلمهم، مع أن الواقعة واحدة.

وفي الجواب عن هذا الاختلاف اقتصر الزمخشري على القول بأنّ ﴿يَفْسُقُونَ﴾ و﴿يَظْلِمُونَ ﴾ من باب واحد(١)، وقال الرازي في التفسير: «إنه تعالى لما بين في سورة البقرة كون ذلك الظلم فسقاً اكتفى بلفظ الظلم في سورة الأعراف لأجل ما تقدم من البيان في سورة البقرة»(٢)، وتبعه أبو حيان على ذلك(١)، واعترض الآلوسي على هذا الجواب

---

(١) الكشاف (٢: ١٢٥).

(٢) التفسير الكبير: (٣: ١٠٠).

بقوله: «إنما يصح ذلك لو كانت سورة الأعراف متأخرة في النزول عن سورة البقرة وليس العكس»(٢).

وقال في موضع آخر من التفسير: «إن التصريح بهذا التعليل ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ لما أن الحكم ههنا مرتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في البقرة، وأما التعليل بالفسق بعد الإشعار بعلية الظلم هناك فللإيذان بأن ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم، وأن تعذيبهم بجميع ما ارتكبوه من القبائح كما قيل... ونقل عن القطب: أن الفائدة في ذكر الظلم والفسق في الموضعين الدلالة على حصولهما فيهم معاً»(٣).

قلت: والذي قاله الآلوسي عن آية الأعراف أصله في تفسير البقاعي...

وقال في المنار: «فائدة اختلاف التعبير في الموضعين بيان أنهم كانوا جامعين بين الظلم الذي هو: نقص للحق، أو إيذاء للنفس أو للغير، وبين الفسق الذي هو: الخروج عن الطاقة ولو في غير الظلم للنفس أو للناس، وحسن أن تكون هذه الزيادة في آية البقرة؛ لأنها نزلت آخراً»(٤).

وذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى أن الفسق أعظم من الظلم فقال: «إنه لما وُصف اعتداؤهم نيطت بهم أولاً صفة الظلم، ومن المعلوم أن مواقعه تتسع، ثم لما ذكر من اعتدائهم وسوء مرتكبهم غير ما تقدم وتضاعف موجب وبيل جزائهم، وصفوا بالفسق المنبئ عن حال أوبَق من الظلم، ألا ترى أنه صفة إبليس؟ قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. وقد جعل الله الفسق نقيض الإيمان، وفي طرف منه في قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨]. والظلم قد يقع على أضعف المعاصي،

---

(١) البحر المحيط: (١: ٢٢٦).

(٢) روح المعاني: (١: ٢٦٨).

(٣) السابق: (٩: ٢٨٩).

(٤) المنار (٩: ٣١٥).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١١]. ولوقوعه على مختلف المآثم ومطابقته لما قل أو كثر منها، وصف بالظلم حين أريد به الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾[1] [لقمان: ١٣].

وقال ابن عاشور: «عبر في الأعراف بـ﴿يَظۡلِمُونَ﴾ وفي البقرة بـ﴿يَفۡسُقُونَ﴾ لأنه لما اقتضى الحال في القصتين تأكيدَ وصفهم بالظلم، وأدى ذلك في سورة البقرة بقوله: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ استثقلت إعادة الظلم هناك ثالثة، فعدل عنه إلى ما يفيد مفاده وهو الفسق، وهو أيضاً أعم. فهو أنسب بتذييل التوبيخ، وجيء في الأعراف بلفظ ﴿يَظۡلِمُونَ﴾ لئلا يفوت التسجيل عليهم مرة ثالثة. فكان تذييل آية البقرة أنسب بالتغليظ في ذمهم؛ لأن مقام التوبيخ يقتضيه»[2].

قلت: واعتراض الآلوسي على الرازي ينسحب هنا، وكل هذه الأقوال فيها مقال، وأمتنها قول الشيخ رشيد في تفسير المنار، والله أعلم.

٢ـ كلام الله تعالى لموسى عليه السلام بعد المواعدة

والذي يهمنا الوقوفُ عنده ثلاثة مقاطع من هذا الكلام الإلهي المبارك مع موسى عليه السلام:

أـ قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

ب ـ قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩].

ج ـ قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وهذه النداءات جاءته من الحق تبارك وتعالى أثناء المسير بأهله ووصوله إلى الطور ومؤانسته للنار.

---

(١) ملاك التأويل (١: ٢٠٩-٢١٠).

(٢) التحرير والتنوير (٩: ١٤٥).

وفي هذا الاختلاف الظاهر ببادئ النظر يرى الأستاذ عبد الكريم الخطيب: «أن هذه الكلمات التي تفرقت في السور الثلاث يمكن أن تظهر في مشهد واحد، فيجتمع بعضها إلى بعض على هذا النحو، دون أن يكون بينها تدافع أو تفكك، بل إن بعضها ليصافح بعضاً في تعاطف واشتياق... فهي جميعاً من قول الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام في هذا الموقف، قد حملت كل سورة بعضاً منه، وهذا البعض كان بذاته لأداء المعنى المراد، فإذا اجتمع بعضها إلى بعض اتسع إطار الصورة، فازدادت وضوحاً، وإن لم تتغير محتوى ولا مضموناً. وواضح أن هذا التكرار في الحديث عن الله... هذا التكرار المتلاحق في سرعة وانطلاق إنما اقتضاه الموقف الذي اهتزَّ لهُ موسى من أقطاره، فكان صوت الحق سبحانه بهذه النداءات المتكررة سكناً لقلب موسى، وإمساكاً لنفسه وقد كادت تذهب شعاعاً»(١).

وقد نصر الدكتور عبده (عبد الباسط) بلبول مثل هذا القول فقال: «كل ذلك وما دار حوله قد قاله الله في هذا الموقف، ولا يصح عقلاً أو نقلاً القول بأن عبارة واحدة هي التي قيلت والله يُعبِّر عن الباقي من عنده! وإن لم يكن قد حدث، ولا يصح أن يكون كل ما ذكرته الآيات تعبيراً عن معنى واحد لاغير، كما لا يجوز عقلاً أو نقلاً القول بأن عبارة واحدة في اللغة التي خوطب بها موسى تستوعب ما قيل في هذا الموقف، وأي عبارة تتسع لهذه النداءات وما تضمنته من أفكار؟ وتكرار هذه النداءات غير مستبعد، فهو عليه السلام كان في حاجة إلى هذا العطف الإلهي لتسكن نفسه، ويهدأ قلبه، وتستقر عواطفه، بعد أن ترك أهله وحدهم، ووقف يخاطب رب العالمين»(٢).

قلت: وهذا الذي ذهبا إليه من تكرار النداء ليس بلازم، بل إن خلافه هو الصواب على ما ذكرته من القواعد التي يفهم بها ما حكي عن الغير في القرآن الكريم ـ مما مر في قصص آدم عليه السلام ـ وينبغي كذلك رفض التكرار؛ لأن هذه النداءات الثلاثة واقعة في

---

(١) القصص القرآني في منطوقة ومفهومه ص٦٣.

(٢) القصص القرآني بلبول ص٢٥١-٣٥٢.

ضمن قصة واحدة وردت في السور الثلاث بعبارات مختلفة كثيرة، والتكرار في هذا الجزء يعني التكرار في بقية القصة؛ لأن الموقف واحد، وهذا ما لم أطَّلع عليه لأحد، ولا أظن أنه يقول به أحد.

واللغة التي تم بها التخاطب بين الله تعالى وعبده موسى عليه السلام ليست اللغة العربية[١]، ولا ندري ما هي ولا كيفية التخاطب، وإنما يُعَبَّر بالنظم العربي المعجز عما دار، واستشكال الدكتور بلبول عن تلك اللغة ومدى سعتها لهذا التخاطب ليس بلازم والله أعلم.

وجاء في تفسير أبي السعود أن النداءات الثلاثة متفقة في المعنى، إلا أن الخلاف في الألفاظ[٢]، وهذا الكلام ليس دقيقاً، إذ إن هناك فروقاً معنوية بين هذه الألفاظ المتخالفة، اللهم إلا أن يقال: إن حاصل المعنى في النداءات الثلاثة هو الإخبار بأن الله تعالى متصف بهذه الأوصاف، وهذا ليس في محل النزاع، ولا شك أن هذه النداءات الثلاثة بحاجة إلى توجيه.

وذهب غير واحد من المفسرين إلى أن النداء واحد عُرِض في كل سورة بعضُ ما اشتمل عليه[٣].

قلت: ولم أجد فيما بين يديَّ من كتب التفسير لأحد من المفسرين توجيهاً مقنعاً لا يبقى معه مثار سؤال، والأقرب ـ والله أعلم ـ أن هذا النداء بين الخالق والمخلوق لا يُدرى كيفيته، وأن النظم العربي هذا تعبير عن معناه، أما لماذا اختصت كل سورة بما اختصت به، فلأن كل سورة جاءت لتعالج شيئاً مهمّاً ربما اختلفت فيه عن السورة الأخرى، وهذه النداءات الثلاثة جاءت بهذه الصورة في كل سورة نظراً لاتساقها مع موضوعات تلك

---

(١) انظر درة التنزيل ص٢٩٣.

(٢) إرشاد العقل السليم (٧: ١٢).

(٣) انظر التفسير الكبير (٢٤: ٢٤٥)، والبحر المحيط (٧: ١١٧).

السورة. فالنداء في سورة طه جاء متسقاً مع مقصود السورة، فمقصودها كما يقول البقاعي: «إعلام الداعي ﷺ بإقبال المدعوين، والترفق إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرفه ﷺ»(١)، وهذا يتلاءم معه المخاطبة بوصفه سبحانه وتعالى بعنوان الألوهية، والسبيل لتحقيقها في أنفس العباد مع ما يضاف إلى ذلك من خطابه عليه السلام بقوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]، وفي مادة الإيحاء إيذان بابتداء الطلبات ـ والله تعالى أعلم ـ.

وأما النداء الواقع في سورة النمل فهو متلائم مع مقصودها تمام الملاءمة، إذ المقصود الأعظم لهذه السورة (إظهار العلم والحكمة)(٢)، وفي إظهارهما معاً في السورة كمقصد عظيم، من أعظم مبينات عزة العزيز تبارك وتعالى، فلذلك خاطبه هنا بقوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وأما النداء الواقع في سورة القصص، فهو سائر على هذا المنوال، إذ مقصود السورة «التواضع لله، المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشئ عن الإيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوّة محمد ﷺ، القائمة بإعجاز القرآن، المُظهِر للخفايا، على لسان من لم يتعلم قط من أحد من الخلق، المنتج لعلو المتصف به»(٣).

والناظر في هذه السورة الكريمة يرى أيضاً أن من أهم ما عنيت به تقرير أن هناك قوة واحدة هي الفاعلة في هذا الوجود، وهي قوة الحق تبارك وتعالى(٤).

وعلى هذا، فالخطاب في هذه السورة متلائم أشد الملاءمة مع مقصودها، فكان ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) مصاعد النظر (٢: ٢٧١).

(٢) السابق (٢: ٣٣٣).

(٣) السابق (٢: ٣٣٨).

(٤) انظر مصاعد النظر (٢: ٣٣٨) هامش.

٣ـ ما جاء في شأن عصا موسى عليه السلام

أ ـ قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، [الشعراء: ٣٢].

ب ـ قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠].

ج ـ جاء في غير الفواصل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠]، و[القصص: ٣١].

وفي الجواب عن هذه الأوصاف المختلفة للعصا قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف ذكرت بألفاظ مختلفة، بالحية والجان، والثعبان؟ قلت: أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأما الثعبان والجان، فبينهما تناف؛ لأن الثعبان: العظيم من الحيات، والجان: الدقيق، وفي ذلك وجهان، أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد حجمها حتى تصير ثعباناً مبيناً، فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها. والثاني: أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾»(١).

وقد نقل كثير من المفسرين هذا الكلام إما بحروفه كالرازي، وإما بتصرف فيه كما فعل الآلوسي(٢).

ويرى الدكتور فضل عباس شيئاً آخر، فبعد أن بين ما عند المفسرين قال: «والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الأمر ليس كما قالوا ولكل وجهة ـ والله أعلم بما ينزل ـ فوصف العصا بأنها ثعبان مبين إنما ذكره القرآن في سياق الحديث عن فرعون: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٠-٣٢] ولا شك أن هذا الوصف ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ يتسق منسجماً مع السياق؛ لأن ما تعطيه

---

(١) الكشاف (٢: ٥٣٤).

(٢) التفسير الكبير (٢٢: ٢٨)، وروح المعاني (١٦: ١٧٧).

هذه الكلمة تجد فيه النفسُ من الرهبة ما ليس في الوصفين الآخرين، والمقام مقام تخويف ورهبة.

أما في سياق الرسالة فلم يأتِ ذكر الثعبان، إنما الحية والجان، ولا شك أن الحية تشمل الصغيرة والكبيرة، وأما الجان فهم يعرّفونها بأنها صغار الحيات، إذن هي حية صغيرة، والقرآن حينما قال: ﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ لم يشر إلى كبرها أو صغرها، لذا فإن الذي نميل إليه أن قوله سبحانه: ﴿هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ غير قوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾، ونرجح تفسير الجان هنا لا بصغار الحيات ـ كما يقول المفسرون أو جلهم ـ وإنما نفسره بالجان الذي هو مقابل الإنسان، وهو من الجن، وقد قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّـارٍ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥]، ونستأنس لهذا التفسير بما يلي:

١ـ أن كلمة (الجان) ذكرت في القرآن أكثر من مرة، ولا تعني إلا هذا النوع الذي خلق من النار، ولم يرد تفسير الجان بصغار الحيات إلا في هذا الموضع الذي هو وصف للعصا على ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي، فلم يرد تفسير الجان بصغار الحيات في موضع آخر، ـ ولا يظن ظان هنا أننا ننكر أو نستبعد أن تأتي الكلمات القرآنية في أكثر من موضع، وأن يكون لها في كل موضع تفسير غير الذي تفسر به في الموضع الآخر، كما لا يظن ظان أننا ننكر أن يفسر الجان لغةً بصغار الحيات ـ ولكن الذي يتبادر لنا أن الجان إنما هو المخلوق المعروف، وربما يقول قائل: إن المشبه به يجب أن يكون أمراً حسياً معلوماً للمخاطبين، ونقول: إن هذا هو الكثير الغالب أن يكون أمراً محسوساً، ولكنه قد يكون غير ذلك كذلك... وما نظن أحداً يجهل خفة الجان وقدرته على الحركة.

٢ـ ذكر بعد هذا الوصف قول الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يذكر مثل هذا في سورة طه... قلت: وهل يعقل أن يولي موسى ﷺ على شدة بأسه من حية صغيرة بينما لم يحصل له شيء عندما كانت ثعباناً مبيناً!!

٣ـ وهذا الذي نركز عليه أنه جاء في سورة طه: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾، فالعصا إذن قد خرجت عن طبيعتها فصارت حية تسعى، ودليل هذا قوله سبحانه: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١]. وهذا معناه أن طبيعة العصا قد تغيرت وسيعيدها الله عصا كما كانت، لكن الذي في سورتي النمل والقصص أنها إنما جاءت بأداة التشبيه (كأن)، ولاشك أن التشبيه لا يخُرج الشيء عن حقيقته... وإذاً هذا الذي أراه في هذه الآيات الكريمة ـ والله أعلم بمراده ـ فلست أقصد مخالفة المفسرين ـ معاذ الله ـ ولست أريد حمل أحد على ما أرتأيه إن لم يجد فيه إقناعاً». انتهى كلام الأستاذ فضل عباس[1].

قلت: وهذا الذي ذكره الأستاذ في غاية الوجاهة، وبناء عليه فإن العصا في قصة موسى وحدَه ذكرت بتغيير الحقيقة ووصف آخر لها، هو أنها أصبحت حية وأنها تهتز كالجان، وأما لماذا اختصت كل سورة بما اختصت به فلأن سورة طه جاء فيها الحديث موسعاً، بغير ما ذكر في كلتا السورتين، وبالتالي جيء بالحية على طبيعتها في هذه السورة[2].

٤ـ في شأن موسى عليه السلام مع السحرة

أ ـ قال تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥].

ب ـ قال تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥].

وهذا خطاب السحرة لموسى عليه السلام، وهو بهاتين الصيغتين مختلف، ففي إحداهما ما ليس في الأخرى، وقد حصل هذا في موقف واحد، وكلام واحد فكيف يختلف مع هذا التعبيرُ عنه؟

ذكر صاحب الدرة أن اختلاف التعبير إنما هو لأجل الفاصلة، وقال: إن هذا ونحوه

---

(١) القصص القرآني ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) من إفادات الأستاذ.

مما تراعى فيه الفواصل[١]، وذكر صاحب ملاك التأويل «أنه لا يلزم من الآية أن كلام السحرة هذا كان في موطن واحد! بل لعله كان في موطنين، أو لعله تكرر منهم، وإن كان في موطن واحد، أو لعل بعضهم قال هذا وبعضهم قال هذا، أو لعل المعنى الذي حكي عنهم تعطيه العبارتان، وهذا أقرب شيء لما بين اللغات من اختلاف المقاصد عند المواضع الأولى أو قصد الإلهام على الخلاف في ذلك، ثم ذكر أن كل واحدة من الآيتين جرت على وفق فواصل سورتها»[٢].

ونقل الدكتور عبد الفتاح لاشين كلام صاحب الدرة ولم يرتضِهِ وحدَه، بل زاد عليه، أن هناك غرضاً معنوياً يُلمَح من اختلاف هذا المحكي، وهذا الغرض كما قال: «أن كلتا الآيتين تشير إلى ما كان يتردد في نفوس السحرة ويلوح في أفئدتهم من نشوة النصر المرتقبة، واعتقاد جازم بهزيمة موسى وأخيه، وأنه لا يختلف عليهم الحال بالتقديم أو التأخير في الإلقاء. لكن رغبتهم في التقديم كانت ظاهرة، ومن هنا كان تعبيرهم في كلتا الآيتين يقتضي هذا، ومما يدل عليه أنهم أكدوا كلامهم بضمير الفصل (نحن) وأدخلوا الألف واللام على ﴿ٱلْمُلْقِينَ﴾ إضافة إلى ما تفيده الجملة الاسمية من اليقين بالنصر، والثبات على التقدم، ومثله في سورة طه حيث يوحي كلامهم بأنهم كانوا أحرص على إلقاء سحرهم أولاً ليفوزوا بالغلبة، ويحظوا بالأجر الموعود، فإذا زدنا على ذلك المعنى المستكن والسر الخفي، محافظة القرآن الكريم على رعاية الفاصلة في كلتا السورتين حتى يطرد النظم، ويتكامل التناسب، تبين لنا أن القرآن في قمة السمو في التعبير، ولو جاء التعبير: «إما أن تلقي وإما أن نلقي» فإن فيه، فضلاً عن عدم اطراد النظم وتخالف الفاصلة، ما يشير إلى عوامل الشك والقلق الذي يساور السحرة من نتيجة إلقائهم السحر»[٣].

---

(١) درة التنزيل ص١٧٤.

(٢) ملاك التأويل (١: ٥٦٩).

(٣) الفاصلة القرآنية ص١٤٦-١٤٧.

والذي يظهر للباحث أن هذين القولين من السحرة، أو هذا القول بكلتا الصورتين، قد قاله السحرة، وأحدهما أخف من الآخر من جهة الشعور بالعزة والاعتلاء، فجملة: ﴿أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ فيها تصريح بالشعور بالغلبة، وأنهم وحدهم الأحرياء بها. أما الجملة الثانية فغايتها بيان أحقيتهم بالأسبقية في الإلقاء، ولكن لـمَ اختلف هذا التعبير في كلتا السورتين؟

والجواب عن هذا ـ والله أعلم ـ أن القول الأول جاء في معرض المجاوبة مع فرعون، حيث جاءه السحرة وهم واثقو الخطى، فوقفوا أمامه يفاوضونه على الأجر، وهذا منطق من غرّته نفسه، فقالوا لموسى في هذا الموقف ما قالوا، ولقد أخبر القرآن عنهم في هذا السياق أنهم جاءوا بسحر عظيم، بينما لم يرد شيء من ذلك في سورة طه، بل ورد فيها أن السحرة بعدما سمعوا قول موسى عليه السلام بالتخويف من الكذب على الله، تنازعوا أمرهم بينهم، وهذا يشعر بالاضطراب الذي حصل لهم قبل الإلقاء، فخَفّت غلواء أنفسهم، وخيّروا موسى عليه السلام بين أن يلقي أو يكونوا هم البادئين، فلذلك جاء في هذه السورة ما جاء، ـ والله تعالى أعلم ـ.

وينبغي التنبيه على أن الإمام الرازي قال في قول السحرة: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ في الموضعين قال: «وهذا التخيير مع تقديمه في الذكر حُسن أدب منهم، وتواضع له، فلا جرم رزقهم الله الإيمان ببركته»(١).

وهذا الكلام فيما يبدو للباحث في غاية التكلف والله أعلم.

٥ـ في تأيـيد الله تبارك وتعالى لموسى بأخيه هارون:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٣].

---

(١) التفسير الكبير (١٤: ٢١١)، وانظر أيضاً (٢٢: ٨١).

ب ـ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٥].

ففي الآية الأولى وصف هارون عليه السلام بالنبوة، وفي الثانية بالوزارة.

قال أبو جعفر ابن الزبير في الجواب عن هذا الاختلاف: «إن سورة مريم قد تضمنت ذكر طائفة من المرسلين فصّل ذكر بعضهم، وأجمل ذكر الآخرين، وقد تجرد فيها من الإخبار بأحوالهم إلى ذكر التعريف بخصائصَ مِن مِنَحِهم وعَليِّ أقدارهم وما أُيِّدوا به من ذلك، وما تميزوا به عمن سواهم من صالحي الأمم. ولما كانت النبوة أعظم خصائصهم التي تساووا في تحمل أمانتها، وأفردوا عليهم السلام بها، ولم يشاركهم فيها غيرهم، ناسب أن يوصف بها هارون في هذا السورة لكونه مذكوراً مع هؤلاء الأنبياء والمرسلين المذكورين فيها. أما اسم الوزارة والوصف بها فليس مما يخصهم، ولا مما أفردوا به، فلم يكن المناسب وصف هارون عليه السلام بها في ذلك السياق. ثم إن وصف هارون عليه السلام بالوزارة مرتب على سؤال موسى عليه السلام نفسه حيث قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ❁ هَـٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩-٣٠] فأجيب بنفس طلبه»[1].

قلت: وهذا الوصفان ليس بينهما تعارض، فهو نبي ووزير في آن واحد، أما اختصاص سورة الفرقان باختيار وصف الوزير فيها؛ فلأنه ذكر فيها طلب المشركين أن يكون مع الرسول الكريم ﷺ ملك يعينه حيث أخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧]. ولما كان من سنة الله تعالى أن لا ينزل الملائكة لمثل هذا الأمر، وأخبر عن موسى ﷺ وما حباهُ من المعونة والفضل، ناسب أن يذكر هارون عليه السلام معه باسم الوزارة؛ لأن الوزارة تعني التأييد والمعاونة ليطمئن

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٨٠١-٨٠٣) بتصرف واختصار.

قلب الرسول الكريم ﷺ إلى أن الله تعالى قد استجاب بعض دعاء السابقين بوجود معاونين مع الرسل ومع ذلك كذبهم أقوامهم، فلا يلتفت عليه السلام لمثل هذا القول الذي طلبه الكفار ـ والله تعالى أعلم[١] ـ.

ويحسن أن يضاف هذا إلى ما ذكره أبو جعفر ابن الزبير في هذا الشأن.

٦ـ في تطمين الله تعالى لموسى عليه السلام

أ ـ قال تعالى ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

ب ـ قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: ٣١].

وهذا من نوع المخاطبات بين الله تعالى وعباده، وقد مر البحث فيه بما يغني عن إعادته هنا. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى قال لموسى قولاً حاصله أن المرسلين آمنون، لا يصيبهم الفزع، ولا الخوف ولا الاضطراب، وهذا في محل تطمين الله تعالى لموسى عليه السلام ليتلقى عن الله العلي الكبير. وتوزيعُ القرآن لهذين الوصفين ـ الرسالة والأمن ـ على كلتا السورتين يتلاءم مع طبيعة كل سورة ومقصودها. فمقصود سورة النمل كما يقول البقاعي: «وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزِله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة»[٢].

وهذا المقصد يتلاءم تمام الملاءمة مع هدف الرسالة، بل هذا هو الهدف من إرسال الرسل على الحقيقة، فكان يناسب هذا ـ والله تعالى أعلم ـ لفظ «المرسلين» في هذه السورة.

---

(١) قد ألمح البقاعي إلى مثل هذا إلماحاً خفيفاً في (١٣: ٣٨٤).

(٢) مصاعد النظر (٢: ٣٣٣).

وأما سورة القصص فمقصودها: «التواضع لله المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشىء عن الإيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد ﷺ، الثابتة بإعجاز القرآن، المظهر للخفايا، على لسان من لم يتعلم قط من أحد من الخلق، المنتج لعلو المتصف به»[(١)].

ويمكن أن يقال: إن مقصود السورة الكريمة تقرير أن هناك قوةً واحدة في هذا الوجود هي قوة الله عز وجل، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون هي قيمة الإيمان، فمن كانت قوة الله معه، فلا خوف عليه، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولو ساندته جميع القوى[(٢)].

وهذا المقصد يتلاءم معه تمام الملاءمة لفظ (الأمن) وطبيعته، فكان من أحسن الاختيار، إذ وردت قصة موسى عليه السلام وفيها شيء من ذلك أن يوصف في هذا المحل بـ(الآمن) ـ والله تعالى أعلم ـ.

ويمكن أن يقال أيضاً لمزيد من التوضيح: إن سورة النمل نزلت قبل سورة القصص، وجاء فيها: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ...﴾؛ لأنها إخبار برسالته عليه السلام، والمرسلون لا يخافون. وأما آية القصص ففيها قيل: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ وهذا ترتيب طبيعي، إذ إن الأمن نتيجة عدم الخوف، فاقتصر في هذه السورة التالية على تلك النتيجة، وهي أن المرسلين آمنون. هذا وفي كلام البقاعي تكلف لا داعي له.

فظهر أن المناسبة بين هاتين الصفتين وبين السور الواقعة فيها على أحسن ما يكون.

* * *

---

(١) مصاعد النظر (٢: ٣٣٨).

(٢) السابق هامش (٢: ٣٣٨).

المطلب الثاني
الدلالة المعنوية لاختلاف فواصل الآيات مع اتحاد موضوعاتها أو تقاربه في غير القصص القرآني

١ ـ في شأن بني إسرائيل

أ ـ قال الله تعالىٰ في شأن اليهود: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ب ـ وقال بعدها: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

فلمّا ذكرهم نعمته وأمرهم، بالوفاء بعهده، أمرهم برهبته. ولمّا طالبهم بالإيمان بما نزل مصدقاً لما معهم وأن لا يسرعوا في الكفر به، وأن لا يستبدلوا بآيات الله الأثمان القليلة، أمرهم بتقواه، فلماذا ذكرت الرهبة هناك والتقوى هنا؟

اقتصر ابن عطية من القول على أن بيْنَ (اتقون) و(ارهبون) فرقاً: (وهو أن الرهبة مقرون بها وعيد بالغ)[١].

وقال الراغب في تعريف الرهبة: (إنها مخافة مع تحرز واضطراب). وقال في تعريف التقوى: «إنها جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمىٰ الخوف تارة تقوىٰ، والتقوىٰ خوفاً حسب تسمية مقتضىٰ الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه)[٢].

(١) المحرر الوجيز (١: ٢٠٠).

(٢) المفردات: رهب، وقىٰ.

وفرّق الرازي بين الموضعين في الآيتين بعد أن قرر أن معنىٰ الآيتين متقارب فقال: (والفرق أن الرهبة عبارة عن الخوف، وأما الاتقاء فإنّما يحتاج إليه عند الجزم بحصول ما يتقىٰ منه، فكأنه تعالىٰ أمرهم بالرهبة لأجل أن جواز العقاب قائم. ثم أمرهم بالتقوىٰ لأن تعين العقاب قائم)[1].

ونقل أبو حيان كلام الرازي السابق إلاّ أنه نسبهُ لصاحب المنتخب[2] وقال في توضيح ذلك: «ومعنىٰ جواز العقاب هناك وتعيينه هنا، أن ترك ذكر النعمة، والإيفاء بالعهد ظاهره أنه من المعاصي التي تجوّز العقاب، إذ يجوز أن يقع العفو عن ذلك. وترك الإيمان بما أنزل الله تعالىٰ، وشراء الثمن اليسير بآيات الله من المعاصي التي تحتم العقاب وتعيِّنه، إذ لا يجوز أن يقع العفو عن ذلك، فقيل في ذلك: (فارهبون)، وقيل في هذا: (فاتقون)»[3].

وقال البقاعي: (والرهبة: حذر النفس مما شأنها منه الهرب لأذى تتوقعه، وخوطبوا بالرهبة لاستبطانها فيما يختص بمخالفة العلم)[4]. ثم جعل البقاعي: (التقوىٰ نتيجة الرهبة، وخصت التقوىٰ بالآية الثانية لما أن فيها من أفعال إنّما هو نتيجة لما في الآية الأولىٰ المخصوصة بالرهبة)[5].

وفصل أبو السعود قول البقاعي بقوله: «ولمّا كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية، فصلت بالرهبة التي هي مقدمات التقوىٰ». انتهى. ثم قال: «أو لأن الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين، وأمّا

---

(١) التفسير الكبير (٣: ٤٥).

(٢) لعله صاحب المنتخب في اللغة، وهو علي بن الحسن الشهير بكراع النمل، المتوفىٰ أوائل القرن الرابع.

(٣) البحر المحيط (١: ١٧٩).

(٤) نظم الدرر (١: ٣١٥).

(٥) السابق (١: ٣١٩).

الخطاب بالثانية فحيث خص بها العلماء أمر فيها بالتقوىٰ الذي هو المنتهىٰ»[١]. ونقله الآلوسي في تفسيره[٢].

وقال في تفسير المنار: «(ولمّا كان من موانع الوفاء بالعهد الذي فشا تركه في شعب إسرائيل، خوف بعضهم من بعض لما بين الرؤساء والمرؤوسين من المنافع المشتركة، عقب الأمر بالوفاء بقوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ أي: إن كنتم تخافون فوت بعض المنافع ونزول بعض المضار بكم إذا خالفتم الجماهير واتبعتم الحق، فالأولىٰ أن لا تخافوا ولا ترهبوا إلاّ من بيده أَزِمَّة المنافع كلها، وهو الله الذي أنعم عليكم بتلك النعمة الكبرىٰ أو النعم كلها. وهو وحده القادر على سلبها. وعلىٰ العقوبة على ترك الشكر عليها، فارهبوه وحده ولا ترهبوا سواه)... ثم قال عن الآية الثانية: (وختم هذه الآية بشبه ما ختم بها ما قبلها، وذلك قوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ وليس في هذه مع سابقتها تكرار ولا شبه تكرار كما يتوهم، فقد حل كل من القولين محله، ولا مندوحة عن واحد منهما، لأن استبدال الباطل بالحق إنّما كان منهم لاتقاء الرئيس فوت المنفعة من المرؤوس. واتقاء المرؤوس غضب الرئيس قد خص الشبهة بالأمر بتقوىٰ الله وحده الذي بيده قلوب العباد وجوارحهم، وهو المسخر لهم في أعمالهم، وبيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير»[٣].

قلت: وهذه التعليلات السابقة كلها حسنة وإن كان في بعضها تفاوت في القوة والقرب عن الآخر، والنكت لا تتزاحم.

ويمكن أن يقال: إن الرهبة جاءت في الفاصلة الأولى مقدمة على (التقوى) لأنها تناسب ما تُحدّث قبل؛ لأن قضيته ذكر النعمة والعبودية بين الإنسان وربه. وأما الثانية

---

(١) إرشاد العقل السليم (١: ٩٦).

(٢) روح المعاني (١: ٢٤٥).

(٣) المنار (١: ٢٤١-٢٤٢).

فالحديث فيها عن قضايا ظاهرة، ولذلك فلا بد فيها من التقوى والرهبة مقدمة للتقوى والله أعلم.

٢ـ في شأن المؤمنين

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وهاتان الآيتان وإن اتفقتا في كثير من الألفاظ إلا أن لكل واحدة منهما معنى، فالأولى منهما خبر من الله تعالى عن هذه الطوائف المذكورة أن مَن منها خلُص إيمانه لله تعالى وحده، وأضاف إلى خلوص الإيمان صلاحية العمل، فإن هذا موعود بالأمن والاطمئنان بالجزاء الجزيل.

وأما الآية الثانية فهي خبر من الله تعالى وحده بأنه سبحانه سيفصل بين هذه الطوائف، والفصل هو القضاء، والقضاء يلزمه الشهادة، فكان من المناسب بيان أن الله وحده مالك الأمر في ذلك اليوم، وهو الشهيد عليهم بما عملوه، وأنه لا تخفى عليه خافية(١).

٣ـ في تحذير النبي ﷺ من اتباع أهواء أهل الكتاب

أ ـ قال تعالى محذراً نبيه عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ب ـ وقال سبحانه في موضع آخر من هذه السورة: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

---

(١) ألمح صاحب ملاك التأويل وحده إلى هذا الفرق ولم يفصله (١: ٢٢٢).

ج ـ وقال سبحانه في سورة أخرى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٦].

فهذه ثلاث آيات تحدثت عن شيء واحد ولكن اختلفت فواصلها. والجواب عن هذا الاختلاف أن الآية الأولى من سورة البقرة قد جاءت عقب بيان عدم رضا اليهود والنصارى عن الملة المحمدية، فقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وأما الآية الثانية من سورة البقرة فجاءت عقب بيان أن أهل الكتاب لن يتبعوا قبلة النبي ﷺ ولو جاءهم بكل آية، فقال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وأما آية سورة الرعد فجاءت عقب بيان اختلاف أحوال أهل الكتاب بشأن المُنزَل، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٦-٣٧].

هذا هو سياق هذه الآيات كما هو واضح، والموضع الأول ختم بأبلغ الختم، ذلك لأن اتّباع الملتين في عهد النبي ﷺ كفر، وينبغي أن يُزجر عنه بأبلغ الزجر، وأغلظ الوعيد، وهذا ما حصل(١)، مثل هذا أيضاً في سورة الرعد(٢)، وأما اتباع أهوائهم في أمر القبلة؛ فلأنه

(١) درة التنزيل ص٢٧-٢٨ بتصرف.

(٢) السابق، المكان نفسه.

مما يجوز نسخه، فكان الوعيد عليه أخفَّ من الوعيد على ما هو الدِّينُ كله أو بعضه، مما لا يصح تبديله وتغييره، فصار الوعيد المقارن له دون الوعيد المقرون بالموضعين الآخرين(١).

هذا ما ذهب إليه صاحب درة التنزيل، ونحا أبو جعفر ابن الزبير إلى تفسير يختلف عن هذا وحاصله: أن الوارد في سورة الرعد لم يتقدم قبله من مرتكبات أهل الكتاب في كفرهم وعنادهم مثل ما تقدم قبل الآية الأولى من سورة البقرة، فلما كان ذلك بأن أوجِز في حقهم الكلام، واكتفي بالإيماء، ناسبه إيجاز التحذير من حالهم فقال: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ وقال في البقرة: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فحصل التناسب في الموضعين و﴿نَصِيرٍ﴾ معناها أوسع من حيث إن فعيلاً من أبنية المبالغة، فيعطي كثرة، ولفظ ﴿وَاقٍ﴾ أوجز(٢).

وأما قوله: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فهو يتضمن أشد مما يتضمن نفي الولي والواقي والنصير، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨] فقد انتفى الولي والنصير مع زيادة الظلم، وليس نفي الظلم حاصلاً من انتفاء الولاية والنصرة حصوله بالذكر والتنصيص، فهذه الآية أبلغ من الآيتين(٣).

٤ـ في شأن الذين يكتمون ما أنزل الله تعالى

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

ب ـ وقال سبحانه فيما بعد في نفس السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ

---

(١) درة التنزيل، ص٢٨-٢٩.

(٢) ملاك التأويل (١: ٢٢٩-٢٣٠).

(٣) ملاك التأويل (١: ٢٣١)، وقوله الأخير عكس ما عند صاحب الدرة، وقوله: «بتفاوت الآيات في البلاغة» لايصح.

ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وهاتان الآيتان نازلتان في حق أهل الكتاب من اليهود الذين أخفَوْا وصف النبي ﷺ المذكورَ في كتبهم. وقد ذُكرت في هاتين الآيتين حالتان من حالاتهم:

الأولى: اقتصر فيها على بيان كتمانهم ما أنزل الله وإخفائهم إياه عن الناس بعد ما بينه الله في كتبهم.

الثانية: بيان تماديهم في الكتم وأخذهم عليه ثمناً قليلاً.

وكلتا الآيتين وردت عقب تحذير الله لهم بأن لايشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ولا يكتموا ما أنزل الله، فقال تعالى في هذا الشأن في أول خطاب لهم: ﴿**وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٤١-٤٢].

فلما أخبر عنهم في الآية الأولى أنهم كتموا عن الناس ما كان حقيقاً أن يظهروه، استحقوا لعنة الله، ولما تكشفت الأمور للناس وبان كذبهم، زيد عليه أنهم وقعوا في لعنة الناس، المقتضية دعاءَ الناس عليهم أن يلعنهم الله[١]، فهم بذلك استحقوا سخط الله عليهم وكذا سخط الناس، ولما ذكر عنهم في الآية الثانية تماديَهم في الكتمان وزاد عليه أنهم لم يقوموا بذلك وحده، وإنما زادوا عليه أنهم باعوا دينهم بدنياهم، فلما زاد في وصفهم ذلك استحقوا زيادة العذاب المقرر في هذه الآية عما هو في الآية الأولى ـ والله أعلم[٢] ـ.

٥ـ في مقاتلة الكافرين:

أـ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

---

(١) كما في تفسير الطبري (٢: ٣٣).

(٢) أصل هذا الكلام في ملاك التأويل (١: ٢٥٣-٢٥٦).

ب ـ قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وهاتان آيتان في الحديث عن مقاتلة الكفار ولكن اختلفت الفاصلة في كل منهما، والجواب عن هذا ـ والله أعلم ـ أن آية البقرة خاصة بكفار مكة، وقد كان المفروض مقاتلة المعتدين منهم، لما ارتكبوا في حق المسلمين من الجرائم، فإن انتهوا بعد المقاتلة فلا ينبغي قتال إلا لمعتد، والمعتدي هو الظالم، فلذلك ناسب ختمه بذلك.

وأما الآية الثانية فهي في حق الكفار عموماً، ولما كان قتالهم على أن يدخلوا في الدين، وينبذوا ما سوى دين الإسلام. وكان الحاجز عن قتالهم تظاهرهم بالإسلام ونطقهم بالشهادتين وتوكل سرائرهم إلى الله تعالى، حَسُنَ ختم الآية بما يشير إلى ذلك بقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ أي: لا تخفى عليه أعمالهم، وليس لك أن تنقب عن قلوبهم[(١)].

قلت: وهذا الجواب منسحب على ما قرره جمهور المفسرين حول طبيعة الجهاد، وأنه قتال للمشركين حتى يتركوا شركهم، ولو لم تحصل منهم مقاتلة للمسلمين. وفي المسألة أخذ وردٌّ طويلُ الذيول فلا نطيل به هنا.

ويمكن أن يقال: إن آية الأنفال نزلت في بدر، وبدر كانت بين المسلمين وقريش وسياق آية البقرة مع أهل مكة كذلك.

لكن آية البقرة جاءت بعد تفصيل ما يتعلق بقضية القتال، وظهر في تلك الآيات ما يبين شأن الظلم. فكانت الفاصلة مناسبة لهذا السياق. وأما الآيات التي قبل آية الأنفال فهي تدل على أعمال عملها الكافرون ويريدون إخفاءها ولهذا كان المناسب ختمها بهذه الفاصلة. أفدناه من شيخنا.

---

(١) ملاك التأويل (١: ٢٦٠-٢٦٣) وانظر درة التنزيل ص٤٦-٤٧.

٦ـ في شأن المتوفَّ أزواجُهنّ:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

ب ـ وقال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

وهاتان آيتان متحدتا الموضوع مختلفتا الفواصل(١). والمذكور في كتب التفسير التي أمكنني الاطلاع عليها أن إحدى الآيتين ناسخة للأخرى، ولم يعرض أحد فيما أعلم لسبب اختصاص هذه الآية أو تلك بفاصلتها. وفي كتب التفسير أن جمهور المفسرين على أن الأولى ناسخة للثانية، ولم يخالف في هذا فيما اطلعت عليه إلا الرازي الذي رجح رأي أبي مسلم في عدم النسخ، وكذا الشيخ رشيد رضا الذي تابعه عليه، وابن عاشور الذي رجح رأي مجاهد في عدم النسخ(٢).

ولم يعرض أحد إلى توجيه هاتين الفاصلتين سوى أبي جعفر ابن الزبير حيث قال: «إن تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مناسب لما قبله من تأمينِهنَّ على أنفسهن فيما يلزَمُهنَّ في مدة العدة المذكورة من إحداد وما يتعلق به، وفيما يفعلن بعده، فإن أضمرن أو كتمن شيئاً لا يجوز فعلم الله سبحانه محيط بذلك، وهو الخبير به، ولما وقع في الآية بعد قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾وقام فيه احتمال أن يخرجن غير طائعات، فيستعجلن أو

---

(١) الصحيح أن هاتين الآيتين مختلفتا الموضوع، فالأولى موضوعها العدّة، وكم هي على النساء اللاتي توفي عنهن أزواجهن. والثانية تتحدث عن حق المرأة في البقاء في بيت الزوجية بعد وفاة زوجها مدة سنة كاملة، يمتعن فيها المتاع الحسن. وإنما ذكرتها هنا لأنبه على هذا الأمر الذي مشى على غيره جمهور المفسرين.

(٢) التفسير الكبير (٣: ١٦٩-١٧٢)، والمنار (٢: ٣٥٣-٣٥٧)، والتحرير والتنوير (٢: ٤٧١-٤٧٢).

يتعدَّيْن، ناسبه ذكر قدرته سبحانه عليهن بالمعاقبة بما شاء، أوالعفو عن مرتكبَهِنَّ، فهو العزيز الذي لا مغالب له، ولا يفوته هارب، ولا يغيب عنه شيء»[١].

وقال الشيخ رشيد في هاتين الآيتين كل على حدة: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ محيط بدقائق عملكم لا يخفى عليه منه شيء، فإذا ألزمتم النساء الوقوف معكم عند حدوده أصلح أحوالكم ورفّه معيشتكم في الدنيا وأحسن جزاءكم في الآخرة، وإن لم تفعلوا أخذكم أخذاً وبيلاً»[٢].

وقال عند الموضع الثاني: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ للتذكير بأن الله العزةَ والغلبة فيما يريد من تحويل الأمد عن عادات ضارة إلى سنن نافعة تقتضيها الحكمة، كتحويل العرب عن عاداتهم في العدة والإحداد بجعل المرأة أسيرة ذليلة مقهورة مدة سنة كاملة، إلى ما هو خير من ذلك، وهو إكرامها ما دامت في بيت زوجها بين أهله، وعدم الحجر على حريتها إذا أرادت الخروج منه ما دامت في حظيرة الشرع، وآداب الأمة المعروفة، فهذه الحكمة البالغة توافق مصلحة الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان»[٣].

والذي يراه الباحث أنْ لا نسخ في الآيتين، وأن الثانية منهما جاءت تحذيراً من التضييق على هذه الزوجات بعد وفاة أزواجهن، والأولى في بيان أن الله مطلع على ما تفعله النساء أثناء التربص فلا يتوهَّمْنَ إهمال المراقبة ـ والله أعلم ـ.

٧ـ في شأن تكذيب الكافرين لرسول الله ﷺ

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤]

---

(١) ملاك التأويل (١: ٢٧٤-٢٧٥).

(٢) المنار (٢: ٣٣٦).

(٣) السابق (٢: ٣٥٧).

والفارق ما بين الآيتين أن الأولى منهما مدنية جاءت في سياق مجادلةِ ومحاججةِ الذين زعموا أن لهم طريقةً خاصة في الإيمان بمن يريدون الإيمان به، فسلى الله رسوله بعد أن بين له أن القوم الذين سبقوهم جاءتهم مطالبهم التي هي مثل مطالبهم فما آمنوا، فليس على النبي ﷺ شيء من كفرهم بعد الذي كان.

وأما الآية الثانية فمكية، وسياقها سياق تهديد الكفار بعد أن ذكر لهم أن مِن ذكرِهم نعمةَ الله أن يعلموا أن الله لا خالق سواه، وأنهم كذبوا فناسبهم التهديد المذكور بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ـ والله تعالى أعلم ـ.

٨ـ في شأن ابني آدم

أ ـ قال تعالىٰ في حق ابن آدم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

ب ـ ثم جاء بعدها مباشرة: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

فجاءت فاصلتا الآيتين مختلفتين فالأولىٰ ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ والثانية ﴿مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

قلت: لأن الثانية مرتبة علىٰ الأولىٰ، فهو لمـّا قتل أخاه فأول مصيبة حلت به الخسارة، ثم لما مضىٰ يفكر فيما صنع من قتله أخاه سيطر عليه الندم، ولا يكون الندم إلاّ عقب فعل ذميم، فكانت كل فاصلة مستقرة في مكانها تمام الاستقرار والله أعلم.

٩ـ في شأن الأنبياء عليهم السلام

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ

وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

وفي هذه الآية الكريمة اختلفت الفواصل، فذكر في الأولىٰ ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ وفي الثانية ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي الثالثة ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وفي الرابعة ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال ابن عاشور في تفسير فاصلة الأولىٰ: «وجملة ـ إن ربك حكيم عليم ـ مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن قوله: (نرفع درجات من نشاء) يثير سؤالاً يقول: لماذا يرفع بعض الناس دون بعض؟ فأجيب: بأن الله يعلم مستحق ذلك ومقدار استحقاقه، ويخلق ذلك علىٰ حسب تعلق علمه، فحكيم بمعنىٰ محكم، أي: متقن للخلق والتقدير. وقدم ﴿حَكِيمٌ﴾ علىٰ ﴿عَلِيمٌ﴾ لأن هذا التفضيل مظهر للحكمة. ثم عقب بـ﴿عَلِيمٌ﴾ ليشير إلى أن ذلك الإحكام جارٍ علىٰ وفق العلم»(١).

وقال البقاعي في مواضع من تفسيره لهذه الفواصل، عند الموضع الثاني: (ولمّا كان التقدير: هديناهم جزاءً لإحسانهم باهتدائهم في أنفسهم، ودعائهم لغيرهم إلى الهدىٰ لم يشغل أحداً منهم منحة السراء ولا منحة الضراء، عطف عليه قوله: (وكذلك)، أي: ومثل ما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كلهم، ففي ذلك إشارة إلى علو مقامهم من هذه الجهة، وهي أنهم من أهل السراء المطغئة، والضراء المسنية، ومع ذلك فقد أحسنوا ولم يفتروا ولم ينوا)(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ٣٣٦).

(٢) نظم الدرر (٧: ١٧٥).

وقال عند فاصلة الآية الثالثة: «لمّا كان هؤلاء الأربعة من الصابرين، قال مادحاً لهم على وجه يعم من قبلهم ﴿كُلٌّ﴾، أي: من المذكورين ﴿مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾»[١].

وقال عند فاصلة الآية التي تلي: «﴿وَكُلًّا﴾ أي: ممن ذكرنا ﴿فَضَّلْنَا﴾ أي: بما لنا من العظمة بتمام العلم وشمول القدرة ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فكل هؤلاء الأنبياء ممن هداه الله بهذا وجاهد في الله حق جهاده وبدأهم تعالىٰ بإبراهيم عليه الصلاة والسلام وختمهم بابن أخيه لوط عليه الصلاة والسلام علىٰ هذه المناسبة الحسنة)»[٢].

قلت: وواضح من كلامه أنه لا يجعل الفاصلة في خصوص من سبقها فقط، بل يجعلها عامة، ولهذا تبقىٰ هذه الفواصل بحاجة إلى بحث، وعلم الله سبحانه أن هذه الفواصل من أغمض الفواصل من ناحية الترتيب والأسلوب. ولذلك لا نعجب من الآلوسي إذ يقول: «ولم يظهر لي السر في ذكر هؤلاء الأنبياء العظام عليهم من الله تعالىٰ أفضل الصلاة وأكمل السلام، علىٰ هذا الأسلوب، المشتمل علىٰ تقديم فاضل علىٰ أفضل، ومتأخر بالزمان علىٰ متقدم به، وكذا السر في التقرير أولاً، بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وثانياً بقولـه: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ واللـه تعالىٰ أعلم بأسرار كلامـه». انتهىٰ[٣].

وقد حاول الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار أن يجيب عما لم ينقدح للألوسي في شأن هذه الآيات فقال: (ذكر الله تعالىٰ في هذه الآيات مجموعة أنبياء لم يرتبهم علىٰ حسب تاريخهم وأزمانهم... ولا علىٰ حسب فضلهم ومناقبهم، وقد جعلهم ثلاثة أقسام لمعان في ذلك جامعة في كل قسم منهم:

---

(١) السابق، نفس المكان.

(٢) السابق (٧: ١٧٧).

(٣) روح المعاني (٧: ٢١٥)، ومثله في التحرير والتنوير (٧: ٣٤٧). وقد حام البقاعي وغير واحد حول ترتيب الأنبياء علىٰ هذا الترتيب بما لا يقنع.

القسم الأول: داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسىٰ وهارون، والمعنىٰ الجامع بين هؤلاء: أن الله تعالىٰ آتاهم الملك والإمارة، والحكم والسيادة، مع النبوة والرسالة، وقد تقدم ذكر داود وسليمان وكانا ملكين غنيين منعمين، وذكر بعدهما أيوب ويوسف، وكان الأول: أميراً غنياً عظيماً محسناً، والثاني: وزيراً عظيماً، وحاكماً متصرفاً، ولكن كلاًّ منهما قد ابتُلي بالضراء فصبر، كما ابتلي بالسراء فشكر، وأمّا موسىٰ وهارون فكانا حاكمين، ولكنهما لم يكونا ملكين فكل زوجين من هؤلاء الأزواج الثلاثة ممتاز بمزية، والترتيب بين الأزواج علىٰ طريق التدلي في نعم الدنيا، وقد يكون علىٰ طريق الترقي في الدين؛ فداود وسليمان كانا أكثر تمتعاً بنعم الدنيا، ودونهما أيوب ويوسف، ودونهما موسىٰ وهارون. والظاهر أن موسىٰ وهارون أفضل في هداية الدين وأعباء النبوة من أيوب ويوسف، وأن هذين أفضل من داود وسليمان بجمعهما بين الشكر في السراء والصبر في الضراء[1] والله تعالىٰ أعلم. وقد قال تعالىٰ بعد ذكر هؤلاء: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: بالجمع بين نعم الدنيا ورياستها بالحق، وهداية الدين وإرشاد الخلق..

القسم الثاني: زكريا، ويحيى، وعيسىٰ، وإلياس، وهؤلاء قد امتازوا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشدة الزهد في الدنيا، والإعراض عن لذاتها، والرغبة عن زينتها، وجاهها وسلطانها، ولذلك خصهم هنا بوصف الصالحين، وهو أليق بهم عند مقابلتهم بغيرهم، وإن كان كل نبي صالحاً ومحسناً علىٰ الإطلاق.

والقسم الثالث: إسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط. وأخر ذكرهم لعدم الخصوصية، إذ لم يكن لهم من ملك الدنيا أو سلطانها ما كان للقسم الأول، ولا من المبالغة في الإعراض عن الدنيا ما كان للقسم الثاني. وقد قفَّىٰ علىٰ ذكرهم بالتفضيل علىٰ العالمين، الذي جعله الله

(١) أظن أن مثل هذا التفضيل غير لائق، فكل نبي قام بكل ما عليه مما أمره الله ولا فضل لأحد علىٰ أحد من هذه الجهة.

تعالىٰ لكل نبي علىٰ عالمي زمانه، فمن كان من النبيين منهم منفرداً في عالم أو قوم كان أفضلهم علىٰ الإطلاق، وما وجد من نبيين أو أكثر في عالم أو قوم فقد يكونون مع تفضيلهم علىٰ غيرهم متفاضلين في أنفسهم، فلا شك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أفضل من لوط عليه الصلاة والسلام المعاصر له، وأن موسىٰ أفضل من هارون ـ عليهما الصلاة و السلام ـ الذي كان وزيراً له، وأن عيسىٰ أفضل من ابن خالته يحيىٰ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... وهذا البيان لترتيب هؤلاء، ونكتة ما ذيل به كل قسم منهم، هو مما فتح الله به علينا، لم نعلم أحداً سبقنا إليه لكن حوّم بعضهم حوله فلم يقع عليه). انتهىٰ[1].

هذا ما ذكره الشيخ رشيد في تفسير المنار، وهو أحسن ما وقفت عليه في بيان هذا الاختلاف واختيار كل فاصلة في موقعها.

١٠ ـ في شأن التيمم

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وهاتان الآيتان أو هذان الجزءان من الآيتين واقع كل منهما عقب الأمر بالتيمم في حال عدم وجدان الماء، فاختلفت فاصلتاهما.

والجواب عن هذا الاختلاف ـ والله أعلم ـ «أن آية النساء نزلت قبل تحريم الخمر، وكان شاربها قبل أن تَحْرُمَ ربما عَرَضَ له بسببها التأخيرُ لصلاته، كما أشارت إليه الآية. وفي تأخيرها عن أول وقتها نقص للفضل الموجود في أدائها أول وقتها، فلما كان ذلك مظنة للنقص، والوقوع في أدائها في آخر وقتها أو بعد وقتها، ربما كان الإثم. والآية قد

---

(١) المنار (٧: ٤٨٩-٤٩٠).

أُعقبت بآية التيمم ناسب ما تقدم التعقيب بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، إذ العفو والمغفرة مرجوان في نحو ما تقدم.

وأما آية المائدة فإنه لما تقدم قبلها حِلِّية طعام أهل الكتاب، وجواز نكاح نسائهم على الحاصل من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وحال بني إسرائيل من تحريم الشحوم عليهم، وغير ذلك ما شدد عليهم فيه، مما هو أمر مرفوع عنا، ناسب ذلك تعقيب الآية بما عقبت به»[١].

قلت: ويمكن أن يقال بأن آية المائدة لما كانت إخباراً عن أن تشريع الوضوء والتيمم عند فقدان الماء، إنما كان فضلاً من الله ومنة، وأنه سبحانه لايريد بعباده الحرج، ناسب أن تكون الفاصلة إيذاناً باستحقاقه سبحانه الشكرَ على فضله ـ والله أعلم ـ.

ويمكن أن يقال أيضاً: إن آية النساء نزلت بعد حادثة فقد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عِقْدَها وهي في سفر مع رسول الله ﷺ، وقد أحدث هذا الضياع ما أحدثه مما لاكه بعض الناس بألسنتهم مما كان يستدعي عفواً ومغفرةً من الله تعالى. وأما آية المائدة فليس فيها شيء من هذا. انتهى. أفدناه من شيخنا.

هذا وما ذكره ابن الزبير في هذا المحل بعيدٌ. والله تعالى أعلم.

١١ـ في شأن الإشراك بالله تعالى

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

---

(١) ملاك التأويل (١: ٣٤٤-٣٤٥).

وواضح اتحاد موضوع الآيتين، إلا أن الفاصلة فيهما مختلفة، وفي الجواب عن هذا الاختلاف قال غير واحد من أهل العلم: «إن الآية الأولى نزلت في شأن اليهود، وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابهم، وأما الآية الثانية فنازلة في شأن الكفار الذين لم يكن لهم كتاب أصلاً، فكان ضلالهم أشد»[(١)].

وذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى التعميم فقال: «إن الآية الأولى نازلة في شأن أهل الكتاب الذين أفصح القرآن بكذبهم وافترائهم في آيات سابقة، فلما ذكر ذلك ناسبه الختم بهذه الفاصلة، وأما الموضع الثاني فإنه تقدَّمه ما يخص المنافقين الذين في زمان النبي ﷺ، فلم يقع في الآية ولا قبلها ذكر تحريف ولا افتراء، إنما ذكر المنافقون بنفاقهم، وما صدر منهم من غير الكذب والافتراء فناسبه ما ختمت به»[(٢)].

١٢ـ في شأن وعد الله تعالى

أ ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء:٨٧].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢].

قال أبو جعفر: «إن الآية الأولى إخبار الله تعالى عن هذا الجمع، والإخبار يناسبه (الحديث)، وأما الثانية فوعد منه سبحانه، والوعد يناسبه (القول)، واختير القول لملاءمة مادة قيل لـ﴿وَعۡدَ﴾ و﴿حَقّٗا﴾ من حيث الخفة»[(٣)].

---

(١) درة التنزيل ص٧٩، وأسرار التكرار ص٥٥، والبرهان (١: ٨٧)، والفاصلة القرآنية ص١٥٢.

(٢) ملاك التأويل (١: ٣٤٧-٣٤٨).

(٣) السابق (١: ٣٥١-٣٥٢).

١٣ـ في شأن الأزواج مع نسائهم

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

والجواب عن الاختلاف في فاصلتي الآيتين: «أن الآية جاء بعدها: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]. وفي هذه الآية حض للأزواج على مجانبة القبيح وإيثار الإحسان في معاملة أزواجهم، وعلى هذا جاءت، فقيل في معناها: إن جافيتم القبيح وآثرتم الإحسان فالله به عالم وعليه مجازٍ، وهذا قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

وأما الآية الثانية فهي قوله سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]، فإنه سبحانه لما عذر الأزواج في بعض الميل، وهو الذي لا يملكون خلافه، حثهم على ما يطيقون فعله، وعلى إصلاح ما سلف منهم. فإن الله يغفر لمن يقلع منهم عن قبائحه، ويؤثر بعدها الحسنى من أفعاله، وهذا قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ولا شك أن العدل التام بين الأزواج شيء لا يستطاع. فإن لم تكن المغفرة هلك المكلف»(١).

ويمكن أن يقال: إن الآية الأولى ذكر فيها قضية خوف الأزواج، وعادة ما يدور بين الأزواج هو من قبيل الأشياء الدقيقة الخفية، فناسبه هذا الختم. وأما الآية الثانية ففيها

---

(١) درة التنزيل ص٨١-٨٢، وملاك التأويل (١: ٣٥٥) والفاصلة القرآنية ١٣٩.

بيان عدم استطاعة الإنسان تحقيق العدل، وهذا يحمّله بعض المسؤولية. والتقصير فيها يحوج إلى مغفرة الله ورضوانه.

١٤ـ في أوصاف الله تعالى

أ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء: ١٣١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٣٢].

الآية الأولى فيها أمر بتقوى الله فإنه واسع النعمة والفضل والرحمة، وقد أوسعكم منها، ووصاكم ومن قبلكم بتقواه، والاستجارة بطاعته من عقوبته، وإن تكفروا فإن الله غني عنكم... ولما اتصف سبحانه بالغنى، وكان الغني إذا لم يَجُد من غناه مذموماً، والله تعالى قد عم بعطائه المستحق وغيره من الكفار، كان الغنيَّ الحميدَ.

وأما الآية الثانية فإن معناها أنه لما كان دائم القدرة أخبر أن ما يحفظه مما في السموات والأرض من يكتفى به حافظاً، إذ ملكه عليه دائم وتدبيره فيه قائم، ولهذا كان ختماً كذلك»[١].

١٥ـ في جزاء الكافرين

أ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ [النساء: ١٣٧].

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [النساء: ١٦٨].

---

(١) درة التنزيل ص٨٢-٨٣، وملاك التأويل (١: ٣٥٦-٣٥٧).

ففي الأولى منعهم هدايةَ السبيل، وفي الثانية منعهم هدايةَ الطريق.

قال أبو جعفر ابن الزبير: «إن السبيل والطريق وإن استويا واتحد معناهما[١] فيما ذكر، فبينهما فرق واضح من حيث إن مواضع السبيل أكثر تردداً في الكلام، ففي إطلاق لفظه توسعة وعموم ليست في إطلاق لفظ طريق، فقد ورد السبيل في الربع الأول من الكتاب العزيز في بضعة وخمسين موضعاً، أو نحو ذلك، من ذلك في سورة البقرة أربعة عشر موضعاً أولها: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨] وآخرها ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وفي آل عمران ستة مواضع، وفي النساء ستة وعشرون موضعاً، وفي المائدة والأنعام تسعة مواضع. ولم يقع ذكر الطريق في القرآن كله إلا في أربعة مواضع[٢]. ثم إن السبيل مع ما تقرر من كثرة تردداه أغلب وقوعاً في الخير وسبيل السلامة إفصاحاً وإشارة، ولا يكاد اسم الطريق يرد مراداً به السلامة والخير إلا مقروناً بوصف أو إضافة ما يخلصه لذلك كقوله تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. فلما بلغت حال من وصفوا في الأولى فيما وصفوا به أشنع غايات الكفر والضلال، وأشدها تخبطاً، ناسب ذلك الكناية عما صدوا عنه ومُنعوه بـ(السبيل) مناسبة بين حالهم والممنوع من محسود مآلهم، ولما لم يكن وصف الآخرين بالكفر والظلم يبلغ شنعة المرتكب مبلغ أولئك، عدل في الكناية عما مُنعوه، إلى ما يناسبه»[٣].

والأحسن من هذا أن يقال: إن الآية الثانية جاءت فيها كلمة طريق؛ لأنه أُريد أن يبنى عليها شيء وهو (إلا طريق جهنم) فجهنم مكان والذي يسير إليه لا بد أن يعرف الطريق الموصل إليه. انتهى. أفدناه من شيخنا.

---

(١) ليس صحيحاً أن معناهما متحد، بدليل ما ذكره هو من الفرق بينهما.

(٢) كلمة السبيل وردت في القرآن الكريم بتصريفات مختلفة في (١٧٤) موضعاً، بينما كل تصريفات كلمة الطريق لم تأت في القرآن إلا (١٠) مرات.

(٣) ملاك التأويل (١: ٣٥٩-٣٦١).

١٦ـ في بعض أوصاف الله تعالى

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩].

ب ـ وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٤].

وهاتان آيتان متقاربتان، لكن اختلف فيهما جواب الشرط.

قال أبو جعفر: «إن اختلاف جواب الشرط في الآيتين له ما يستدعيه، فقوله سبحانه في الأحزاب: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ يبين الجوابية لقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾، وأما قوله في آية النساء: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ فمنزَّل على قوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ فندب سبحانه العباد إلى العفو بمفهوم هذا الكلام بإعلامهم أن تلك سنة في خلقه من عفوه عن المسيء مع القدرة على أخذه والانتقام منه»(١).

١٧ـ في بعض شأن الله تعالى

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

والجواب عن اختلاف فاصلتي الآيتين ـ والله أعلم ـ: «أن كلتيهما خاصة بما تحدَّثت عنه، فأما الأولى لمّا ذكر فيها أنه سبحانه يخلق ما يشاء ناسب ذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن التدليل على خلقه ما يشاء بكونه سبحانه قديراً على كل شيء. وأما الثانية فهي في الرد على الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فلما رد قولهم بأنهم ما داموا كذلك،

(١) السابق (١: ٤٦٤).

فَلِمَ يعذبهم الله بذنوبهم؟ ناسب قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أن يتبع بما يهددهم به؛ لأن العذاب في الدنيا غير مانع من العذاب الآخر، فكان قوله: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ من الوعيد الذي جاء في أحسن مواقعه»[1].

ويمكن أن يقال: إن الآية الأولى فيها إشارة إلى خلق عيسى عليه السلام بلا أب لذلك جاء فيها ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ وجاء فيها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ بينما لم يقع هذا في الثانية.

١٨ـ في بعض شأن الله تعالى أيضاً

أ ـ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ٤٠].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفتح: ١٤].

أما الآية الأولى فآتية على إثر بيان حكم السارق والسارقة، وقُفي على إثر ذلك ببيان توبة الله على من تاب على إثر ذلك، ولما قدم في الآية ذكر التعذيب على ذكر الغفران ناسب بيان قدرة الله تعالى على تعذيب العاصي وإثابة الطائع، فكانت الفاصلة مستقرة تمام الاستقرار.

وأما آية الفتح فآتية على إثر قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣] وبالإيمان رجاء الغفران، لذلك قدم في هذه الآية المغفرة على التعذيب فناسب ذلك بيان مغفرة الله تعالى. فكانت الفاصلة على خير قرار ـ والله أعلم ـ.

١٩ـ في شأن الحكم بغير ما أنزل الله

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

---

(١) انظر درة التنزيل ص٩٤-٩٦ وملاك التأويل (١: ٣٨٣-٣٨٤).

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وهذه الآيات الثلاثُ المختلفةُ الفواصل اختَلف المفسرون في تفسيرها على أنحاء:

١ـ فمن المفسرين مَن يجعل (مَن) عامة في الآيات ابتداءً.

٢ـ ومنهم من يجعلها موصولة فيها جميعاً، وأنها نازلة في أهل الكتاب من اليهود على الخصوص، ولا يمنع من تعميم الحكم في هذه الآيات.

٣ـ ومنهم من يجعل ﴿مَنْ﴾ في الأوليَيْن موصولة ويجعل ﴿مَنْ﴾ في الثالثة شرطية، وهو رأي صاحب الدرة.

٤ـ ومنهم من يجعل كل آية خاصة بفئة، فالأولى للمسلمين، والثانية لليهود، والثالثة للنصارى، وهذا رأي الشعبي فيما رواه عنه الطبري، ونقله عنه غير واحد، واختاره أستاذنا الدكتور فضل عباس في بحث له عن التكرار في القرآن الكريم[١].

هذا، ويرى بعض أهل العلم أن هذه الآيات واردة على سبيل التدني، فالكفر أعظمها، والفسق أيسرها، وينسحب هذا على مَن قال: إن الأسماء متفرقة المراد، وهو ـ فيما يبدو للباحث ـ قول غريب يجعل من المسلمين أعظم الطوائف جرماً[٢].

وذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى أن الترقي معكوس، فالفسق أعظم والكفر دونه، وسيأتي حاصل كلامه بعد قليل.

والذي يترجح للباحث أن هذه الآيات جميعاً في أهل الكتاب من اليهود خاصة، لما رواه مسلم في صحيحه في قصة الرجم التي وقعت لمن زنى من اليهود. وفي ذلك الحديث أن هذه الآياتِ الثلاثَ في الكفار كلها[٣].

---

(١) انظر رأي الشعبي في جامع البيان (٦: ١٥٦)، وانظر قضية التكرار في كتاب الله ص٥١، وانظر بقية الأقوال في البحر المحيط (٣: ٤٩٢) وما بعدها، وروح المعاني (٦: ١٤٥-١٤٧).

(٢) انظر روح المعاني (٦: ١٤٦) وقال في رده: إن نسبة الكفر للمسلمين على سبيل التغليظ.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الحدود (١١: ٢٠٩-٢١٠)، ورواه أبو داود في السنن في الحدود =

والآيات وإن كانت في خصوص هؤلاء الكفار ـ اليهود ـ فليس من مانع يمنع من إفادة العموم من لفظها عملاً بقاعدة: العموم والخصوص في الاعتبار من النصوص.

وأما توجيه اختلاف الفواصل فقال فيه صاحب الدرة:... «فقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في الآية الأولى المراد به اليهود الذين كانوا يبيعون حكم الله بما يشترونه من ثمن قليل، فيبدلون حكم الله باليسير الذي يأخذونه، فهم يكفرون بذلك...

والآية الثانية فيهم أيضاً، ومعناها: كتبنا عليهم في التوراة أن النفس بالنفس... فرد الذكر إلى الذين هادوا، وهم الذين كفروا، لتركهم دين الله والحكم بما أنزله، ثم وصفهم بعد خروجهم عن حكم الله في القصاص بين عباده في قتل النفس وقطع أعضائها بأنهم مع كفرهم الذي تقدم ذِكرهُ، ظالمون، وكل كافر ظالم لنفسه، إلا أنه قد يكون كافراً غير ظالم لغيره، فكأنه وصفهم في هذه الآية بصفة زائدة على صفة الكفر بالله، وهي ظلمهم لعباد الله بخروجهم في القصاص عن حكم الله... وأما الآية الثالثة فعامة وليست في خصوص اليهود»[1].

وصاحب الدرة لم يعرض للسر في الوصف بالفسق كما هو ظاهر، وما ذكره في الموضعين الأولين ليس بذاك، ويظهر من كلامه أن الترقي من الأخف إلى الأعلى؛ لأنه جعل الظلم أشد من الكفر المجرد، إذ أوقعه على الكفر والظلم معاً.

وأما صاحب ملاك التأويل فقد طوّل الكلام في رد كلام من سبقه، والانتصار لأن الآيات واردة على المألوف من الترقي من الأخف إلى الأثقل. وقال في بداية كلامه: (إن القول بخروج الآيات عما اطرد في نظائرها، وأنها مما ورد فيه الأخف بعد الأثقل، فمرتكب

= (٤: ٢٦٣-٢٦٤) ويرى شارح السنن أن الآيتين الأوليين في اليهود والثالثة عامة في كل الكفار، عون المعبود (٤: ٢٦٤).

(١) درة التنزيل ص٩٩-١٠٠.

لا يسلَّم لقائله، وغفلة عما عليه أي القرآن وكلام العرب، وإن كان قد اعتمده بعض الأجلة رحمه الله)[١].

ثم نقل أبو جعفر كلاماً ـ لواحد لم يشر إلى اسمه صريحاً ـ في توجيه الآيتين الأوليين والاقتصار عليهما بما حاصله: «أنه لما ذكر في الأولى قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قليلاً﴾ وأن ارتكاب شيء مما نُهوا عنه وعدم خشيته تعالى تقصير فيما يجب له سبحانه وجحد الواجب له، وإنكار نعمه تعالى كفر، فلذلك عقبت بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وأما الثانية فما تقدمها هو قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ فلم تتضمن الآية غير الحقوق المتعلقة بالنفوس، والوقوع في شيء من ذلك يوجب إيلامها، ودوام عقابها، وذلك ظلم لها فأعقبت الآية بقوله: «فأولئك هم الظالمون»[٢].

ثم عقب أبو جعفر على هذا القول بقوله: «وهذا وإن كان حسناً من جهة النظم إلا أنه يخالف المألوف في كلام العرب في الترقي». انتهى. وهو يريد أن كلام ذاك القائل على عكس ما اختاره هو في أن الترقي ـ كما هو مألوف ـ من الأخف إلى الأثقل، ومن الأدنى إلى الأعلى.

ولم يذكر أبو جعفر في اختلاف التعبير عن المعنيَيْنِ بهذه الآيات كلاماً يُركنُ إليه، وإنما قصر كلامه في التدليل على ما ذهب إليه من أن (الظلم) بالقرائن أشنَع من (الكفر) مجرداً، وأن (الفسق) أشد وأعظم إذا شهدت له القرائن، وهو يذكر في هذا أنه يتكئ على كلمة للزمخشري قال فيها: «إن المعنى بالفاسقين هنا هم مردة الكفرة»[٣].

---

(١) ملاك التأويل (١: ٣٩١).

(٢) السابق (١: ٣٩٢).

(٣) السابق (١: ٤٠٣) وانظر ص٣٩٤ منه.

وأخذ أبو حيان في البحر الرأي الذي تقدم نقله عن أبي جعفر لشخص لم يصرح باسمه، وزاد عليه في تعليل الآية الثالثة بقوله: «ناسب هنا ذكر الفسق؛ لأنه خرج عن أمر الله تعالى، إذ تقدم قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ وهو أمر كما قال: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] أي: خرج عن طاعة أمره تعالى»[١].

ونقل الزركشي في البرهان أقوالاً ثلاثة:

«**أحدها**: ما مر من اختلاف المعني بهذه الآيات.

والثاني: أن من لم يحكم بما أنزل الله إنكاراً له فهو كافر، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاد الحق وحكم بضده فهو ظالم، ومن لم يحكم بالحق جهلاً، وحكم بضده فهو فاسق.

والثالث: أنها في موصوف واحد وكلها بمعنى الكفر، وإنما عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صور التكرار»[٢].

ونحا سيد قطب إلى العموم في هذه الأحكام والإطلاق، فخلص إلى أن: «الكفر برفض ألوهية الله، مُمثلاً هذا في رفض شريعته. والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله، وإشاعة الفساد في حياتهم. والفسق بالخروج عن منهج الله، واتباع غير طريقه، فهي صفات يتضمنها الفعل الأول، وتنطبق جميعاً على الفاعل، ويبوء بها جميعاً دون تفريق»[٣].

ورجح الشيخ رشيد رضا أن الآيتين الأوليين في اليهود، والثالثة في النصارى، ثم قال: «ولا مانع يمنع من إرادة الكفر الأكبر في الأولى، وكذا الأخريان، إذا كان الإعراض عن الحكم بما أنزل الله ناشئاً عن استقباحه وعدم الإذعان له، وتفضيل غيره عليه...

---

(١) البحر المحيط (٣: ٥٠٠).

(٢) البرهان (١: ٢٨٧)، ونقل الدكتور عبد الفتاح لاشين القول الثالث واعتمده ص**١٥٣** من كتابه الفاصلة القرآنية.

(٣) في ظلال القرآن (٢: ٩٠١).

وإذا تأملت الآيات أدنى تأمل تظهر لك نكتة التعبير بوصف الكفر في الأولى، وبوصف الظلم في الثانية، وبوصف الفسق في الثالثة. فالألفاظ وردت بمعانيها في أصل اللغة موافقة لاصطلاح العلماء. ففي الآية الأولى كان الكلام في التشريع، وإنزال الكتاب مشتملاً على الهدى والنور، والتزام الأنبياء، وحكماء العلماء العمل والحكم به، والوصية بحفظه، وختم الكلام ببيان أن كل معرض عن الحكم به لعدم الإذعان له، رغبة عن هدايته ونوره، مؤثراً لغيره عليه، فهو الكافر به، وهذا واضح لا يدخل فيه مَن لم يتفق له الحكم به، أو من ترك الحكم به عن جهالة، ثم تاب إلى الله، وهذا هو العاصي بترك الحكم، الذي يتحامى أهلُ السنة القولَ بتكفيره، والسياق يدل على ما ذكرنا من التعليل.

وأما الآية الثانية فلم يكن فيها في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان، وترجمان الدين، بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء بالعدل والمساواة، فمن لم يحكم بذلك فهو الظالم في حكمه كما هو الظاهر.

وأما الآية الثالثة فهي في بيان هداية الإنجيل، وأكثرُها مواعظُ وآداب، وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته، لا بحسب ظواهر الألفاظ فقط، فمن لم يحكم بهذه الهداية ممن خوطبوا بها فهم الفاسقون بالمعصية، والخروج من محيط تأديب الشريعة»[1].

وبعد، فهذا ما وجدت من أقوال في شأن هذه الآيات الثلاث، ولو أن صاحب ملاك التأويل علل اختلاف فواصل الآيات ـ وهو مطلوبنا هنا ـ لكان رأيه خير الآراء.

وختاماً، ليس عندي ما أزيده على ما ذكره هؤلاء الأفاضل[2]، غير أن واجب التنبيه يقضي إلى القول بأن بعضاً من المسلمين، ممن غلبت عليهم عاطفة تدينهم فلم تحتكم

---

(١) المنار (٦: ٣٣٤).

(٢) وقد اختار الأستاذ المشرف الدكتور عبد الرحيم علي جزاه الله خيراً على ما قدّم رأي الشيخ رشيد رضا.

تصرفاتهم لضابط قويم، يأخذون هذه الآيات بسرعة، فيركضون في المجتمع تكفيراً وتظليماً وتفسيقاً، مما يؤدي إلى ثلم وحدة المسلمين وتدمير أخوتهم.

فالواجب يقضي بتفهيم هؤلاء أن مَن وقع في معصية من المعاصي فلا ينبغي أن يُسرع بالقضاء عليه، بأحد هذه الأقضية، بل ينبغي نصحه وإرشاده حتى يثوب إلى رشده.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيراً من المسلمين يقصر هذه الآيات على مخالفات (الحكّام) فقط ويرى هؤلاء أن من عاث فساداً في مجتمعه وأسرته وأهل بيته ولم يراع حدود الله فليس عليه من المؤاخذة بأحكام هذه الآيات شيء ما دام ليس (حاكماً).

وهذا من أعظم الغلط على كتاب الله. ومن أوضح البينات على سوء تأويله.

فمن لم يحكم بما أنزل الله في أي موقع كان، سواء أكان حاكماً عاماً للبلاد أم كان دونه في المسؤولية، أم كان رجلاً في بيته أم صديقاً مع أصدقائه، فإنه يدخل تحت وعيد هذه الآيات ما دام لم يراع أحكام الله تعالى ـ والله أعلم ـ، ونسأله سبحانه السلامة.

٢٠ـ في بعض شأن الله تعالى

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرࣲّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرࣲ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءࣲ قَدِيرࣱ﴾ [الأنعام: ١٧].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرࣲّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرࣲ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

فهاتان آيتان تقارب فيهما الشرط إلى حد كبير ولكن اختلفت فاصلتاهما.

والجواب عن هذا والله تعالى أعلم: «أن الآية الأولى معناها: إن نَقَلك إلى سوء حال لم يملك كشفه عنك غيره، وذلك كشدائد الدنيا من الأمراض والآلآم، والنقصان في الأموال، وإن نقلك إلى أحسن حال كان بعده قادراً على أمثاله، ومالكاً لأضعافه؛ لأنه

قادر على كل ما يصح أن يكون مقدوراً عليه، فلهذا وصف سبحانه نفسه بالقدرة على النفع والضر في هذا المحل»(١).

وأما الآية الثانية فختمت بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لأنه تقدمها من مؤثرات الخوف ومهيجات الرهب والخشية، ما اقتضاه الإخبار بغيبة للقَدَر، وجهل للمشيئة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]. وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]. وعظم موقع ذلك على المؤمنين، وكان مع ذلك للوفاء بمزدلفات الأعمال مما لا يحصل بالآمال، آنسهم سبحانه بذكر هاتين الصفتين العليتين»(٢).

٢١ـ في شأن المفترين على الله تعالى

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

وهاتان الآيتان متحدتا الألفاظ إلا أنه اختلفت فاصلتاهما.

والجواب عن اختلاف الفاصلة في كلتا الآيتين: «أن الآية الأولى قد تقدمها من الآيات ما يبين فظاعة ما ارتكبه هؤلاء الظالمون لأنفسهم، ومن تكذيب بالحق، وإشراكهم بالله، وقولهم عن القرآن: سحر، فكان معناها: ومن أظلم يا محمد من هؤلاء الجامعين بين الافتراء والشرك والتكذيب، مع وضوح الشواهد وكثرة الدلائل الواردة أثناء هذه الآي مما

---

(١) درة التنزيل ص١١٣.

(٢) ملاك التأويل (١: ٤٣٠-٤٣١).

لا يتوقف فيه معتبر، فحق لمرتكب هذه الأشياء وصفه بالظلم الذي لا يفلح المتصف به. وهو ظلم الافتراء على الله، والشرك والتكذيب»(١).

وأما الآية الثانية فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ [يونس: ١٥]، ولا أظلم ممن قال من فصحاء العرب، العالمين بمقاطع الكلام، وجليل النظم، وعليّ البلاغة، ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ مع علمهم بعليّ الفصاحة، واعترافهم بالعجز عنه، فجمعوا بين إنكار ما علموا صدقه ممن عرفوا عليّ حاله، وجليل منصبه... فجمعوا بين الإنكار وبين قولهم: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ فلا أظلم منهم، ثم إن في قولهم: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أعظم إقدام وأوضح إجرام، لأنه كفر على علم، فلهذا أعقبت بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾...، وقد يكون وصفهم بالظلم أولاً ثم وصفهم بالإجرام ثانياً ترقياً في الشر»(٢) ـ والله أعلم ـ.

٢٢ـ في التحذير من عذاب الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام:٤٠].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٤٧].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٥٠].

---

(١) انظر ملاك التأويل (١: ٤٣٢)، ودرة التنزيل ص١١٥.

(٢) انظر ملاك التأويل (١: ٤٣٣-٤٣٤)، ودرة التنزيل ص١١٦، وأسرار التكرار ص٦٦.

والجواب عن اختلاف الفواصل أنه تعالىٰ في سورة الأنعام أراد توقيفهم علىٰ فساد عبادتهم، وأنهم عندما تدهمهم الدواهي لا يلجأون إلا إليه، فهذا تكذيب حالهم في عبادتهم. ولمّا كان الوصف بالظلم هو المستعملَ في سورة الأنعام لتسجيل شناعة ما يفعله الكافرون، كان حسناً كذلك استخدامه في جميع مواقعه من السورة الكريمة.

ولما كانت سورة يونس قد وُصف فيها المشركون بالإجرام بياناً للترقي في السوء، كان حسناً ختم آية يونس بقوله: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ـ والله أعلم ـ. وهذا الجواب يُعَدّ تقفية علىٰ الآيات المجاب عنها تحت رقم «١٩».

٢٣ـ في شأن عقاب الأمم

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

والاختلاف بين فاصلتي الآيتين اختلافٌ أسلوبيٌّ أكثرَ منه شيئاً آخر.

قال أبو جعفر ابن الزبير في الإجابة عن هذا الاختلاف: «إن العرب تراعي مجاورة الألفاظ، فتحمل اللفظ علىٰ مجاوره لمجرد المضارعة اللفظية وإن اختلف المعنىٰ، ... وماضي الفعل من الضراعة لا إدغام فيه، إنما تقول: تضرع، إذ لا حرف مضارعة فيه يسوِّغ الإدغام، فلمّا ورد الماضي فيما بُني علىٰ آية الأنعام من قوله: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ ﴾ [الأنعام: ٤٣] ولا إدغام فيه لما ذكرنا، ورد الأول مفكوكاً غير مدغم، فقيل يتضرعون، رعياً للمناسبة، أما آية الأعراف فلم يرد فيها ما يستدعي هذه المناسبة، فجاء مدغماً علىٰ الوجه الأخف، إذ لا داعي لخلافه والله أعلم»(١).

---

(١) ملاك التأويل (١: ٤٥٥-٤٥٦).

وهذا التعليل لفظي محض، وهو وإن كان لا مانع يمنع من اعتباره، إلا أن الاقتصار في مثله علىٰ مثله مما لا ينبغي. ولم أجد أحداً من المفسرين ذكر شيئاً سوى البقاعي حيث قال في آية الأنعام: «﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: ليكون حالهم حال من يُرجَى خضوعه وتذلله علىٰ وجه بليغ بما يرشد إليه ـ مع صيغة التفعل ـ الإظهار، ولأن مقصودها الاستدلال علىٰ التوحيد، وعند الكشف للأصول ينبغي الإبلاغ في العبادة[١]، بخلاف ما يأتي في الأعراف»[٢].

وقال عند آية الأعراف ما نصه: «(لعلهم يضرعون) أي: ليكون حالهم عند المساءة حال من يرجى تضرعه وتذلله، وتخضعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره، ولو كان التضرع في أدنى المراتب علىٰ ما أشار إليه الإدغام؛ لأن ذلك كان في الإنقاذ من عذاب الإنذار الذي هذه سورته، بخلاف ما مضى في سورة الأنعام»[٣].

قلت: وهو يرى أن المفكوك الإدغام أبلغ في الدلالة علىٰ التذلل من المدغم. وإنما يظهر ذلك إذا علمنا أن سورة الأنعام نزلت أولاً، ولما في سورة الأعراف من حديث عن الأقوام الذين أهلكهم الله لما لم يكن لهم أدنى تضرع ـ والله أعلم ـ. ولو أن البقاعي قال: إن المفكوك الإدغام يدل علىٰ تطلب الخضوع والتذلل أكثر من الآخر لكان الكلام خيراً من إثبات الأبلغية بين الآيتين، وينبغي أن لا ينازع في رفض مثل هذا الاتجاه.

٢٤ـ في بعض شأن الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

---

(١) لعل في العبارة خطأً حيث حرف لفظ ـ العبارة ـ بالراء إلى الدال.

(٢) نظم الدرر (٧: ١١٤).

(٣) السابق (٨: ١٠-١١).

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

وهاتان آيتان اتفقتا في المتحدَّث عنه واختلفت فاصلتهما.

والجواب عن هذا الاختلاف ـ والله أعلم ـ أن آية الأنعام قد سبقها بيان ما ارتكبه المشركون من جعلهم لله شركاء الجن، وزعموا له سبحانه بنين وبنات، فأخبر الله تعالىٰ راداً عليهم أنه خالق السموات والأرض، كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وهو سبحانه خالق كل شيء؟ فلمّا قال ذلك حَسُن بيان أنه وحده المتوكل بكل ذلك، فناسبه الختم بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. وأما آية غافر فلم يتقدمها شيء من ذلك، وإنما تقدمها ذكر شيء مما أنعم الله به علىٰ عباده من جعل الليل للسكن، والنهار واضحاً بيناً، وهو سبحانه المتفضل علىٰ عباده الذين قل مَن يشكره منهم، فلمّا قال ذلك ناسبه الإنحاء باللائمة علىٰ هؤلاء الذين صرفوا عن الحق إلى الباطل، ومن الصدق إلى الكذب، ومن الجميل إلى القبيح، وهذا كله تؤديه هذه الفاصلة: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ خير أداء ـ والله أعلم ـ.

٢٥ـ في شأن هلاك الأمم

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

فهذه ثلاث آيات: الأولى تبين أن الله لا يهلك القرى وأهلها غافلون، والثانية تبين أن الله لا يهلكهم وهم مصلحون، والثالثة تبين أنه لا يهلكهم إلا إذا كانوا ظالمين.

والجواب عن ذلك: «أن آية الأنعام تقدمها ذكر العقاب بقوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ

مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [١٣٠] يعني العقاب في يوم القيامة؛ لأنه لم يكن ربك ليفعله قبل أن يحتج عليهم برسل يهدونهم وينذرونهم ما وراءهم من محذورهم ولا يتركونهم في غفلة من أمورهم فاقتضى هذا المكان أن يقال لم يؤخذوا وهم غافلون، بل كانوا منبهين ـ بالإعذار والإنذار ـ علىٰ ألسنة الرسل عليهم السلام»(١).

وأما آية هود: «فقد تقدمها قوله سبحانه: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [١١٦] ولو كانوا ينهون عن الفساد لكانوا مصلحين فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب، وهذا يدل علىٰ أن القوم كانوا مفسدين حتىٰ نهاهم أولو بقية كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، ولمّا كان نقيض الفساد في الأرض الصلاح ناسبه أن الله لم يكن يهلكهم وهم مصلحون»(٢).

وأما الآية الثالثة ـ وهي في سورة القصص ـ فهي متقدمة في النزول علىٰ كلتا السورتين، فهي التاسعة والأربعون في عداد النزول بينما هود كانت الثانية والخمسين والأنعام كانت الخامسة والخمسين.

هذه الآية كانت تطميناً عاماً أن الله لا يهلك إلا الظالمين، فحسن موقعه في القصص لأنه الأول نزولاً، ثم أخبر بنفي الهلاك عن المصلحين، وزاده بياناً بأن المهلكين لا يهلكون دون أن ينذروا، فلله أمر هذا التنزيل الحكيم!

٢٦ ـ في شأن الأمم مع أنبيائهم

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

---

(١) درة التنزيل ص١٣١، وملاك التأويل (١: ٤٧٥).

(٢) ملاك التأويل (١: ٤٧٦)، ودرة التنزيل (١٣١-١٣٢).

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٧٤].

والمعني بالبعث من بعده ـ نوح عليه السلام ـ.

فهاتان الآيتان تتحدثان عن إهلاك الأمم الماضية، ولكنهم وصفوا بالكفر مرةً وبالاعتداء أخرى.

والجواب عن ذلك ـ والله تعالىٰ أعلم ـ: «أن الآيات التي تقدمت في سورة الأعراف تضمنت وصف الكفار؛ لأنه لا يَحذَرُ عذابَ الله ومجيئَه بياتاً أو ضحى إلا الكفار[١]، ثم إطلاق الخاسرين لا يكون إلا في الكافرين، فلمّا وقع التصريح بصفات الكفر صُرّح به عند ذكر الطبع، ولمّا كانت الآية في سورة يونس قد تقدمها في وصف الكفار ما كان كالكناية عنهم، قال: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، وما كل منذَر يكون كافراً، كنى عن الكفار بعده عند ذكر الطبع بالمعتدين. وما كل معتد كافر، فمخالفة كل واحد من الآيتين للأخرى إنما هي لموافقة ما قبل كل واحدة منهما من طرح الكلام وقصد الالتئام»[٢].

وفي ملاك التأويل: (أن الآية في سورة الأعراف تقدمها من قصص الأنبياء ما أفصح فيه عن أحوال المكذبين من الأمم وسوء محاورتهم لأنبيائهم بالكذب، فناسبه التصريح بالكذب في الأعراف، وأما سورة يونس فالآية التي فيها لم يتقدمها تفصيل ولا إفصاح بمخاطبة الأنبياء لأقوامهم، مثل تلك التي في الأعراف، وإنما ورد فيها علىٰ سبيل الإجمال، فناسبه الوصف بالاعتداء، وإن لم يقع فيه التصريح بأنهم كفار، وهم كذلك؛ لأن ذلك حاصل من مجمل ذكرهم)[٣].

وقد وقع في سورة يونس قبل الآية التي معنا قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن

---

(١) هكذا في مخطوط الدرة ورقة ٨٣ ب-٨٤ أ، وفي المطبوعة ص١٦٧.

(٢) درة التنزيل مخطوط ورقة ٨٣ ب-٨٤ أ.

(٣) ملاك التأويل (١: ٥٥٩) بتصرّف.

﴿قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣].

فقال أبو جعفر في الجواب عنها: «لم يتقدم قبلها تفصيل قصص ولا بسط قصة منها. بل أوجز معنىٰ ما انطوت عليه تلك القصة، فعبر عن ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ فناسب هذا الإيجاز ما بني عليه من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وفي التعبير عن المشار إليهم من المهلكين بالإجرام ـ وهو أكبر موقعاً من الاعتداء ـ ليطابق ذلك الوصف الاعتداء، ولم يوصفوا أيضاً بالكفر، إذ لم يقع به إفصاح فيما تقدم، فكان وصفهم بالإجرام أنسب والله أعلم»(١).

٢٧ـ في بعض أوصاف الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:٢٧].

وهاتان أيضاً من الآيات التي اتفقت فيما قبل الفواصل واختلفت الفواصل.

جاء في ملاك التأويل: «أن الآية الأولى جاءت عقب ما جاء في خبر الكافرين في مكة، وغريب أفعالهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه من التضييق والإحراج، ونقض العهد. وعلى إثر هذه الأفعال أمر الله بقتالهم؛ لأن في قتالهم شفاءَ صدور المؤمنين، فقوله تعالىٰ: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ كأبي سفيان وعكرمة وغيرهم ممن أسلم بعد ما فعلوا الذي فعلوه. وقوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي بما في القتال وفي طي ما جرى من ذلك كله بتقديره السابق أولاً، إذ لا تتحرك إلا بإذنه، وتقدم علمه أولاً، وما في ذلك من الحكمة، وختم أفعالهم السيئة بالأوبة والرجوع إليه سبحانه بسابق سعادة لمن شاءهم له منهم.

---

(١) ملاك التأويل (١: ٥٥٩-٥٦٠).

وأما الآية الثانية فسببها ـ والله أعلم ـ ما جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً، إذ لم يثبت مع رسول الله ﷺ في ذلك اليوم أحد، إذ لم يبرح عليه الصلاة والسلام من مكانه، فلم يثبت معه إلا القليل من العدد القليل، ثم جرى بعد ذلك ما جرى، فختمت الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تأنيباً لمن فر من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبة الله عليهم، وأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم، رحمة من الله سبحانه»[1].

قلت: وهذا الذي ذكره مبني علىٰ إعادة الضمير في اسم الإشارة وما بعده علىٰ المؤمنين، ونص الآية وما قبلها قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٦-٢٧].

فقوله سبحانه: ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يحتمل أمرين:

الأول: علىٰ من يشاء أن يهديه من الكافرين بعد أن أوقع العذاب بهم فيكون ﴿بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ معناه: بعد ذلك التعذيب.

الثاني: علىٰ من يشاء من عباده، وهم الذين فروا عن رسول الله ﷺ أول الأمر، فيكون ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ معناه: بعد ذلك الفرار.

وظاهر صنيع أبي جعفر اختيار الثاني، وهذا الذي اختاره هو خلاف ما عليه معظم المفسرين، إذ قد بحثتُ في تسعة عشر تفسيراً فما وجدت أحداً أشار إلى هذا القول إلا الطبرسي في تفسيره حيث جوز هذا الوجه[2].

---

(١) ملاك التأويل (١: ٥٨٤-٥٨٥).

(٢) جامع البيان (١: ٧٤)، والمحرر الوجيز (٨: ١٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (٨: ١٠٢)، والكشاف (٢: ١٨٣)، ونظم الدرر (٨: ٤٢٧)، وأنوار التنزيل (٣: ٦٤) مع حاشية الكازروني، والبحر المحيط =

وإذا ما أريد عدم اختيار قول أبي جعفر، فالأقرب ـ والله أعلم ـ أن الله تبارك وتعالى أراد أن يبين في مثل هذه المواضع مغفرته ورحمته، مع عزته وحكمته، واختيرت الرحمة في الموضع الثاني؛ لأنه وقع فيه ذكر المؤمنين وما فعلوه مع رسول الله ﷺ، لا أن الخطاب متعلق بهم أصلاً ـ والله أعلم ـ.

٢٨ـ في شأن المستأذنين عن القتال

أـ قوله تعالىٰ: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨٧].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣].

وفي هاتين الآيتين الكلام واحد إلا أن الفاصلة مختلفة.

وفي الجواب عن هذا الاختلاف قال صاحب الدرة: «إن الذين ذكروا بالطَّول، وهو الفضل في النفس والمال، والقدرة علىٰ الجهاد، إنما مالوا إلى الدعة وأخلدوا إلى الراحة وأشفقوا من الحر، ولم يفطنوا أن الراحة في تحمل التعب مع رسول الله ﷺ، وأن الدعة توجد بتحمل المشقة معه، فطلبوا ما كان مطلوبُهم ضدَّه، لو فقهوا له وفطنوا، فكان هنا موضع ﴿يَفۡقَهُونَ ﴾. وأما الآية الأخرى وهي: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُ﴾ أي: العقاب متوجه علىٰ هؤلاء وهم لا يعلمون بما أعد الله لكل ذي عمل محق عمله، ما يعلمه المؤمنون الذين يستجيبون للخروج، والذين تفيض مدامعهم إذا لم يعنهم بالركوب، فلمّا كان بإزائهم في الآيتين اللتين قبل، ذَكَر من تحقق بالدين وعلم الثواب

= (٥: ٢٥-٢٦)، وتفسير القرآن العظيم (٢: ٣٤٦)، والوجيز (٢: ٣٣٦)، وروح المعاني (١٠: ٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٤: ٥٦)، ومحاسن التأويل(٨: ٣٩٤)، والمنار (١٠: ٢٢١)، وتيسير التفسير (٤: ٤٨٢)، وروح البيان (٣: ٤٠٨)، وحاشية الجمل علىٰ الجلالين (٢: ٢٧٤)، والتحرير والتنوير (١٠: ١٥٨-١٥٩)، وفتح القدير (٢: ٣٤٨)، والتفسير الوسيط (١٠: ٩٤)، ومجمع البيان (٥: ٢٨).

والعقاب على اليقين، وخالفهم هؤلاء، نفى عنهم ما أثبته لأولاء وهو العلم. فلذلك جاء في هذا المكان ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾»(١).

وقال الكرماني: «قال في الأولى: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ وفي الثانية: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لأن العلم فوق الفقه، والفعل المسند إلى الله فوق المسند إلى المجهول»(٢)، وهو يريد التفريق بين ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وبين ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

وذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى شيء آخر فقال: «إن قوله: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٦] لما اجتمع ذكر إنزال السورة والإشارة إلى المراد بها بقوله: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ﴾ استدعى ذلك نظر من بلغه هذا المنزل واعتباره وتفهم المقصود به إلى الكمال ليقع الامتثال على وجهه، فلمّا تراموا إلى الخلود إلى الراحة وترك الجهاد الذي تحملت الآية الأمر به، ناسب ذلك أن ينفي عنهم الفهم والتدبر فقيل: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ والتفقه هو التفكر والاعتبار. ولمّا لم يقع في الآية بعد ذكر ما يحتاج إلى تدبره وتفهمه لقرب المعنى المراد منه وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ صرف النفي إلى الحاصل على التفهم وهو العلم فقيل: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾»(٣).

٢٩ـ في وصف الكتاب

أ ـ قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١].

والجواب عن هذا الاختلاف في وصف الكتاب كما قاله أبو جعفر: «إن سورة

---

(١) درة التنزيل ص٢٠٢، وقد نقل الدكتور عبد الفتاح لاشين هذا الكلام في كتابه الفاصلة القرآنية ص١٢٥-١٢٨ دون أن يشير إلى مصدره.

(٢) أسرار التكرار ص١٠٠.

(٣) ملاك التأويل (١: ٥٩٧-٥٩٨).

يونس ذكر فيها من الآيات الكثيرة الدالة علىٰ حكمته سبحانه، من مثل خلق السماوات والأرض، وجعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً، واختلاف الليل والنهار، وغيرها من الآيات التي يعتبر بها، وفيها ذكر لقصص بعض الأنبياء مما يكون محلاً للعظة والاعتبار، ببيان حكمته تعالىٰ في إنجاء رسله وإهلاك المكذبين الكافرين كما حصل في قصتي نوح وموسى عليهما السلام، وكذلك سورة لقمان فإنه ورد فيها من الآيات الدالة علىٰ حكمته من خلق السماوات، وتسخير ما فيها، والأرض وإسباغ النعم علىٰ العباد، ثم بيان حكمته تعالىٰ في انفراده بعلم الغيوب الخمسة، وما تخلل ذلك من قصة لقمان وبيان إيتائه الحكمةَ. كل هذا كان مناسباً لوصف الكتاب بالحكمة في كلتا السورتين.

وأما سورة يوسف عليه السلام فليس فيها إلا تفصيل خبره عليه السلام وبيانه أتم بيان فكان المناسب وصف الكتاب فيها بـ﴿ٱلْمُبِينِ﴾»[١].

وقال ابن عاشور في تفسير سورة يوسف: «ووصف الكتاب هنا بـ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ ووصف به في طالعة سورة يونس بـ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ لأن ذكر وصف إبانته هذا أنسب، إذ كانت القصة التي تضمنتها هذه السورة مفصلة مبينة لأهم ما جرى في مدة يوسف عليه السلام بمصر، فقصته عليه السلام لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن إجمالاً ولا تفصيلاً بخلاف قصص الأنبياء هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب عليهم السلام أجمعين، إذ كانت معروفة لديهم إجمالاً، فلذلك كان مبيناً إياها ومفصلاً»[٢].

٣٠ـ في خطاب النبي ﷺ للناس

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٤].

---

(١) ملاك التأويل (١: ٦٠٦-٦٠٩) بتصرّف.

(٢) التحرير والتنوير (١٢: ٢٠٠).

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

فالنبي ﷺ أُمر ـ كما قال في الأولى ـ أن يكون من المؤمنين، وفي الثانية: من المسلمين.

وفي الجواب عن هذا الاختلاف في المأمور به ـ والله أعلم ـ: «أن آية يونس ورد قبلها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وبعدها: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] وبعدها: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] وبعدها: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].

وبناءً علىٰ هذا، فإن ما تقدم آيةَ يونس من تكرار اسم الإيمان، لا يلائمه إطلاق اسم الإسلام؛ لأن رتبة الإيمان فوق رتبة الإسلام ومقامه أعلى... وأما آية النمل فإن قبلها ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ وهذا يقتضي تسليم كل شيء له، والتبرّي من توهم شريك أو نظير، فناسبه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾»(١)، وما قيل في آخر الكلام يحتاج إلى نظر ـ والله أعلم ـ.

والذي يظهر للباحث أن آية يونس قد عُلقت فيها العبادة بعبادة الله الذي يتوفاهم، ولمّا كان أمر التوفي غيباً ناسبه ذكر الإيمان به سبحانه وبما يصنع بعباده، وأما آية النمل فعلقت العبادة فيها بعبادة رب هذه البلدة ورب كل شيء، والبلدة وكل شيء ـ بعامة ـ من الأمور الظاهرة المكشوفة، وهذا يناسبه ذكر الإسلام لأنه يعني: الانقياد الظاهري والاستسلام لأمر الله تعالىٰ ـ والله أعلم ـ.

٣١ـ في شأن هداية النفوس وضلالها

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

---

(١) ملاك التأويل (١: ٦٣٣) بتصرّف، وانظر درة التنزيل ص٢١٥، وأسرار التكرار ص١٠٥.

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢].

ففي آية يونس وآية النمل كان التقرير واحداً بأن من اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها، ولكن فاصلتي الآيتين اختلفتا، ففي الأولى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾، وفي الثانية: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

قال صاحب الدرة في الجواب عن ذلك: «إنه لما قال في الأولى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن﴾ أي: منفعة اهتدائه له، وهي دوام النعمة والخلود في الجنّة، وقد اقتضى هذا أن يكون في الضلال ضده، فقال: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: ضرر ضلاله عليه، وهو دوام العقاب بأليم العذاب، ثم ختمها بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: وما يلزمني أن أقيكم حر النار وشدة العذاب، كالوكيل الذي يلزمه حفظ ما وكل إليه. وأما الآية الثانية فإنما عدل بها عن ذكر الضلال وخالفت آية يونس لأجل الفاصلة»[(١)].

وقال أبو جعفر: «إن آية يونس مرتبطة بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] فلمّا تقدمها هذا، ومعناه الوارد في قوله في الزمر: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١] فقيل هنا علىٰ لسانه ﷺ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾... وأما آية النمل فإنها راجعة إلى قوله تعالىٰ فيما تقدمها: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ * وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم

---

(١) درة التنزيل ص٢١٦ بتصرّف، وانظر الفاصلة القرآنية ص١١٨-١١٩.

مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل: ٧٩-٨١] فناسب هذا أتم مناسبة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾»[١].

وهذا الكلام غير ظاهر كثيراً للباحث، والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن سورة يونس وقع فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ [يونس: ١٠٧] وهذا يعني أن المرء لا يستطيع التوكل بحفظ نفسه إن أصابها مكروه، وجاء بعدها: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨] وهذا بيان انفصام النفوس وانقسامها إلى هذين القبيلين، ولمّا كان النبي ﷺ أصلاً إنما تحفظ نفسه بحفظ الله تعالىٰ، فقد أخبر أن من يضل فهو موبق نفسه، والنبي ﷺ لا يستطيع كفالتها ولا حراستها من إصابة المكروه، وهذا فيه تهديد ظاهر.

وأما آية النمل فقد تقدمها بيان القبيلين في قوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٩-٩٠] فلمّا جاء ذلك ناسبه ألا يُبيِّنَ القبيلين والقسمين مرة أخرى، فاقتُصِر علىٰ أن من اهتدى فهدايته لنفسه، وأما صاحب الضلال فليس علىٰ النبي ﷺ إلا أن ينذره ويحذره. يظهر هذا إذا عُلم أن سورة النمل سابقة في النزول علىٰ سورة يونس ـ والله أعلم ـ.

٣٢ـ في الحديث عن الكافرين وخسرانهم في الآخرة

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [هود: ٢٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[النحل: ١٠٩].

وفي الجواب عن الفرق بين هذين الوصفين للكافرين قال صاحب الدرة: «إن الآية التي في سورة هود تقدمها قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ

(١) ملاك التأويل (١: ٦٣٦-٦٣٧).

ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾ [هود: ٢٠] وإنما قال:﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ لأنه خبر عن قوم أخبر عنهم بالفعل الذي استحقوا به مضاعفة العذاب في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [هود: ١٩] فإذا صدّوا هم عن الدين صدوداً وصدوا غيرهم عنه صداً، استحقوا تضعيف العذاب؛ لأنهم ضلوا وأضلوا، فهذا موجب الأخسرين دون الخاسرين من طريق المعنىٰ، وههنا ما يضاهيه من طريق اللفظ: وهو أن ما قبله من الفواصل: (يبصرون، ضل عنهم ما كانوا يفترون) فما قبل الواو والنون متحركان لا يعتمدان علىٰ ألف قبلهما، والخاسرون ليس قبله نون وواو متحركان مستندان إلى مَدة قبلهما، فاجتماع المعنىٰ الذي ذكرنا والتوفقه بين الفواصل التي بينا أوجبا[(١)] اختيار الأخسرين في هذا الموضع دون الخاسرين، وأما التي في سورة النحل، فإنها في آية لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم، وإنما قال فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل: ١٠٧] فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب، ثم كانت الفواصل التي حُملت هذه عليها علىٰ وزان: (الكافرين، الغافلين) فاقتضى هذان الشيئان أن يقال: ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ كما اقتضى الشيئان في الأولى المخالفان للشيئين هنا أن يقال: ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾»[(٢)].

هذا هو رأي صاحب الدرة، وأنت تراه وقد جمع بين المناسبة المعنوية واللفظية في تعليل مسلك النظم الكريم في هذا المحل. ومن عجيب ما رأيت أن الكرماني لخص المناسبة المعنوية عن صاحب الدرة ونسبها لنفسه هو، ونسب لصاحب الدرة التعليل بالفاصلة فقط في الآيتين[(٣)]، فسبحان الله الذي لا يغفل ولا ينام. وعلى أي حال فهذا صنيع من الكرماني غير مقبول.

---

(١) استخدام هذه اللفظة في مثل هذا السياق غير لائق مع الله تعالىٰ الذي لا يجب عليه سبحانه شيء.

(٢) درة التنزيل ص٢١٩-٢٢٠، وانظر الفاصلة القرآنية ص١١٩-١٢١.

(٣) أسرار التكرار ص١٠٦.

وقال أبو جعفر ابن الزبير: «إن آية هود قد تقدمها من الآيات ما يُفهم المفاضلة نحو ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [هود: ١٧] وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [هود: ١٨] فناسب هذا الموضع ورود لفظ ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ بصيغة التفاضل. وأما الآية من سورة النحل فليس قبلها شيء يشعر بالتفاضل، وما سبقها من الفواصل متفق في بنائه علىٰ اسم الفاعل المجموع جمع السلامة في قوم متفقي الأحوال في كفرهم، فناسبه ورود لفظ ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ علىٰ هذا البناء»(١).

٣٣ـ في إملاء الله تعالىٰ للكافرين:

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد: ٣٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج: ٤٤].

فجعل في الأولى الفاصلة ﴿عِقَابِ﴾ وفي الثانية بـ﴿نَكِيرِ﴾.

والظاهر ـ والله أعلم ـ: «أن العقاب أشد من النكير، وفي سورة الرعد جاء عن المكذبين قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [الرعد: ٣٢] والاستهزاء أمر إضافي فوق التكذيب، فناسب هذا المحل الإفصاح في شدة العقاب، أما آية الحج فلم يذكر فيها استهزاء، وإنما جاء فيها: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾ [الحج: ٤٢] فلم يخبر سبحانه عنهم إلا بأنهم كذبوا الرسل، ومن المعلوم أن التكذيب غير الاستهزاء، فكان المناسب ذكر النكير في هذا المحل والله أعلم»(٢).

٣٤ـ في محاجة الرسل عليهم السلام لأقوامهم

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٦٥٠-٦٥١) بتصرّف.

(٢) السابق (٢: ٧٠٦-٧٠٧).

قال الكرماني: «قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وبعده: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لأن الإيمان سابق علىٰ التوكل؛ لأن ﴿وَعَلَى﴾ من صفة القدرة، ولأن ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ صفة لشيء. وإنما قدم (ما كسبوا) في هذه السورة؛ لأن الكسب هو المقصود بالذكر، فإن المثل ضرب للعمل، يدل عليه ما قبله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [إبراهيم:١٨]»(١).

وقال الرازي في المسائل: «فإن قيل: كيف كرر تعالىٰ الأمر بالتوكل؟ وكيف قال أولاً: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وقال ثانياً ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾؟ قلنا: الأمر الأول لاستحداث التوكل، والثاني لتثبيت المتوكلين علىٰ ما استحدثوا من توكلهم، فلهذا كرره، وقال أولاً: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وثانياً: ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾»(٢).

قلت: وجواب الرازي هذا كلا جواب، والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى في مجاوبة الرسل لأقوامهم، وفيها بيان أن الرسل لا يستطيعون الإتيان بما يطلبه منهم أقوامهم إلا إذا شاء الله بذلك. وهذا أمر لا يتيقنه إلا المؤمنون. فلذلك حسن الختم بهذا الوصف في هذا المحل.

وأما الآية الثانية فلمّا ذكر فيها: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ حسن الختم بوصف التوكل، فيكون من رد العجز علىٰ الصدر في هذا المحل ـ والله تعالىٰ أعلم ـ.

٣٥ـ في شأن نعم الله تعالىٰ علىٰ الإنسان

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

---

(١) أسرار التكرار ص١١٧.

(٢) مسائل الرازي ص١٥٦.

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

وهاتان آيتان اتفقتا في المتحدَّث عنه من عدم استطاعة إحصاء نعمة الله ولكن اختلفت الفاصلتان.

قال الرازي في التفسير في الفرق بين الموضعين: (ولمّا تأملت فيه لاحت لي فيه دقيقة، كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة، فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها، فحصل لك عند أخذها وصفان: وهما كونك ظلوماً كفاراً، ولي وصفان عند إعطائها وهما كوني غفوراً رحيماً، والمقصود كأنه يقول: إن كنت ظلوماً فأنا غفور، وإن كنت كفاراً فأنا رحيم، أعلم عجزك وقصورك فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء)(١).

وقد تساءل الزركشي عن الحكمة في تخصيص كل من السورتين بما خصصت به، فقال: (إن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جُبل عليه، فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالىٰ وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه)(٢).

وقال أبو حيان في الفرق بين الموضعين: «إنه لما تقدم في سورة إبراهيم قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] وبعده: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [إبراهيم: ٣٠] فكان ذلك نصاً علىٰ ما فعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذي هو الشرك بجعل الأنداد، ناسب أن يختم بذم من وقع ذلك منه فجاء: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، وأما في النحل فلمّا ذكر عدة تفضلات وأطنب فيها، وقال:

---

(١) التفسير الكبير (١٩: ١٣٣)، وقد نقل الزركشي في البرهان هذا الكلام ونسبه لابن المنير (١: ٨٦) ونقله عنه الدكتور عبد الفتاح لاشين ص١٤٩، وانظر الفاصلة للدكتور علي محمد حسن ضمن مجلة الوعي، ع١١٠.

(٢) البرهان (١: ٨٦).

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: ١٧] أي: من أوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر علىٰ الخلق ولا علىٰ شيء منه، ذكر من تفضلاته اتصافه بالعذاب[١] والرحمة تحريضاً علىٰ الرجوع إليه، وإن هاتين الصفتين هو متصف بهما كما هو متصف بالخلق، ففي ذلك إطماع لمن آمن به، وانتقل من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، أنه يغفر زَلَلَه السابق ويرحمه، وأيضاً فإنه لما ذكر أنه تعالىٰ هو المتفضل بالنعم علىٰ الإنسان ذكر ما حصل من المنعِم، ومن جنس المنعَم عليه، فحصل من المنعِم ما يناسب حالة عطائه وهو الغفران والرحمة، إذ لولاهما لما أنعم عليه. وحصل من جنس المنعَم عليه ما لا يناسب حالة الإنعام عليه، وهو الظلم والكفران، فكأنه قيل: إن صدر من الإنسان ظلم فالله غفور، أو كفران نعمه فالله رحيم، لعلمه بعجز الإنسان وقصوره. ودعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت إليها»[٢].

ونقل الآلوسي كلام أبي حيان السابق وأعقبه بقوله: (وفيه بحث)، ولم يُبين هذا البحث. ثم قال: (وقيل: إنما ختم سبحانه آية النحل بما ختم للإطناب هناك في ذكر النعم، مع تقدم الدعوة إلى الشكر صريحاً، فكان ذلك مظنة التقصير فيه، ويناسب الإطناب في سرد النعم أن يذكر معها ما يتعلق بذلك وهو الغفران والرحمة فتأمل!)[٣].

وقال أبو جعفر ابن الزبير: «إن آية إبراهيم عليه السلام تقدمها قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ... ﴾ ثم قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ثم ذكر إنعامه علىٰ عباده في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢] فناسب ما ذكره تعالىٰ من توالي إنعامه، ودرور إحسانه، ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل، وجعل الأنداد، وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار. أما آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه عباده المؤمنين من توالي آلائه

---

(١) هكذا هي، وظاهرٌ أن صوابها: الغفران.

(٢) البحر (٥: ٤٢٨-٤٣٩).

(٣) روح المعاني (٣: ٢٣٠).

وإحسانه وما ابتدأهم به من نعمه ـ فناسب ذكر النعم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾»(١).

والذي يظهر للباحث أن أحسن شيء في هذا الباب هو ما ذكره البقاعي حيث قال: «ولمّا كان أكثر سورة إبراهيم في بيان الكفرة ومآلهم وبيان أن أكثر الخلق هالك معرض عما يأتيه من نعمة الهداية علىٰ أيدي الرسل الدعاة إلى من له جميع النعم للحياة الطيبة بسعادة الدارين، ختم الآية ببيان ما اقتضى ذلك من صفات الإنسان: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾وختم مثل ذلك في سورة النحل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لأن تلك سورة النعم، بُدِئَت بالنهي عن استعجال العذاب؛ لأن الرحمة أسبق. ومن الرحمة إمهال الناس، وإمتاعهم بالمنافع، فالتقدير إذن هناك: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ولكن ربه لا يعاجله بالعقوبة؛ لأنه غفور رحيم، وأما سورة إبراهيم فإنها بُدِئَت بأن الناس في الظلمات»(٢).

٣٦ـ في شأن أجر المؤمنين العاملين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].

فاختلف الحديث عن الأجر المبشَّر به في كلتا الآيتين. وفي الجواب عن هذا الاختلاف ذهب الكرماني إلى أن سبب المخالفة في فاصلتي الآيتين هو مراعاة الفاصلة في كلتا السورتين(٣)، وتبعه علىٰ هذا زكريا الأنصاري في فتح الرحمن(٤).

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٧١٩-٧٢٠)، وفي التحرير والتنوير قريب من هذا ملخصاً (١٤: ١٢٤).

(٢) نظم الدرر (١٠: ٤٢٢-٤٢٣).

(٣) أسرار التكرار ص١٢٧.

(٤) فتح الرحمن ٣١٩.

قلت: وقد مر مراراً أن الاقتصار في تعليل مسالك النظم الكريم علىٰ هذا النحو مما لا ينبغي الوقوف عنده، والذي يظهر لي أن هناك فارقاً كبيراً بين الموضعين، وحاصل هذا الفارق ما يلي:

أن سورة الإسراء والتي من أسمائها (بني إسرائيل) قد تحدثت بتفصيل ظاهر عن إفساد بني إسرائيل، وفي ضمن هذا يشعر القارئ للقرآن الكريم بمعاناة المؤمنين من هذه الطائفة المجرمة، ولمّا كان المتمسكون بالقرآن وبهدي الرحمن هم ممّن صب اليهود عليهم جام غضبهم، فهم أكثر الناس تضرراً من اليهود وبلاياهم، ولا أدل علىٰ ذلك مما يحدث في فلسطين الآن، ولمّا كانت المعاناة كبيرة ناسبها وصف الأجر بـ﴿كَبِيرًا﴾ لتُشحذ همم المؤمنين ويزدادوا استمساكاً بكتاب الله الكريم..

وأما سورة الكهف فليس فيها شيء من هذا. ولذلك ختمت الآية بوصف الأجر فيها بـ﴿حَسَنًا﴾ بياناً لإحسان الله تعالىٰ بتفضله ـ والله أعلم ـ. هذا ما انقدح للباحث في الفرق بين الموضعين. ولا أعلم أن أحداً ذكره، فإن أصبت فمن الله وحده بالتوفيق، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأستغفر الله وأتوب إليه.

٣٧ـ في توحيد الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

فهاتان آيتان في موضوع واحد ولكن اختلفت فيهما الفاصلة.

والجواب عن هذا الاختلاف: (أن هاتين الآيتين وإن تشابهت إلى حد كبير ألفاظهما ما عدا الفواصل، فهما ليستا في مورد واحد، فالأولى منهما في الدنيا حيث يصير الإنسان الكافر بهذا الوصف. وأما الثانية فهي عبارة عن الجزاء في دار الآخرة والعياذ بالله تعالىٰ

من ذلك)[١]. وبناءً علىٰ هذا فالثانية أشد من الأولى؛ لأن فيها الجزاء[٢]. ويمكن أن يقال إن الآية الأولى في شأن الدنيا وهي توضح أوزار الشرك وقِيَم التوحيد والإيمان، فالمشرك مذموم مخذول بعيد عن الواقع أسير الهوى متردد حائر بعيد عن المؤمنين، ولهذا جاء فيها ما جاء، وأما الثانية فليس فيها سوى بيان حسن الجزاء.

٣٨ـ حول جزاء المختلفين من الأحزاب

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم: ٣٧].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٦٥].

وهاتان الآيتان في شأن قوم عيسى عليه السلام، واختلافهم فيه، وفيما جاء به. فمرة وصفهم الله بالكفر، ومرة بالظلم، وأتبع كلا الوصفين بفاصلة غير الأخرى.

(والوصف بما في سورة مريم أعظم من الوصف في سورة الزخرف، ففي سورة مريم وصفهم الله تعالىٰ بالكفر؛ لأن تلك السورة فصَّلت القصة، وذكرت أنهم جعلوا عيسى عليه السلام ابناً لله، تعالىٰ عما يقولون علواً كبيراً، وهذا أشنع الكفر فاستحقوا الوصف بالكفر بناءً علىٰ هذا المذكور، ثم استحقوا عليه التهديد العظيم الملائم لزعمهم الكاذب. وأما في سورة الزخرف فالقصة مجملة ولم تذكر فيها تلك العظيمة، فوصفهم هنا بالظلم، وهو أخف من الكفر، وأتبعه بالتهديد الملائم له)[٣].

وهذا الكلام قد ذكر مثله صاحب ملاك التأويل، وقد فطنتُ الآن إلى أنه تناقض

---

(١) التفسير الكبير (٢٠: ٢١٦)، وانظر أسرار التكرار ص١٢٧.

(٢) نظم الدرر (١١: ٤١٨).

(٣) درة التنزيل ص٢٨٩-٢٩٠، وأسرار التكرار ص١٣٧، وملاك التأويل (٢: ٧٩٥-٧٩٧).

مع نفسه بجعله الفسق أعظم شيء في الوصف عندما فسر قوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] فليتنبه لهذا، وجل ربنا تبارك وتعالى عن السهو والغلط.

ويمكن أن يقال: إن سورة مريم جاءت بالمشاهد الكثيرة مع مريم، وهناك مشهد سيكون أعظم منها جميعاً، فلهذا جاء في هذه السورة ما جاء.

٣٩ـ في تطمين العاملين للصالحات

أـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وهاتان الآيتان موردهما واحد، غير أن مقصد كل سورة من السورتين الوارد فيهما تانِك الآيتان غير متحد.

فسورة طه مقصودها: (إعلام الداعي ﷺ بإقبال المدعوين والترفق إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرفه عليه الصلاة والسلام)[١].

وفي هذا من الإيناس ما فيه، لذلك ناسبه ما جاء في هذه الآية أتم المناسبة من نفي الظلم والهضم للأعمال، مما يعني التشجيع والمسارعة إلى العمل الطيب.

وأما سورة الأنبياء فلمّا كان مقصودها الاستدلال علىٰ تحقق الساعة وقربها، ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها علىٰ الجليل والحقير، لأن موجدها[٢] لا شريك له يعوقه عنها،

---

(١) مصاعد النظر (٢: ٢٧١).

(٢) في الأصل موجودها.

وهو من لا يبدَّل القول لديه[١]، ولمّا كان الأمر علىٰ ذلك، ناسبها الإخبار عن أن الأعمال غير مخفية ـ لأن من معاني كفر: التغطية ـ وهي مكتوبة، ليكون هذا متلائماً مع المقصد أتم الملاءمة ـ والله أعلم ـ.

٤٠ـ في الإخبار عن المعرضين عن ذكر الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥].

فأخبر أنهم ﴿يَلْعَبُونَ ﴾ في إحدى الآيتين، وفي الأخرى بأنهم ﴿مُّعْرِضُونَ ﴾.

والجواب عن هاتين الآيتين ـ والله أعلم ـ أنه لما ذكر في الأولى منهما أن الذكر آتيهم من ربهم المعني بتربيتهم، والقيام علىٰ أمورهم، فهو خالقهم ومدبر أمورهم، لما ذكر ذلك وأراد بيان سوء حالهم، ذكر استماعهم للقرآن وهم يلعبون، بدل أن يستمعوا وهم منصتون، وهذا من عظيم شنائعهم. وأما الآية الثانية فذكر فيها إنزال الذكر من الرحمن صاحب الرحمة تعالىٰ، فكان الحري لو كانوا يعقلون أن يُقبلوا إليه، ولكنهم ـ لفساد ما عندهم ـ أعرضوا عنه. فكان في كل آية خاتمة تناسبها ـ والله أعلم ـ.

٤١ـ في شأن هذه الأمة وأمم الأنبياء عليهم السلام

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وجاء عقبه: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٣].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

---

(١) مصاعد النظر (٢: ٢٨٦).

وجاء عقبه: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

أما وجه ختام الآية (٩٢) من الأنبياء والآية (٥٢) من المؤمنون. فقال أبو حيان: «وجاء ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ وهو أبلغ في التخويف والتحذير من قوله في الأنبياء، ﴿فَٱعۡبُدُونِ ﴾ لأن هذه ـ أي: آية القصص ـ جاءت عقيب إهلاك طوائفَ كثيرين من قوم نوح والأمم الذين من بعدهم، وفي الأنبياء وإن تقدمت أيضاً قصة نوح وما قبلها فإنه جاء بعدها ما يدل علىٰ الإحسان واللطف التام في قصة أيوب، ويونس، وزكريا، ومريم، فناسب الأمر بالعبادة لمن هذه صفته تعالى»[١].

والظاهر من قول أبي حيان هذا أنه يجعل مورد الآيتين واحداً. وجعل الآلوسي الخطاب في الأولى للناس كافة[٢] وفي الثانية للرسل عليهم السلام[٣].

هذا، وقد اعترض الآلوسي علىٰ أبي حيان قوله السابق فقال: (وما ذكره أولاً ـ يعني أن آية القصص أبلغ ـ غير وافٍ بالمقصود، وما ذكره ثانياً ـ من وجه الاختلاف بين الآيتين ـ قيل عليه: إنه مبني علىٰ أن الآية تذييل للقصص السابقة، أو لقصة عيسى عليه السلام، لا ابتداء كلام. فإنه حينئذ لا يفيد ذلك، إلا أن يراد أنه وقع في الحكاية لهذه المناسبة فتأمل)[٤].

وذهب صاحب الدرة إلى أن الخطاب في الأولى لغير المؤمنين، وفي الثانية للرسل عليهم السلام، ثم قال في وجه مناسبة فاصلة كل آية لآيتها: «إن قوله: ﴿فَٱعۡبُدُونِ ﴾ خطاب للفرق التي تفرقت في طرق الباطل ولم تُخلص العبادة لله، فنبأهم إلى أن يعبدوه،

---

(١) البحر المحيط (٦: ٤٩)، وأصل الكلام من ملاك التأويل كما سيأتي.

(٢) روح المعاني (١٧: ٨٩).

(٣) السابق (١٨: ٤٠).

(٤) السابق (١٨: ٤٢).

وأما الثانية فهي خطاب للرسل عليهم السلام لكون ذلك جاء صريحاً في الآية قبلها، وقد جاء في خطاب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والمؤمنين والصالحين. بعد ثم[1] اتقوا الله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]... فلمّا كان أكثرَ من خوطب في السورة الأخيرة الأنبياء والمؤمنون، وهم يعبدون الله جل ذكره، وضُمّ إليهم غيرهم من الفرق، وغلبوا عليهم، فخوطبوا بما يخاطب به المؤمنون وهو ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إذ كان أكثرهم له عابدين، ومعنىٰ اتقوه: احترزوا بطاعته مما أعده لأهل معصيته، وامتنعوا بموجبات الثواب عن موجبات العقاب»[2].

وذهب صاحب ملاك التأويل إلى أن مورد الخطاب في الآيتين واحد، واستند في هذا إلى ما نقله عن الزمخشري، ثم أضاف في بيان الفرق بين الموضعين ما حاصله:

«١ـ أن سورة الأنبياء، لم يرد فيها لفظ التقوى في أمر ولا خبر من أولها إلى آخرها، وورد فيها الأمر بالعبادة في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [٢٥]. وأما سورة المؤمنون فتكرر فيها لفظ التقوى ثلاث مرات، في قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٢٣]، وقوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٣٢]، وفي قوله: ﴿قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٨٧].

٢ـ أن سورة الأنبياء نازلة قبل سورة المؤمنون، فناسبها ذكر العبادة فيها علىٰ التقوى؛ لأن العبادة مقدِّمة للتقوى وليس العكس.

٣ـ أن الوارد في سورة الأنبياء من القصص كان مقصوراً علىٰ ذكر منحهم وتخليصهم وتأييدهم، إذ قد اقتصر في قصصهم في هذه السورة علىٰ ما يطلع المؤمنين علىٰ تكفّله

(١) هكذا في المطبوع ص٣٠٥، والمخطوط ورقة ١٣٩ ب، ولعل صوابها: (بعدهم).

(٢) درة التنزيل ص٣٠٥-٣٠٦، وتبعه الكرماني غير أنه جعل الخطاب في الثانية للنبي ﷺ.

سبحانه بالمصطَفَيْنَ من عباده، وما اختصهم به، ولم يرد مع ذلك تكذيب قومهم لهم، ولا ما يرجع إلى هذا. وكل هذا تأنيس وذكر نعم وآلاءٍ وألطاف يناسبها قوله: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ لكونه أمراً بالعبادة مجرداً عما في قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ من التخويف.

وأما الوارد في سورة المؤمنون فمتضمن الطرف المعدول عنه في سورة الأنبياء، وهو ذكر جواب الأمم للرسل وقبيح تكذيبهم إياهم وشنيع ردهم وقبيح فعالهم... فناسب هذا المذكور هنا التخويف بقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾»[1].

قلت: وغير ظاهر لدي قوله: إن في لفظ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ تخويفاً وليس في ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ كذلك، بل غير ظاهر لدي التخويف أصلاً، اللهم إلا عند المخالفة للأوامر، وهذا يستوي فيه كل فعل أمر.

ويظهر لي أن في سورة المؤمنون ما ليس في السورة الأخرى، إذ إن قوله فيها: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ ورد عقب الأمر بالأكل من الطيبات والعمل الصالح ومراقبة الله. ومما يعين علىٰ هذه الأشياء التقوى، فلذلك أعقبت الآية بما أعقبت به ـ والله أعلم ـ.

وأما ما أعقبت به هاتان الآيتان مما أخبر الله تعالىٰ عنه من تقطيع الأقوام وتفرقهم، فقد أجاب عنه أبو جعفر بقوله: «وأما تعقيب آية الأنبياء بقوله: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ وإن كان وعيداً وتهديداً، فليس في شدة التهديد ومخوف الوعيد كالواقع في سورة المؤمنون، يوضح ذلك ويبـينه ما اتصل بكل من الآيتين من قوله في الأنبياء: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤] فذكر عند رجوعهم إليه سبحانه جزاء من أصاب وأحسن، وطوى الكلام عن الإفصاح بحكم الطرف الآخر من ذكر من أساء، فلم يجر لهم ذكر مفصَح به كما في الطرف الآخر، ومع أن إجمال قوله: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ يقتضي أن لو قيل: فالمؤمن حكمه كذا والكافر حكمه كذا، ولكن ليس كالمفصح، فلمّا كان في آية الأنبياء ما قد بين من إغضاء يناسب هذا التأنيس،

(١) ملاك التأويل (٢: ٨٤٨-٨٥١) بتصرّف.

ناسب ذلك إغضاء الكرم وعدم ذكر نقيض الإحسان، فليست الآيتان بمتساويتين»[١].

قلت: وجوابه هنا منسحب علىٰ أن مورد الخطاب في الآيتين واحد. وأما إذا مشى الكلام علىٰ ما ذهب إليه صاحب الدرة فليس الجواب قوياً من أصله.

والذي يظهر حسب الاختلاف في مورد الخطاب أن آية الأنبياء المتحدثة في الخطاب إلى الناس كافة أو إلى المشركين منهم، أخبرت عن تفرق المشركين الذين لم يكن يربطهم دين ولا تضمهم شريعة، فكان تفرقهم عن غير هدىً، فأخبر سبحانه عنهم أن مرجعهم بعد ذلك إليه ليجازي من أساء بإساءته ويحسن إلى من قد أحسن.

وأما الوارد في آية المؤمنون فخبر عن أمم الأنبياء التي تفرقت بعد هداية، وتمزقت بعد أن كان عندها ما يحفزها علىٰ أن تكون كلمتها واحدة، ولا شك أن مثل هذا التفرق أشد مما أخبر به عن الأولين، وهنا تظهر قضية فرح كل حزب بما لديه؛ لأن التفرق حصل بعد بيان، فأخبر الله تعالىٰ فيما بعد ذلك عنهم بقوله مهدداً: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [٥٤] ـ والله تعالىٰ أعلم ـ.

وبهذا يظهر أن مجموع الآيات في سورة المؤمنون يحمل في طياته من التهديد ما لم يحمله ما ورد في سورة الأنبياء، لا أن لفظ ﴿فَاتَّقُونِ﴾ نفسه أكثر تخويفاً من لفظ ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ فإن هذا غير ظاهر كما مر.

وإذا ما جرينا علىٰ أن الخطاب في الآيتين مورده واحد. فلعل ما ورد في سورة المؤمنون من قوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ يتناسب تمام المناسبة مع مقصود السورة، إذ إن مقصودها كما يقول البقاعي: (اختصاص المؤمنين بالفلاح)[٢]. ولا شك أن التقوى هي عنوان الفلاح، وهذا ما لا يوجد في لفظ ﴿فَاعْبُدُونِ﴾.

ويمكن أن يقال: إن آية الأنبياء جاءت بالأدلة الكثيرة التي تثبت البعث، وما ذكر

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٨٥٤-٨٥٥) بتصرّف.

(٢) مصاعد النظر (٢: ٣٠٣).

من قصص الأنبياء وما يتصل بها، فموضوع السورة قضية الرجوع، وأما سورة المؤمنون فقد ذكرت أقوام الأنبياء وكيف اختلفوا: المترفون مع غيرهم، والمؤمنون مع غيرهم، ولهذا ظهرت الحزبية هنا فناسبها ما ذكر ـ والله أعلم ـ أفدناه من شيخنا.

٤٢ـ في شأن أصحاب النار:

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة:٢٠].

فاختلف في هاتين الآيتين الخبر عن الجزاء مع أن ما تقدمه واحد.

فقال أبو جعفر: «إن آية السجدة لما قيل فيها ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾، والفسق: الخروج، وقد يكون إلى معصية دون الكفر، ويكون إلى الكفر وهو المراد هنا، فأعقبت الآية بما يرفع الاحتمال ويوضح أن فسقهم إلى الكفر حين كذبوا بالوعد والوعيد الأخراوي، فقيل لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾. وأما آية الحج فتقدم قبلها ذكر الإفصاح بكفرهم في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [١٩] فلم يحتج إلى التعريف الوارد في سورة السجدة ـ والله تعالىٰ أعلم ـ»[1].

ويمكن أن يقال: إن آية الحج ذكر قبلها ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ وهذه الثياب المقطعة يناسبها الحريق، ولم يكن هذا في السورة الأخرى.

٤٣ـ في جزاء المؤمنين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الحج: ٤٩-٥٠].

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٨٦٠).

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ * ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الحج: ٥٥-٥٦].

فهاتان الآيتان (٥٠) و(٥٦) في جزاء الذين آمنوا، لكن ورد الجزاء في كل آية بغير ما في الأخرى.

والجواب عن هذا الاختلاف: (أن الآية الأولى خبر عن حال القوم في الدنيا، بدليل ما قبلها من إرسال النبي لهم لأجل الإنذار، ثم قال بعد هذا: فالذين آمنوا وُعِدوا بالغفران والرزق الكريم، ولم يجز أن يقال: هم في جنات النعيم، إلا علىٰ ضرب من المجاز أنهم مستحقون لها فكأنهم فيها، وليس كذلك الآيةُ الثانية؛ لأنها خبر عن الحال في الآخرة، بدليل ما قبلها، إذ معناها: يوم القيامة يكونون في دار الثواب)[1].

وقد نقل صاحب ملاك التأويل هذا الكلام وغيّر فيه وبدّل، وفي ضمن ما قال: إن الآية الأولى إجمال والثانية تفصيل لهذا الإجمال، فكأنهم قالوا: وما الرزق الكريم؟ فقيل: لهم جنات النعيم[2].

قلت: ولا يخفى أن الوجه الأول أوجه. ويمكن أن يقال: في الآية الأولى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ فمن استمع استمع إلى هذه الرسالة فكان جزاؤه المذكور في هذه الآية. وأما الثانية ففيها ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ فهذا نص على الآخرة فناسبه ما ذكر.

٤٤ـ في خطاب الرسل عليهم السلام

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

---

(١) درة التنزيل ص٣١١-٣١٢.

(٢) ملاك التأويل (٢: ٨٦٤-٨٦٥).

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [سبأ: ١١] وذلك بعد إخبار الله تعالىٰ بتفضله علىٰ داود عليه السلام.

وفي الجواب عن اختلاف فاصلتي الآيتين قال الكرماني: (إن هذا الاختلاف لأجل الفاصلة)(١).

وهذا الذي ذهب إليه الكرماني لا يصلح وحدَه جواباً علىٰ مثل هذه الاختلافات، والذي يظهر لي أن ما جاء في سورة سبأ يتناسب مع مقصود السورة، إذ كان التركيز الأكبر فيها يدور حول قضية البعث والجزاء، فكان التعبير بـ﴿بَصِيرٞ﴾من صفات الخالق يتناسب مع تحذير العباد من أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن أعمالهم بمحل النظر وسوف يسألون عنها ـ والله أعلم ـ.

ويمكن أن يقال: إن آية المؤمنون الخطاب فيها للرسل وأعمالهم الظاهرة لا تكون إلا خيراً، ولكن الأعمال الباطنة لا يعلمها إلا العليم، وفيها بيان أنه تعالى مطلع على أعمالهم فناسبه الفصل بقوله ﴿عَلِيمٞ﴾ وأما الثانية فالأعمال فيها كلها ظاهرة وهذا إنما يناسبه ﴿بَصِيرٞ﴾ فلذلك ختمت به.

٤٥ـ في شأن الكافرين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧].

وكلتا الآيتين كما هو ظاهر خبر عن أقوال الكفار بشأن البعث والنشور، فأشار النصان إلى اختلاف تلك العبارات مع أن المعنىٰ والمقصود واحد.

والجواب عن هذا ـ والله أعلم ـ: أنه لا يمتنع أن يكون هذا الكلام صدِّر بمثل

(١) أسرار التكرار ص١٤٨.

هاتين الكيفيتين المختلفتين من حيث الظاهر، وإلا فالبعث والإخراج مآلهما شيء واحد، فعبّر في إحدى السورتين بأحد التعبيرين وعبّر في الأخرى بالآخر.

والمتتبع لسور القرآن وآياته يجد أن مثل هذا الكلام المحكي بالصور المختلفة، يختار الله سبحانه وتعالى منه ما يتلاءم مع طبيعة السورة ومقصدها. وسورة المؤمنون ذكر فيها ما يتعلق بخلق الإنسان وإنشاء أطواره. ثم ذكر فيها إنشاء الجنات [١٨] وإنشاء القرون الآخرين [٣٦]، وذكر فيها النفخ في الصور الذي هو أحد دلائل البعث. وهذه المذكورات كلها يتناسب معها لفظ البعث، والذي يعني: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن لَيْسَ[١] ذلك يختص به تعالىٰ، ولا يقدر عليه أحد.

فهذه كلها تتناسب مع هذه الكلمة، فلمّا ذكر عن الكفار ما قالوه، ناسب هذا اختيار هذه الجملة هنا. ولم يكن للفظ الإخراج تلك الملاءمة في هذا المحل، ويضاف إلىٰ هذا كله أن هذه السورة ـ المؤمنون ـ فيها خصوصية لهؤلاء الموصوفين بذلك، إذ من مقومات إيمانهم وركائزه التصديق بالبعث الذي هو عَلَم علىٰ الساعة أو اليوم الآخر، بخلاف لفظ الإخراج.

وأمّا سورة النمل فلمّا كان مقصودها (إظهار العلم والحكمة)[٢] وجاء في ثناياها قول المشركين ذاك، ناسبه اختيار وصف الخروج الملائم لوصف الإظهار ـ والله تعالىٰ أعلم ـ.

٤٦ـ في بعض شأن الله تعالىٰ

أـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

---

(١) أي: عن غير مثال سابق، فإن (ليس) معناه: لا أيسَ، فطُرحت الهمزة وألزقت اللام الياء، ومعنى: لا أيس، أي: لا وُجد وكان. وأيسٌ: كلمة قد أميتت، إلا أنهم يقولون: «ائتني به من حيث أيسَ وليسَ».

(٢) مصاعد النظر (٢: ٣٣٣).

والجواب عن ذلك كما يقول صاحب الدرة: «لمّا ذكر في أول السورة حد الزنا والقذف، وختم ذلك بقذف الرجل امرأته والحكم فيه، اعتد عليهم بأن أمهلهم ليتوبوا، ولم يعاجلهم بالعقوبة علىٰ ما قارفوا فقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ وأنه يرجع إلىٰ مَن رجع إليه، وأن من تاب تاب الله عليه، لعجّل إهلاككم ورمىٰ بكم إلىٰ العقاب الدائم والعذاب الواصب... وأمّا الآية الثانية فمعناها: لولا أن الله أنعم عليكم ورحمكم وقد أجرىٰ حكمه بأن يرحم أمثالكم ويرأف بكم لَمَا أبقاكم عند هذا الذنب الكبير والإفك العظيم.. والأول مطلق غير محصور علىٰ قوم بأعيانهم، وإنّما المراد مَن فعل ذلك منكم فحدّه كذا كذا في الدنيا، وعذاب دائم في الآخرة، ومخاطبة أهل الإفك ـ لأقوام معينين أكبر لعظم ذنبهم ـ وأنهم لم يهلكوا لرأفته بهم»[(١)].

وفي روح المعاني: (أن في التعقيب بالرؤوف الرحيم بدل التواب الحكيم ما يؤذن بأن الذنب في هذا أعظم، وكأنه لا يرتفع إلاّ بمحض رأفته تعالىٰ، وهذا أعظم من أن يرتفع بالتوبة)[(٢)].

٤٧ـ في شأن الحياة الدنيا

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص: ٦٠].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦].

لم أجد مَن عَرَضَ لهذا المحل سوىٰ أبي جعفر ابن الزبير حيث قال: «إن قوله تعالىٰ في آية القصص: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ملتحم أوضح التحام بما اتصل به من قوله: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾

(١) درة التنزيل، ص٣٢١-٣٢٢.

(٢) روح المعاني (١٨: ١٢٣).

[القصص: ٦١] فكأنْ قد قيل بعد قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾، فكأن قد قيل: أفلا تعقلون ما بين الأمرين، ثم أخبر بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب الذي لا آخر له، فقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من تمام ما قبله، وذلك بيّن التناسب. ولمّا ورد قبل أية الشورىٰ: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧] وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورىٰ: ١٣] إلىٰ قوله: ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورىٰ: ١٥] وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، وقوله: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الشورىٰ: ٢٢] وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣١] ناسب هذا المتقدم من التخويف ما ينبئ المؤمنين المستجيبين بأصناف قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾بقوله تعالىٰ: وَأَبْقَىٰ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: صدَّقوا بكل هذا، وعلىٰ انفراده سبحانه بالخلق والأمر، فتوكلوا عليه، فأعقبت كل آية منها بما يناسبها ووردت علىٰ ما يجب والله أعلم»[1].

قلت: وهذا جواب كما تراه.

ويمكن أن يقال: إن آية القصص إن ما تقدمها من الأمور إنما هي أمور عقلية، والحكم فيها إلى العقل، فناسب هذا الختم بـ﴿تَعْقِلُونَ﴾ وأما آية الشورى فالمذكور قبلها من آيات الدنيا أشياء كثيرة، ثم بين لهم أن عطاء الآخرة أعظم من هذا العطاء الدنيوي؛ ذلك أن الذي في الدنيا متاع زائل، ولا ينالُ ما عند الله إلا مَن توكل عليه، فناسبه هذا الختام، والله أعلم.

٤٨ـ في شأن الجاحدين بآيات الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٩٠٩-٩١٠).

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال صاحب الدرة في الجواب عن هذا الاختلاف: (إن من جحد آيات الله فقد كفر نعمته، وهذا أول ما يفعله؛ لأن ذلك متعلق بما قبله ممن تولىٰ خلقه وأنعم عليه بما استوجب به شكره، فأول فعله كفر نعم الله، ثم إنه مسيء إلىٰ نفسه، ظالم بأنه أبدلها من النعيم الذي عرض له عذاباً لا يطيقه، فكفره أول في الذكر، وظلمه ثان؛ لأنه فوت على نفسه عظيم الأجر آخراً في العمل، فقدم الكافرين علىٰ الظالمين)(١). وكأن صاحب الدرة يشير إلى الترقي في هاتين الآيتين من الأدنى إلى الأعلى أو من المقدم إلى التالي.

٤٩ـ في شأن المفترين والمكذبين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٣٢].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠].

أمّا الآيتان الأولىٰ والثانية فظاهر أن المراد كتمانه الحق والصدق لما وصل إليه وعرفه، والستر والكتمان هو صنع الكفار، فناسبه ختم الآيتين بالوعيد الشديد لمن هذه صفته.

وأمّا الآية الثالثة: فقد جاء قبلها: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٩] فعماد كفره كونُه كان من المكذبين المستكبرين، ولمّا كان في الدنيا إنّما يعرف بهذه العلامة، وهي التطاول كبراً علىٰ عباد الله، ناسب أن تكون له علامة يوم القيامة تفضحه فقال سبحانه: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ يعرفون بها في ذلك الموقف،

(١) درة التنزيل، ص٣٥٤، وملاك التأويل (٢: ٩١٩-٩٢٠).

فيقال: هذا جزاء المتكبرين، فكان وصف المتكبرين ألصق بختام هذه الآية مما سبقها، والله تعالىٰ أعلم.

٥٠ـ في شأن سنّة الله تعالىٰ في الذين خلوا من قبل

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

والجواب عن هذا الاختلاف كما يقول أبو جعفر: «إن الآية الأولىٰ جاءت عقب قصة زينب أم المؤمنين وزيد بن الحارثة، وما جرىٰ في ذلك إلىٰ أن تزوجها رسول الله ﷺ. فهذه الآية تأنيس لرسول الله ﷺ، وبيان له بأن تلك سنّة الله سبحانه في عباده شاءها وقدّرها حكماً ثابتاً فيمن تقدم من الرسل والأنبياء عليهم السلام ومن اهتدىٰ بهديهم، والمعنىٰ: لا حرج عليك يا محمد، فلا تصغِ إلىٰ قول منافق يقول: تزوج محمد حليلة ابنه، فإن زيداً ليس ابنك...»[1].

وأمّا الآية الثانية فهي تعقيب علىٰ بيان سوء المنافقين بقوله سبحانه: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١] فأراد الله سبحانه إعلام نبيّه أن هذه سنّته مع من هم مثل هؤلاء، وأنها غير مبدلة، فجاءت الفاصلة علىٰ أتم المراد بقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾»[2].

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٩٤٨-٩٥٢)، وانظر نظم الدرر (١٥: ٣٦١-٣٦٢).

(٢) السابق (٢: ٩٥٢).

٥١ـ في شأن إنكار الكفار للبعث

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٥-١٦].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥١-٥٣].

والجواب عن هذا الاختلاف بين فواصل الآيتين الأخيرتين: أن ما ورد أولاً إنّما هو حكاية الكافرين المنكرين للبعث، وأما الثاني فهو قول أحد الفريقين المتقاولينَ في شأن الآخرة، وما يخص الحساب والجزاء ووقوعه، وأن أحدهما أخبر عن صاحبه بأنه كان ينكر أن يحيا ويدان بما صنع، وهو الذي رآه ـ والعياذ بالله ـ في سواء الجحيم[١].

٥٢ـ في شأن عجب الكافرين من مجيء منذر منهم

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢].

والجواب ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أن آية (ص) قد أُعقبت بقوله سبحانه: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وكون الآلهة أمراً مرئياً وهي متعددة، فلا يحيلها في نظرهم إلىٰ شيء واحد إلاّ ساحر يكذب عليهم ـ قاتلهم الله ـ فناسب التصريح بكلامهم هذا في هذا المحل. وأمّا آية (ق) فجاء بعدها: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] فهم استغربوا الموت واستعجبوه، ولمّا كان البعث ليس مرئياً بالنسبة لهم اقتصر من كلامهم علىٰ الاستغراب والاستعجاب. وهذا يدل علىٰ أنهم قالوا كلا الكلامين في وقتين

---

(١) درة التنزيل، ص٣٩٣-٣٩٤، وملاك التأويل (٢: ٩٥٧-٩٥٨)، وأسرار التكرار، ص١٧٩، بتصرّف في المنقول منها جميعاً.

مختلفين أو في سعة من وقت واحد والله أعلم[١]. وواضح في هذا أن سياق كلتا الآيتين متناسب معهما تماماً، وتأمل سورة (ق) فإن ما سبقها حديث عن إنكارهم البعث وعجبهم من وقوعه فناسبه ما ذكر.

٥٣ـ في شأن عاقبة مكذبي الرسل

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤].

ذهب صاحب الدرة إلىٰ أن اختلاف الفاصلتين هنا لأجل مراعاة التناسب بين الآية وسورتها ـ مراعاة الفواصل ـ وتبعه علىٰ هذا صاحب ملاك التأويل والكرماني[٢].

وقال البقاعي: «إنه لمّا كان السياق في سورة (ص) للشقاق والإذعان للذكر الذي هو الموعظة ذات الشرف و:

لا يَسلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذىٰ حتىٰ يُراقَ علىٰ جوانبه الدمُ

كان الحال مقتضياً للعقوبة. بخلاف ما في سورة (ق)، فإن السياق لإنكارهم البعث، وصحة النذارة، وإثبات المجد، فكان الوعيد في ذلك كافياً»[٣].

٥٤ـ في بعض أوصاف الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] و[الجاثية: ٢] و[الأحقاف: ٢].

---

(١) لم يعرج صاحب الدرة ولا ملاك التأويل علىٰ اختلاف الفواصل وإنّما اقتصرا علىٰ الفرق بين قال وفقال، وقد أشار صاحب ملاك التأويل إلىٰ الفرق إشارة موجزة جداً.

(٢) درة التنزيل، ص٣٩٨-٣٩٩، وملاك التأويل (٢: ٩٧٣)، وأسرار التكرار، ص١٨٣.

(٣) نظم الدرر (١٦: ٣٤٤-٣٤٥) والبيت للمتنبي وهو في ديوانه (٢: ٣٨٣) بشرح البرقوقي.

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

فأمّا تخصيص ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ في السور الثلاث فكما قال غير واحد، للإيذان بظهور أثريهما في الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع، وبابتناء جميع ما فيه علىٰ أساس الحكم الباهرة[1].

وأمّا التعبير بـ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ فقال فيه البيضاوي: (لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز أو الحكم الدال مع القدرة الكاملة والحكمة البالغة)[2].

وذهبي الخفاجي إلىٰ: «أن التعبير بـ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ دون ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ للتفنن»، وتبعه علىٰ هذا الآلوسي[3].

قلت: والقول بالتفنن هو كالقول بتغيير النظم لأجل الفاصلة من حيث المضمون.

ويرىٰ البقاعي: «أن التعبير بـ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ في هذه السورة؛ لأن المقام لأجل إثبات الصدق وعداً ووعيداً»[4] علىٰ أن هذا ليس مما أثبته لمقاصد هذه السورة.

والذي يظهر للباحث أن اختيار ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ هنا لمناسبة قصة مؤمن آل فرعون حيث أعز الله به دينه وأظهره في ذلك الوقت، وأمّا ﴿عَلِيمٌ﴾ فلأن الله سبحانه أعلم بعز دينه ولو لم يُحتسب له أي حساب ـ والله أعلم ـ.

وقال البقاعي في المصاعد: (دلت تسميتها بغافر إشارة إلىٰ الآية التي فيها هذه

---

(١) إرشاد العقل السليم (٧: ٢٤٠)، وروح المعاني (٨: ٦٩).

(٢) أنوار التنزيل (٤: ٢١٨) مع حاشية زاده.

(٣) حاشية الخفاجي علىٰ تفسير البيضاوي (٧: ٣٥٦)، وروح المعاني (٢٤: ٤١).

(٤) نظم الدرر (١٧: ٣).

الصفة، فإنه لا يقدر علىٰ غفران ما يشاء لكل من يشاء إلاّ كامل العزة، ولا يعلم جميع الذنوب ليسمىٰ غافراً إلاّ بالغ العلم)(١).

وأمّا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في سورة فصلت فاختيارهما هنا ـ والله أعلم ـ؛ لأنه تعالىٰ في هذه السورة قال: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٣-٤]، وما هذا إلاّ أدل دليل علىٰ رحمة الخالق بهم، فلهذا ناسب افتتاح هذه السورة بهذين الاسمين الكريمين، إضافة إلىٰ ما في السورة من تفصيل بعض أحوال الأمم وما عليه سيكون الحال يوم القيامة ليرتدع العباد ويتوجهوا إلىٰ خالقهم، وهذا كله من كمال الرحمة.

٥٥ـ في شأن أكثر الناس

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١].

والجواب عن هذا الاختلاف في وصف الناس في هذه الآي ـ والله تعالىٰ أعلم ـ: أن كل وصف منها ملائم للسياق الذي وقع فيه، فالأولىٰ جاءت عقب قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ وهذا إنّما يُحتاج في معرفته إلىٰ العلم فناسبه ما ذكر، وأمّا الثانية فجاءت عقب قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ وأمر البعث إنّما يعتبر به المؤمن لا غيره، فناسبه ما ذكر، وأمّا الثالثة فجاءت عقب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وإنّما يتلاءم مع فضل الله تعالىٰ شكر عباده فناسبه ما ذكر ـ والله تعالىٰ أعلم ـ(٢).

---

(١) مصاعد النظر (٢: ٤٣٥).

(٢) درة التنزيل، ص٤١٤، وأسرار التكرار، ص١٨٧، بتصرّف في الذي نقل منهما.

٥٦- في شأن أمر الله تعالىٰ وسنته

أ- قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

ب- قوله تعالىٰ: ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

فعد في الأولىٰ الخسران للمبطلين وفي الثانية للكافرين.

أمّا الأولىٰ فالفاصلة فيها متصلة بقوله سبحانه: ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾، ونقيض الحق الباطل فناسبه ذكر المبطلين، وأمّا الآية الثانية فآتية بعد قوله سبحانه: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، وهذا إيمان غير مجد، ونقيض الإيمان الكفر، فناسبه التصريح بذكره[(١)].

٥٧- في شأن الاستعاذة بالله تعالىٰ

أ- قوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

ب- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

ففي هاتين الآيتين أمر الله سبحانه بالاستعاذة به، لكن اختلف فيهما ما أسند إليه سبحانه من الأسماء والأوصاف.

وفي الجواب عن هذا الاختلاف يقول ابن القيم: «وتأمل حكمة القرآن كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان، الذي نعلم وجوده ولا نراه، بلفظ ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ في فصلت، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذي يؤنَسون ويُرَوْن بالأبصار بلفظ ﴿السَّمِيعُ

---

(١) درة التنزيل، ص٣٩٨-٣٩٩، وملاك التنزيل (٢: ٩٧٣)، وأسرار التكرار، ص١٨٣.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ في غافر؛ ذلك لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة تُرىٰ بالبصر، وأمّا نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بـ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فيها، وأمر بالاستعاذة بـ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ في باب ما يُرىٰ بالبصر ويُدرك بالرؤية ـ والله تعالىٰ أعلم ـ»(١).

٥٨ـ في بيان جزاء العاملين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥].

والسبب في اختلاف الفاصلة في كلتا الآيتين: أن الأولىٰ جاءت بعدما يفيد أن الله تعالىٰ لا يضيع عملاً صالحاً، ولا يزيد علىٰ من عمل سيئاً شيئاً، ولهذا كانت خاتمتها مناسبة لهذا المعنىٰ. وأمّا الآية الثانية فقد جاءت هكذا؛ لأن ما قبلها: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤] فقد وصفهم الله تعالىٰ في هذه الآي بإنكار البعث فناسب الختام بفاصلة تدل علىٰ البعث فقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. انتهى. هكذا قال الزركشي، وتبعه الدكتور علي محمد حسن والدكتور عبد الفتاح لاشين(٢).

قلت: وهذا الجواب ليس قوياً، لأن الآية الأولىٰ أيضاً سبقها ما يفيد وقوع الشك منهم في القضاء يوم الفصل الذي هو يوم البعث، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت: ٤٥].

---

(١) بدائع الفوائد (٢: ٢٣٨-٢٣٩)، وانظر الفاصلة القرآنية، ص١٣٥ وما بعدها.

(٢) البرهان (١: ٨٦)، ومشكلات الفواصل للدكتور علي محمد حسن، ص١٨، ع١١٠، من مجلة الوعي، والفاصلة القرآنية، ص١٥١ وما بعدها.

والذي يظهر للباحث في الجواب عن هذا الاختلاف: أن سورة فصلت لمقصدها نظر كبير إلىٰ الرحمة[١]، فناسب هذا بيان أن الله تعالىٰ لا يظلم أحداً من عبيده، وجاء ذلك بصيغة دالة علىٰ كمال عدله، ولا شك أن هذا من رحمته تعالىٰ وفضله.

وأمّا سورة الجاثية، فلمّا كان من مقصودها، ومما تهدف إليه: إثبات البعث واليوم الآخر، بصور مختلفة في عرض هذا الإثبات، ناسبه ـ والله أعلم ـ ختام هذه الآية الكريمة ـ التي تتلخص فيها أعمال ذلك اليوم الذي هو البعث، والذي غايته القضاء فيه بين العباد وتميـيز الصالحين من الطالحين ـ بما ختمت به.

٥٩ـ في شأن الإنسان إذا مسه الشر

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

قال الكرماني: (لا منافاة بينهما؛ لأن معناه قَنُوط من الضيم، دعّاء لله، وقيل: يئوس قنوط بالقلب، دعّاء باللسان، وقيل: الأول في قوم والثاني في آخرين. وقيل: الدعاء مذكور في الآيتين، ودعاء عريض في الثاني)[٢].

والذي يظهر للباحث أن الآيتين ليستا من باب واحد، فالأولىٰ منهما: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ معناها أن الإنسان كثير تطلب الخير، وهو بالابتداء لم يكن عنده، فإذا تطلب الخير ومسّه الشر حصل عنده داع معاكس وهو اليأس والقنوط، والظاهر من جمع القرآن لهاتين الصفتين (اليأس والقنوط) أنهما ليستا شيئاً واحداً، والظاهر أيضاً أن القنوط مرحلة متأخرة بعد شدة اليأس.

وأمّا الآية الثانية: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو

(١) نظم الدرر (١٧: ٢١٠).

(٢) أسرار التكرار، ص١٨٩-١٩٠.

﴿دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ فهي متحدّثة عمّن أصابته النعماء، ومسيس الشر بالنسبة لمن هذا حاله هو سلب هذه النعماء عنه، ومن يكن في نعماء ثم يُسلَبْها فأول أفعاله كثرة تضرعه رجاء أن تتداركه الرحمة، فهذا هو معنىٰ الآية الثانية، وبه يظهر ـ والله أعلم ـ أنهما ليستا من باب واحد.

٦٠ـ في شأن ردِّ المكذبين لرسلهم

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قال صاحب الدرة في الجواب عن اختلاف فاصلتي الآيتين مع أن ما قبلهما تقريباً شيء واحد: (إن الأولىٰ حكاية قول الكفار الذين حاجوا النبي ﷺ فقال مخبراً عنهم: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل القرآن ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١] أي كتاباً فيه حجة بصحة دعواهم فهم متعلقون به، فأعرض عن ذلك، وقال تعالىٰ: لا حجة لهم لكنهم قالوا: وجدنا آباءنا علىٰ ملة وطريقة في الدين مقصودة ونحن في اتباع آثارهم علىٰ هداية. فادّعوا الاهتداء بسلوكهم سبيل آبائهم... وأمّا الآية الثانية: فإنها خبر عن الأمم الماضية الكافرة بأنبيائها قال: ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ إلاّ قال ذوو النعم والأموال من أهلها قريباً من قول هؤلاء الكفار الذين في عصرك يا محمد، فكان أقصىٰ ما احتجوا به أن قالوا: إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمّة فاقتدينا بهم، ولم يؤكد الخبر عنهم بدعواهم الاهتداء كما أكده عمن كان في عصره ممن يدعيه لبطلان قول الجميع، وزوال الماضين عن احتجاجهم وثبات هؤلاء في حجاجهم»(١).

(١) درة التنزيل، ص٤٣٤، وأسرار التكرار، ص١٩١، وملاك التأويل (٢: ١٠١٦).

٦١ـ في بعض شأن الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

والجواب عن هذا الاختلاف بين هاتين الفاصلتين ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولىٰ متصلة بإنزال السكينة، وازدياد المؤمنين إيماناً، فكان الموضع الأول موضع علم وحكمة. وأمّا الثانية فمتصلة بالعذاب والغضب الموعود بهما المنافقون والمشركون، فالموضع موضع عز وغلبة وحكمة.(١) وبهذا تكون الفاصلتان في أحسن مواقعهما.

٦٢ـ في شأن جزاء المتقين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾ [الطور: ١٧].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ [القمر: ٥٤].

ليس هناك تعارض بين الخبرين الأوليـين، إذ أولهما بيان ما أعده الله تبارك وتعالىٰ للمتقين. وأمّا الثاني ففيه زيادة علىٰ ذلك، وهو تنعم المتقين بتلك الجنات والعيون؛ لأن النعيم لا يقال كذلك إلاّ إذا تلبس الإنسان بما يقتضي منه هذا الوصف.

وقال الكرماني عن آيتي الذاريات والطور: «إن ما في سورة الذاريات متصل بذكر ما به يصل الإنسان إليها وهو قوله: ﴿كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦]، وفي الطور متصل بما ينال الإنسان فيها إذا وصل إليها وهو قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۞ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ...﴾ [الطور: ١٨-١٩]»(٢).

---

(١) درة التنزيل، ص٤٤١-٤٤٢، وملاك التنزيل (٢: ١٠٣٥)، وأسرار التكرار، ص١٩١، والفاصلة القرآنية، ص١٤٨.

(٢) أسرار التكرار، ص١٩٦، وما ذكره هو تلخيص لما في الدرة، ص٤٤٩-٤٥١.

وزاد الرازي في الفرق بين موضعي الذاريات والقمر: (أن النهر للتشريف والعيون للتفريج)[١].

ويبقى السؤال قائماً في اختصاص كل سورة بما اختصت به، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أنه لما كان مقصود سورة الطور (تحقيق وقوع العذاب الذي هو مضمون الوعيد المقسم علىٰ وقوعه في الذاريات)[٢] ناسبه ذكر ما ناله المتقون في الجنات، إذ ورد ذكرهم في أثناء هذه السورة الكريمة ليكون ذلك أدعىٰ إلىٰ تفريح المؤمنين بما وعدهم الله به من النعيم، وليكون ذلك أنكىٰ بمن وُعدَ عذاباً ـ والله تعالىٰ أعلم ـ.

ولم يظهر للباحث شيء في الآيتين الأخريين.

٦٣ـ في بعض شأن الله تعالىٰ

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحديد: ٥].

والجواب ـ والله أعلم ـ أنه لما أتبع في الأولىٰ قوله: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، فإن هذا فعل من له القدرة وحده سبحانه فناسبه ما ذكر، وأمّا الآية الثانية فآتية عقب بيان خلق السماوات والأرض، والاستواء علىٰ العرش، وأنه سبحانه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو سبحانه الخالق، مع عباده أينما كانوا، فلمّا اخبر بذلك وأتبعه ببيان أنه سبحانه له ملك السماوات والأرض، ناسبه بيان أن الأمر كله إنّما يرجع إليه سبحانه المتصف بهذه الأوصاف. فكان اللائق بهذا المحل: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ

(١) التفسير الكبير (٢٩: ٨٠).

(٢) مصاعد النظر (٣: ٢٨).

﴿ٱلۡأُمُورُ﴾ مع ما في ذلك من التهديد للمخالفين عن أمره ووعيده لهم بنيل جزائهم، وليس في هذا المحل ما في محل الآية الأولىٰ، فكان كل في موضعه المناسب ـ والله تعالىٰ أعلم ـ.

ويمكن أن يقال: إن كل شيء كما أن بدايته منه سبحانه فإن نهايته إليه. فالآيتان متكاملتان والأولى طريق الثانية في الدلالة على أمر الله تعالى.

٦٤ـ في شأن عذاب الكافرين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [المجادلة: ٥].

والجواب عن الاختلاف في فاصلتي الآيتين أن الأولىٰ متصلة ببيان حكم الظهار، وقد جعل الله تعالىٰ ذلك الحكم كما أخبر سبحانه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾، فأخبر سبحانه أن هذه حدوده وأن من لم يلتزم بها فهو كافر بها، ومن كفر بحدود الله استحق أليم العذاب، فلذلك جاء هنا بوصف ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وأمّا الآية الثانية: فتعقيبٌ علىٰ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ ولا شك أن الكبت هو الإذلال والمهانة، فلذلك حسن ذكر ذلك عقيب بيان أن الذين يحادون الله ورسوله كافرون، فناسبه إيقاع الهوان بهم، لأن من يحادد الله ورسوله ينتفخ في الدنيا وينتفش فهذا حَسَنٌ في حقه الإهانةُ لتكون أوقع به ـ والله أعلم ـ[1].

ويمكن أن يقال توضيحاً لهذا: إن عدم تنفيذ حكم الشرع باعثه لذة الشهوة أو المعصية واللذة يقابلها الألم فحسن الختم هنا أيما إحسان. والذي يختار حدوداً غير حدود الله متكبر منتفش، وكأنما يقول هذه الحدود لا تعجبني، فهو ساخر مستهزئ. وهذا لا يناسبه إلا الإهانة.

---

(١) راجع درة التنزيل، ص٤٧٢-٤٧٣، وأسرار التكرار، ص٢٠١-٢٠٢، وملاك التأويل (٢: ١٠٧٥-١٠٧٦) بتصرّف في المنقول منها.

٦٥ـ في وصف اليهود

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

والجواب عن هذا الاختلاف في وصف اليهود في فاصلتي الآيتين: أن الآية الأولىٰ بيان أن القوم يخافون رسول الله والمسلمين أكثر من خوفهم من الله، وهذا دليل علىٰ عدم الفقه عندهم؛ لأنهم خافوا المسلمين بقوتهم الظاهرة وغفلوا عن قوة الله تعالىٰ، ولمّا كان الفقه هو: معرفة الظاهر من الشيء، وعدم الجهل بباطنه بسرعة فطنة، ناسبه نفيه عن هؤلاء الذين ليس عندهم شيء من ذلك.

وأمّا الآية الثانية فهي حديث عما يتراءى من تجمعهم، وهم في الحقيقة أوزاع متفرقون، لا يجمع قلوبهم جامع، فهؤلاء لو كانوا يعقلون لاجتمعوا علىٰ الحق ولم يتفرقوا، ولمّا كانوا بضد ذلك حَسُن نفي العقل عنهم ـ والله أعلم ـ(١).

٦٦ـ في شأن المنافقين

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

والجواب عن هذا الاختلاف في فاصلتي الآيتين المتحدثتين عن المنافقين: أن الأولىٰ منهما جاءت بعد قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وفي معرفة هذه الخزائن

---

(١) درة التنزيل، ص٤٧٦، وملاك التأويل (٢: ١٠٧٧)، وأسرار التكرار، ص٢٠٣، والفاصلة القرآنية، ص١٣٠.

خفاء، وغموض، يحتاج إلىٰ فطنة. ولّما كان المنافق لا فطنة عنده ـ والفطنة إنّما هي وليدة الفقه ـ حَسُن نفي الفقه عنهم في هذا المحل.

وأمّا الآية الثانية فجاءت بعد قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وكون العزة كذلك وأنها إنّما تكون بالالتزام بدين الله، فهذه قضية لا تدرَك إلاّ عن طريق العلم، ولّما كان المنافقون ليسوا علىٰ علم بذلك حسن نفي العلم عنهم في هذا المحل ـ والله أعلم ـ[1].

٦٧ـ في شأن أحكام الطلاق

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

ج ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطلاق: ٥].

قال الكرماني في الجواب عن اختلاف هذه الفواصل عقيب الأمر بتقواه عزّ وجلّ: «أمر بالتقوىٰ في أحكام الطلاق ثلاث مرات، ووعد في كل مرة نوعاً من الجزاء فقال أولاً: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾، أي: يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه، ويبيح له محبوبه من حيث لا يأمل، وقال في الثاني: يسهل عليه الصعب من أمره، ويبيح له خيراً ممن طلقها، والثالث: وعد عليه أفضل الجزاء، وهو ما يكون في الآخرة من النعماء»[2].

ونقل الآلوسي عن الكشاف كلاماً في سبب تنويع الوعد للمتقي هذا نصه: (إن تنويع الوعد للمتقي وتكرير الحث عليه بعد الدلالة علىٰ أن التقوىٰ ملاك الأمر عند الله تعالىٰ ناط به سبحانه سعادة الدارين، يدل علىٰ أن أمر الطلاق والعدة من الأمور التي

---

(١) درة التنزيل، ص٤٨٥، واسرار التكرار، ص٢٠٤، وملاك التأويل (٢: ١٠٨٢).

(٢) أسرار التكرار، ص٢٠٥-٢٠٦، وفي الدرة كلام لا يعدو أن يكون تفسيراً للآيات فحسب، ص٤٨٩-٤٩١، وكذا ملاك التأويل (٢: ١٠٨٨) وما بعدها.

تحتاج إلىٰ فضل تقوىٰ؛ لأنه أبغض المباح إلىٰ الله عزّ وجلّ لِما يتضمن من الإيحاش وقطع الألفة الممهدة، ثم الاحتياط في أمر النسب الذي هو من جلة المقاصد يؤذن بالتشديد في أمر العدة، فلا بد من التقوىٰ ليقع الطلاق علىٰ وجه يحمد عليه، ويحتاط في العدة ما يجب، فهنالك يحصل للزوجين المخرج في الدنيا والآخرة). انتهى(١).

ولا يخفىٰ أن هذا الكلام مع حسنه لم يتحدث عن اختصاص كل موضع بما اختص به، وإنّما تحدث عن الثلاثة معاً.

وأحسن كلام وجدته في هذا هو مان ذكره ابن عاشور في المواضع الثلاثة:

ففي الموضع الأول قال: (ولمّا كان أمر الطلاق غير خال من حرج يَعرض للزوجين، وأمر المراجعة لا يخلو في بعض أحواله من تحمل أحدهما لبعض الكره من الأحوال التي سببت الطلاق، أعلمهما الله بأنه وَعَدَ المتقين الواقفين عند حدوده، بأن يجعل لهم مخرجاً من الضائقات)(٢).

وفي الموضع الثاني قال: (إن المقصود منه تحقيق الوعد باليسر فيما شأنه العسر لحث الأزواج علىٰ امتثال ما أمر الله به الزوج من الإنفاق في مدة العدة، ومن المراجعة، وترك منزله لأجل سكناها، إذا كان لا يسعهما، وما أمر به المرأة من تربص أمد العدة وعدم الخروج ونحو ذلك)(٣).

وفي الموضع الثالث قال: (أعيد التحريض علىٰ العمل بما أمر الله بالوعد بما هو أعظم من الأرزاق وتفريج الكرب وتيسير الصعوبات في الدنيا، وذلك تكفير للسيئات وتوفير للأجور)(٤).

---

(١) روح المعاني (٢٨: ١٣٥-١٣٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨: ٣١١).

(٣) السابق (٢٨: ٣٢٤).

(٤) السابق (٢٨: ٣٢٤).

ويمكن أن يقال أيضاً: هذه نتائج للتقوى مرتبة على شكل في غاية الحسن:

١) فالأولى بعد الفراق والمفارِق إلى الإعانة.

٢) والثانية في العدة. والعدة فيها ضيق وعسر سواء أكان مادياً أم معنوياً.

٣) والثالثة في بيان نتائج التقوى وأنها قائمة في الدنيا والآخرة. انتهى. أفدناه من شيخنا.

٦٨ـ في حماية الصلاة والحفاظ عليها

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

قال في الكشاف: «فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ثم ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؟ قلت: معنىٰ دوامهم عليها أن يواظبوا علىٰ أدائها، لا يُخِلّون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، كما روي عن النبي ﷺ: «أفضل العمل أدومه وإن قل»[(١)] وقول عائشة رضي الله عنها: (كان عمله ديمة). ومحافظتُهم عليها، أن يراعوا إسباغ الوضوء لها، ومواقيتها، ويقيموا أركانها، ويكملوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم، فالدوام يرجع إلىٰ أنفس الصلوات والمحافظة علىٰ أحوالها)[(٢)].

قلت: وقد نقل هذا الكلامَ غير واحد من المفسرين، بل لعله هو معتمَدُهم في الفرق بين الآيتين. وإذا تأملت كلام الزمخشري وجدته صحيحاً، ويبقىٰ هناك أمر آخر لم يشر إليه، وهو اختصاص هذين الوصفين في هذين الموضعين. فأمّا الموضع الأول: فهو وارد عقب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب اللباس، باب الجلوس علىٰ الحصير ونحوه. حديث رقم ٥٨٦١، انظر صحيح البخاري بحاشيته فتح الباري (١٠: ٣١٤).

(٢) الكشاف (٤: ١٥٩).

[المعارج: ١٩-٢١]، وهذه أوصاف تخص ذات الإنسان بالدرجة الأولىٰ، وكفى بها كذلك من التصريح بمادة الخلق التي هي أساس الإنسان ومبدؤه، فناسبه ـ والله أعلم ـ ذكر الدوام علىٰ الصلاة والمتعلق بأنفس الصلوات.

وأمّا الموضع الثاني فوارد عقب بيان أدائهم لحقوق الأموال، ويقينهم بيوم الدين، وخوفهم من العذاب الأخروي، وحفظهم للفروج، وأدائهم للأمانة، وقيامهم بالشهادات، وهذه كلها أوصاف تتحلى بها الذات الإنسانية وليست من مادة الخلق كما هو مصرح به فيما مضىٰ من الآيات. وهذا ـ والله أعلم ـ يناسبه ذكر ﴿يُحَافِظُونَ﴾ والتي تعني المحافظة علىٰ أحوال الصلوات.

٦٩ـ في تنعم أهل الجنّة

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧].

ومثل هذا الاختلاف في وصف مزاج الكأس لا يضر أصلاً، فالمسألة أن أبواب النعيم قد انفتحت فكان من المشروب ما مزاجه الأول وكان منه ما مزاجه الثاني، وليس هناك دليل أصلاً علىٰ أن الشراب واحد.

وذهب الآلوسي إلىٰ: (أن في سياق الآية الثانية ما يلمح إلىٰ أن المشروب فيها أعلىٰ شأناً مما في الأول، وذلك من استعمال يُسقون بدلاً عن يشربون)[١].

٧٠ـ في شأن القيامة

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣].

---

(١) روح المعاني (٢٩: ١٦٠).

قال الآلوسي: «هذه أسماء للقيامة، وإنّما سميت القيامة كذلك؛ لأن شدتها تنسي ما تقدم من شدائد الدنيا حتىٰ يصير الإنسان فيها كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٣].

وإنّما استعملت الطامة في سورة النازعات؛ لأن فيها ذكرَ ما أتَى به فرعون من الطامة الكبرى في الكفر حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] فهذه من الكبائر، كشديدة الآخرة؟ في الشدائد، فكأنه قرن إلىٰ ذكر الكبيرة الموفية علىٰ أمثالها ذكر الطامة الكبرى وأهوالها.

وأمّا الصاخة، فهي صيحة تطعن الآذان فتصمها، فهي صيحة شديدة لشدة صوتها يحيا لها الناس كالصيحة الشديدة التي يتنبه لها النوام، وإنّما استعملت هذه الكلمة هنا؛ لأنه تقدم في هذه السورة من حالة الإنسان ما نطق به قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ * ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٠-٢١] كأن الإنشاء بالصاخة التي تطعن الآذان، فيقضي الله تعالىٰ عندها إحياء الموتى»[١].

وذهب الكرماني إلىٰ: (أن اختصاص النازعات بالطامة؛ لأن الطم قبل الصخ، والفزع قبل الصوت، فكانت هي السابقة، وخصت عبس بالصاخة؛ لأنها بعدها وهي اللاحقة).

قلت: والذي يظهر أن عكس ما ذكره الكرماني هو الصواب؛ ذلك لأن الفزع بعد الصوت لا قبله، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فسورة عبس متقدمة كثيراً في النزول علىٰ النازعات، إذ النازعات معدودة الحادية والثمانين في ترتيب النزول، وأمّا عبس فمعدودة الرابعة والعشرين في ترتيب النزول. فكان الأولىٰ ـ والله أعلم ـ أن يقال عكس ما قاله الكرماني.

---

(١) هكذا ذكره في درة التنزيل، ص٥١٨-٥١٩.

وقال أبو جعفر: «إن اسم الطامة أرهب وأنبأ بأهوال يوم القيامة؛ لأنها من قولهم: طم السيل إذا علا وغلب، وأمّا الصاخة: فالصيحة الشديدة، من قولهم: صخ بأذنيه، مثل أصاخ، فاستعيرت من أسماء القيامة مجازاً؛ لأن الناس يصيخون لها، فلمّا كانت الطامة أبلغ في الإشارة إلىٰ أهوالها خص بها أبلغ الصورتين في التخويف والإنذار، وعلى ذلك بنيت سورة النازعات، ألا ترىٰ قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾» [النازعات: ٦-٧] ووصف الطامة بالكبرىٰ، وما أتبع به بعد، وابتداء السورة وختامها، فكلها تخويف وترهيب، فناسبها أشد العبارتين موقعاً، وأرهبهما.

وأمّا سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فلم تُبن علىٰ ذلك الغرض، وإنّما بنيت علىٰ قصة عبد الله ابن أبي مكتوم، وذلك مشهور، ثم ورد بعدها: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ عقب التذكير بقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤] إلىٰ قوله: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢] ثم أتبع بعد ذلك ذكر الصاخة بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩]، فسورة (النازعات) علىٰ الجملة أشد في التخويف والترهيب فناسبها أبلغ العبارتين من أسماء القيامة في التخويف»[1].

ويظهر للباحث أن سورة عبس لما كانت مبنية علىٰ قصة ابن أم مكتوم، وتلك القصة مبنية علىٰ السماع، إذ هو ما جاء إلاّ ليُسْمِعَه الرسولُ الكريم شيئاً من آيات الله، فلمّا ذكر في هذه السورة ما يخص القيامة ناسبه هذا الوصف المتعلق بالسماع ليلتئم ما ذكر في السورة مع ما بنيت عليه ـ والله أعلم ـ.

٧١ـ في شأن القيامة

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

---

(١) ملاك التأويل (٢: ١١٣٥-١١٣٦)، ونقله في معترك الأقران (٣: ١٥١-١٥٢) ولم ينسبه له، ونقله عنه عبد الفتاح لاشين في صفاء الكلمة، ص١٥٨.

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

قال في الدرة جواباً علىٰ هذا الاختلاف في أمر البحار: (معنىٰ سجرت البحار: أوقدت فصارت ناراً كما يسجر التنور، فكان ذكر هذا المعنىٰ أولىٰ حيث وقع التوعد بتسعير الجحيم.. وأمّا قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فإنّما معناه سيب ماؤها، فأبيح حتىٰ فاض علىٰ وجه الأرض، فتساوى بالماء ولجج البحار، شعفُ الجبال، فكان هذا أولىٰ بهن بهذا المكان؛ لأن ما قبلها خبر عن الأشياء التي يحكم الله تعالىٰ بمزايلتها أماكنها، كقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] ومعناه انشقت كما قال، فبإزاء انتثار الكواكب انفجار البحار، فكان الإخبار عنها بهذا المعنىٰ أولىٰ بهذا المكان، لتقدم ما يشبهها من التغيير، ومجيء ما هو تزييل عن مكانه من بعثرة القبور»(١).

قلت: والظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذين اللفظين يدلان علىٰ حالين مختلفين، وأن لفظ التسجير حالة متقدمة علىٰ وصف التفجير، إذ الإحراق والامتلاء بالنار أولاً ثم يتبعه التفجير الذي يعني اختلاط البحار المسجورة بعضها ببعض، ويدل لهذا أن سورة التكوير متقدمة كثيراً في النزول علىٰ سورة الانفطار، إذ الأولىٰ معدودة في الترتيب السابعة، والثانية معدودة الثانية والثمانين في الترتيب، وبهذا يكون وقع الإخبار بالإحراق والملء بالنار أولاً، ثم وقع الإخبار بأن هذه البحار المسجورة يفيض بعضها إلىٰ بعض ـ والله أعلم ـ.

٧٢ـ في شأن النفوس يوم القيامة

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

وفي الجواب عن هذا الاختلاف قال الكرماني: «لأن ما في سورة التكوير متصل بقوله:

---

(١) الدرة، ص٥٢٠-٥٢١، وأسرار التكرار، ص٢١٤-٢١٥، وملاك التأويل (٢: ١١٣٧-١١٣٨).

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ١٠] فقرأها أربابها، فعلموا ما أحضرت، وفي الانفطار متصل بقوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ [الانفطار: ٤] والقبور كانت في الدنيا، فيتذكرون ما قدموا في الدنيا وما أخروا في العقبىٰ»[1].

٧٣ـ في شأن الكفار

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٢].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩].

قال أبو جعفر: «إن آية الانشقاق تقدمها وعيد أخروي كله لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعه، فجيء هنا باللفظ المقول علىٰ الاستقبال ـ وإن كان يصلح للحال ـ ليطابق الإخبار؛ لأنه عما يأتي ولم يقع بعد، فجيء بما يطابقه في استقباله.

وأمّا آية البروج فقد تقدمها قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ * فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٧-١٨]، وحديث هؤلاء، وأخذهم بتكذيبهم، قد تقدم ومضىٰ زمانه، وهؤلاء مستمرون علىٰ تكذيبهم، فقيل: ﴿فِي تَكۡذِيبٍ﴾ وجيء بالمصدر ليحرز تماديهم، وأن ذلك شأنهم أبداً فيما أخبرهم به، وفيما يدعوهم إليه، وينهاهم عنه»[2].

وقال عبد القادر عطا: «إن الكلام في سورة الانشقاق عن الأحياء من الكفار زمن النبي ﷺ، فاستعمل القرآن الفعل المضارع دون اقترانه بما يحّول معناه إلىٰ الاستقبال، دلالة علىٰ كفرهم في الحال، دون أن يغلق عليهم باب الإيمان... أمّا سورة البروج فالكلام فيها في الذاهبين من الكفار ﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾. وقد ثبت كفرهم وليس لهم مستقبل حياة، فاستعمل المصدر الشامل لكل الأوقات»[3].

---

(١) أسرار التكرار، ص٢١٥، وهو تلخيص لما في الدرة، ص٥٢١-٥٢٢، وانظر ملاك التأويل (٢: ١١٣٩-١١٤٠).

(٢) ملاك التأويل (٢: ١١٤٢).

(٣) أسرار التكرار، هامش ص٢١٦.

والذي يظهر للباحث أن كلام ابن الزبير أرجح، وكلا الكلامين أحسن مما في الدرة وأسرار التكرار، حيث ذهب المؤلفان إلىٰ أن السبب في التغيير هو مراعاة الفواصل دون أن يحاولا إيجاد المعاني المستترة وراء ذلك[1].

٧٤ـ في شأن خلق الإنسان

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

هذان الوصفان يمثلان حالين من حالات الإنسان فليس ثم تعارض بينهما، وذهب الكرماني إلىٰ أن اختصاص كل سورة بما اختصت به إنّما هو لمراعاة الفواصل[2].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه لما كانت سورة التين متقدمة نزولاً علىٰ سورة البلد خص بها الإخبار عن إحسان تقويم هذا المخلوق، ومراعاته من حيث النشأة، وما جبل عليه من جمال الهيئة، ولمّا كانت سورة البلد تالية في النزول عن تلك خصت بالحديث عما يعتري الإنسان من عوارض الحياة الدنيا.

والأحسن من هذا أن يكون التعليل مراعياً سياق الكلام. فسورة التين إقسام بما أكرم الله به الإنسان سواء أقلنا بالمعنى المجازي أم المعنى المادي. وأما سورة البلد فهي من أساسها قائمة على ما يعانيه الرسول ﷺ، وما خلق الله تعالى عليه الإنسان من المشاقة والتعب. فكل فاصلة تناسب سورتها.انتهى أفدناه من شيخنا.

* * *

(١) درة التنزيل، ص٥٢٩، وأسرار التكرار، ص٢١٦، وفتح الرحمن، ص٦٠٤.

(٢) أسرار التكرار، ص٢٢١.

المبحث الثاني

الدلالة المعنوية لاتفاق الفواصل اختلفت الموضوعات أو اتفقت

وإنما جمعت في هذا المبحث هذين النوعين لسببين:

الأول: قلة الأمثلة في ذلك، مما لايشكِّل كل نوع منهما مبحثاً قائماً برأسه.

الثاني: أن الفواصل في كلا النوعين، وإن كانت متفقة في كثير من الجوانب، إلا أن هناك شيئاً مهماً وبارزاً يتفق فيه كلا النوعين، وهو أن هناك اختلافاً في تأكيد إحدى الفاصلتين عن الأخرى في كلا النوعين، بأنواع مختلفة من التأكيد.

لهذين السببين رأيت أن أجمع بينهما في محل واحد، وإن كنت سأبدأ بالنوع الأول منهما من خلال الأمثلة.

ومن المهم والمفيد التنبيه على أن الأمثلة مع قلتها إلا أنه قد يكون هناك اختلاف في الاجتهاد في وضعها تحت أي النوعين، كما سيظهر ذلك قريباً، وأرجو أن لا يكون في هذا ضرر، فليس المهم هو تصنيف الفواصل بقدر ما المهم دراستها والله المستعان.

النوع الأول

المثال الأول:

تحدث القرآن الكريم عن بعض الناس المخادعين، وذكرهم في ضمن ما ذكرهم بحالتين:

الأولى: حين يقال لهم: لا تفسدوا في الأرض يقولون: إنما نحن مصلحون، فوصفهم الله تعالى هنا بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

والثانية: أنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فوصفهم الله تعالى هنا بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

فإنه يُسأل عن الحكمة في وصفهم في الأولى بـ(لا يشعرون) والثانية بـ(لا يعلمون)؟

أجاب الزمخشري رحمه الله تعالىٰ عن ذلك بقوله: «لأن أمر الديانة والوقوف علىٰ أن المؤمنين علىٰ الحق، وهم علىٰ الباطل، يحتاج إلىٰ نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة. وأمّا النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلىٰ الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني علىٰ العادات، معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب في جاهليتهم، وما كان قائماً بينهم من التغاور والتناحر، والتجاذب والتحازب، فهو كالمحسوس المشاهد، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً. مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول القصة في المنافقين، فليس بتكرير، لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم، وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين، وإيهامهم أنهم معهم، فإذا فارقوهم إلىٰ شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم»(١).

وقال ابن عاشور: «نفىٰ عنهم العلم بكونهم سفهاء بكلمة (يعلمون) دون (يشعرون) خلافاً لما سبق، لأن اتصافهم بالسفه ليس مما شأنه الخفاء حتىٰ يكون العلم به شعوراً، ويكون الجهل به نفيَ شعور، بل هو وصف ظاهر لا يخفى، لأن لقاءهم كل فريق بوجه، واضطرابهم في الاعتماد علىٰ إحدى الخلّتين، وعدم ثباتهم علىٰ دينهم ثباتاً كاملاً، ولا علىٰ الإسلام كذلك كافٍ في النداء بسفاهة أحلامهم، فإن السفاهة صفة لا تكاد تخفى. وقد قالت

---

(١) انظر: الكشاف (١: ١٨٣)، والتفسير الكبير (٢: ٧٥)، وملاك التأويل (١: ١٧٨)، ونظم الدرر (١: ١١٣)، والسراج المنير (١: ٢٥)، وإرشاد العقل السليم (١: ٤٥-٤٦)، وروح المعاني (١: ١٥٦)، وأنوار التنزيل (١: ٣٣٨) بهامش حاشية الشهاب.

العرب: (السفاهة كاسمها) فظنهم أن ما هم عليه من الكفر رشد، وأن ما تقلده المسلمون من الإيمان سفه يدلّ علىٰ انتفاء العلم عنهم»[١].

قلت: وظاهر ما ذهب إليه ابن عاشور أن الوصف بعدم الشعور أدق من الوصف بعدم العلم. وقد ذكر أبو جعفر ابن الزبير: «أن الشعور راجع إلىٰ معنىٰ الإحساس، مأخوذ من الشعار، وهو ما يلي الجسد ويباشره، فيدرك ويحس به من غير افتقار إلىٰ فكر أو تدبر، فيشترك في مثل هذا الإدراك العاقل من الحيوان وغير العاقل، وأمّا العلم فلا يكون إلاّ عن فكر ونظر يحصِّله، وقد تكون مقدماته حسية أو غير حسية علىٰ قول المحققين من أرباب النظر، فهو مما يخص العقلاء»[٢].

وعلى هذا فإن ما ذهب إليه الزمخشري ومن تبعه أقوى مما ذهب إليه ابن عاشور والله أعلم.

وقد يزداد علىٰ ما ذكروه من أن وصفهم بعدم الشعور فيه بلاغة زائدة في توضيح سوء حالهم، فهم يفسدون مع عدم شعور بما يفعلون ويظنون أنفسهم علىٰ الصلاح. وكذا الحال في وصفهم بـ (لا يعلمون) والله تعالىٰ أعلم.

الثاني:

أ ـ قوله تعالى في شأن زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

ب ـ قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

والفرق بين الموضعين ظاهر. فالأولى منهما في شأن دعاء وترقب، وأما الثانية فثناء

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٢٨٨).

(٢) ملاك التأويل (١: ١٧٨-١٧٩).

على الله تعالى بعد الاستجابة، وإنما أكد ذلك؛ لأن الإنسان بالنعم تبدو عليه أمارات الفرح والسرور، وتظهر من التأكيدات ما لا يظهر في وقت يكون فيه مترقباً أمراً من الأمور، وسبحان خالقه الذي فصله بذلك.

الثالث:

أ ـ أخبر سبحانه عن البلاء الذي سيصيب العباد في أموالهم وأنفسهم، وأنهم سيسمعون كثيراً من الأذى من المشركين ومن أهل الكتاب، وأمر الله تعالى بالصبر فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ب ـ وفي وصايا لقمان لابنه أمره بالصبر فقال سبحانه في هذا الشأن: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ج ـ وبعد بيان أن المنتصر بعد ظلمه ليس عليه سبيل، وأن السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق، بعد هذا أمر الله سبحانه وتعالى بالصبر فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

ففي الآيتين الأوليين أمرٌ بالصبر بعد اختلاف المتحدَّث عنه في كليهما، ومع ذلك اتفقت الفاصلة في كلتا الآيتين، بينما وقع الأمر بالصبر بعد ذكر الظلم وشأنه في سورة الشورى، إلا أنه جاء معقَّباً عليه بخاتمة افترقت عن الآيتين السابقتين بتأكيد الأمر بقوله: ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

والجواب عن ذلك: «أن مورد آيتي عمران ولقمان غير مورد آية الشورى، ففي آل عمران ولقمان حض على الصبر على المصائب المختلفة المذكورة في سياقي الآيتين، وأما في سورة الشورى فالوضع مختلف، فهو حض على الصبر على المصيبة التي تأتي من جهة ظلم الغير، والظلم مما لا تطيقه النفوس الشريفة، وتأباه النفوس الحرة، وهو أشق شيء

عليها، فلما حض الله تبارك وتعالى على الصبر عما يأتي من هذه الجهة، وكان هذا من أشد الأشياء على النفوس، ناسبه التأكيد بما ذكر، بخلاف الآيتين السابقتين ـ والله أعلم ـ»[١].

وفي ملاك التأويل: «أن السبب في تأكيد آية الشورى وحدها، هو أنه دخلها معنى القسم، وكانت على تقديره، وذلك في قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ فاللام توطئة له، ودلالة على تضمن الآية معناه، فلما كان ذلك كذلك ناسبه زيادة لام التأكيد في خاتمة الآية المعنية»[٢].

قلت: وهذه علة لفظية فحسب، وما في الدرة أحسن.

الرابع:

أـ قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

ب ـ وبعدها جاء قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

لعل المراد بالشفاعة في الآية الأولىٰ هي الإقدام علىٰ الجهاد مع النبي ﷺ، وهذه هي الحسنة، أو تركه والتخلف عنه، وهذه هي السيئة[٣]. ومعنىٰ المقيت: المطلع القادر كما في المقصد الأسنىٰ[٤]، أو هو مشتق من إيصال القوت كما فيه أيضاً[٥]. ويلوح من الآية التحذير عن التخلف عن رسول الله ﷺ، وهذا يلائمه ـ القدرة والعلم ـ فناسب ذكر المقيت هنا.

---

(١) درة التنزيل ص٤٢٧-٤٢٨، وأسرار التكرار ص١٩٠.

(٢) ملاك التأويل (٢: ٩٤٢).

(٣) هذا ما رجحه صاحب المنار (٥: ٢٤٩) وما بعدها، وقال: هو اختيار الطبري ينظر الطبري (٨: ٥٨١) طبعة شاكر.

(٤) المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (ص١٠٥).

(٥) السابق، نفس المحل.

وأما الآية الثانية فالحسيب فيها معناه المكافئ بالحساب، وهل أحسن من أن يُطَمْأَنَ المؤمنون بهذا الوصف تحفيزاً لهم علىٰ هذا الأدب العالي من آداب الإسلام؟

الخامس:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۞ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الأنعام: ١٥-١٦].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الجاثية: ٣٠].

ففي الحديث عن النعمة بصرف العذاب بيان أنه رحمة وفوز مبين، دون تأكيد، ولما تحدث عن جزاء العاملين المؤمنين، أكد فوزهم بقوله: ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾، فذهب الكرماني إلى إن التأكيد وقع في آية الجاثية تعظيماً لإدخال الله المؤمنين في رحمته[١].

وذكر أبو جعفر ابن الزبير وحاصله: «أن آية الأنعام هي إخبار من الله تعالى بأن مَن يُصرف عنه العذاب، قد حصلت له الرحمة، وأن النجاة فوز مبين، وأما آية الجاثية فقد تقدم قبلها من قول المعاندين: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [الجاثية: ٢٤]. فأفهم من قولهم: أنهم زعموا أنْ لا حياة إلا حياتهم تلك، وأن التنعم فيها هو الفوز لا غيره، فرد الله تعالى مقولتهم، بأن ما يسمى الفوز المبين إنما هو جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فناسب ذلك ورود التأكيد في هذا المحل»[٢]. لكن السياق على ما يظهر لا يساعد على قول ابن الزبير هذا ـ والله أعلم ـ.

السادس:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم

---

(١) أسرار التكرار ص١٩٣.

(٢) ملاك التأويل (١: ٤٢٤-٤٢٦). وفي أصل الكلام باستبدال سورة الأنعام بآل عمران.

بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

قال في الدرة: «إن الكلام في سورة النحل قد نقل عن الخطاب الذي صلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم وهو قوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم ...﴾ ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام إلى الإخبار الخاص فقال: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ فأكد الكلام بقوله: ﴿هُمۡ﴾ لئلا يتوهم أن هذا الإخبار خطاب وهو بالتاء دون الياء، ولم يكن الأمر كذلك في سورة العنكبوت؛ لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أعتنى عما يحصره للخبر دون غيره وهو قوله:﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ ... ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده بما يحصره على الخبر»(١).

السابع:

أ ـ في سورة الشعراء بعد تهديد فرعون للسحرة بالقتل قالوا: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٠].

ب ـ وفي سورة الزخرف بعد الامتنان من الله على عباده بما خصهم من النعم وتعليمهم كيف يستقلون ظهور السفن والدواب: ﴿ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].

قال أبو جعفر: «إن آية الشعراء هي خبر عن مجاوبة السحرة لفرعون، فهي بيان رجائهم وما ينتظرونه ثواباً على إيمانهم وصبرهم إزاء امتحان فرعون لهم. فالموضوع ليس موضع تأكيد ولا قسم، فلا مدخل للام هنا. وأما آية الزخرف فمبنية على ما تقدمها من

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٨٩٠-٨٩١) بتصرف.

الإخبار عن مشركي العرب في قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]. والمراد بذلك إقامة الحجة عليهم في إنكار البعث، فطابق ذلك وناسبه تأكيد قول المؤمنين»(١).

وفي الدرة وأسرار التكرار ما حاصله: «أن ما في سورة الزخرف عام لمن ركب السفينة أو الدابة، فحسن إدخال اللام على الخبر للعموم، وما في الشعراء كلام السحرة حين آمنوا ولم يكن فيه عموم»(٢).

ويمكن أن يقال: إن الآية التي تحدثت عن السحرة فيها قولهم (لا ضير) وهذه كأنما أغنت عن التأكيد. وأما الراكبين في الآية الثانية منهم في حال سرور وابتهاج ليدل على أن النعمة لن تدوم.

الثامن:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

قال الكرماني: «إن دخول اللام في الخبر في الأولى موافقة لقوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

قلت: وهذا ليس بالجواب؛ لأن ما اعتُمد عليه بحاجة أيضاً إلى جواب إذا علم أن في سورة الشورى أيضاً ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]. وأيضاً يمكن تخطئة جواب

---

(١) درة التنزيل ص٤٣٢، وأسرار التكرار ص١٩٢.

(٢) أسرار التكرار ص١٩٣.

الكرماني بأن الآية التي استشهد بها هي بعد الأولى وليست قبلها حتى يقال إنها جاءت ملائمة لها.

والذي يظهر للباحث في الجواب أن الأولى منهما سياقها سياق تهديد ووعيد بالمكذِّب بما أنزل الله تعالى في الكتاب، والتهديد إنما يلائمه التأكيد. وأما آية الشورى فليس سياقها كذلك، بل سياقها سياق إنعام وتفضل ورحمة، بأن الله لا يبسط الرزق لعباده لأجل أن لا يبغوا في الأرض، وهذا من رحمته سبحانه بهم، وهذا مقام الإنعام لا يحتاج إلى توكيد؛ لأنه معلوم.

ويمكن أن يقال أيضاً: إن آية فاطر تتحدث عن الوحي. والمنكرون له كثيرون خاصة في العهد المكي فالمقام يقتضي التوكيد. وآية الشورى ليس فيها شيء من هذا.

التاسع:

أ ـ وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤] فهذا من دعاء المؤمنين بعد أن دخلوا الجنة وذاقوا فيها النعيم، وعلموا فضل الله وشكره عليهم، بما منحهم من المنائح وأنقذهم من النار، فناسب هذا المقام زيادة اللام المعبرة عن غاية سرورهم وعظيم فرحهم.

ب ـ وأما في سورة الشورى فالآية واقعة بعد بيان: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾ [الشورى: ٢٢]، وأن هذا مما يبشر الله به عباده الموصوفين بتلك الصفة، ثم أخبر المولى سبحانه بعد هذه البشارة أن من يأتي بحسنة يجد عند الله الزيادة، وعله ذلك أن الله غفورٌ شكور، فهذا موضع إخبار بفضل الله ولايحتاج لزيادة كما في الموضع الأول ـ والله تعالى أعلم ـ.

العاشر:

أ ـ في قصة صالح عليه السلام: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود: ٦٧].

ب ـ وفي قصة شعيب عليه السلام: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

ومثل هذا لا إشكال فيه أصلاً، إذ إنه من قبيل الإخبار عن مصارع المكذبين من الكفار، وليس هناك ما يمنع من اتحاد مصارعهم أو تشابه عقوباتهم النازلة بهم، وهذا من هذا القبيل.

الحادي عشر:

أ ـ في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

ب ـ وعن موسى عليه السلام قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤].

وهذا أيضاً مما لا إشكال فيه، إذ لا مانع أن يتعدد الخبر بجزاء المحسنين لأكثر من شخصية مصطفاة من قبل خالقها.

ويظهر للباحث في سر اختيار هذين النبيين في مثل هذا السياق هو تشابه ما وقع في طفولتي النبيين من البلاء في الصغر إلى حد كبير، على أن الوصف بالإحسان قد وقع في سورة الصافات لكثير من الأنبياء والمرسلين، ولكن بغير هذا السياق ـ والله تعالى أعلم ـ.

الثاني عشر:

وقع في سورة المطففين قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩، ٢٠]. فيما يتعلق بكتاب الفجار وكتاب الأبرار، وهذا أيضاً مما لا إشكال فيه، فكلا الكتابين هكذا.

هذه هي الأمثلة التي وجدتها تحت هذا النوع من الأنواع الموضوعة في خطة الدراسة، وقد رأيت فيها من آيات الله في البلاغة نصيباً غير قليل.

النوع الثاني:

أولاً: في شأن المكذبين

أ ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

وفي الجواب عن ذلك يقول أبو جعفر: «إن قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ مقابلٌ به قولُ الشيطان لمن قدّم ذكْرُهُ من الكفار: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فقوبل قولُه المضمحل بإسناد القوة إلى الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ولما لم يرد في سورة آل عمران مثل هذا، وقع الاكتفاء بقوله: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ وزيد التأكيد في أول الأنفال بـ(إن) وزيادة اسمه القوي لما ذكرنا من رعي التقابل»[١].

والذي يظهر للباحث أن سورة آل عمران وقع فيها الإخبار قبل الآية التي معنا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] فهذا خبر بمصيرهم وما ينتظرهم من العقاب جزاء كفرهم.

وأما في الأنفال فوقع قبل الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١] فهذه الآية خبر عن إيقاع جانب من العذاب بهم على

---

(١) ملاك التأويل (١: ٢٩٣).

الحقيقة، ولما كان الأمر كذلك ناسبه الزيادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إذ لا يقدر على إيقاع العذاب بهم إلا من كان كذلك.

فلما اكتفي في آل عمران ببيان مصيرهم دون إيقاع العذاب بهم، ناسبه ما اقتصر عليه فيها ـ والله أعلم ـ.

ثانياً:

أ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ❁ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٥].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ❁ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٨-١٩].

الذي عليه المفسرون في هذا المحل أن زيادة الضمير ﴿هُمْ﴾ في آية هود إنما هو للتأكيد، وزاد في الكشاف وغيره: لاختصاصهم بالكفر[١].

وذهب ابن عاشور إلى أن زيادة ﴿هُمْ﴾ في هود إنما هي لتقوي الحكم، فقال في الموازنة بين الآيتين: «واختصت هذه الآية على نظيرتها في الأعراف بزيادة ﴿هُمْ﴾ في قوله: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وهو توكيد يفيد تقوي الحكم؛ لأن المقام هنا مقام تسجيل إنكارهم البعث وتقريرهم إشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب فحكي به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أدخلوا النار وظهر

---

(١) انظر في هذا معاني القرآن وإعرابه (٣: ٤٥)، والكشاف (٢: ٢٦٣)، وأنوار التنزيل بحواشيه: زاده (٣: ٤٠)، والخفاجي (٥: ٨٦)، ونظم الدرر (٩: ٢٥٦)، وإرشاد العقل السليم (٤: ١٩٦)، وروح المعاني (١٢: ٣١)، والمنار (١٢: ٤٨).

عقابهم، فلا غرض لحكاية ما فيه تأكيد كلام الأشهاد، وكلا المقالين واقع، وإنما يحكي البليغ فيما يحكيه ما له مناسبة بمقام الحكاية»[(١)].

وفي الدرة أن الضمير في آية هود للتأكيد، فقال موضحاً: «إن آية هود جاءت عقب قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ فأشير إليهم، ثم قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ فأظهر ذكر الظالمين في موضع الإضمار، ولو أجري على الحكم في إضمار الاسم عقيب الذكر لكان: ألا لعنة الله عليهم، فلما أظهر مكان الإضمار، تضمن معنى قوله: ﴿وَهُم﴾ أي: الظالمون هم الذين كذبوا على ربهم، وأشير بالكلام المتقدم إليهم، فلما استمر الكلام على الإضمار بعد ذكر الظالمين صار الظاهر كأنهم غير المشار إليهم بقوله: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ فأعيد ﴿هُمْ﴾ في قوله: ﴿هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ لتحقق الكفر عليهم بنسبة الأوصاف المتقدمة إليهم، وأولها كذبهم على ربهم، ثم ظلمهم لأنفسهم وصدَّهم عن سبيل الله، ووصفهم لها بدل الاستقامة بالاعوجاج، فكفرهم في هذه الأحوال بالله واستحقاقهم به عقوبةَ الله في الآية، فلما لم يصرف الخبر الثاني في سورة الأعراف مصرف ما ليس هو بالأول لم يحتج إلى توكيده، ولما عدل في سورة هود عن إعادة الضمير إلى الأول، ووضع مكانه ظاهراً يحتمل أن يكون غير الأول وعنى به أنهم هم، كان الموضع موضع توكيد لتحقيق الخبر عنهم بالكفر، وتثبيته عليهم بأوكد لفظ»[(٢)]. وكلام صاحب الدرة مقتصر على التأكيد دون أن يجيب عن سؤال فحواه لماذا جاء هذا التأكيد في سورة دون أخرى وربما يجيب عنه ما سيلي.

وفي أسرار التكرار تلخيص لكلام صاحب الدرة: «من أن الضمير ليُعلم أنهم هم المذكورون لاغيرهم، وفيه إرداف بأن ﴿هُمْ﴾ ليست للتوكيد؛ لأن ذلك يزداد مع الألف واللام ملفوظاً ومقدراً»[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير (١٢: ٣٤).

(٢) درة التنزيل ص١٤٦-١٤٧.

(٣) أسرار التكرار ص٨١، وفي تفسير السمين الحلبي أن ﴿هُمْ﴾ الثانية توكيد للأولى توكيداً لفظياً (٦: ٣٠٢).

وقال صاحب ملاك التأويل: «إن آية الأعراف مبنية على الإيجاز، وهود على الإطناب، بوضع الظاهر موضع المضمر، لذلك ناسبها زيادة الضمير»(١).

ثالثاً:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

ذهب صاحب الدرة إلى أن السبب في الاختلاف بين فاصلتي الآيتين هو مراعاة الفواصل في كلتا السورتين(٢).

وقال الكرماني: «إن الآية في سورة فصلت متصلة بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٥]، فكان مؤكدا بالتكرار وبالنفي والإثبات، فبالغ في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بزيادة ﴿هُوَ﴾ وبالألف واللام. لم يكن في الأعراف هذا النوع من الاتصال، فأتى على القياس، المخبر عنه معرفة، والخبر نكرة»(٣).

وفي ملاك التأويل ما حاصله: «إن سورة الأعراف تَقَدَّم فيها الآية من أوصاف آلهتهم، وأوثانهم المنحوتة من الحجارة والخشب، بأنها لا تقدر على شيء لا خلقاً، ولا نصراً، وأنها لاتسمع ولا تبصر، وليس لها آلة، لا للبطش ولا للسمع والبصر، فهي مباينة من أوصاف الأحياء، فورد الوصفان بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لأنه لم يتقدم شيء يوهم صلاحية ذلك لغير الله تعالى مما عبدوه.

---

(١) ملاك التأويل (١: ٤٩٦)

(٢) درة التنزيل ص١٨٢.

(٣) أسرار التكرار ص١٨٩.

وأما آية فصلت فتقدم قبلها من نحو قوله: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]، وقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وقوله: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [فصلت: ٢٩]، فحصل من هذا أن فصيلهم إنما كانوا من عالم الإنس والجن، وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر، وممن ينسب إليه علم، بخلاف المقدم في سورة الأعراف ذكره، فلما تقدم هنا من يظن منه الغنى، ويمكن أن يسمع ويبصر ويعلم، ناسبه التعريف في الصفة، ليعطي بالمفهوم نفي ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى... فصار الكلام في قوةِ أنْ لو قيل: الله هو السميع العليم لا غيره»(١).

قلت: وهو كلام حسن، ويزيد عليه في الحسن ما ذكره ابن القيم حيث قال: «إن الأمر بالاستعاذة في (سورة حم) وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس، وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولايلقاه إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى. والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا، بل يريه أن هذا ذل، وعجز، ويسلط عليه عدوه، فيدعوه إلى الانتقام ويزينه له، فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه، وأن لا يسيء إليه ولايحسن، فلا يؤْثر الإحسانَ إلى المسيء إلا من خالفه وآثر الله وما عنده على حظه العاجل، فكان المقام مقام تأكيد وتحريض فقال فيه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وأما في سورة الأعراف فإنه أمره أن يعرض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان بل بالإعراض، وهذا سهل على النفوس غير مستعص عليها، فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢).

---

(١) ملاك التأويل (١: ٥٧٩-٥٨٠).

(٢) بدائع الفوائد (٢: ٢٦٧).

رابعاً:

أ ـ قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

قال أبو جعفر في السبب في اتحاد الفاصلة: (إن آية إبراهيم عليه السلام لما ورد فيها قوله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وكان السابق من مفهوم هذا أن ذلك الأمر بيده عليه السلام، وقد قال له تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨] فلما كان السابق من مفهوم آية إبراهيم عليه السلام كما ذكر، أشار وصفه تعالى بالعزيز إلى قدرته تعالى وقهره، وأنه لا يكون من العباد إلا ما سبقت به إرادته التي لا يخرج واقع عن حكمها، وتعالى أن يكون في ملكه ما لايريد، ولو شاء لهدى الكل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] فأحرز الوصفُ بالعزة هذا المعنى العظيم... وكذا الوارد هنا بمعنى العلم... ومحال أن يرى من وصفِه اللهَ تعالى بالعلم، حكم الله تعالى في خلقه جارياً إلا على ما يشاؤه ويريده، إنه لو شاء لجمعهم على الهدى. فهذه الآية كآية إبراهيم من غير فرق، فوصفُه تعالى بالعزة تمام مقصودها»[1].

هذا، وقد وقع وصفه تعالى بالعزيز الحميد كذلك في قصة أصحاب الأخدود في قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] وهذا ـ والله أعلم ـ لبيان غرابة فعلهم وشناعته، إذ كان إيمانهم بمن هذه صفاته هو السبب في تقتيلهم وإحراقهم، وإن المفروض أن يحترم من يؤمن بالعزيز، ولا يمتهن من يؤمن بالحميد.

---

(١) ملاك التأويل (٢: ٧١٣– ٧١٤).

خامساً:

في قصة يوسف عليه السلام وقع قوله تعالى: ﴿نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦، ٧٨] حيث وردت مرتين، الأولى: على لسان السجينين، والثانية على لسان إخوة يوسف، وهذا ليس غريباً، إذ كان الذين مكثوا معه في السجن رأوا منه ما يقتضي وصفهم له بذلك، وكذا الحال بشأن إخوته لما رأوا من حسن معاملته. ويمكن أن يقال: إن سورة يوسف عليه السلام مبنية كلها على الإحسان.

سادساً:

أ ـ قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

ب ـ قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

وفي هاتين الآيتين اتحدت الفاصلة وزيد في الأولى اللام.

قال صاحب الدرة: (إن آية الحج قد تقدمها مجموعة من الآيات التي وقعت فيها تأكيدات متتالية، فجاءت هذه الآية على ذلك النمط من مراعاة التأكيد، واختلفت آية لقمان؛ لأنه ليس قبلها شيء من ذلك»[١].

والذي يظهر للباحث أن التأكيد في آية الحج جاء لمراعاة مقصود السورة الكريمة، إذ إن مقصودها كما يقول البقاعي: «الحث على التقوى»[٢]، والحث على التقوى يتناسب معه التأكيد، ولما لم يكن مقصود سورة لقمان مثل هذا ناسبها ما ذكر فيها ـ والله أعلم ـ.

سابعاً:

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

---

(١) درة التنزيل ص٣١٣، وانظر ملاك التأويل (٢: ٨٦٨).

(٢) مصاعد النظر (٢: ٢٩٤).

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

قال الرازي صاحب المسائل: «لأن الأول ابتداء إخبار لم يحتج إلى التأكيد باللام، بخلاف الثاني، فإنه جواب بعد الإنكار والتكذيب، فاحتاج إلى التأكيد»[١].

وبعد، فهذه هي الأمثلة التي وقعتُ عليها تحت هذا المبحث، وأرجو أن أكون أمطت عن ووجهها لثاماً فبرزت بلاغتها مما يبهر العيون.

* * *

(١) مسائل الرازي ص٢٨٨.

الفصل الثالث

مشكلات الفواصل القرآنية

ما المراد بالمشكلات هنا؟

إن الإشكال المراد في هذا المحل يكون على أنحاء:

١ـ كون الفاصلة غير متلائمة مع ما جاءت به، وذلك بحسب النظر الظاهر.

٢ـ كون الفاصلة تثير تساؤلاً حول وجودها في ذلك المكان.

٣ـ كون بعض الفواصل ـ بحسب النظر الظاهر ـ يكون من قبيل الإطناب، ومعناها يكون متضمناً فيما قبلها، فما فائدة وجودها؟

٤ـ كون العلاقة بين الفاصلة وما سبقها غير ظاهرة.

هذه هي أنحاء الإشكالات التي تقع عل الفاصلة القرآنية، والتي سيتم كشفها والإجابة عما تحتها من خلال الأمثلة الكثيرة التالية:

١ـ في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

والمتبادر للذهب ختم هذه الآية الكريمة بـ(على كل شيء قدير) مثلاً. وفي الجواب عن هذا قال السيوطي: «إن هذه الآية لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، وخلق السموات خلقاً مستوياً، محكماً من غير تفاوت، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالماً بما فعله، كلياً وجزيئاً، مجملاً ومفصَّلاً، ناسب ختمها بصفة العلم»(١).

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا

---

(١) الإتقان (٢: ١٠٣)، وانظر الفاصلة القرآنية ص ١٦٠، وكلام الإتقان في الكشاف (١: ٢٧١).

وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

وفي فاصلة هذه الآية قوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ متضمن كما يقال في قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فما الفائدة في ذكره إذا كان كذلك؟

وقد وقع مثل هذا الجزاء في سورة [آل عمران: ٢٣] و[الأنفال: ٢٣] و[التوبة: ٧٦] والإشكال قائم أصلاً على اعتبار أن التولي والإعراض شيء واحد، وليس ذلك بلازم.

قال الخفاجي في التفريق بين اللفظين: «وقيل: إن التولي والإعراض مَثل مأخوذ من سلوك الطريق، وإذا اعتبرنا حال سالك الطريق المنهج في ترك سلوكه فله حالتان:

إحداهما: أن يرجع عوده على بدئه، وذلك هو التولي.

والثانية: أن يترك المنهج ويأخذ في عرض الطريق.

والمتولي أقرب أمراً من المعرض؛ لأن من ندم على رجوعه سهل عليه العود إلى سلوك المنهج، والمعرض حيث ترك المنهج، والآخذ في عرض الطريق، يحتاج إلى طلب منهجه، فيعسر عليه العود إليه، وهذا غاية الذم؛ لأنهم جمعوا بين العود عن السلوك والإعراض. وقيل: إن التولي قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد، والإعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب»[1].

وجعل الرازي صاحب المسائل كل لفظة خاصة بشيء فقال: «معناه: ثم توليتم عن الوفاء بالميثاق والعهد، وأنتم معرضون عن الفكر والنظر في عاقبة ذلك»[2].

---

(١) حاشية الخفاجي (٢: ١٩٥)، وقد نسب الخفاجي كلامه هذا للراغب ولم أجده في المفردات، وانظر حاشية زاده (١: ٣٤١) وروح المعاني (١: ٣١٠).

(٢) مسائل الرازي ص٧.

وبالجملة، فإن غاية الذم الجمع بين هذين الوصفين في حق من وصف بهما كما يقول الكفوي[١].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وإذا كان الشكر فلا كفران، فكيف جمع بينهما هنا؟

قال الرازي في المسائل: قوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ معناه استعينوا بنعمتي علي طاعتي، وقوله: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ معناه لا تستعينوا بنعمتي على معصيتي. وقيل: الأول أمر بالشكر، والثاني: أمر بالثبات عليه»[٢].

ونقل ابن عاشور عن ابن عرفة ما يوضح القول الثاني فقال: «قال ابن عرفه: (ليس عطف قوله: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ بدليل على أن الأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده؛ وذلك لأن الأمر بالشكر مطلق (أي: لأن الأمر لا يدل على التكرار فلا عموم له) فيصدق بشكره يوماً واحداً، فلما قال: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ أفاد النهي عن الكفر دائماً) انتهى. قال ابن عاشور: «يريد لأن الفعل في سياق النهي يعم، مثل الفعل في سياق النفي؛ لأن النهي أخو النفي»[٣].

٤ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

ربما أشكل ورود هذه الفاصلة في هذا المحل؛ لأن ذكر المغفرة بعد الذنب إطماع عليه؟

والجواب عن هذا: أن من العلماء من جعل كل جزء من الفاصلة متعلقاً بجملة من الآية، فقال البقاعي: «لما كان ذكر المؤاخذة مقطعاً لقلوب الخائفين سكّنها بقوله مُظهِراً موضع الإضمار إشارةً إلى أن رحمته سبقت غضبه ﴿وَٱللَّهُ﴾ أي: مع ما له من العظمة ﴿غَفُورٌ﴾ أي:

(١) الكليات (١: ٢٠).

(٢) مسائل الرازي ص١٠.

(٣) التحرير والتنوير (٢: ٥١).

ستور لذنوب عباده إذا تابوا، ولما كان السياق للمؤاخذة التي هي معاجلة كل من المتناظرين لصاحبه بالأخذ، كان الحلم أنسب الأشياء، لذلك قال: ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلهم بالأخذ»(١).

وقال أبو حيان: «قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ جاءت هاتان الصفتان تدلان على توسعة الله على عباده حيث لم يؤاخذهم باللغو في الأيمان، وفي تعقيب الآية بهما إشعار بالغفران والحلم على من أوعده تعالى بالمؤخذة، وإطماع في سعة رحمته؛ لأن من وصف نفسه بكثرة الغفران والصفح، مطموعٌ فيما وَصَفَ به نفسَه، فهذا الوعيد الذي ذكره الله تعالى مقيد بالمشيئة كسائر وعيده تعالى»(٢).

وقال ابن عاشور: «ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا، دون الرحيم؛ لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف نفسه بالحليم؛ لأن الحليم هو الذي يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة»(٣).

٥ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٧].

وقد يشكل على هذه الآية بالقول: ما فائدة ﴿سَمِيعٌ﴾ إذا كان العزم مما يُعلم لا يُسمع؟

قال الرازي صاحب المسائل: «إن الغالب أن العزم على الطلاق، وترك الفيء لا يخلو عن مقاومة ودمدمة، وإن خلا عنها فلا بد له أن يحدِّث نفسه ويناجيها بما عزم عليه، وذلك حديث لا يسمعه إلا الله تعالى، كما يسمع وسوسة الشيطان»(٤)

٦ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

---

(١) نظم الدرر (٣: ٢٨٨-٢٨٩)، وقريب مما فيه ذكره أبو السعود (١: ٢٢٤).

(٢) البحر المحيط (٢: ١٨٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢: ٣٨٤).

(٤) مسائل الرازي ص١٦.

ربما أشكل في هذه الفاصلة كونها جاءت هكذا دون «والله بكل شيء عليم» مثلاً.

قال السيوطي: «لما كانت هذه الآية في سياق الوعيد على موالاة الكفار، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب، ناسب ختمها بصفة القدرة»[١].

٧ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ربما قيل: كيف يجوز أن يخلقه ثم يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وقد تقدم خلقه له، وذلك تناقض؟

قال القاضي عبد الجبار: «إن المراد خلق آدم من تراب ثم قال له: كن حياً وعلى سائر الصفات، فالذي كونه: من حياته وغيرها وهو غير الذي خلقه من قبل، وكذلك القول في عيسى، أنه خلق الصورة ثم قال له: كن على هذا المثال. هذا متى حُمل قوله: ﴿كُن﴾ على الحقيقة. فأما إذا إريد بذلك أنه كوّنه حياً بعد أن خلق الشخص، فلا تناقض في ذلك، وإنما بيّن تعالى بأنه مثل آدم أنه مخلوق من لاشيء متقدم يجري مجرى الأصل له، كالنطفة والعلقة، لتعرف قدرته على ابتدائه، وليعلم أصحاب الطبائع بطلان قولهم، فقد كان في ذلك الزمان فيهم كثرة»[٢].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

ربما قيل: كيف يصح أن يصفها بأنها أعدت للكافرين، ويقولون فيمن ليس بكافر من الفساق: إنه يدخلها؟

قال القاضي عبد الجبار: إن ذلك يحتمل أمرين:

---

(١) الإتقان (٢: ١٠٣).

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٦٨، وانظر التفسير الكبير (٨: ٨٤).

«**الأول**: أن اتقاء النار هنا معناه اتقاء المعاصي التي توجب استحقاق عقاب النار.

الثاني: قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ لايمنع من كونها معدة لغيرهم؛ لأن ذلك الشيء بحكمه لا ينفي أنّ ما عداه مثله، وهذا كقوله تعالى في وصف النار: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]. ومعلوم أن من لا يوصف بذلك من الحور والأطفال يُجنبون النار أيضاً»(١).

وزاد الرازي وجوهاً أخر منها:

«**أولاً**: أنه لا يبعد أن يكون في النار دركات(٢) أعد بعضها للفساق، فقوله: ﴿النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ إشارة إلى تلك الدركات المخصوصة التي أعدها الله للكافرين، وهذا لا يمنع ثبوت دركات أخرى في النار أعدها الله لغير الكافرين.

ثانياً: أن كون النار معدة للكافرين، لا يمنع دخول المؤمنين فيها؛ لأنه لما كان أكثر أهل النار هم الكفار فلأجل الغلبة لايبعد أن يقال: هي معدة لهم.

ثالثاً: أن هذا الخبر عن النار يوازيه أخبار أخرى صرح فيها بغير ذلك، ولما كان القرآن كالقطعة الواحدة كان ما لم يذكر هناك في حكم ما ذكر.

رابعاً: أن المراد بهذا التركيب كله تعظيم الزجر بالنهي عن المعاصي»(٣).

نقل الزمخشري عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يقول: «هي أخوف آية في القرآن، حيث أوعد المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه»(٤).

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: **١٤٣**]. ربما قيل كيف يصح أن يَلقَى الموت وهو ينظر؟

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٨٠.

(٢) بل هي كذلك وعبارة الرازي فيها ركاكة. وجاءت الركاكة من قوله (ولا يبعد) فقد أثبتت النصوص الشرعية هذا الأمر فكيف يقال هذا.

(٣) التفسير الكبير (٩: ٤٠٣).

(٤) الكشاف (٢: ٤٦٣).

قال القاضي عبد الجبار: «إن المراد رؤية أسباب الموت ومقدماته دون نفس الموت؛ لأن الميت لا يتمكن من أن يكيِّف الموت ويراه»[١].

وقال الزمخشري: «يعني رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم، وشارفتم أن تقتلوا»[٢].

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

ربما قيل: كيف ذلك والجنة ليس فيها شمس؟

وهذا إشكال غير قائم أصلاً؛ لأنه يمكن أن يكون لو كان التعبير في الآية بلفظ (الفيء). قال الراغب: (الظل أعم من الفيء، فإنه يقال: ظل الليل، وظل الجنة، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظل، ولا يقال: الفيء إلا لما زال عنه الشمس، ويعبر بالظل عن العزة والمنعة وعن الرفاهة، ثم أخذ في سرد الشواهد من القرآن على ذلك»[٣].

وقال الرازي: «واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة، فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة، ولهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة، قال عليه الصلاة والسلام: «السلطان ظل الله في الأرض»[٤].

فإذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة، هذا ما يميل إليه خاطري، وبهذا الطريق يندفع سؤال من يقول: إذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٨٠.

(٢) الكشاف (٢: ٤٦٧).

(٣) المفردات: ظل.

(٤) الحديث: قال العجلوني: رواه ابن النجار عن أبي هريرة، ورواه البيهقي والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً. انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، (١: ٤٥٦) حديث رقم ١٤٨٧. وبيض له العجلوني.

بحرّها، فما فائدة وصفها بالظل الظليل؟ وأيضاً، نرى في الدنيا أن المواضع التي يدوم الظل فيها، ولا يصل نور الشمس إليها يكون هواؤها عفناً، فاسداً مؤذياً، فما معنى وصف هواء الجنة بذلك؟ لأنه على الوصف الذي لخصناه تندفع هذه الشبهات»[١].

١١ـ قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١٨].

وقريب من هذا المحل في سورة [براءة: ٧١] و[غافر: ٨] و[الممتحنة: ٥]، حيث إن المتبادر إلى الذهن ختم هذه الآية ومثيلاتها بالغفور الرحيم.

قال أبو جعفر ابن الزبير في شأن آية المائدة: «إنها مبنية على التسليم لله سبحانه وتعالى، وأنه المالك لكان يفعل فيهم ما يشاء، فلو ورد هنا عقب هذه الآية: ـ وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم ـ لكن تعريضاً بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك بالآية، وإنما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام تبرياً وتسليماً لله سبحانه وتعالى، وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تنصل من حالهم، وتسليم لله فيهم، قال القرطبي رحمه الله: (لم يقل: الغفور الرحيم؛ لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر الغفور تعريضاً للسائل، والكلام لتسليم الأمرين والحكمةُ تقتضيهما، وكأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزك ولا تخرج عن حكمتك»[٢].

وقال في البرهان: «قد أشكل هذا الموضع، فإن قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يوهم أن الفاصلة: الغفور الرحيم، وكذا نقلت عن مصحف أبيّ رضي الله عنه وبها قرأ ابن شنبوذ[٣]، ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حُكمه، فهو العزيز؛ لأن العزيز في صفات الله

(١) التفسير الكبير (١٠: ١٤١-١٤٢)، وانظر مسائل الرازي ص٤٩.

(٢) ملاك التأويل (١: ٤٠٨-٤٠٩)، وانظر الجامع لأحكام القرآن (٦: ٣٧٨).

(٣) هذه القراءة شاذة بالإجماع ولا يعوّل عليها بشيء هنا.

تعالى هو الغالب،... ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً؛ لأن الحكيم من يضع الشيء في محله، فالله تعالى كذلك، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم من استحقاقهم العذاب فلا معترَض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته، وقيل: لا يجوز «الغفور الرحيم»؛ لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، وقيل: لأن المقام مقام تَـبَرّ، فلم يذكر الصفة المقتضية استمطاء العفو لهم، وذكر صفة العدل في ذلك، بأنه العزيز الغالب. وقوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يعترض عليه إن عفا عمن يستحق العقوبة»(١).

قلت: ويمكن أن يجاب عن الآيات المشابهة لهذه الآية ببعض هذه الأجوبة ـ والله أعلم ـ.

١٢ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وهذا حكايةً عن أهل النار. فإن: قيل: كيف قال عنهم: ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ والإبلاس هو الإياس، ثم قال بعد ذلك في شأنهم من حكاية أقوالهم: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فطلبوا الفرج بالموت؟

قيل في الجواب: «تلك أزمنة متطاولة، وأحقاب ممتدة، فتختلف فيها أحوالهم، فيغلب عليهم اليأس تارة فيسكتون، ويشتد ما بهم من ألم العذاب تارة فيستغيثون»(٢).

١٣ـ قوله تعالى: ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠] ربما قيل: أليس في التصريح بضلالهم ما يغني عن أنهم لم يكونوا مهتدين حتى يصرح به ثانية؟

---

(١) البرهان (١: ٨٩-٩٠)، وانظر الإتقان (٢: ١٠٣)، والفاصلة القرآنية ص١٥٧.

(٢) مسائل الرازي ص٣١٣.

قال الرازي صاحب المسائل: إن الفائدة في ذلك: «الإعلام بأنهم بعدما ضلوا لم يهتدوا مرة أخرى، فإن من الناس من يضل ثم يهتدي بعد ضلاله»[١].

وقال الخفاجي في الآية الثانية: «وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ بعد قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟﴾ للمبالغة في نفي الهداية عنهم؛ لأن صيغة الفعل تقتضي حدوث الضلال بعد أن لم يكن، فلذا أردف بهذه الحال، لبيان عراقتهم في الضلال وإنما ضلالهم الحادث ظلمات بعضها فوق بعض»[٢].

قلت: ويظهر ـ والله أعلم ـ أن في مثل الآية الأولى أمراً آخر غير المبالغة، وهو نفي العلاقة بينه وبين من هم موصوفون بذلك، فإن الضال قد يضل في نفسه لكنه قد يبقى معايشاً لزمر المهتدين، فأريد هنا بيان المفاصلة بينه وبينهم، فكأنه لا علاقة له بهم، وإنما هو كالشارد وحده ـ والله أعلم ـ.

١٤ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والإشكال قائم من تصريحه موسى ﷺ بالأولية في الإيمان وقد سبقه في أزمنة أخرى مؤمنون. وهذا لا إشكال فيه، فإنه ﷺ أراد: (وأنا أول المؤمنين يا الله بأنك لا تُرى بالحاسة الفانية من الجسد الفاني في دار الفناء، أو معناها: وأنا أول المؤمنين من بني إسرائيل في زماني، وقيل: أراد بالأول: الأقوى والأكمل في الإيمان، يعني لم يكن طلبي للرؤية لشك عندي في وجودك أولضعف إيماني، بل لطلب مزيد من الكرامة»[٣].

قلت: والثاني من الأقوال أقواها وأولاها ـ والله أعلم ـ.

---

(١) مسائل الرازي ص٨٩.

(٢) حاشية الخفاجي (٤: ١٠٣).

(٣) مسائل الرازي (٩-١٠٠).

١٥ـ قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

فإن قيل: كيف عطف الاسمية على الفعلية؟ أو لِمَ لَمْ يقل: صمتُّم؟

لخّص ابن عاشور أقوال العلماء في هذا المحل بقوله: «ووقع قوله: ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ معادلَ ﴿أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ مع اختلاف الأسلوب بين الجملتين بالفعلية والاسمية، فلم يقل: أم صمتم، ففي تفسير القرطبي عن ثعلب: أن ذلك لأنه رأس آية (أي: لمجرد الرعاية على الفاصلة) قال: وصامتون، وصمتم عند سيبويه واحد (أي: الفعل والوصف المشتق منه سواء) يريد لا تفاوت بينهما في أصل المعنى؛ لأن ما بعد همزة التسوية، لما كان في قوة المصدر لم يكن فيه أثر للفرق بين الفعل والاسم، إذ التقدير: سواء عليكم دعوتكم إياهم، وصمتكم عنهم، فيكون العدول إلى الجملة الأسمية ليس له مقتض من البلاغة بل هما عند البليغ سيان، ولكن العدول إلى الاسمية من مقتضى الفصاحة؛ لأن الفواصل والأسجاع من أفانين الفصاحة، وفيهما تظهر براعة الكلام، إذ يكون فيه إيفاء بحق الفاصلة مع السلامة من التكلف. قال المرزوقي في ديباجة شرحه على الحماسة: (والقافية يجب أن تكون كالموعود به المنتظر، يتشوقها المعنى بحقه، واللفظ بقسطه، وإلا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستغنٍ عنها).

والتحقيق أن الجملة الاسمية دلت على ثبوت الوصف المتضمنة له مع عدم تقيد بزمان، ولا إفادة تجدد، بخلاف الفعلية، وهو صريح كلام الشيخ في دلائل الإعجاز، والسكاكي في المفتاح. لكن كلام الزمخشري في هذه الآية ينادي على أن جملة: ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ دالة على استمرار صمتهم، وكذلك كلام السكاكي في إبداء الفرق بين الجملتين في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]... وظاهر كلام الشيرازي في شرح المفتاح: أن الثبوت يستلزم الاستمرار، وقال الشارح التفتزاني في شرح المفتاح: «الحق أن الجملة الاسمية التي تكون عدولاً عن الفعلية تفيد الدوام الذي هو كالثبوت»، وفسر في شرح تلخيص المفتاح الثبوت بمقارنة الدوام،

وأما السيد في شرح المفتاح، وحاشيته على المطول، فقد جعل الجملة الاسمية قد يقصد بها الدوام، إثباتاً ونفياً بحسب المقامات. وعندي أن الجملة الأسمية لا تفيد أكثر من الثبوت المقابل للتجدد، وأما الاستمرار والدوام فهو معنى كنائي لها يحتاج في استفادته إلى القرينة المعينة وهي منفية هنا، فالمعنى: سواء عليكم أدعوتموهم دعوة متجددة أم لازمتم الصمت، وليس المعنى على الدوام، وقد احتاج صاحب الكشاف إلى بيانه بطريقة الدقة. بإيراد السؤال والجواب على عادته، وأيا ما كان فالعدول عن الجملة الفعلية في معادل التسوية اقتضاه الحال البلاغي، خلافاً لثعلب»(١). انتهىٰ.

وقال الزمخشري: «فإن قلت: هلا قيل: أم صَمتم. ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية؟ قلت: لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم. فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إذا دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءكم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم»(٢).

هذا، وذهب أبو حيان في البحر إلى متابعة ثعلب(٣).

وفي تفسير أبي السعود أن العدول عن الفعلية إلى الاسمية للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر(٤)، وهو متابعة منه للزمخشري. وردّ الآلوسي القول بأن التركيب للفاصلة بأنه لو قيل: تصمتون تم المراد(٥).

١٦ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٩: ٢١٩-٢٢٠)، وانظر حاشية الخفاجي (٤: ٢٤٦).

(٢) الكشاف (٢: ١٣٨).

(٣) البحر المحيط (٤: ٤٤٢).

(٤) إرشاد العقل السليم (٣: ٣٠٦).

(٥) روح المعاني (٩: ١٤٣).

(إن قيل: ما فائدة الفاصلة مع بيان كفرهم؟ قيل: إن فائدتها بيان أن شر الكفار الذين كفروا واستمروا على الكفر إلى وقت الموت)[١].

١٧ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

ربما قيل: إنه لا داعي لهذه الفاصلة؛ لأنها متضمنة فيما سبقها. إلا أنه قال الرازي صاحب المسائل: إن الفاصلة لأجل التوكيد[٢].

قلت: وهذا وهم، وليس في الآية توكيد؛ لأن تركيب ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ معاً خاص بالمنهزم الذي لا يلوي على شيء، ولم يقع في القرآن الكريم بهذا التركيب إلا بهذا المعنى ـ والله أعلم ـ.

١٨ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

والإشكال قائم لو أريد بهذا التركيب الحصر. وهذا التركيب في هذه الآية لا يراد به الحصر بمعنى أن غيرهم ليس كذلك، وإنما المراد المبالغة، قال ابن عاشور: لأنهم لما بلغوا النهاية في الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق[٣].

١٩ـ قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قد يقال: إن الرحمة والمغفرة للمسيئين، فلماذا كانت الفاصلة كذلك؟

قال الرازي صاحب المسائل: «معناه: والله غفورٌ رحيم، للمسيئين إذا تابوا، فهو متعلق بمحذوف، لا بالمحسنين؛ لأنهم قد سدوا بإحسانهم طريق العقاب والذم، فليس عليهم سبيل فيهما. والثاني: أن المحسن من الناس وإن تناهى في إحسانه، لا يخلو عن

---

(١) مسائل الرازي ص١١٠، والكشاف (٢: ١٦٤)، والتفسير الكبير (١٥: ١٨٨).

(٢) مسائل الرازي ص٣٠٦.

(٣) التحرير والتنوير (١٠: ٢٥٥)، وانظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص١٦٨.

إساءة بينه وبين الله تعالى، أو بينه وبين الناس، لكنه إذا أحسن باجتناب الكبائر غفر الله له صغائر سيئاته ورحمه»[١].

قلت: وليس الأمر كذلك، والوجه الأول في غاية التكلف، والمراد بالمحسن هنا هو الناصح لله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فهو من الإظهار في مقام الإضمار تنبيهاً على أن نصحهم لله ورسوله جعلهم في هذه المرتبة، هؤلاء إذا جاءوا صادقين يريدون الجهاد وهم بهذه الأوصاف، لا سبيل عليهم ولا حرج والله يعفو عنهم ويغفر لهم، وهذا من رحمة الكريم. والله تعالى أعلم.

٢٠ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].

قد يقال: إذا كانت التوفية إعطاء الشيء وافياً، فما فائدة الفاصلة؟

وقد وقع للعلماء تقاول في هذا المحل لخصه الآلوسي فقال: «﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾: حال مؤكدة من النصيب، وفائدته دفع توهم التجوز، وإلى هذا ذهب العلامة الطيبي، وقال: إنه الحق، وفي الكشاف أنه جيء بهذه الحال عن النصيب الموفى؛ لأنه يجوز أن يوفى وهو ناقص، ويوفى وهو كامل، ألا تراك تقول: وفيته شطر حقه، وثلث حقه، وحقه كاملاً، وناقصاً. انتهى.

وتعقبه أبو حيان بأن هذه مغلطة؛ لأنه إذا قيل: وفيته شطر حقه، فالتوفية إنما وقعت في الشطر، وكذا ثلث حقه، والمعنى أعطيته الشطر أو الثلث كاملاً، لم أنقصه منه شيئاً، وأما قولك: وفيته حقه كاملاً فالحال فيه مؤكدة؛ لأن التوفية تقتضي الإكمال، وأما قولك: وفيته حقه ناقصاً فغير صحيح؛ لأنه يتنافى مع التوفية. انتهى.

---

(١) مسائل الرازي ص١٢٢.

وقال ابن المنير: إنه وهم؛ لأن التوفية تقتضي عدم نقصان الموفى، كاملاً كان أو بعضاً، فقولك: وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصان النصف الموفى، فالسؤال عن وجه انتصاب هذه الحال قائم بعد.

والأولى أن يقال: استعملت التوفية بمعنى الإعطاء، كما استعمل التوفي بمعنى الأخذ، ومَن قال: اعطيت فلاناً حقه، كان جديراً أن يؤكده بقوله: ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾. انتهى.

وفي الكشف أقوال في تعليق التوفية بالنصف مع أن الكل حقه، ما يدل على مطلوبه، إذ لافرق بين قولك: نصف حقه، وحقه منصفاً، فجاز: وفيته نصيبه منصفاً، ونصيبه ناقصاً، ويحسن فائدة التأكيد، ويظهر أن الواهم من هو فتأمل»[١]. انتهى.

قلت: وهو يريد بالكلام الأخير توهيم ابن المنير.

هذا، وقد نقل السمين الحلبي اعتراض شيخه أبي حيان على الزمخشري ورده بقوله: «فيه نظر، إذ هو شائع في تركيبات الناس المعتبر قولهم؛ لأن المراد بالتوفية مطلق التأدية»[٢].

وأما صاحب المحاكمات فاقتصر على ذكر التقاول بين العلمين ولم يختر قولاً على قول[٣]. ووقع في حاشية الكازروني على البيضاوي أنه لا وجه لأن يقول: وفيت بعض حقه غير منقوص[٤]، وهو تأييد لأبي حيان كما لا يخفى.

وفي حاشية القاضي زاده: «إن الموفى لا يجوز أن يكون ناقصاً، فيجب أن يكون سبيل قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ سبيل الحال المؤكدة، وهي أن تقرر مضمون الجملة لدفع

---

(١) روح المعاني (١٢: ١٤٨)، وانظر الكشاف (٢: ٢٩٥)، ومعه حاشية ابن المنير، وانظر البحر المحيط (٥: ٢٦٥-٢٦٦)

(٢) الدر المصون (٦: ٣٩٦).

(٣) المحاكمات، مخطوط ورقة ١٤٧ب.

(٤) حاشية الكازروني (٣: ١٢٣).

توهم التجوز، فإن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ بمعنى لمعطوهم، ولو مجازاً، فلما قيد به اندفع التوهم فكان حالاً مؤكدة»(١).

وأما معنى الوفاء، فقد قال في مختار الصحاح، والكليات: «وافاه حقه: إذا أعطاه إياه وافياً»، وقال في اللسان: «وفي الكيل: وافاه: أتمه، وتوفيتُ المالَ منه: إذا أخذتَه كله»، ونقل عن شمر: «أوفاني حقه: أتمه ولم ينقص منه شيئاً». انتهى. ولم أجد أحداً صرح بأن التوفية تطلق على مطلق الأداء كما ذهب إليه السمين.

وبالجملة، فإن الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ هذه الآية خطاب للنبي ﷺ بشأن الكفار، وهي تحتمل في شأنهم احتمالين:

الأول: أن المراد بتوفية النصيب هو ما قدر لهم من العذاب جزاء على كفرهم بالله.

الثاني: أن المراد بتوفية النصيب هو ما قدر لهم من حظوظهم في الدنيا.

فإذا أريد المعنى الأول فلا شك حينئذ أن: ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ واقعة موقعاً هي فيه كواسطة العقد، فلربما تخيل المتخيل أن المراد بتوفيتهم نصيبهم من العذاب مجرد التهديد، فكانت هذه الفاصلة قاطعة كل احتمال بأن لا يكون العذاب على حقيقته.

وإذا أريد المعنى الثاني فلربما تخيل المتخيل أنّ هؤلاء لما كفروا بالله تعالى لا يمكن أن ينالوا حظهم من الدنيا، فجاءت هذه الفاصلة لتقول: إن عدل الله تعالى وقضاءه الحق كان بإعطائهم حظوظهم في الدنيا كاملة لا يشوبها أي نقص، فسبحان الكريم العادل.

٢١ ـ أ ـ قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

ب ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

---

(١) حاشية زاده (٣: ٦٨).

ربما قيل: إذا اجتمعت المغفرة والحلم في القرآن الكريم تقدمت عليه، فما بالنا نرى وصف ﴿حَلِيمٌ﴾ يتقدم هنا؟

والجواب أن الفاصلة الأولى لا يلائم المكان الذي هي فيه غيرها، فسبحان من هذا كلامه، فإن هذه الآية متحدثة عن أن كل شيء في السموات والأرض يسبح بحمد الله ويدل عليه، أليس من الغفلة التي تستحق العقوبة، ألا يفقه كثير من المكلفين دلالة هذه المخلوقات على خالقها ومُنشئها، فإذا كانوا غافلين استحقوا العقوبة، فإذا لم يعاجلهم سبحانه بها كان حليماً، ولهذا قدم الحلم هنا[1].

وأما الآية الثانية ففيها يمتن الله سبحانه على الخلق جميعاً، بأنه يمسك السمواتِ والأرضَ أن تزولا، ولئن زالتا لا يمسكهما أحد بعد الله تبارك وتعالى. سير هذا العالم على نظام بديع بحيث لا يتصادم نجمان أو يقع أحد هذه الأجسام العلوية على الأرض، مع كثرة المعاصي التي يفعلها الخلق، أليس ذلك حلماً عظيماً من رب العالمين؟ لذلك قدم الحلم في هذه الآية الكريمة[2].

٢٢ـ قوله تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] لربما قيل: النداء: رفع الصوت والصياح، فكيف وصفه الله تعالى بكونه خفياً؟

قال الزمخشري عن الحسن: نداء لا رياء فيه، أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر والشيخوخة، أو أسره عن مواليه الذين خافهم، أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات وسمعه تارات[3].

وفي تفسير الرازي جواباً عن الجمع بين كونه نداء وكونه خفياً من وجهين:

---

(١) انظر الفاصلة القرآنية ص١٦٢، وانظر مشكلات الفواصل للدكتور علي محمد حسن في مجلة الوعي عدد١٠٨ ص١٩-٢٠.

(٢) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص٩٤، والمقال السابق من المجلة السابقة عدد ١١٠ ص١٦.

(٣) الكشاف (٢: ٥٠٢)، ومسائل الرازي ص٢٠٩.

«**الأول**: أنه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت، إلا أن الصوت كان ضعيفاً لنهاية الضعف بسبب الكبر، فكان ﴿نِدَآءً﴾ نظراً إلى قصده، و﴿خَفِيًّا﴾ نظراً إلى الواقع.

الثاني: أنه دعا في الصلاة، لأن الله تعالى أجابه في الصلاة. لقوله سبحانه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي﴾ [آل عمران: ٣٩] فكون الإجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء في الصلاة فوجب أن يكون النداء فيها خفياً»(١).

وفي تفسير الآلوسي: «أن النداء مراد به الدعاء، فلا منافاة، ولو فسر النداء برفع الصوت لما كان هناك تنافٍ أيضاً؛ لأن الخفاء غير الخفوت، ومن رفع صوته في مكان ليس بمرأى ولا مسمع من الناس فقد أخفاه، وقيل: هو مجاز عن عدم الرياء، أي: الإخلاص، ولم ينافه النداء بمعنى رفع الصوت لهذا»(٢).

وقال الراغب: «قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ إنه أشار بالنداء إلى الله تعالى؛ لأنه تصور نفسه بعيداً منه بذنوبه، وأحواله السيئة كما يكون حال من يخاف عذابه»(٣).

قلت: وهذه كلها لطائف لطيفة، ونكت ظريفة، وقديماً قالوا: إن النكت لا تتزاحم.

٢٣ـ قوله سبحانه عن مريم عليها السلام: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨] ربما قيل: كيف تتعوذ بالله من الأتقياء؟

والجواب عن هذا: أنها قالت هذا القول وهي لا تعرفه، قالت: أعوذ بالرحمن منك إن كنت ممن يتقيه ويخشى عذابه، على وجه التخويف، كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني(٤).

---

(١) التفسير الكبير (٢١: ١٨١)، والوجه الثاني ليس بلازم.

(٢) روح المعاني (١٦: ٥٩).

(٣) المفردات: ندا.

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٢٤٦-٢٤٧، وانظر التفسير الكبير (٢١: ١٩٨)، وروح المعاني (١٦: ٧٦-٧٧).

والحاصل أنها خاطبته بعنوان التقوى الذي هو وقاية من كل سوء:

ومما ينبغي التنبيه له أنه يشيع على بعض الألسنة أن (تقيا) اسم لشخص كان فاجراً في بني إسرائيل، وأن مريم عليها السلام تعوذت بالله منه ظناً أنه هو. وهذا القول ذكره الرازي كآخر قول في تفسيره هذه الآية. وهو حقيق بأن يبقى متأخراً، بل هو حقيق بأن لا يكتب في الكتب؛ لأنه قول ركيك لا يدل عليه إلا ولع الكاتبين بالقصص الإسرائيلي الذي لا يحترم أحداً.

١٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم: ٦١].

ربما قيل: كيف لم يقل: آتيا عن الوعد؟

والجواب من وجهين كما في تفسير الكشاف وغيره:

الأول: أن مفعولاً هنا بمعنى فاعل.

الثاني: ـ وهو الذي رجحه الزمخشري ـ أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها[(١)].

وفي تفسير ابن عاشور أن هذا استعارة تمثيلية، قال: «وقد استعير الإتيان لحصول المطلوب المترقب تشبيهاً لمن يحصِّل الشيء بعد أن سعى لتحصيله، بمن مشى إلى مكان حتى أتاه، وتشبيهاً للشيء المحصل بالمكان المقصود. ففي قوله: ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ تمثيلية اقتصر من أجزائها على إحدى الهيئتين، وهي تستلزم الهيئة الأخرى لأن المأتي لا بد له من آت»[(٢)].

قلت: وما رجحه الزمخشري أولى، وليس من داع للفرار للمجاز إذا كان هناك للحقيقة تحمل.

٢٥ـ قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴾ [مريم: ٩٤].

---

(١) الكشاف (٢: ٥١٥)، والتفسير الكبير (٢١: ٢٣٧)، ومسائل الرازي ص٢١٦.

(٢) التحرير والتنوير (١٦: ١٣٧).

قال الرازي صاحب المسائل: «كيف قال: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ والإحصاء: العد على ما نقله الجوهري، أو الحصر على ما نقله بعض أئمة التفسير؟ فإن كان الإحصاء العد فهو تكرار، وإن كان الحصر فذكره مغنٍ عن ذكر العد؛ لأن الحصر لا يكون إلا بعد معرفة العدد؟

ثم قال في الجواب: قلنا: الإحصاء قد جاء بمعنى العلم أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٨]: أي علم عدد كل شيء، قال الشاعر:

وكـن للـذي لم تحـصه مـتعلماً وأما الذي أحصيت منـه فعلِّـمِ

وهو المراد هنا، فيصير المعنى: لقد علمهم، أي: علم أفعالهم وأقوالهم، وكل ما يتعلق بذواتهم وصفاتهم وعددهم، فلا تكرار، ولا استغناء عن ذكر العد»[(١)].

وفي تفسير البقاعي أنه يجوز أن يكون الإحصاء قبل الوجود في عالم الغيب، والعد بعد الوجود[(٢)]، فإن كان كذلك فلا إشكال أصلاً ـ والله أعلم ـ.

٢٦ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧].

قال القاضي عبد الجبار: «وربما قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ ما معنى قوله: ﴿وَأَخۡفَى﴾. ولا شيء أخفى من السر؟ وجوابنا أن ما يخطر بالقلب ويحدِّث المرء به النفس أخفى من السر، فنبّه على عظم شأنه، والعلم بذلك»[(٣)] وعلى هذا درج صاحب الكشاف والرازي والآلوسي[(٤)]، غير أن صاحب الكشاف قال: «﴿وَأَخۡفَى﴾ أي: ما ستسره في نفسك ـ على الاستقبال ـ».

---

(١) مسائل الرازي ص٢١٧.

(٢) نظم الدرر (١٢: ٢٥٠).

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٢٥٣.

(٤) على التوالي (٢: ٥٣٠)، (٢٢: ٩)، (١٦: ١٦٢).

قلت: وما ذكره القاضي أولاً وتابعه عليه بعض الأجلّه مبني على أن السر هو الحديث المُفضَى به إلى الغير، وبهذا يكون ما هو أخفى منه حديث النفس، لكن قال الراغب في المفردات: إن السر هو الحديث المكتوم في النفس، وبناء على هذا لا يلتئم جواب القاضي ولا غيره ممن تابعه، ولايبقى إلا ما ذكره الزمخشري من أن الأخفى من السر هو ما لم يكن سراً بعد، والله المستعان.

٢٧ـ قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

«قال القاضي: وربما قيل في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ ما فائدة قوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ والصلاة لا تقام إلا لذكره تعالى؟

وجوابنا أن قوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ يرجع إلى الصلاة وإلى العبادة جميعاً، فكأنه قال: فاعبدني لذكري وأقم الصلاة لذكري، وهما جميعاً لا يصحان إلا إذا كان المرء ذاكراً لله تعالى، وتوحيده؛ لأن الغافل عن ذلك لا يعتد بها فعله، وعلى هذا الوجه يجتهد المرء في الصلاة، أن يتحرز من السهو فيكون ذاكراً لله قاصداً بها يأتيه إلى عبادته، وخص تعالى الصلاة بالذكر وإن دخلت في جملة العبادة تفخيماً لشأنها»(١).

٢٨ـ قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ [طه: ٦٢].

ربما قيل: النجوى هي المسارّه فما معنى هذه الآية؟

والجواب: «أن معناها أنهم بالغوا في إخفاء المسارة بحيث لم يفطن أحد لتناجيهم، ومساررتهم، تفصيلاً ولا إجمالاً، فإن الإنسان قد يرى اثنين يتساران فيعلم من حيث الاجمال أنهما يتساران، وإن لم يعلم تفصيل ما يتساران به، وقد يتساران في مكان لا يراهما أحد»(٢).

---

(١) تنزيه القرآن ص٢٥٤، والكشاف (٢: ٥٣٢).

(٢) مسائل الرازي ص٢٢٦، والكشاف (٢: ٥٤٣).

٢٩ـ قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩].

ربما قيل: ما فائدة الفاصلة؟

ذكر الرازي صاحب المسائل في ذلك عدة أوجه:

«**الأول**: معناه وما هداهم بعد ما أضلهم، فإن المُضِل قد يهدي بعد إضلاله.

الثاني: أن معناه: وأضل قومه وما هدى نفسه.

الثالث: أن معناه: وأضل فرعون قومه عن الدين، وما هداهم طريقاً في البحر.

الرابع: أن قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ تهكم به في قوله لقومه: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[(١)] [غافر: ٢٩].

قلت: وفي بعض الأقوال تكلف ظاهر، وأوجهها الرابع، وهو ما اقتصر عليه في الكشاف ورجحه الآلوسي[(٢)].

٣٠ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

ربما قيل: إنه كان من المناسب قرن الجوع مع الظمأ، والعري مع الضحي.

والجواب: «أن ذلك إنما هو بحسب الظاهر، وإنما خولف هذا الظاهر للأسباب التالية:

أولاً: روعي مناسبة اللبس للشبع في أنهما أمران ضروريان لا غنى لأحد عنهما، وروعي مناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين لهما، فالري تابع للشبع والاستظلال تابع للباس.

---

(١) مسائل الرازي ٢٢١.

(٢) الكشاف (٢: ٥٤٧)، وروح المعاني (١٦: ٢٣٨).

ثانياً: أجرى الخطاب بمقتضى العادة؛ لأن العادة أن يقال: جوعان عريان، كما أن الضاحي الذي لا يستر جسَمه ساترٌ، متعرض لحرارة الشمس، فيشعر كثيراً بالعطش، فصار الضحاء كأنه سبب فيه، فقرن به.

ثالثاً: في هذه المخالفة لمحةٌ من لمحات البيان الآسر، سماها البديعيون «قطعَ النظير عن النظير» والغرض من ذلك تحقيق تعداد النعم، ولو قُرن كلٌّ بمماثله لَتوهَّم متوهم أن المعدود نعمتان لا أربع»(١).

٣١ـ قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥].

ربما قيل: أصحاب الصراط السوي والمهتدون واحد، فما فائدة التكرار؟

قيل: «المراد بأصحاب الصراط السوي: السالكون الصراط المستقيم، السائرون عليه، والمراد بالمهتدين الواصلون إلى المنزل، وقيل: أصحاب الصراط السوي هم الذين ما زالوا على الصراط المستقيم، والمهتدون هم الذين لم يكونوا على الطريق المستقيم ثم صاروا عليه. وقيل: المراد بأصحاب الصراط السوي: أهل دين الحق في الدنيا، والمراد بمن اهتدى: المهتدون إلى طريق الجنة في العقبى، فكأنه قال: فستعملون من المحق في الدنيا والفائز في الآخرة»(٢).

٣٢ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

ربما أشكل وجه المناسبة بين الفاصلة وما سبقها.

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف طابق ذكر العفوِّ الغفور هذا الموضع؟

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١: ٢٣٠-٢٣١).

(٢) مسائل الرازي ص٢٢٥.

قلت: المعاقب مبعوث من جهة الله تعالى على الإخلال بالعقاب، والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم، ومندوب إليه، ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: لا يلومه على ترك ما بعثه عليه، وهو ضامن لنصره في كرّته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه، ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي، ويعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو، ويلوّح به بذكر هاتين الصفتين، أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة؛ لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده»[١].

وفي تفسير البقاعي: «ولما قيد ذلك بالمثلية ـ يعني ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ـ وكان ذلك أمراً خفيّاً، لا يكاد يوقف عليه، فكان ربما وقعت المجاوزة خطأ، فظن عدم النصرة لذلك، أفهم تعالى أن المؤاخذة إنما هي بالعمد بقوله. ويجوز أن يكون التقدير ندباً إلى العفو بعد ضمان النصرة (إن الله لعزيز حكيم)، ومن عفا وأصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره، ومغفرته لذنوبه، فهو احتباك، ذكر النصرة دليل العزة والحكمة، وذكر العفو منه سبحانه دليل حذف العفو من العبد»[٢].

وما ذكره البقاعي لم يعجب الآلوسي وقال: إنه ليس بذاك[٣].

قلت: ولا أدري لـماذا، فإنه جواب حسن، واختار الآلوسي الوجه الأول عند الزمخشري.

---

(١) الكشاف (٣: ٢٠)، وقد نقل الرازي كلامه بتمامه دون أن يشير إلى الكشاف بشيء (٢٣: ٦١). وذكره الآلوسي (١٧: ١٨٩-١٩٠).

(٢) نظم الدرر (١٣: ٧٩)

(٣) روح المعاني (١٧: ١٩٠).

قال الدكتور علي محمد حسن بعد أن نقل كلام الزمخشري: «ويبدو أن كل هذه الأجوبة غير مقنعة تماماً، لا سيما الجواب الأخير، فإن الدلالة بذكر العفو عن القدرة لا يمنع أن يكون هنا سر لإيثار هذه الكلمة (العفو) على ضدها وهي (القادر) مع أن الموضع لهذا المعنى الأخير. ثم إن الله سبحانه كيف يعده بالنصر على من بغى عليه، إذا عاقبه بمثل ما عاقب به، ويذكر ذلك مؤكَّداً بإن واللام، ثم يجعل هذا التصرف منه ذنباً يعده عليه بالعفو والمغفرة؟

أما الجواب الثاني: وهو أن الله سبحانه وتعالى أشار بذلك إلى أنه ينبغي الصفح والعفو، فجواب حسن لو أن النظم الكريم ـ وإن الله لعفو غفور ـ أي: بالواو، حتى لا تكون هذه الجملة مبينة، أو مؤكدة لما قبلها، بل تكون مستقلة فيها صفتان من صفات الله تعالى، نبه بذكرهما ـ بطريق الكناية والتعريض ـ على أن الأولى بمن اعتدي عليه أن يصفح ويغفر. ولكن يبقى السؤال: لماذا أوثرت الكناية هنا، ولِـمَ لَـمْ يقل ـ كما في آيات أخر ـ ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] مثلاً... ؟

وقد أجاب بعض المفسرين ـ وذكر ما عند البقاعي ـ ثم قال: وفي التعبير بالنصر هنا ما يؤكد هذا الجواب، ثم قال: وربما صح لي أن أضيف شيئاً إلى ما قاله المفسرون، ثم قال: يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية فيها إشارة إلى أن ما فيها من المضمون سيقع كثيراً فيما يستقبل من الزمان، فإن الذي يَرِدُ الاعتداء، فلا يلتزم الحد الواجب أكثر من أن يحصى، فناسب أن يجيء مع هذا التشريع ذكر العفو والمغفرة... ثم قال: وأمر آخر بدا لي: وهو أن مثل هذه الأوصاف مما يبعث في نفوس المؤمنين الأمل والرضا، وتفتح لهم طريق العودة إلى الله مع كثير من الرجاء، ذلك أن القرآن يؤثر جانب الوعد على جانب الوعيد، فضلاً من الله ونعمة، فهو سبحانه يلفت نظر المسلم وقلبه، حتى في المواضع التي تتملكه فيها الرهبة إلى أنه عز وجل غفور رحيم، وهذا إذا صدق الإيمان ـ لا يدعو إلى التهاون ـ بل ربما بعث في نفس

المؤمن الخجل[(١)] والحياء من الله تعالى أن يكون هو مقيماً على معصيته لله، والله سبحانه يعده العفو والحلم، وبذلك يشتد إقباله على الله، وتقوى رغبته فيما عنده»[(٢)].

وما ذكره أخيراً جواب حسن، غير أنه لا يخص هذه الآية وحدها، وإن كان هو جعل هذه الآية مع مجموعة آيات تذكر فيها مادة العفو والمغفرة، وأحسن الأجوبة جواب البقاعي والله وحده الهادي.

٣٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠] وذلك تعقيباً على حادثة اللعان التي حدثت في عهد النبي ﷺ.

قال الزركشي: «فإن الذي يظهر أول النظر أن الفاصلة (تواب رحيم)؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة وخصوصاً من هذا الذنب العظيم، ولكن ههنا معنى دقيق من أجله قال: ﴿حَكِيمٌ﴾ وهو أن ينبه على فائدةِ مشروعية اللعان، وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة، وذلك من عظيم الحِكَم، فلهذا كان ﴿حَكِيمٌ﴾ بليغاً في هذا المقام دون (رحيم)»[(٣)].

وقال الدكتور علي محمد حسن بعد أن نقل كلام الزركشي: «على أن هناك سراً آخر لإيثار صفة الحكمة على صفة الرحمة، وذلك أنه لو قيل: (رحيم) لكان تكراراً مع (رحمته) ولَنبا النظم عن الذوق، ويكفي أن تسمع ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب رحيم ـ لتدرك من أول وهلة نبوَّ هذا التذييل عن صدر الآية، مع ملاحظة أن الفضل وإن كان فيه من الحكمة ما فيه، لكنه في معناه أقرب إلى الرحمة، وعندئذ تكون كلمة ﴿رَحْمَتِهِۦ﴾ ولمعنى ضمني في كل ﴿فَضْلُ﴾، فكانت البلاغة كل البلاغة أن تختم الآية بكلمة ﴿حَكِيمٌ﴾ كما هي التلاوة»[(٤)].

---

(١) التعبير بالخجل غير جيد هنا.

(٢) مشكلات الفواصل، مقال في مجلة الوعي عدد ١٠٩ (ص١٨-٢٠).

(٣) البرهان (١: ٩١)، وانظر نظم الدرر (١٣: ٢٢٠).

(٤) مشكلات الفواصل، مقال في مجلة الوعي عدد ١٠٨ ص١٩.

قلت: وكلام الزركشي أحسن من هذا بكثير. وهذا الذي ذكره الدكتور فيما يبدو للباحث من التكلف بمكان، فإن النظم لا يكون نابياً عن الذوق لوجود كلمتين متقاربتين أو متماثلتين في جملة واحدة. أوليس في كتاب الله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فيا للعجب من مثل هذا الرأي وهذا يعده الباحث من عجائب التقديرات والغفلات ـ والله أعلم ـ.

٣٤ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤].

قال الزمخشري: (فإن قلت: كيف صح مجيء خاضعين عن الأعناق؟

قلت: أصل الكلام فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام علىٰ أصله. كقوله: ذهبت أهل اليمامة، كأنّ الأهل غير مذكور، أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل: خاضعين، وقيل: أعناق الناس رؤساؤهم ومقدَّموهم، شبهوا بالأعناق، كما قيل لهم: الرؤوس، والنواصي، والصدور، وقيل: جماعات الناس، يقال: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم)[١].

وقال ابن عاشور: (إن تفسير الأعناق بالسادة والرؤساء أو الجماعات ضعيف، بل ثانيه أضعف من الأول)[٢].

قلت: إن أراد أن حمل الآية عليه كذلك فحسن، وإن أراد الضعف من جهة عدم صحته لغةً فغير مسلم، وأحسن الأقوال ما صدر به الزمخشري ـ والله أعلم ـ.

وقال البقاعي: «﴿خَٰضِعِينَ ﴾ جمعه كذلك؛ لأن الفعل لأهلها ليدل علىٰ أن ذلهم لها يكون مع كونهم جميعاً، ولا يغني جمعهم، وإن زاد شيئاً، والأصل فظلوا، ولكن ذكر

---

(١) الكشاف (٣: ١٠٤)، وقد نقله الرازي في تفسيره كاملاً (٢٤: ١١٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٩: ٩٧).

الأعناق؛ لأنها موضع الخضوع فإنه يظهر ليُّها بعد صلابتها، وانكسارها بعد شماختها، وللإشارة إلىٰ أن الخضوع يكون بالطبع من غير تأمل لما أبهتهم وحيّرهم من عظمة الآية، فكان الفعل للأعناق لا لهم»[1].

٣٥ـ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

ربما توهم بادئ الأمر أن الفاصلة ينبغي أن تكون ـ إن الله علىٰ كل شيء قدير ـ.

قال الرازي: وفي إثبات العلم هٰهنا لطائف:

«**إحداها**: أن الرازق الذي هو كامل المشيئة إذا رأى عبده محتاجاً، وعلم جوعه، لا يؤخر عنه الرزق، ولا يؤخر الرازق الرزق إلاّ لنقصان في نفوذ مشيئته كالملك إذا أراد الإطعام، والطعام لا يكون بعد قد استوىٰ، أو لعدم علمه بجوع العبيد.

الثانية: وهي أن الله تعالىٰ بإثبات العلم استوعب ذكر الصفات التي هي صفات الإله، ومن أنكرها كفر، وهي أربعة: الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، وأمّا السمع والبصر والكلام القائم به من ينكرها يكون مبتدعاً لا كافراً، وقد استوفىٰ الأربع فكان قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٦١] إشارة إلىٰ كمال القدرة. وقوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ إشارة إلىٰ نفوذ مشيئته وإرادته، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ إشارة إلىٰ شمول علمه، والقادر المريد العالم لا يتصور إلاّ حياً»[2].

ويمكن أن يقال: إن ﴿وَيَقْدِرُ﴾ من التقدير وهو التضييق، وهذا يدل على علمه سبحانه بأحوال عباده. وهذا يناسبه هذه الفاصلة أتم المناسبة.

٣٦ـ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ

(١) نظم الدرر (١٤: ٨).

(٢) التفسير الكبير (٢٥: ٩١).

فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

ربما قيل: إن ذكر المغفرة والرحمة بعد فعل العمد إطماع عليه، فكيف جاءت الفاصلة هكذا؟

والجواب: إما أن يكون هذا القول: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ تعليل لنفي الجناح عن الخطأ بأن نفي الجناح من آثار اتصاف الله تعالىٰ بالمغفرة والرحمة بخلقه(١).

وبناء علىٰ هذا القول لا تكون جملة ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ في ضمن هذا الحيز علىٰ معنىٰ أن هذا عليكم منه جناح.

وإما أن يكون المعنىٰ أنه غفور رحيم لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد(٢)، وهذا القول أحسن من الأول وأوجه، وأليق بجلال الكريم ـ والله أعلم ـ.

٣٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. (والمراد من هذه الآية الأمر بإدناء الجلابيب عليهن، وامتثالُ الأمر إنّما يتحقق إذا وصل بالوعيد علىٰ مخالفته، أمّا وصله بالمغفرة والرحمة فذلك يدعو إلىٰ التهاون في التنفيذ)(٣).

قلت: وهذا الكلام غير دقيق، فليس بالضرورة أن يتوعد الحق سبحانه عباده بوصل أوامره بتبيان العقاب، إذ قد يكون العكس هو الصواب، بأن يذكر الحق تبارك وتعالى الأمر ثم يتبعه بالمغفرة والرحمة إطماعاً لعباده، وأن هذا الشيء وإن كانت مصلحتهم في القيام به إلاّ أنهم مع ذلك يؤجرون عليه.

---

(١) التحرير والتنوير (٢١: ٢٦٦).

(٢) الكشاف (٣: ٢٥١).

(٣) مشكلات الفواصل، مقال بمجلة الوعي، عدد ١٠٩، ص١٧-١٨.

وقد ذهب الزمخشري إلىٰ القول في تفسير الآية بأن: «﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما سلف منهن من التفريط مع التوبة؛ لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل»[١].

وقد قيل علىٰ كلام الزمخشري هذا: إنه لا يتجه إلاّ علىٰ القول بأن الناس مكلفون بمكارم الأخلاق بحكم العقل[٢].

وذهب ابن عاشور مذهباً آخر فقال: «والتذييل بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ صفح عما سبق من أذىٰ الحرائر قبل تنبيه الناس إلىٰ هذا الأدب الإسلامي»[٣].

قلت: وهو جواب حسن وهو معنى كلام الزمخشري وبه يندفع ما قيل علىٰ هذه الفاصلة.

ومن العجيب قول الدكتور علي محمد حسن: «إن هذا التذييل يدل علىٰ أن إدناء بعض النساء جلابيبهن قد قلت العناية به في كثير من الشعوب، وإن هذه المخالفة ليست من الكبائر التي تشدد فيها العقوبات، فلذلك جاءت ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في هذا المحل تنبيهاً علىٰ أن مثل هذه المخالفة سيقع كثيراً في مستقبل الزمان، وأن الله يغفره لعباده»[٤].

وهذه غفلة شديدة جداً عن أمر الحجاب، وإلاّ كيف نفهم الأحاديث الكثيرة التي توعدت النساء بالعقاب يوم القيامة بسبب إغفالهن أمر الحجاب وتساهلهن فيه، من مثل ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجَد من مسيرة كذا وكذا»[٥].

---

(١) الكشاف (٣: ٢٧٤).

(٢) مشكلات الفواصل، مقال بمجلة الوعي، عدد ١٠٩، ص١٧-١٨.

(٣) التحرير والتنوير (٢٢: ١٠٧).

(٤) مشكلات الفواصل، مقال بمجلة الوعي، عدد ١٠٩، ص١٧-١٨.

(٥) مسلم بشرح النووي، كتاب اللباس (١٤: ١٠٩-١١٠).

٣٨ـ قوله تعالىٰ: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢].

ربما قيل: هذه هي الآية الوحيدة في القرآن تقدمت فيها الرحمة علىٰ المغفرة. فلمَ ذلك؟

قال الرازي: (إذا ذكرت المغفرة قبل الرحمة يكون معناها أنه ستر عيبه ثم رآه مفلساً عاجزاً فرحمه، وأعطاه ما كفاه، وإذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة ـ وهو قليل ـ يكون معناه أنه مال إليه لعجزه، فترك عقابه ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه)[١].

وقال الأستاذ فضل عباس: (إذا تساءلنا عن سبب هذه الفاصلة التي لم يوجد غيرها في القرآن وجدنا أن سياق الآيات نفسها حتم ذلك، فالفواصل الأخرى ـ يعني التي تقدمت فيها المغفرة علىٰ الرحمة ـ كلها كان يتقدمها ما يشعر بالذنب والخطأ أو التقصير، لذا كانت المغفرة أولاً، ولكن هذه الآية هنا لم يتقدم فيها شيء من هذا، وإنّما كل الذي ذكر هو حمد الله الذي له ما في السماوات والأرض والذي يعلم ما في باطن الأرض وما يخرج منها، ويعلم داخلها وخارجها، ويعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وفي هذا من مصالح الناس الكثير، وهو لا يعدو أن يكون رحمة الله تبارك وتعالىٰ، لذلك قدمت الرحمة علىٰ المغفرة)[٢].

٣٩ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [يس: ٦٧].

فإن قيل: لمَ جاءت الفاصلة هكذا دون «رجوعاً» مثلاً؟

جاء في تفسير البيضاوي أنها جاءت هكذا مراعاة للفواصل، وتبعه علىٰ هذا أبو السعود[٣].

---

(١) التفسير الكبير (٢٥: ١٩٥)، وقوله: (وهو قليل) تقدم أنه ليس في القرآن إلاّ هذا الموضع.

(٢) قضايا قرآنية، ص٩٣.

(٣) أنوار التنزيل مع حاشية الخفاجي (٧: ٢٥٠)، وإرشاد العقل السليم (٧: ١٧٧)، وانظر التحرير والتنوير (٢٣: ٥٢).

وقد علل الخفاجي كون الفاصلة فعلية وأنها علىٰ ما قال البيضاوي بمعنىٰ المصدر قائلا: «لأن المعنىٰ والصناعة تقتضيه، أو لمعنىٰ رجوعاً، وهو معطوف علىٰ المفعول، ومفعول استطاع لا يكون جملة، فهو من قبيل (تسمع بالمعيدي) فلا يدل علىٰ الاستمرار حتىٰ يجعل وجهاً للعدول كما قيل»(١).

قال البقاعي: «﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ولا يتجدد لهم بوجه من الوجوه رجوع إلىٰ حالتهم التي كانت قبل المسخ، دلالة علىٰ أن هذه الأمور حق، لا كما يقولون من أنها خيال وسحر، بل ثباتها لا يمكن أحداً من الخلق رفعُه، ولا تغييره بنوع تغيير، هذا المراد إن شاء الله، ولو قيل: ـ ولا رجوعاً ـ كما قال بعضهم: إنه المراد، لم يفد هذا المعنىٰ النفيس»(٢).

قلت: ولا يخفىٰ أن قول البقاعي يعاكسه ما ذهب إليه الخفاجي. وفي تفسير الآلوسي أن الاقتصار علىٰ القول بمراعاة الفواصل تقصير(٣).

قلت: وأحسن الوجوه ما عند البقاعي ويزاد عليه: أنه لما كان هناك فرق بين المضي والرجوع كما نص الإمام الرازي عليه بقوله: (إن الرجوع أهون من المضي؛ لأن المضي لا ينبئ عن سلوك الطريق من قبل، وأمّا الرجوع فينبئ عنه، ولا شك أن سلوك الطريق قد رؤي مرة أهون من سلوك طريق لم يُرَ)(٤).

فإنه عبر بالفعل لاستحضار صورة هذا المألوف، وزاد عليها النفي لتكون أبلغ في تصوير حالتهم وما وصلوا إليه ـ والله أعلم ـ.

٤٠ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

---

(١) حاشية الخفاجي (٧: ٢٥٠).

(٢) نظم الدرر (١٦: ١٦٠).

(٣) روح المعاني (٢٣: ٤٦).

(٤) التفسير الكبير (٢٦: ١٠٤).

ربما توهم أن الفاصلة ينبغي أن تكون ـ وهو علىٰ كل شيء قدير ـ.

قال الدكتور علي محمد حسن: (لما كانت أجزاء الإنسان المعادة ربما تفرقت في جهات مختلفة متعددة، بل ربما اختلطت بأجزاء إنسان آخر، كانت صفة العلم هنا لازمة للتفرقة بين الأجزاء الأصلية، والأجزاء الفضلية، فيعيد كلاً من ذلك علىٰ النمط السابق، وهذا لا يكون إلاّ من عليم بتفاصيل كيفيات الخلق والإيجاد، إنشاءً وإعادة. محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص، أصولها وفروعها، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال، والاجتماع والافتراق)[١].

٤١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [الزخرف: ٦٦].

ربما قيل: ما فائدة هذه الفاصلة؟

قال الزمخشري: «فإن قلت: أما أدّىٰ قوله: ﴿**بَغْتَةً**﴾ مؤدىٰ قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ فيستغنىٰ عنه؟ قلت: لا؛ لأن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم، ويجوز أن يأتيهم بغتة وهم فطنون»[٢].

واقتصر الرازي علىٰ ثاني أقوال الزمخشري[٣]، وذكر الرازي صاحب المسائل قوله: «ولولا قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ لجاز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون مستعدون لها»[٤]، وهذا كما لا يخفىٰ هو أحد أقوال الزمخشري.

---

(١) مشكلات الفواصل، مقال بمجلة الوعي، عدد ١٠٩، ص١٦.

(٢) الكشاف (٣: ٤٩٥).

(٣) التفسير الكبير (٢٧: ٢٢٤).

(٤) مسائل الرازي، ص٣١٣، وانظر إرشاد العقل السليم (٨: ٥٣).

وفي روح المعاني: «لمّا جاز اجتماع الفجأة والشعور وجب أن يقيد ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لعدم إغناء الأول عنه»(١).

وقال البقاعي: «ولمّا كان البغت قد يطلق علىٰ ما يجهل من بعض الوجوه، أزال هذا الاحتمال بقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يحصل لهم بعين الوقت الذي يجيء نوع من أنواع العلم، ولا بما كالشعرة منه»(٢).

وأرجح الأقوال قول الزمخشري الأول ـ والله أعلم ـ.

٤٢ـ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٨].

قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا قيل: صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالىٰ: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] لأن الحميم هو المصبوب، لا عذابه؟ قلت: إذا قلت: صب عليه الحميم، فقد صب عليه عذابه وشدته، إلاّ أن صبَّ العذاب طريقةُ الاستعارة، كقوله: (صبت عليه صروف الدهر من صبب)(٣).

وكقوله تعالىٰ: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠] فذكر العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له ليكون أهول وأهيب»(٤).

وقال ابن عاشور: «والصب: إفراغ الشيء المظروف من الظرف، وفعل الصب لا يتعدىٰ إلىٰ العذاب؛ لأن العذاب أمر معنوي لا يصب، فالصب مستعار للتقوية والإسراع،

---

(١) روح المعاني (٢٥: ٩٧)، وقوله: وجب أن يقيد.. إلخ ليس بجيد.

(٢) نظم الدرر (١٧: ٤٧٦).

(٣) الشاهد أوّله (كم امرئ عاش في خفض وفي دعةٍ) وهو من شواهد الكشاف، ولم يعزه محب الدين أفندي في شرح الشواهد لقائل، انظر تنزيل الآيات علىٰ الشواهد من الكشاف (٤: ٣٤٢) بهامش الكشاف.

(٤) الكشاف (٣: ٥٠٦-٥٠٧)، وانظر مسائل الرازي، ص٣١٤، ونظم الدرر (١٨: ٤٥)، وإرشاد العقل السليم (٨: ٦٥).

فهو تمثيلية اقتضاها ترويع الأثيم حين سمعها، فلمّا كان المحكي هنا القول الذي يسمعه الأثيم صيغ بطريق التمثيلية تهويلاً بخلاف قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ الذي هو إخبار عنهم في زمن هم غير سامعيه، فلم يؤت بمثل هذه الاستعارة إذ لا مقتضىٰ لها»[1].

٤٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥].

ربما قيل: كيف قال ذلك، والصادق وصف القائل لا وصف الوعد؟

قال الزمخشري: (وعد صادق كعيشة راضية)[2]، يريد أنه بمعنىٰ مصدوق، وقال الرازي: (والصادق، معناه ذو صدق، كعيشة راضية، ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل بالمصدر فيه إفادة مبالغة، فكما أن من قال: فلان لطف محض وحلم، يجب أن يكون قد بالغ، كذلك من قال: كلام صادق، وبرهان قاهر للخصم، أو غير ذلك يكون قد بالغ. والوجه فيه هو أنه إذا قال: هو لطف، بدل قوله: لطيف، فكأنه قال: اللطيف شيء له لطف، ففي اللطيف لطف وشيء آخر، فأراد أن يبين كثرة اللطف فجعله كله لطفاً، وفي الثاني: إنّما كان الصدق يقوم بالمتكلم بسبب كلامه، فكأنه قال: هذا الكلام لا يحوج إلىٰ شيء آخر حتىٰ يصح إطلاق الصادق عليه، بل هو كافٍ في إطلاق الصادق لكونه سبباً قوياً)[3].

قلت: وهذه الآية جارية علىٰ مقتضىٰ البلاغة العجيبة، إذ الموعودون به هو العذاب، إنْ في الدنيا، وإن في الآخرة، فلمّا كان هذا الموعود من قبيل الهزأة عند المشركين، جاءت هذه الآية في أعلىٰ درجات البلاغة لترد عليهم سخريتهم وهزأتهم، فكان هذا النظم من أوفى ما يكون لهذا الحال ـ والله أعلم ـ.

---

(١) التحرير والتنوير (٢: ٣١٥-٣١٦).

(٢) الكشاف (٤: ١٤)، ومسائل الرازي، ص٣٢٥، وفيه أنه يمكن أن يكون المعنىٰ لصدق بمعنىٰ أن المصدر جاء علىٰ اسم الفاعل.

(٣) التفسير الكبير (٣٠: ٣٠٢)، ومسائل الرازي، ص٣٥٨، وروح المعاني (٢٩: ١٢٥).

٤٤ـ قوله تعالىٰ: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤].

قال الرازي صاحب المسائل: «فإن قيل: الجزاء إنّما يكون للكافر لا للمكفور، فكيف جاءت الآية بخلاف ذلك؟

والجواب **الأول**: (جزاء) مفعول له، معناه: ففتحنا أبواب السماء وما بعده مما كان يسبب إغراقهم جزاء الله تعالىٰ؛ لأنه مكفور به، فحذف الجار وأوصل الفعل بنفسه، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

والجزاء يضاف إلىٰ الفاعل وإلى المفعول كسائر المصادر.

الثاني: أنه نوح عليه السلام، إما لأنه مكفور به بحذف الجار كما مر، من الكفر الذي هو ضد الإيمان، أو لأن كل نبي نعمة من الله علىٰ قومه، ومنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال رجل للرشيد: الحمد لله عليك، فقال: ما معنىٰ هذا؟ قال: أنت نعمة حمدت الله عليها، فكأنه قال: جزاء لهذه النعمة المكفورة، وكفران النعمة يتعدىٰ بنفسه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

الثالث: أن (مَن) بمعنىٰ ما، فمعناه: جزاء لما كان كفر من نعم الله علىٰ العموم»[(١)].

قلت: وأغرب هذه الأوجه أولها وآخرها. وأصل هذه الإشكال مبني علىٰ أن الجزاء للعقاب، وليس كذلك، إذ الجزاء في الأصل: المكافأة، سواء بالخير أم بالشر، والآية ليس فيها إشكال إن حملت هذه الكلمة علىٰ هذا المعنىٰ، فيصير التقدير: أن الله تعالىٰ أهلك القوم مكافأة لنوح وجهوده، واستجابة لدعوته بإهلاكهم. لا يقال حينئذ: إن الدعوة بالإهلاك وقعت في سورة نوح عليه السلام، وهذه الآية وقعت في سورة القمر وهي متقدمة في

(١) مسائل الرازي، ص٣٣٠-٣٣١، وانظر الكشاف (٤: ٨٣)، والتفسير الكبير (٢٩: ٤١).

النزول علىٰ تلك السورة، وهذا لا ضير فيه، وإنّما وقعت الاستجابة في سورة القمر علىٰ تقدمها تطميناً للنبي ﷺ، بأن أمره منتصر، كما انتصر أمر نوح عليه السلام، مع الاختلاف في طبيعة الأمرين؛ ذلك لأن ما في سورة القمر، وقع في سياق تكذيب قريش للنبي ﷺ والاستهزاء به ـ والله أعلم ـ.

٤٥ـ قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

ربما قيل: إن الفاصلة ينبغي أن تكون: ـ إنه علىٰ كل شيء قدير ـ.

«والحق أن هذه الفاصلة مستقرة في مكانها تمام الاستقرار، ذلك أن ذكر الصف والقبض هنا يدل علىٰ الصفتين اللتين يكون عليهما الطير في طيرانه، وخلق الطير علىٰ الصف والقبض وتزويده بما يصلح لكل منهما، وإيجاد الأجزاء الدقيقة في جسمه التي تمكنه من الطيران والوقوع، وإلهامه كيف يصف ويقبض، وكيف يطير ويقع، كل ذلك لا يكون إلاّ من ﴿بَصِيرٌ﴾ عالم بدقائق الأمور وجلائلها، وبكيفية إبداع المبدعات»(١).

٤٦ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

ربما قيل: كيف تكون العيشة راضية، وإنّما هي مرضية؟

والجواب: أن الذي في كتب التفسير أن معنىٰ هذه الآية أن العيشة مرضية، أو ذات رضا، أو متلبسة بالرضا، أو أن هذا من قبيل المجاز في الإسناد، والأصل في عيشة راض صاحبها، أو أن هذا التركيب من قبيل الاستعارة المكنية والتخييلية كما قاله الآلوسي نقلاً عن الخفاجي، وإن لم يشر إليه(٢) أسند الرضا إليها لجعلها ـ لخلوها دائماً عن الشوائب ـ كأنها نفسها راضية.

---

(١) الفاصلة القرآنية، مقال بمجلة الوعي، عدد ١١٠، ص١٦.

(٢) روح المعاني (٢٩: ٤٨)، وإرشاد العقل السليم (٩: ٢٥)، والكشاف (٤: ١٥٣)، وحاشية الخفاجي (٨: ٢٣٨).

وقال البقاعي: «ولمّا كان الرضا بالشيء لا يكون إلاّ إذا بلغ نهاية السؤل، وغاية المأمول، قال مسنداً الرضا إلىٰ العيشة كناية عن رضا صاحبها علىٰ الوجه الأبلغ: ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ثابت لها الرضا، ودائم لها؛ لأنها في غاية الحسن والكمال، والعرب لا تعبر عن أكثر السعادات بأكثر من العيشة الراضية، بمعنىٰ أن أهلها راضون بها، والمعتبر في كمال اللذة الرضا، أو أنه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها»[١].

قلت: وهذه الآية في القرآن من بلاغاته العجيبة، فهذا الوصف للعيشة في الجنّة من قبيل الإطماع الذي لا مثيل له، كأنه أريد القول: إن هؤلاء عيشتهم نفسها راضية، فما بالك بهم هم؟! ـ والله أعلم ـ.

٤٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨].

ربما قيل: ما فائدة هذه الفاصلة؟

قال الرازي: «واختلفوا، فمنهم من قال: هما لفظان مترادفان ومعناهما واحد، والغرض من التكرير التأكيد والمبالغة، كما قال صدّ عني وأعرض عني. ومنهم من قال: لا بد من الفرق، ثم ذكروا وجوهاً:

إحداها: أنها لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئاً، فإذا أعيدوا خلقاً جديداً فـ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ أن تعاود إحراقهم بأشد مما كانت، وهكذا أبداً، وهذه رواية عطاء عن ابن عباس.

ثانيها: لا تبقي من المستحقين للعذاب إلاّ عذبتهم، ثم لا تذر من أبدان أولئك المعذبين شيئاً إلاّ أحرقته.

ثالثها: لا تبقي من أبدان المعذبين شيئاً، ثم إن تلك النيران لا تذر من قوتها وشدتها شيئاً إلاّ وتستعمل تلك القوة والشدة في تعذيبهم»[٢].

---

(١) نظم الدرر (٢: ٣٦٣).

(٢) التفسير الكبير (٣٠: ٢٠٢)، ومسائل الرازي، ص٣٥٨، وروح المعاني (٢٩: ١٢٥).

قلت: أما القول بالترادف فهذا غير مقبول، ولا ينبغي تخريج آيات القرآن عليه؛ لأنه ضعيف، وينبغي أن يُنأىٰ بآيات القرآن عن الوجوه الضعيفة. وأمّا الوجوه التي ذكرها الرازي فلربما قيل فيها: إنها مثل الزهرة تُشم ولا تحك.

والذي يظهر للباحث أن الفعلين مختلفان لغةً وقصداً. فأمّا في اللغة فالبقاء بقاء الشيء علىٰ ما هو عليه أو علىٰ أصله. وأمّا (وذر) فهي الترك مع الإهمال كما يقول الراغب في المفردات في بابي كلا الفعلين، فيظهر ـ والله أعلم ـ أن الفعل الأول مقصود منه الإحاطة بهؤلاء فلا يبقى منهم أحد لا يشمله ما خصت له من التعذيب، وأمّا الثاني فهو في بيان العذاب نفسه من حيث إن من وضع فيها لم يسلم منه، وهذا فيه تهويل لحال النار عياذاً بالله منها. ـ والله أعلم ـ.

٤٨ـ قوله تعالىٰ: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

ربما قيل: الماء مدفوق لا دافق، فكيف جاءت الفاصلة هكذا؟

قال الرازي ملخصاً أقوال العلماء في هذه الآية: «الجواب علىٰ وجوه:

الأول: قال الزجاج، معناه ذو اندفاق كما يقال: دارع وفارس..

الثاني: أنهم يسمون المفعول باسم الفاعل. قال الفرّاء: وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، يجعلون المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب النعت.[1]

الثالث: ذكر الخليل في الكتاب المنسوب إليه: دفق الماء دفقاً ودفوقاً: إذا انصب بمرّة.

الرابع: صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على الماء علىٰ سبيل المجاز»[2].

وزاد الخفاجي: (أن يكون هذا التركيب من قبيل الاستعارة المكنية التخيـيلية كما هو مذهب السكاكي)[3].

---

(١) في تفسير الفرّاء بعد هذا قوله: وأعان علىٰ ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هي معهن (٣: ٢٥٥).

(٢) التفسير الكبير (٣١: ١٢٩).

(٣) حاشية الخفاجي (٨: ٣٤٧).

قلت: وهذه الأقوال لا يخلو منها كتاب من كتب التفسير، وهي كما يظهر تعليلات لفظية أسلوبية لا تمس جانب المعنىٰ بشيء.

وذهب ابن عطية إلىٰ أنه يصح أن يكون الماء دافقاً؛ لأن بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافق ومنه مدفوق[١]، واعترضه أبو حيان بما حاصله أن هذا التفسير الذي فسر به ﴿دَافِقٍ﴾ غير محفوظ في اللغة[٢]، ولم يأت صاحب المحاكمات بشيء سوىٰ أن فسر قول ابن عطية بأن كلمة ﴿دَافِقٍ﴾ علىٰ أي وجه تَصرّفت ففيها معنىٰ الدفع، ثم قال: وظاهر نقل ابن عطية مشعر بأنه عربي لا اختلاق مثال[٣].

هذا، ويلوح للباحث في هذا المحل تفسيران: أحدهما عن سيد قطب، وحاصله: أن النطفة وصفت بهذا الوصف دون التعبير باسم المفعول؛ لأن النطفة عندما تخرج من موضعها فإنها تسير باتجاه تكوين الجزء الذي خصصت له، لا تزيغ عن ذلك، ولا تحيد، فلأجل هذا ـ والله أعلم ـ جاءت الصيغة علىٰ اسم الفاعل[٤].

وأمّا المعنىٰ الثاني: فهو إيماء إلىٰ حب هذا المخلوق للحياة وتسارعه في الخروج لأجلها، وهذا المعنىٰ من أصل معنىٰ كلمة دافق في اللغة فهي كما يقول الراغب تعني السيلان بسرعة. ـ والله أعلم ـ.

٤٩ـ قوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١١].

ربما قيل: لم اختيرت هذه الصيغة علىٰ طغيانها؟

قال الراغب: (طغوت وطغيت طَغَواناً وطغياناً). انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز (١٦: ٢٧٦).

(٢) البحر (٨: ٤٥٥).

(٣) المحاكمات، ورقة ٣٠١أ.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، في تفسير سورة الطارق.

وظاهر هذا الكلام أن الكلمة واوية ويائية. وقال البقاعي شارحا: (طغىٰ ـ واوي يائي، يقال: طغا كدعا يطغو طغوىٰ وطُغواناً بضمها، كطغىٰ يطغىٰ، وطغي كرضي طغياً وطغياناً، بالكسر والضم. فالطغوىٰ بالفتح اسم، وبالضم مصدر، فقلبت الياء علىٰ تقدير كونه يائياً ـ واوياً للتفرقة بين الاسم والصفة، واختير التعبير به دون اليائي لقوة الواو، فأفهم أنهم بلغوا النهاية في تكذيبهم، فكانوا علىٰ الغاية من سوء تعذيبهم)[١].

قلت: وكلامه هذا أحسن من كلام الفرّاء حيث قال: «وقوله: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أراد: بطغيانها، إلاّ أن الطغوىٰ أشكل برؤوس الآيات فاختير لذلك»[٢]. ومثل قول الفرّاء هذا نقله ابن جرير بصيغة (قيل)[٣]، وفي تفسير الطبري أيضاً عن محمد بن كعب أن المراد ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بأجمعها[٤].

قلت: والظاهر أن هذا لا مستند له من اللغة، ويظهر للباحث أن المراد بالطغوىٰ هٰهنا وصف لحالة ثمود النفسية من التكبر والتجبر والغرور، فإن من يستحب العمىٰ علىٰ الهدىٰ لا شك يكون قد عمل موازنة بين الأمرين فاختار السوء، ومن يكن كذلك فهو في تكبر وتجبر شديدين. والذي يعين علىٰ هذا التفسير أن ابن منظور قال في اللسان: (وكل مكان مرتفع: طغوة)[٥]، فهم كذبوا، وسبب تكذيبهم أنهم رأوا أنفسهم أعظم من الأنبياء ودعوتهم ـ والله أعلم ـ.

٥٠ـ قوله تعالىٰ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٨١).

(٢) معاني القرآن (٣: ٢٦٧).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٠: ٢١٠).

(٤) المصدر السابق (٣٠: ٢١٠).

(٥) اللسان: طغي.

ربما قيل: مادة وحىٰ في القرآن كله بكافة تصريفاتها المتعدية جاءت متعدية بالحرف (إلىٰ) إلاّ في هذا الموضع فما بالها كذلك؟

ذهب جمع من المفسرين إلىٰ أن الآية عديت فيها الكلمة بحرف اللام لأجل الفاصلة(١)، وقد يذهب بعضهم إلىٰ أن اللام بمعنىٰ إلىٰ علىٰ نحو ما قرره ابن هشام في المغني(٢)، ولم يرتض الأستاذ فضل عباس هذه الأقوال فقال:

«إن الآيات التي جاءت فيها صيغة (أوحىٰ) غالباً ما تكون معدية بـ(إلىٰ) غير أن آية واحدة عدّىٰ فيها هذا الفعل بالحرف (اللام)... وما نظن أن اللام وإلى يتعاقبان ـ كما قيل ـ ولكننا إذا أنعمنا النظر في الآيات وجدنا هذه الآية دون غيرها، كان الوحي فيها للجماد(٣)، الوحي للجماد عدي باللام، ومنه قول الراجز: (أوحىٰ لها القرار فاستقرتِ)(٤) وذلك أن الأرض سخرت دون أن يكون لها جهد في هذا الوحي، أمّا غير الجماد، فليس كذلك؛ لأن له جهداً فيما أوحي له سواء أكان هذا فكراً وتدبيراً، كما هو من العقلاء، أم كان سيراً وإلهاماً كما هو لغير العقلاء وكما تفعل النحل. ثم إن آيات الوحي كلها كان الحديث عنها في الدنيا، أمّا هذه الآية الأخيرة فإن الحديث عنها في الآخرة»(٥).

ومن العلماء من ذهب إلىٰ أن الموحىٰ إليه الواسطة محذوف ـ وهم الملائكة ـ كما هو مذكور في الكتب المشار إليها سابقاً.

وترد الدكتورة بنت الشاطئ هذا الكلام بقولها: «إن هذا مما يأباه السياق الذي

---

(١) انظر مثلاً: البحر (٨: ٥٠١)، وحاشية الخفاجي (٨: ٣٨٩)، وروح المعاني (٣٠: ٢١٠).

(٢) مغني اللبيب (١: ١٦٢).

(٣) انظر كذلك التفسير البياني (١: ٩٦).

(٤) الشاهد من قول العجاج وتمامه (وشدها بالراسياتِ الثُّبَّتِ) كما في حواشي ابن عطية (١٦: ٣٤٩).

(٥) إعجاز القرآن، ص١٩٨-١٩٩.

يقتضي عكس ذلك، فمع بناء: ﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١] للمجهول، ومع قوة الفاعلية المستفادة صراحة من إسناد الإخراج والتحدث والزلزلة إلىٰ الأرض، يأبىٰ السياق أن نلتمس وساطة الملائكة ـ لإيصال الإيحاء إلىٰ الأرض التي زلزلت زلزالها، وأخرجت أثقالها، فالسياق إنّما يقوم علىٰ قوة الفاعلية، في تصوير هول الموقف الذي يدهش له الإنسان فيقول في عجب وقلق: ما لها؟ فاقتضىٰ أن يأتيه الجواب ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ تحدِّث به الأرض نفسها، تلقائياً، فالإيحاء هنا مباشرة، ليلائم إسناد التحدث إلىٰ الأرض، وسر قوته في أنه كذلك، ومن هنا كان إيثار التعدية باللام، لما في اللام من اختصاص، وإلصاق، وصيرورة، وتقوية الإيصال، وهي معان عرفها اللغويون أنفسهم فيها، وعدّوها فيما عدّوا من معانيها التي أحصاها ابن هشام في المغني، وإن لم يلتفتوا إليها هنا في البيان القرآني»[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) التفسير البياني (١: ٩٧).

الفصل الرابع

قِيَمٌ معنوية تعالجها الفاصلة القرآنية

وفيه خمسة مباحث:

الأول: المنافقون في الفواصل القرآنية

الثاني: تعبير (أكثر الناس) وما يتعلق به

الثالث: ما يتعلق بالقيامة والساعة

الرابع: في تنوع الحديث عن وعد الله للطائعين

الخامس: صيغ عملية في فواصل القرآن الكريم

هذا الفصل

عبارة عن صورة تطبيقية مصغَّرة لما تعالجه الفواصل القرآنية، في بعض الجوانب، وليس المراد بالمعالجة أن تقوم الفواصل القرآنية بوصف الداء ووصف معالجته، إذ ليس ثمة داء هنا لا بالمعنىٰ الظاهر ولا الخفي، والذي أريده بالمعالجة نتاج تفكيرنا نحن أبناء المسلمين المتدبرين للقرآن، والمستفيدين من هديه، وبالخصوص هنا في الفواصل في بيانها لكثير من الموضوعات أو في موضوع واحد علىٰ الأقل. ويندرج تحت هذا الفصل عدة مباحث أريدها نموذجاً لنمط دراسي تنبني عليه دراسات موضوعية هادفة لعل أصحابها يخرجون من دراستهم بنتائجَ تسهم في الخروج بهذه الأمّة من أزمتها.

*　　*　　*

المبحث الأول
المنافقون في الفواصل القرآنية

النفاق وصف لطائفة من الناس ابتلي بها المجتمع الأول من المسلمين، ولا يزال دخن هذه الطائفة يسير مع أتباعها إلىٰ اليوم، ويظهر أنه سيستمر حتىٰ يشاء الله تعالىٰ أن يقضي عليهم، وقد ذكر الله المنافقين بأوصاف عدة، سواء أكانوا منفردين أم حين يُذكرون في سياق مع الكافرين، ولا شك أن النفاق نوع من أشد أنواع الكفر، وإذا ذكر النفاق والكفر، فلبيان فظاعة مَن وُصف بذلك، وأنهم لشدة ما عندهم من السوء كأنهم متميزون فيه. والذي يهمني بيانه ما وقع في شأن هؤلاء في الفواصل القرآنية، والاستقراء ليس من طبيعة هذا المبحث بالطبع.

والحديث عنهم هنا يتفرع إلىٰ فرعين:

الأول: فيما يتعلق بما ورد في حقهم من أوصاف في فواصل القرآن الكريم، ذلك أنه قد وقع في فواصل الكتاب العزيز عدة أوصاف لهؤلاء الناس، منها: أنهم يصدون عن رسول الله ﷺ صدوداً: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]. ومنها: أنهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ومنها: وصفهم بالفسق كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، ومنها: وصفهم بالكذب كما في أول السورة المخصصة لهم: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، ومنها: صدودهم واستكبارهم كما في قوله: ﴿يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]، ومنها: أنهم لا يعلمون كما في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

الثاني: ما يتعلق بجرائمهم والحكم عليهم في الدنيا والآخرة، فمن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨]، ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]، ومنها: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، ومنها: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨]، ومنها: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٩]، ومنها: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

هذا هو حال المنافقين كما تُصوِّرُه فواصل الآيات الكريمة، وهذا التصوير هو تصوير حقيقي لهذه الطائفة، وتلقي ظلال هذه الأوصاف التي وصفوا بها بياناً لما كان يعانيه الصف المسلم من هؤلاء المجرمين، ليسجل لنا القرآن الكريم نوعاً من القيم التحذيرية التي يمكن استخراجُها من التعامل مع هؤلاء المتلوِّنين، ولذلك لا يستغرب أن يتنوع وصف العذاب والجزاء الذي تستحقه هذه الطائفة بتنوع السوء الذي كان عندهم.

وقبل أن نغادر هذا المبحث لا بد من الوقوف عند شبهة قديمة لا تخص هؤلاء وحدَهم، ولكنهم يدخلون في ضمن ما تؤدي إليه دخولاً أولياً، كما أنها لا تخص الفواصل وحدها، ولكن يدخل في ضمنها فواصل الكتاب العزيز، وهذه الشبهة، أو علىٰ الأصح: الفرية، حاصلها: (أن القرآن الكريم قد يعمد إلىٰ تشويه صورة الخصوم لأجل التنفير منهم، وبالتالي يكون ذلك عوناً علىٰ نشر ما يريد) وأنا اذكر أني قرأت هذا الكلام في أحد الكتب منذ زمن بعيد، ولكني الآن لا أستطيع تحديد في أي كتاب قرأت هذا الكلام، فقد تزاحمت عليّ الكتب.

وهذا الكلام الذي تؤديه هذه الفرية كلام ساقط لا يساوي شيئاً، ولكن لا بد من بيان أنه خطأ، حتى لا يقال: إننا نسلم به، وفي الجواب عن هذا الكلام لا بد أولاً من الوقوف عند كلمة (التشويه) وبيان المراد منها، وهي في حقيقتها تحتمل أمرين لا ثالث لهما:

الأول: أن يذكر القرآنُ الكريم لأعدائه من الأوصاف ما ليس فيهم.

الثاني: أن تكون هذه الأوصاف موجودة لكن لا علىٰ الطريق الذي صوره القرآن، إذ قد بالغ القرآن في ذلك أيما مبالغة.

وهذان الأمران باطلان للأسباب التالية:

الأول: أنه إذا ثبت ذلك ـ وبالطبع لم يثبت ـ فإن هذا يعني اشتمال القرآن علىٰ الكذب، وهذا محال لذاته أولاً وأخيراً.

الثاني: لو ثبت أن في القرآن شيئاً من ذلك، فأين كان أعداؤه الذي شُوِّهوا؟ لماذا لم يدافعوا عن أنفسهم، وقد كانت حلبة الصراع بينهم وبين النبي ﷺ مفتوحة؟

الثالث: لو لم تكن تلك الأوصاف التي وصفوا بها موجودة بكاملها فيهم، لما سكتوا عن ذكر القرآن الكريم لهم بمثل ما ذكرهم به.

الرابع: أن أسلوب التشويه في الغالب لا يلجأ إليه إلاّ الضعفاء، فهل كان القرآن الكريم بما فيه ـ ضعيفاً في يوم من الأيام حتىٰ يلجأ إلىٰ مثل ذلك؟ اللهم لا.

وبعد، فهذا كله يدلك علىٰ تهافت مثل هذه الشبهة، ولولا إني أذكر وجودها بين السطور ما كتبت عليها صفحة تملؤها السطور.

* * *

المبحث الثاني
تعبير (أكثر الناس) وما يتعلق به

قد وقع هذا التعبير في مواقع عدة من القرآن الكريم، ووصف بعدة أوصاف مختلفة وعلى النحو التالي:

أولاً: ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقع هذا في ثلاثة مواضع وهي: [هود: ١٧]، [الرعد: ١]، [غافر: ٥٩].

ثانياً: ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقع هذا في أحد عشر موضعاً من القرآن وهي: [الأعراف: ١٨٧]، [يوسف: ٢١]، [يوسف: ٤٠]، [يوسف: ٦٨]، [النحل: ٣٨]، [الروم: ٦]، [الروم: ٣٠]، [سبأ: ٢٨]، [سبأ: ٣٦]، [غافر: ٥٧]، [الجاثية: ٢٦].

ثالثاً: ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ وقع هذا في خمسة مواضع: [البقرة: ٣٤٣]، [يونس: ٦٠]، [يوسف: ٣٨]، [غافر: ٦١]، [النمل: ٧٣].

رابعاً: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وقع هذا في موضعين: [الإسراء: ٨٩]، [الفرقان: ٥٠].

خامساً: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وعلى هذا، فإن (أكثر الناس) وصفوا: بعدم الإيمان، وعدم العلم، وعدم الشكر، ورغبتهم في الكفر. وهي أوصاف ظاهرة في السوء والعياذ بالله تعالىٰ.

والناظر في هذه الأوصاف التي ألحقت بأكثر الناس لا يجد منها وصفاً يخص العلائق بين الناس بعضهم ببعض، وإنّما هي في شؤون أخرى وهذا بيانها.

أولاً: ما وقع من نفي القرآن الإيمان عنهم خاص في موضعين أحدهما في العلاقة بين الناس وبين ما أنزل الله تعالىٰ، والآخر حول عدم الإيمان بالساعة.

ثانياً: ما وقع من نفي العلم عنهم جاء علىٰ أنحاء مختلفة، فقسم من هذه الآيات جاء حول العلم بالبعث والساعة وأمر القيامة، وقسم آخر جاء حديثاً عن بعض شؤون الله تعالىٰ، وأن أكثر الناس لا يعلمها، وكيف يعلم من لم يعلمه الله، وآية منها عن سيدنا يوسف ﷺ وما آتاه الله من فضله، وقسم حول نبينا ﷺ وأنه أرسل كافة للناس، وقسم عن الرزق وعن شيء من الخلق خاص بأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

ثالثاً: ما وقع من نفي الشكر عنهم، خاص بعلاقتهم مع ما أنعم الله به عليهم من الفضل، وأنهم لا يشكرون.

رابعاً: ما وقع من إصرارهم علىٰ الكفر واقع في سياق تصريف الأمثال في القرآن وأن الناس مع ذلك أبوا إلاّ الكفر.

خامساً: ما وقع من الحرص علىٰ عدم الإيمان مع حرص النبي ﷺ علىٰ إيمانهم، إنّما جاء تعقيباً علىٰ قصة يوسف عليه السلام، وسردها في السورة الخاصة بها.

فإذا تبين ذلك علمت أنه لا دخل لهذه الآيات في بيان ما يتعلق بأحكام الأكثرية بين بعضهم في قضايا تخص حياتهم الدنيا، ومن هنا تستطيع بكل يسر أن ترد رأي من يقول إن القرآن يرفض رأي الأكثرية، وقائل هذا يستند إلىٰ مثل هذه الآيات الكريمة.

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور القرضاوي: (وأمثال هذه الآيات، وهي كثيرة في القرآن مكية ومدنية، ولكن الأكثرية التي نتحدث عنها، ويؤخذ رأيها، ليس أكثرية المشركين، أو الذين كفروا من أهل الكتاب أو من غيرهم، ولا أكثرية الناس عموماً، إنّما هي أكثرية

خاصة بمجتمع المؤمنين الذين استجابوا لأمر الله تعالىٰ، وهدي رسوله ﷺ، وجعلوا أمرهم شورىٰ بينهم، ومجال الشورىٰ ليس هو الفرائض المكتوبة، ولا المحرمات المحظورة، ولا الأحكام القطعية، إنّما يتشاورون في المباحات، والمصالح، وما تختلف فيه وجهات النظر، بين مؤيد ومعارض، فهنا لا بد من مرجح، فكانت الأكثرية العددية في مثل هذه المجالات هي المرجح المعقول والمقبول، وقد لجأ إليها سيدنا عمر رضي الله عنه في قضية الستة أصحاب الشورى كما هو معلوم. وكما يرجح كثير من الفقهاء رأي الجمهور عند تكافؤ الأدلة، وفي أكثر من حديث الحض علىٰ اتباع السواد الأعظم، إلىٰ غير ذلك من الاعتبارات)[1].

* * *

---

(١) المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنّة، ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، ص٢٨٦-٢٨٧.

المبحث الثالث
ما يتعلق بالقيامة والساعة

وقد أخذ الحديث عن ذلك جانباً لا بأس به، وقد أكثر القرآن من هذا الحديث؛ لأنه يشكل جزءاً مهماً من قضاياه الرئيسة، إذ هو الجزء المصحح لأعمال الناس والمحفز للاستمرار في أعمال الخير، والكابح للتمرد وأعمال الشرور، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القوم كانوا ينكرون البعث وقد حاول القرآن مراراً معالجة هذا الإنكار ومحوه من العقول والقلوب، وآل أمر الإسلام إلىٰ التغلب علىٰ هذه الفكرة المنحرفة، التي لا ترىٰ جزاء إلاّ بمقدار السعادة والشقاء في الدنيا.

والملاحظ علىٰ أسلوب القرآن الكريم في عرض ما يتعلق بذلك أنه نحىٰ فيه طريقين:

الطريق الأول: التعبير عن كثير من مظاهر يوم القيامة بأفعال حُذف منها الفاعل وبنيت للمفعول (المجهول)، والبناء للمفعول لا يكون إلاّ إذا توافر للجملة أو لمدلولاتها أمران اثنان:

الأول: كون الفاعل معلوماً وذكره يعد من قبيل الإطناب في القرآن الزائد فلا حاجة حينئذ للتصريح به.

الثاني: إرادة صرف النظر إلىٰ المفعول الذي حل محل الفاعل.

وهذان الأمران متحققان تمام التحقق في حديث القرآن الكريم عن هذا الجانب. ففيما يتعلق بالجانب الأول فإن كون الله تبارك وتعالىٰ هو الفاعل للأحداث الكونية

المتحدَّث عنها، مما لا يشك فيه، ولهذا لا يحتاج التصريح بالفاعل لأجل هذه الغاية. وأمّا الأمر الثاني من توجيه النفوس نحو الحدث نفسه فهذا مما ركز عليه القرآن الكريم، بل هو فيما يرىٰ الباحث من مقاصد القرآن الكريم في الحديث عن هذا الجانب، إذ كون الفاعل هو الخالق سبحانه يريح العقول من التفكير في الفاعل وينصرف الذهن إلىٰ قدرة الفاعل التي أحدثت هذه الأحداث وإلى الأحداث نفسها، فتنصرف النفوس إلىٰ النظر في أحداثها العجيبة الغريبة. ولا شك أن تصوير القرآن وبيانه لهذه الأحداث علىٰ النمط الذي جاء عليه، مما يحفز النفوس إلىٰ مراجعة أعمالها باستمرار، وإلى غرس صورة حية واقعة في النفوس عن ذلك اليوم وإحداثياته، مما لا يكاد يفارق النفوس والعقول، لتصل النفوس بالتالي إلىٰ المقصد الأعلىٰ من الكمال الذي هيئت له. ويرىٰ الباحث أيضاً أن هذا من مقاصد القرآن الكريم.

الطريق الثاني: أنه يلحظ علىٰ أسلوب القرآن الكريم في عرض قضايا الساعة وأحداث القيامة، أنه اختار لعرضه هذا أقرب الألفاظ إلىٰ إثارة النفوس، وقد لحظ الفرّاء هذا الجانب من قديم فقال عند تفسيره قوله تعالى: «﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥] والفاقرة: الداهية، وقد جاءت ألفاظ القيامة والعذاب بمعنىٰ الدواهي وأسمائها»(١).

ويعلّق الدكتور زغلول سلام علىٰ ذلك قائلاً: «وهذه التفاتة طريفة من الفرّاء، لتنبهه إلىٰ ما لهذا الاستعمال القرآني من أثر في نفوس العرب، إذ يثير بهذه الألفاظ استدعاءات وجدانية تروع الناس وتخوفهم؛ لأنهم اعتادوا أن يقرنوا بين هذه الألفاظ وبين مدلولاتها من الدواهي، وجاءت في القرآن تؤدي دورها في إثارة معاني الفزع والخوف، وتعويد النفوس رهبة يوم القيامة، لتبتعد عن المعاصي وتترك الذنوب»(٢).

---

(١) معاني القرآن (٣: ٢١٤).

(٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص٦١.

ويرىٰ الباحث في هذا الكلام الحسن ما للكلمة من أثر في نفوس الذين كان يُتلىٰ عليهم القرآن الكريم، وأن هذا الأثر، غدا يتضاءل اليوم رويداً رويداً، بسبب تجافي أهل الإسلام عن التعمق في هذه اللغة الشريفة، مما يدعو ذوي الغيرة علىٰ دين الله إلىٰ أن ينهضوا في الأمّة لبعث هذه اللغة وإحيائها في نفوس أبناء المسلمين وعقولهم، ليستطيعوا من خلال ذلك الإفادة من مدلولات آيات القرآن الكريم، وقد ظهر جلياً في متأخر الأيام إثر هذا التجافي عن اللغة في أبحاث كثير من الباحثين التي غدت تتحدث عن القرآن من خارجه ولا تكاد تمسه من داخله إلاّ مساً رقيقاً. ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الجانب أن مَن فقد الإحساس بلغته فقد الإحساس بذاته. وهذا ما نراه اليوم ماثلاً للعيان مع بالغ الأسف.

* * *

المبحث الرابع
في تنوع الحديث عن وعد الله للطائعين

وإذا كان القرآن الكريم قد اختار الألفاظ التي تثير مكامن الخوف في النفوس، وجعلها معبّرة عن يوم القيامة وأحداث الساعة، لاستثارة هذه النفوس وتوجيهها نحو عمل الخير، ومحاولة إزاحتها وصرفها عن أفعال الشرور، فإن القرآن يعمد إلىٰ الجانب المقابل لهذا الجانب الترويعي. فينوع في ألفاظ الوعد لما للطائعين من جزاء إثر استسلامهم لأوامر الله تعالىٰ، وهذا فيما يبدو للباحث منهج الموازنة في القرآن الكريم، فحيث يذكر الوعيد بما فيه من شدة، يذكر الوعد بما فيه من السعة. ويمكن أن يفاد من الموازنة القرآنية تلك في تحقيق الوسطية والالتزام في مناهج الحياة الدنيا.

وحديث القرآن عن وعد الله تعالىٰ ـ والكلام خاص بما وقع في الفواصل ـ متنوع بحيث يؤدي إلىٰ استثارة النفوس نحو الإصلاح وإحسان العمل. فنرى القرآن يبين أن الجنّة قد قربت للمتقين: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠]، وتراه أيضاً يخبر أن الذين اتقوا ربهم يساقون إلىٰ الجنّة جماعات جماعات: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وتراه يخبر عن الجنّة بأنها: ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩]، وأنها: ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢]. ويذكر القرآن بأن أهل التقوىٰ كل موعود بجنتين: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، بل يزيد ويجعلهم في: ﴿جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥]، وأنها جنات نعيم، وأن الأنهار تجري من تحت أهلها: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، ويذكر من رفاهيتهم أن: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢١]،

ويزيدهم بأن أبواب الجنان لهم مفتحة: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠]، وأنهم في غاية السعادة والكرم: ﴿فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥]، ويصل القرآن بهؤلاء الموعودين بهذه الموعودات إلىٰ أنهم ممن يستحق أن يوصف بأنه فائز: ﴿هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]، بل ويجعل القرآن هذا الفوز بأنه هو: ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]، وهو ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦]، وهو: ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، وحسبك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]، بما توحيه هذه الكلمة من ظلال الفرح والسرور.

أفيرىٰ بعد ذلك إنسان يسمع هذه الموعودات، فلا تستثيره نفسه إلىٰ الخير ولا تحفزه إلىٰ الصلاح والعمل بما يرضي الله تعالىٰ؟

هذا هو منهج القرآن الكريم في عرض ما يتعلق بوعد الله سبحانه وتعالىٰ لعباده، مما وقع الحديث فيه في فواصل الكتاب العزيز، والفواصل جزء من القرآن، فالحديث إذن هذا يمثل جزءاً يسيراً من أوصاف الوعد المتكاثرة في ثنايا الكتاب العزيز.

ولا شك أن في عرض القرآن الكريم جانبي العقاب والثواب كل بما يخصه، يعرضه بوضوح دون أن يطغىٰ الحديث في أحد الجانبين علىٰ الآخر، لا يشك أن في ذلك منهجاً تعليمياً مهماً ومفيداً للعاملين لنشر دين الإسلام في ربوع العالم، إذ نرىٰ كثيراً من الدعاة الذين يطوفون بين الناس لا يحفظون إلاّ آيات الوعيد والتخويف والتحذير، يلقونها علىٰ مسامع الناس مراراً وتكراراً، وعلىٰ عكس هؤلاء قوم لا يحفظون إلاّ آيات الوعد يفعلون بها فعل أولئك بما يحفظون. وكلا المنهجين خاطئ، والوسطية والموازنة والتنوع ذلك هو المنهج المطلوب، وهو الذي به تتحقق الآمال في إنقاذ الناس وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور، وفي الحيدة عن منهج القرآن حيدة عن الصواب.

* * *

المبحث الخامس
صيغ عملية في فواصل القرآن الكريم

وأريد هنا بالصيغ العملية من مثل مادة التفكر والعمل والعلم ونحوها من الصيغ التي تدل علىٰ حركة الإنسان في هذا الكون وهذه الحياة، وقد تكاثر ورود هذه الصيغ التي أشرت إليها في فواصل القرآن الكريم وفي سياقات مختلفة، فقد وقعت مادة (التذكر) مثلاً بصياغاتها المختلفة في فواصل الكتاب العزيز نحواً من ثلاث وثلاثين مرة، ووقعت كلمة (يصنعون) خمس مرات، ومادة (عقل) في الفواصل وقعت علىٰ صيغة (يعقلون) بالياء والتاء في أربعة وأربعين موضعاً، ومادة (عمل) وقعت في الفواصل علىٰ (صيغة) يعملون، بالياء والتاء، في ثلاثة وتسعين موضعاً، ومادة (فعل) علىٰ ذلك النمط وقعت في ثمانية عشر موضعاً، ومادة (فقه) ووقعت علىٰ صورة (يفقهون) فقط في الفواصل تسع مرات، ووقعت مادة (فكر) علىٰ صورة يتفكرون بالياء والتاء في اثني عشر موضعاً، ووقعت مادة (علم) في تصرفات مختلفة في الفواصل القرآنية في مئة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم.

وقد سبق أن بينت في المبحث الخاص بتركيب الفاصلة من الجملة الفعلية أن القرآن الكريم يريد تكوين أمّة حية، متحركة، واعية، قادرة علىٰ النهوض بأعباء الدعوة إلىٰ دين الإسلام، هذا الدين الذي يأبىٰ علىٰ أهله أن يكونوا كسالىٰ نائمين، فيحفزهم دائماً إلىٰ أن يكونوا إلىٰ النهوض والعمل سبّاقين.

وفي تركيز القرآن علىٰ هذه الصيغ والمواد التي ذكرتها أعلاه، ما يدل علىٰ أن القرآن لا يريد من الأمّة أن تكون أمّة عاملة فقط، بل يريدها مع العمل أن تتميز بمميزات فريدة،

وحسبك من تركيز القرآن الكريم في فواصله علىٰ مادة (العلم) ومشتقاتها المختلفة، حسبك منه ما يدل علىٰ أن الأمّة العاملة العالمية شيء متميز في الحياة. ولذلك لا بد من التركيز علىٰ العلم، وبعث روحه في أرجاء الأمّة الإسلامية لا سيما في هذا الوقت الذي يُرىٰ فيه كثيرون يحرمون أنفسهم وأبناءهم من العلم، ليركضوا وراء متع الدنيا ولذائذها، يحسبون أن المتع واللذائذ هي غاية التكليف، وهي مرماه وهدفه، فإذا ما أصيب واحد في هذا الجانب بدا عليه الهلع والجزع.

وأحسب أن علىٰ حكومات المسلمين والقائمين علىٰ أمور الناس أن عليهم أن يأخذوا علىٰ أيدي هؤلاء ويمنعوهم من اللعب ببنيان الأمّة، فليس للفرد حرية التصرف في نفسه بما يؤدي إلىٰ زلزلة كيان أمّته ويقوّض بنيانها، ولا شك أن الضريبة الأولىٰ المترتبة علىٰ التجافي عن العلم، هي فشو الجهل، وهل نزل القرآن الكريم في ضمن ما نزل إليه إلاّ لمحاربة الجهل والجاهلين؟!

* * *

الفصل الخامس

مراعاة الآيات القرآنية للفاصلة

وقفة أخيرة

لو أننا تتبعنا القول بمراعاة الآيات القرآنية للفاصلة، بمعنىٰ أن النظم القرآني إنّما جاء علىٰ ما هو عليه من أجل الفاصلة والنسق الصوتي، لو تتبعنا هذا القول ـ وقد تتبعته لكن بشكل ليس استقرائياً ـ ووجدت أنه نشأ أول ما نشأ في كتب النحاة، بل لقد حمل النحاة لواء المدافعة عن هذا القول، وحسبك من نشأته أنه في كتب الخليل وسيبويه والفرّاء. بل قد أحدث الفرّاء نقلة نوعية في الدفاع عن القول هذا بما عرفتَ حاصلَه في بداية هذه الرسالة.

وأنا لا أشك في إخلاص هؤلاء النحاة وأمثالهم في الدفاع عن القرآن الكريم وإبراز أنماط من الإعجاز متعددة فيه، ولكني أقول: إن صبغة هؤلاء النحوية لها أثر في إبراز مثل هذا القول والدفاع عنه، وقد رأيت من خلال قراءاتي المتعددة في كتب النحو علىٰ اختلاف أنماطها، أن النحاة كثيراً ما يجعلون القاعدة النحوية ـ بل إنهم لا يحيدون عن ذلك ـ أصلاً يجيرون عليه كل شيء، وهذا ليس تشكيكاً في قواعد النحو ولا النحاة، ولا أن القرآن يخالف القواعد النحوية، ولكن لغة القرآن الكريم لغة عالمية لا ينبغي أن يقاس كل ما فيها من أساليب بما عند البشر، وقد حفظت من أقوال الشافعي رحمه الله: «إن لغة العرب واسعة وإن لسان العرب أوسع الألسنة ولا يعلم أنه يحيط به إلاّ نبي» كما قال الشافعي[1].

وأذكر أن كبيراً من النحويين ولعله الفارسي قال: إنّما حفظ من كلام العرب عُشْره فقط، ولهذا وغيره فاني أقول: لا بد من التريث في قياس كل أساليب القرآن ومحاكمتها بما قرره النحاة في الكتب.

---

(١) ذكر ابن فارس في الصاحبي هذا الكلام ولم ينسبه للشافعي ونقله عنه الزركشي في البحر المحيط (١: ٤٠٧) وكذا صنع السيوطي في المزهر (١: ٥٢).

وأحسب أن كثيراً من الفضلاء إنّما قالوا بمثل هذا القول ـ مراعاة الفاصلة ـ تهيّباً وخشية من الهجوم علىٰ ألفاظ القرآن بعبارات وتعليلات لا يدرىٰ مدىٰ صحتها، ويظن الباحث أن مثل هذه الخشية لا داعي لها إذا توفرت لدى الباحث في كتاب الله تعالىٰ من الملكات ما يهيؤه للقيام بالتعمق في آيات القرآن الكريم وألفاظه وأساليبه.

والقائلون بهذا القول لم يعدموا من الحجج التي تنصر آراءهم، وبالتحديد هذا الرأي، وقد وعدت عندما تحدثت عن جهود المحدثين أن أقف مجيباً عن هذه الحجج التي لخصها الدكتور علي محمد حسن في مقاله الأول المنشور بمجلة الوعي، وإني أجعل هذا الفصل الختامي في الوقوف عند تلك الحجج الملخّصة والمجموع بعضها إلىٰ بعض:

أولاً: قال الدكتور: إن القائلين بمراعاة الفواصل لم يمنعوا أن يلتمس في بعض المواضع سر آخر للصنيع الذي جاء في الآية.

وهذا الكلام صحيح لكنه ليس عاماً، فما كل القائلين بمراعاة الفواصل قالوا بمثل ذلك، وغاية النظر والبحث المطلوبة هي لماذا كان هذا الالتماس في بعض مواضع القرآن الكريم دون بعضها الآخر؟ والألفاظ كلها مرتبة واحدة من حيث البلاغة وقوة الأسلوب ومتانة التعبير، لماذا إذاً التُمس جانب معنوي في بعضها دون بعض؟ والملحوظ علىٰ ما ذكره الدكتور، بجوار إيجابيته المعنوية أنه في كلامه الملخص هذا جعل الناحية اللفظية أصلاً تتخرج عليه آيات القرآن الكريم بينما جعل الجانب المعنوي مجرد ملتمس عند بعض الآيات. وهذا هو موضع المخالفة لمثل هذا القول ـ والله أعلم ـ.

ثانياً: قال الدكتور: إن القرآن الكريم أنزل بلغة العرب وجرى علىٰ منهجهم في بلاغتهم، ومراعاة التناسب اللفظي مما يزداد به المعنىٰ جمالاً، فليس يضير القرآن أن يكون راعىٰ في بعض آياته مجرد التناسق اللفظي، ومما لا شك فيه أن مراعاة التناسب اللفظي ميزة من ميزات اللغة العربية، ونحن نؤمن أن القرآن لم يترك ميزة تمتاز بها هذه اللغة إلاّ أخذ منها بنصيب موفور.

ثم قال بعد ذلك: إن العرب يغيرون صيغة الكلمة مراعاة للتناسب من ذلك قولهم: «ويل للخلي من الشجي» بتشديد الياء فيهما، وهي مشددة في الثانية مراعاة للأولىٰ.

قال الباحث: وهذا الكلام علىٰ وجاهة بعض ما فيه، ووجازته الشديدة، فليس كل ما فيه مسلَّم، فمثلاً: إن القول بأن القرآن قد أخذ بنصيب موفور من كل ميزات اللغة العربية، قول أشبه بما يسمىٰ في علم المناظرات بالتهويش أو التعميم الذي يراد منه التعمية علىٰ الخصوم، ومثل هذا الكلام لا يغني في مقام الحجاج العلمي شيئاً، لا سيما إذا علمنا أن بعضاً مما كان يسمىٰ ميزة تتميز به العربية صار يعرف عند بعض الباحثين بخلاف ذلك، كما حدث في الأبحاث المتأخرة حول ظاهرة ما يسمىٰ بالترادف في العربية، وأن القرآن الكريم قد وقع فيه شيء من ذلك. وبناء عليه لا ينبغي التسرع بالإكثار أو التكثير من القول بتميز اللغة العربية ـ وهي حقيقة متميزة جداً ـ ببعض الميزات التي قد يقع الخلاف في عدها من التميز ثم يسارع إلىٰ إضفاء هذه الميزة علىٰ القرآن وعدّها مما يتميز به.

وشيء آخر ينبغي توضيحه هنا، وهو أن القرآن لم يجر علىٰ منهج العرب في بلاغتهم، وإنّما جاء بأبلغَ مما عند العرب، صحيح أن الأسلوب في عمومه أسلوب واحد لكن التعبير بهذا الأسلوب مختلف.

وأمر ثالث من قول الدكتور، وهو أن التناسب مما يزداد به المعنىٰ جمالاً، وهو فيما يظن الباحث من الأمور التي ليست في صالح القائلين بمراعاة التناسب، ذلك أنه روعي في هذا الكلام جانب المعنىٰ أولاً وجعلت الناحية اللفظية أو الشكلية تبعاً. وهذا ما يريده الباحث في كل هذا البحث، لكن أن يستنتج من هذا الكلام أن القرآن يراعي جانب التناسب اللفظي فحسب، فهذا مما لا تساعد عليه العبارة ولا تؤدي إليه، بل إنها فيما يرىٰ الباحث تخالف هذه النتيجة.

وإذا كان العرب ـ كما يقول الدكتور ـ يغيرون من طبيعة بعض الكلمات وصيغها مراعاة للتناسب فلا يضيرنا هذا بشيء، وليست أساليب العرب فيما يقولون حجة علىٰ

القرآن الكريم، أفكلما وجدنا كليمة ظهرت لأعرابي ينبغي أن نجري وراء القرآن نحاول أن نقولب آياته بناء علىٰ تلك الكليمة والتي لا يُدرىٰ بأي حال كان صاحبها حين تحدث بها؟

ثالثاً: ثم قال الدكتور: ثبت أن النبي ﷺ، وهو أفصح العرب، كان يراعي المناسبة اللفظية، فيغير صيغة الكلمة، ومثال ذلك: «أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامّة»[١]. وإنّما أراد (ملمة).

ولا يسلم الباحث بأن النبي ﷺ قال ذلك لأجل التناسب وحده.

قال في الفتح عن الخطابي في معنىٰ (لامّة): إن المراد: كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل[٢].

فقول النبي ﷺ: «لامّه» أنسب بهذا المعنىٰ من ملمة فيما يظهر للباحث.

ونقل في الفتح أيضاً عن أبي عبيد أن أصل (لامّة) من ألممت إلماماً، وإنّما قال: (لامّة) لأنه أراد ذات لمم[٣]. قلت: وهذا يناسب ما ذهب إليه الخطابي من معنىٰ هذه الكلمة وهو أحسن مما ذكره ابن الأنباري فيما نقله عنه في الفتح حيث قال: يعني أنها تأتي في وقت بعد وقت، وقال: (لامة) ليؤاخي لفظ هامة لكونه أخف علىٰ اللسان[٤].

ويبدو للباحث أن قولة ابن الأنباري تلك هي إحدىٰ الكلمات التي اتكأ عليها الباحثون المتأخرون في الاستدلال علىٰ أن من كلام النبي ﷺ ما يكون مراعياً السجع وحده، دون النظر إلىٰ جانب المعنىٰ. ويظهر للباحث أيضاً استبعاد هذا التحليل عن كلام

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء، الباب العاشر (٧: ٦١) حديث رقم ٢٣٧١.

(٢) فتح الباري (٧: ٦٤).

(٣) المصدر السابق (٧: ٦٥).

(٤) المصدر السابق نفس المكان.

النبي ﷺ وهو أفصح من نطق بالضاد، وأبلغ بلغائهم، ولا يرىٰ الباحث جواز مثل هذا التحليل في كلام النبي ﷺ الموصوف بتلك البلاغة العالية، إذ من شأن البليغ أن يراعي في كلامه جانب المعنىٰ أولاً؛ لأنه هو المقصود من المخاطبات، وأمّا تزويق الألفاظ وتحسينها، فأمر متأخر عن تطلب المعاني المميزة من الخطاب.

رابعاً: قال الدكتور: فارق كبير بين أن نقول: إن هذا الوزن جاء للفاصلة، وبين أن نقول: إن الكلمة موضوعة في غير موضعها، فهذا قول لا يمكن أن يقال، فالكلمة قارّة في موضعها، ولها معناها الجميل اللائق بالجملة، ولكن الأمر في إيثارها دون غيرها مما يؤدي مؤداها، فهذا قد يكون لمجرد التناسب. انتهى.

وهذا القول فيما يظهر للباحث قول مفكك غير مترابط، والظاهر أن الأستاذ الفاضل مما يتنزل كلامه علىٰ باب الأمنيات؛ لأنه قد ظهر في كثير من الدراسات سواء المتأخرة أم المتقدمة أقوال من مثل: إن هذا اللفظ وضع في غير موضعه، أو إن هذا اللفظ مقدم من تأخير وغير ذلك، فكيف يقال حينئذ إن هذا القول لا يمكن أن يقال وقد قيل، وأنا لا أقول هذا الكلام دفاعاً عن مثل هذه الأقوال، ولكني أقول ـ على الرغم أني لا أقبل مطلقاً تعليل النظم الكريم بها ـ إنها موجودة في الكتب، فقول الدكتور حينئذ يتنزل علىٰ ما قلت.

ثم إنه ليس في القرآن كله كلمة تؤدي مؤدىٰ كلمة أخرى بنفس الدرجة، فقد أثبت التدقيق في البيان القرآني العظيم أن كل كلمة في القرآن الكريم لا يمكن أن تؤدي كلمة أخرى معناها، حتىٰ لو أدرنا العربية كلها علىٰ ذلك الموضع، وعليه لا يمكن أن يكون اختيار الكلمة القرآنية بعد كل هذه الدقة المتناهية، لأجل التناسق الصوتي.

خامساً: قال الدكتور: إننا نجد القرآن الكريم يلتزم في بعض السور وزناً خاصاً، ولا يمكن أن يكون ذلك أمراً غير مقصود. انتهى.

وهذا الكلام لا يخالف فيه كلا الفريقين: من يقول بمراعاة الفواصل ومن لا يقول،

ولكن المخالفة آتية من جهة واحدة، وهي هل التناسق الصوتي هو المقصود وحده، من النظم الكريم، دون أي التفات إلىٰ الناحية المعنوية فيه؟

أمّا الباحث فيرىٰ في الجواب أن المعنىٰ هو المقصود بالدرجة الأولىٰ من النظم، وأن التناسق اللفظي هو بالتبع لا بالأصالة، وأن الباحث يرىٰ أن هذا من أتم مقاصد البليغ، بل هو عمود كلامه.

وإذا علمت هذا سَهُلَ عليك حينئذ النظر في النتيجة التي استنتجها الدكتور من كلامه السابق حيث قال: (إذا كان العرب يتصرفون في الصيغة لمراعاة التناسب، وإذا كان الرسول الكريم ﷺ، وهو أفصحهم، يفعل ذلك، وإذا كان القرآن جاء علىٰ أبلغ الأساليب العربية، فليس هناك ما يمنع أن يراعي القرآن هذه المناسبة، وفي بعض الأحايين تكون هي وحدها الداعية إلىٰ أن يجيء النظم علىٰ صورة خاصة). انتهى كلامه.

وقد ناقش الباحث في ثناياه هذه الفكرة بمختلف جوانبها، وأثبت الباحث أن هذه الفكرة كلها غير مسلَّمة، فهي نتيجة مبنية علىٰ أساسات غير متفق عليها، وأهل العلم يقولون ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

وبعد، فقد آن للقلم أن يتوقف عند هذا الحد، والذي يرىٰ الباحث فيه أنه أوفىٰ علىٰ موضوعات الخطة المنهجية لهذه الدراسة ليصل البحث كله إلىٰ نتيجة واحدة **ملخصها** أن التناسق اللفظي في القرآن الكريم إنّما هو أمر تابع لقصد القرآن إلىٰ معانيه العالية الشريفة. وأن القول بأن القرآن قد يعمد إلىٰ المناسبة اللفظية وحدها دون النظر إلىٰ المناسبة المعنوية فأمر لا يقوم علىٰ ساق. وإلى الله يومئذ المساق، وصلى الله علىٰ سيدنا وقدوتنا وشفيعنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ دربه.

* * *

الخاتمة

وبعد،

فقد فرغت بتوفيق الله تعالى وحده مما أردت تفصيله وبيانه، وبقي عليّ أن أختم هذه الرسالة ببيان أهم ما جاء فيها:

أولاً: بحثتُ في التمهيد جهود العلماء قديماً وحديثاً في دراسة هذه الظاهرة القرآنية، حيث وقفت عند أهم الجهود التي لا ينبغي للبحث أن يغفلها، فعرضت لكتاب ابن الصائغ الحنفي ـ غير الموجود ـ ووقفت مع الفراء في كتابه معاني القرآن، وبينت جهوده في دراسة الفاصلة من خلال هذا الكتاب، وبينت أن الفراء قد أحدث نقلة نوعية في التوسع في هذا الباب، وبينت ما أخذته مسألته هذه من الأخذ والرد، ثم وقفت مع الرماني في رسالته «النكت في إعجاز القرآن» وبينت منهجه في دراسة هذه الظاهرة القرآنية، ثم وقفت مع الزمخشري في كتابه الكشاف وبينت منهجه في دراسة هذه الظاهرة من خلال هذا التفسير، ثم عرضت إلى منهج الزركشي في كتابه البرهان في دراسته لظاهرة الفواصل القرآنية، وأتبعته بالحديث عن جهود السيوطي من خلال كتبه: «الإتقان» و«معترك الأقران» و«التحبير في علم التفسير» وبينت أن جل ما عند السيوطي مأخوذ من البرهان للزركشي.

ثم وقفت مع أصحاب كتب المتشابه، فوقفت مع كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» المنسوب للخطيب الإسكافي، وكتاب «البرهان في متشابه القرآن» للكرماني، «وكتاب ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل»، لأبي جعفر ابن الزبير، وكتاب «فتح الرحمن في كشف ما يلتبس من القرآن» للشيخ زكريا الأنصاري،

وكتاب «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزأبادي. وبينت العلاقة بين هذه الكتب ومن أخذ من أصحابها من الآخر، وذكرت أن كتاب الدرة هُو دُرتها.

ثم عرضت إلى جهود المحدثين في دراسة الفاصلة القرآنية، فوقفت وقفتين مطولتين مع كتاب الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي، وكتاب الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين، ثم عرضت لجهود الشيخ طاهر الجزائري من خلال كتابه «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن» ثم تحدثت عن جهود الرافعي من خلال كتابه «إعجاز القرآن»، وتحدثت عن جهود الدكتور علي الجندي من خلال كتابه «صور البديع ـ فن الأسجاع»، وتحدثت كذلك عن جهود الدكتورة عائشة عبد الرحمن من خلال كتابها «الإعجاز البياني»، ثم تحدثت عن جهود الدكتور علي محمد حسن حيث نشر عدة مقالات في مجلة الوعي الإسلامي الصادرة بالكويت، ثم تحدثت عن جهود الدكتور أحمد أحمد بدوي في كتابه «من بلاغة القرآن» والدكتور فتحي أحمد عامر في كتابه «فكرة النظم بين وجوه الإعجاز». ثم تحدثت عن جهود الدكتور فضل عباس من خلال كتابه «قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية». ثم تحدثت عن جهود الدكتور عبد العظيم المطعني من خلال كتابه «خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية» وبه ختمت هذا التمهيد، وفي عرضي لجهود هؤلاء الفضلاء جميعاً، تحريت الدقة والأمانة والإنصاف ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولا أظنني إلا معطياً صورة واضحة لجهودهم دون غمط لحقوقهم.

ثانياً: عرضت في الفصل الأول من الباب الأول لمعاني الفاصلة في كتب العلماء، واخترت منها التعريف الشائع وهو: أن الفاصلة هي الكلمة الأخيرة التي ختمت بها الآية.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب بحثت الموضوع المتعلق بالسجع وهل يجوز تسمية الفواصل به، وذكرت طرفاً من خلاف العلماء في هذه المسألة، وأدلة كل فريق، ووقفت عندها وقفات متأنية. وخلصت من هذا الفصل الدراسي بعد النظر في الأدلة التي بين يدي

ومناقشتها، خلصت إلى أنه ليس هناك ما يمنع من إطلاق لفظ (السجع) على ما تماثل من فواصل القرآن الكريم.

ثم ختمت هذا الفصل ببعض التعقيبات والتعليقات على بعض الآراء الضعيفة والشاذة حول القرآن الكريم من خلال ما درسته في هذا الفصل.

ثالثاً: عقدت الباب الثاني لدراسة الفاصلة القرآنية، وجعلت بين يدي هذا الباب بعض التنبيهات المتعلقة بطريقة البحث في هذا الباب، ثم قفيت بتوطئة بينت فيها أهمية دراسة هذا الموضوع وفائدته، وتحدثت فيه كذلك عن تقسيمات الفواصل المختلفة.

ثم جعلت هذا الباب في عدة فصول ومباحث تحدثت فيها عما يلي:

١ـ في الفصل الأول جعلته بعنوان (البنية الداخلية لفواصل الآيات القرآنية وثراؤها للنص بالمعنى).

ففي المبحث الأول من هذا الفصل الذي جعلته تحت عنوان (روعة الفاصلة واستقرارها) تحدثت فيه عن دقة اختيار القرآن الكريم لكلمات الفواصل. ثم تحدثت حديثاً مطولاً عن اختلاف الفواصل لاختلاف المتحدث عنه وذلك في القرآن كله، فتحدثت في المقارنة بين الآيات التي على ذلك النمط في القرآن عن نيّف وأربعين موضعاً منها رجعت فيها إلى ما تيسر لدي الرجوع إليه من الكتب قديمها وحديثها، وحيث اقتضى الأمر الترجيح بين بعض الأقوال كنت أفعل ذلك أحياناً، وأحياناً أخرى لا أفعل؛ لأن المسألة لا تحتاج ترجيحاً لأن النص يمكن أن يحتمل كل الآراء، وأحياناً أخرى لم أستطع الترجيح فتركت الأقوال كما نقلتها لأوصلها إلى القارئ مستخرجاً إياها من بطون الكتب واضعاً إياها بين يديه.

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل والذي جعلته بعنوان (الدلالة المعنوية في تركيب الفاصلة القرآنية من الجملة الفعلية والاسمية)، ذكرت فيه بعض القراءات النظرية المعتمدة على شيء من الإحصاء، ثم خلصت ببعض الفوائد من ذلك، وكان هذا المبحث قصيراً لأن التفصيل في مثله يحتاج إلى موضوع غير الذي أكتب فيه فاكتفيت منه بالقليل.

وفي المبحث الثالث من هذا الفصل والذي كان بعنوان (الدلالة المعنوية للحذف والزيادة في تركيب الفاصلة القرآنية) بينت أولاً أن هذا الحذف بأنواعه لا يخص الفاصلة وحدها ولكن الفاصلة تدخل فيه دخولاً أولياً، ثم تحدثت عن حذف الضمائر والحروف في الفواصل والآثار المعنوية المترتبة على ذلك فعرضت إلى حذف (الياء) في كثير من الفواصل وإلى حذف عائد الصلة، ثم عرضت إلى حذف الفاعل في الفواصل القرآنية، وإلى حذف المفعول فيها، ثم تحدثت عن الزيادة فعرضت لزيادة بعض الحروف مثل الألف والهاء في بعض الفواصل وبعض الزيادات الأخرى.

وفي المبحث الرابع من هذا الفصل والذي كان بعنوان (الدلالة المعنوية للتقديم والتأخير في تركيب الفاصلة القرآنية) تحدثت عن تقديم المفعول في الفاصلة، ثم تحدثت عن تقديم الجار والمجرور أو الظرف على متعلقه في الفواصل القرآنية، ثم تحدثت عن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في الفواصل القرآنية، ثم تحدثت عن تقديم بعض الكلمات على بعض مما لا ينضبط بضابط معين، ويلحظ على البحث في هذا الفصل أنه لم يكتفِ فيه بدراسة كلمة الفاصلة وحدها، وإنما دُرِسَت في سياق جملتها، وهذا ما نبهت عليه في منهجي في دراسة هذه الظاهرة في تقديم هذه الرسالة، وكنت أبحث وأنقب في الكتب عما أراه مفيداً لأثبته في هذا المحل، ولم أكن في هذا الفصل ولا غيره مجرد ناقل بل حاولت أن تكون لي شخصية الانتقاء أو الاعتراض أو التعليق على ما أجده في الكتب، وأحياناً أجد في نفسي شيئاً غير الذي وجدته في الكتب، فأذكره، واضعاً إياه بين أيدي السادة القارئين لعلهم يفيدون منه أو أفيد من ملاحظاتهم عليه، والحياة كلها أخذ ورد.

وفي المبحث الخامس من هذا الفصل والذي كان بعنوان (الدلالة المعنوية لاختيار اللفظ مفرداً، ومثنى ومجموعاً في الفواصل القرآنية)، تحدثت عن ثلاثة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم اختير فيه لفظ الفاصلة على أحد هذه الأنماط الثلاثة.

وفي المبحث السادس من هذا الفصل، والذي كان بعنوان (الدلالة المعنوية للتذكير والتأنيث في الفواصل القرآنية) تحدثت عن عشَرة مواضع جاءت على هذا النمط في القرآن الكريم.

وفي المبحث السابع من هذا الفصل، والذي كان بعنوان (الدلالة المعنوية للإضمار والإظهار في الفواصل القرآنية) تحدثت عن عشَرة مواضع أيضاً في القرآن الكريم على هذا النمط، وربما كان بعض المواضع ينضوي تحته العديد من الآيات.

وفي المبحث الثامن من هذا الفصل والذي كان بعنوان (الدلالة المعنوية للتكرار في الفواصل القرآنية) بينت أنني ما سميته بالتكرار إلا متابعة لمن كتب في هذا الشأن، وإلا فقد أثبت البحث أنه ليس هناك تكرار في آيات القرآن الكريم، ثم تحدثت عن أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم قيل: إن فيها تكراراً، وبينت أن الأمر بخلاف ذلك، وذلك حسب طاقتي وجهدي، مستنداً إلى بعض أقوال أهل العلم الذين تابعتهم على هذا القول.

٢ـ ثم تحدثت في الفصل الثاني من هذا الباب والذي كان بعنوان (متشابه الآيات القرآنية) تحدثت فيه في مبحثين:

الأول، وكان بعنوان (الدلالة المعنوية لاختلاف فواصل الآيات القرآنية مع اتحاد موضوعاتها أو تقاربه) وقسمته إلى قسمين:

القسم الأول: ما وقع من هذا في القصص القرآني، حيث تكلمت فيه أولاً عن ظاهرة التخاطب بين الخالق والمخلوق، أو الحكاية عن الغير في القرآن كيف تقع، ولعلني أجبت عن ذلك إجابة أظنها مقنعة في ثنايا هذا القسم من هذا المبحث، وعرضت في هذا المبحث إلى آيات كثيرة تدخل تحت هذا العنوان في قصص ثمانية من أنبياء الله الكرام عليهم جميعاً الصلاة والسلام على سبيل الاستقصاء في كل القرآن الكريم.

وأما القسم الثاني من هذا المبحث: فما وقع من الآيات في غير القصص القرآني حيث

تحدثت عن ثلاثة وسبعين موضعاً في القرآن الكريم وقعت آياته مناسبة لهذا القسم من البحث.

وأما المبحث الثاني من هذا الفصل فكان بعنوان (الدلالة المعنوية لاتفاق الفواصل اختلفت موضوعاتها أو اتفقت). حيث بينت فيه أنني جمعت هذين النوعين تحت هذا المبحث لقلة الأمثلة أولاً ولاشتراكهما في بعض الجوانب ثانياً، حيث اشتمل المبحث بشقيه على دراسة سبعة عشر موضعاً في القرآن الكريم.

٣ـ ثم تحدثت في الفصل الثالث عن (مشكلات الفواصل القرآنية)، حيث بينت أولاً ما المراد بالمشكلات، ثم أخذت في معالجة الأمثلة القرآنية والتي وقعت تحت هذا الفصل، حيث تحدثت عن خمسين موضعاً في القرآن الكريم وبينت ما قيل تحت هذه المواضع من أقوال بما لا يبقى معه مجال لسؤال.

٤ـ وفي الفصل الرابع، والذي كان بعنوان (قيم معنوية تعالجها الفاصلة القرآنية) تحدثت عن عدة قضايا جعلتها ضمن مباحث، فتحدثت عن (المنافقين في فواصل القرآن الكريم) ثم عن تعبير (أكثر الناس) وما يتعلق به في الفواصل القرآنية، ثم ما يتعلق بـ(القيامة والساعة) في الفواصل القرآنية، ثم عن (تنويع الحديث عن وعد الله للطائعين) من خلال الفواصل القرآنية، ثم تحدثت عن (بعض الصيغ العملية) في القرآن الكريم.

٥ ـ وفي الفصل الأخير من هذه الرسالة وقفت وقفة أخيرة مع القائلين بأن الآيات القرآنية يمكن أن تأتي لمجرد التناسق اللفظي أو ما يسمى (مراعاة للفاصلة فقط) حيث أجبت فيه عن بعض ما استدل به أصحاب هذا الرأي مما كنت أرجأت الحديث عنه في بداية الرسالة إلى هذا الفصل، ثم ختمت الرسالة ببيان أهم ما جاء فيها آملاً أن أكون قد وفيت بما وعدت.

* * *

نتائج واقتراحات

نتائج

ليس لباحث أن يكتب بحثاً دون أن يكون له هدف يريد التوصل إليه من بحثه الذي أنشأه، وإلا كان عمله هذا هدراً للوقت، وقتلاً وتدميراً للطاقة، وعبثاً لا يليق فعله من فاعل. وفي بحثي هذا كنت أسعى إلى هدف بعينه، ومرمى أرمي إليه، فما عساني فعلت بما هدفت؟ أتراني وفيت بما وعدت وهذا غاية المنى في هذا المجال ومطمح النفس، أم تراني حمت حول الحمى دون أن أقع فيه، أم تراني قصرت فما نلت ما أملت، وهذا ما لا أرجوه؟

وها هي النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

أولاً: أثبت البحث إثباتاً عملياً أن القرآن الكريم إنما يركز على جانب المعنى أولاً، وأما التركيز على اللفظ ـ إن كان ـ فبالتبع للمعاني القرآنية. وهذا هو هدف البحث برمته.

ثانياً: أثبت البحث تبعاً لذلك أن كل ما علِّل في القرآن الكريم من ظواهر لفظية (بمراعاة الفاصلة) يمكن أن يوجد له تعليل معنوي غير هذا الأمر اللفظي، وعليه يتأكد للباحث هدفه الذي أراده من هذه الرسالة.

ثالثاً: أثبت البحث إثباتاً عملياً أنه لا يمكن فهم الآيات القرآنية، والإجابة عما تثيره من تساؤل أو إشكال، دون مراعاة السياق الذي وقعت فيه، وبإبراز أهمية السياق للآية القرآنية ودوره في تفهيم المعنى يكون الباحث قد لفت النظر إلى مبدأ مهم، وقاعدة أساس في فهم القرآن الكريم وتدبره.

رابعاً: من خلال النظر في الكتب الخاصة بتفسير القرآن الكريم لُفت نظري إلى أن الذين يلتفتون إلى التدقيق في مثل هذه الجوانب من المفسرين قلة، وهذه الظاهرة تبرز حاجتنا إلى درس جديد للقرآن الكريم يكون مبنياً على التدقيق والموضوعية.

وبعد، فإني أرجو أن أكون بكتابتي لهذا البحث بهذه الطريقة من الجمع والتبويب والنقد والأخذ والرد، أرجو أن أكون قد أضفت جديداً نافعاً إلى المكتبة القرآنية، فإن وفيت بما أملت فهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى وحده، وإن قصرت فحسبي أني اجتهدت وحاولت. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اقتراحات

قد كان لي وأنا أجمع مادة هذا البحث سفر إلى بغداد التي كانت في يوم من الأيام كعبة العلم، فالتقيت هناك بالدكتور محسن عبد الحميد أستاذ التفسير بجامعة بغداد وأعلمته بموضوع رسالتي لعل أن يكون في العراق باحث أو أكثر قد تحدث عما أردت، فقال لي حرفياً: «أما في جامعة بغداد فلا يوجد، ولا أظنه يوجد من يسجل مثل هذه الموضوعات في العراق كلها؛ لأن الطلبة الآن انصرفوا عن مثل هذه الموضوعات»، فأخذني العجب من هذا القول وحمدت للأستاذ صراحته.

ويرى الباحث أن سبب العزوف عن مثل هذه الموضوعات ينحصر فيما يلي:

أولاً: ضعف التدريس اللغوي والبلاغي في كليات الشريعة وأصول الدين في معظم بلدان المسلمين إن لم يكن فيها جميعاً.

ثانياً: عزوف كثير من المدرسين عن تدريس مواد من مثل دراسات نصيّة في كتب التفسير، وعليه يجد كثير من الطلبة صعوبة بالغة في فهم عبارات الكتب القديمة.

ثالثاً: بروز كثير من الكتابات السطحية التي طغت على التأليف في كثير من جوانبه، مما لا يحفز كثيراً من الباحثين إلى التعمق في الدرس والنظر.

رابعاً: تصدر كثير من الناس للتدريس في الجامعات والكليات وهم ليسوا أهلاً لذلك، مما يسبب عزوفاً عند الطلاب عن البحث والتعمق لانعدام الحوافز.

ولمعالجة ذلك يرى الباحث:

١ـ أنه لا بد من تعميق الدرس اللغوي والبلاغي في كليات الشريعة وأصول الدين، وأن يُعتمد التدريس في مثل هذه المواد على الكتب القديمة حتى يستطيع الطلاب فهم العبارات وتحليلها، تلك العبارات التي بني عليها جزء ضخم جداً من تراثنا.

٢ـ لا بدمن قيام مواد مهمتها بيان كيف كان المفسرون القدامى يفسرون وكيف تؤدي عباراتهم إلى ما يريدون، وهذا ما يعرف بالدراسات النصية، وإذا بقي الحال على ما هو عليه من التدلي والتدني والابتعاد عن كتب التراث فسيأتي جيلٌ لاحق يرى أن هذه المؤلفات عبارة عن طلاسم وإن كانت حروفها عربية!!

٣ـ حرصاً على كيان الأمة الثقافي والفكري لا بد من وضع أسس جديدة، تقوم على اختيار المدرس الكفء فقط دون النظر إلى أي اعتبار آخر. وإلا فإننا سنحكم على أجيالنا اللاحقة بالابتعاد عنا شيئاً فشيئاً أردنا هذا أم لم نرده، حتى تتسع الهوة ويتسع الخرق على الراقع لا قدر الله.

٤ـ لا بد أن تعود العلاقة العلمية بين أقطار العالم الإسلامي علاقة ليس لها دخل بالحدود التي وضعت حواجز بين الدول بعضها ببعض، وإن كان من أهدافها تمزيق وحدة المسلمين، وهذا ليس بالعسير إذا تداعى له علماء الأمة من كل أقطار الأرض، وجعلوا من هدفهم وعملهم الوصول إلى ذلك.

وهذه وإن كانت من الأمنيات إلا أن تحقيقها ليس على الله بعزيز.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

فِهرِست بتراجم بعض الأعلام(*)

١ـ **الصفار**: ابتسام مرهون الصفار، باحثة عراقية معاصرة.

٢ـ **أنيس**: إبراهيم أنيس، باحث مصري معاصر.

٣ـ **الزجاج**: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحق، عالم بالنحو واللغة والتفسير. توفي في: ٣١١هـ (١: ٤٠).

٤ـ **النظّام**: إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحق، من كبار أئمة المعتزلة. توفي في: ٢٣١ هـ (١: ٤٣).

٥ ـ **الجعبري**: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم خليل، أبو إسحق، عالم بالقراءات، ومن فقهاء الشافعية. توفي في: ٣٧٢هـ. (١: ٥٥).

٦ـ **أبو تراب**: أبو تراب الظاهري، باحث سعودي معاصر.

٧ـ **ابن الزبير**: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر، محدث مؤرخ مفسر. توفي في: ٧٠٨هـ.(١: ٨٦).

٨ ـ **بدوي**: أحمد أحمد، أستاذ مصري، له اشتغال بالأدب والبلاغة، من المعاصرين.

٩ـ **نوفل**: أحمد إسماعيل نوفل، أستاذ التفسير بالجامعة الأردنية. معاصر.

١٠ـ **العمري**: أحمد جمال، باحث معاصر.

١١ـ **فرحات**: أحمد حسن، أستاذ تفسير. سوري معاصر.

١٢ ـ **ديدات**: أحمد ديدات، داعية وواعظ مسلم. معاصر، توفي رحمة الله عليه.

(*) الأرقام الموضوعة أخيراً بعد الأسماء هي أرقام الإحالات لكتاب الأعلام للزركلي.

١٣ـ **ابن الكمال**: أحمد بن سليمان بن كمال باشا، من علماء الحديث واللغة. توفي في: **٩٠٤**هـ. (١: ١٣٣).

١٤ـ **الشايب**: أحمد الشايب، أديب مصري. معاصر، توفي رحمة الله عليه.

١٥ـ **ابن هشام**: أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف، من أئمة النحو. توفي في: **٨٣٥**هـ. (١: ١٤٧).

١٦ـ **عز الدين**: أحمد عز الدين عبد الله خلف، باحث ومعاصر.

١٧ـ **السبكي**: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، عالم بالفقه والأدب. توفي في: **٧٦٣**هـ. (١: ١٧٦).

١٨ ـ **ابن حجر**: أحمد بن علي بن محمد الكناني، أبو الفضل، من أئمة العلم ومن كبار المحدثين. توفي في: **٨٥٢**هـ. (١: ١٧٨).

١٩ـ **ابن فارس**: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب. توفي في: **٣٩٥**هـ (١: ١٩٣).

٢٠ـ **النحاس**: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، أبو جعفر، مفسر أديب. توفي في: **٣٣٨**هـ. (١: ٢٠٨).

٢١ـ **ابن حنبل**: أحمد بن محمد، أبو عبد الله، إمام المذهب، وأحد الأئمة الكبار. توفي في **٢٤١**هـ. (١: ٢٠٣).

٢٢ـ **الصاوي**: أحمد بن محمد الخلوتي، مفسر، من فقهاء المالكية. توفي في: **١٢٤١**هـ. (١: ٢٤٦).

٢٣ـ **ابن المنير**: أحمد بن محمد بن منصور السكندري، من علماء التفسير واللغة. توفي في: **٦٨٣**هـ. (١: ٢٢٠).

٢٤ ـ **الأنصاري**: أحمد مكي، باحث مصري معاصر.

٢٥ ـ **ثعلب**: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، أبو العباس، إمام الكوفيين في النحو. توفي في: **٢٩١**هـ. (١: ٢٦٧).

٢٦ـ **السمين**: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، أبو العباس، مفسر، من كبار علماء اللغة. توفي في: ٧٥٦هـ. (١: ٢٧٤).

٢٧ـ **أسعد أفندي**: ـ لعله ـ أسعد بن إلياس بن جرجس، طبيب باحث، أسلم في حياة صلاح الدين. له مكتبة حافلة اشتهرت باسمه. توفي في: ٥٣٥هـ. (١: ٣٢٣).

٢٨ ـ **حقي**: إسماعيل بن حماد، أبو نصر، من أئمة اللغة. توفي في: ٣٩٣هـ. (١: ٣١٣).

٢٩ ـ **الجوهري**: إسماعيل بن حماد، أبو نصر، من أئمة اللغة. توفي في: ٣٩٣هـ، (١: ٣١٣).

٣٠ـ **ابن كثير**: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الفداء، حافظ، مؤرخ، مفسر، فقيه. توفي في: ٧٧٤هـ. (١: ٣٢٠).

٣١ـ **قوام السنة**: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، أبو القاسم، من أعلام التفسير والحديث واللغة. توفي في: ٥٣٥هـ. (١: ٣٢٣).

٣٢ـ **الكفوي**: أيوب بن موسى الحسيني، أبو البقاء، قاض، من علماء اللغة، توفي في: ١٠٩٤هـ. (٢: ٣٨).

٣٣ـ **المازني**: بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان، أحمد الأئمة في النحو. توفي في: ٢٤٩هـ. (٢: ٦٩).

٣٤ ـ **جرير**: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي التميمي، أشعر أهل عصره. توفي في: ١١٠هـ. (٢: ١١٩).

٣٥ـ **السيوطي**: جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، إمام حافظ، مؤرخ، مفسر أديب، توفي في: ٩١١هـ. (٣: ٣٠١).

٣٦ـ **أبو** ذر: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري، من كبار الصحابة، توفي في: ٣٢هـ. (٢: ١٤٠).

٣٧ـ **القرطاجني**: حازم بن محمد بن حسن، أبو الحسن، أديب من كبار العلماء، له شعر. توفي في: ٦٨٤هـ. (٢: ١٥٩).

٣٨ـ **الفارسي**: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي، أحد الأئمة الأعلام في اللغة. توفي في: ٣٧٧هـ (٢: ١٧٩).

٣٩ـ أبو هلال: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران، أبو هلال، عالم باللغة والأدب توفي في نحو: **٣٩٥**هـ. **(٢: ١٩٦)**.

٤٠ـ البصري: الحسن بن يسار، أبو سعيد، أحد كبار أئمة التابعين. توفي في: **١١٠**هـ. **(٢: ٢٢٦)**.

٤١ـ الطيبي: الحسين بن محمد بن عبد الله، من علماء اللغة والتفسير، والحديث. توفي في: **٧٤٣**هـ. **(٢: ٢٥٦)**.

٤٢ـ الراغب: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، أديب من الحكماء العلماء المفسرين. توفي في: **٥٠٢**هـ. **(٢: ٢٥٥)**.

٤٣ ـ البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد، محدث مفسر. توفي في: **٥١٠**هـ. **(٢: ٢٥٩)**.

٤٤ ـ حفص: حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي، أبو عمر، إمام القراء في زمانه. توفي في: **٢٤٦**هـ. **(٢: ٢٦٤)**.

٤٥ ـ الخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، أبو سليمان، فقيه محدث. توفي في: **٣٨٨**هـ. **(٢: ٢٧٣)**.

٤٦ـ الزيات: حمزة بن حبيب بن إسماعيل، أحد القراء المشهورين. توفي في: **١٥٦**هـ. **(٢: ٢٧٧)**.

٤٧ـ الأزهري: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي، من علماء النحو. توفي في: **٩٠٥**هـ **(٢: ٢٩٧)**.

٤٨ ـ الخليل: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب. توفي في: **١٧٠**هـ **(٢: ٣١٤)**.

٤٩ـ أبو ذؤيب: خويلد بن خالد بن محرث الهذلي، شاعر مخضرم. توفي في نحو: **٢٧**هـ. **(٢: ٣٢٥)**.

٥٠ـ العجاج: رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي، أبو الحجاف، من رجّاز العرب المشهورين. توفي في: **١٤٥**هـ. **(٣: ٣٤)**.

٥١ـ سلاّم: زغلول سلام، باحث مصري معاصر. كان أستاذاً بدار العلوم.

٥٢ ـ **الأنصاري**: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، أبو يحيى، شيخ الإسلام، قاض مفسر، من حفاظ الحديث. توفي في: ٩٢٦هـ. (٣: ٤٦).

٥٣ـ **مبارك**: زكي بن عبد السلام بن مبارك، أديب، من كبار الكتاب المعاصرين. توفي في: ١٣٧١هـ (٣: ٤٧).

٥٤ ـ **الدبل**: سعيد الدبل، باحث معاصر.

٥٥ـ **الفلاح**: سعيد الفلاح، باحث معاصر.

٥٦ـ **الأخفش**: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، أبو الحسن، من كبار علماء اللغة والأدب والنحو. توفي في: ٢١٥هـ. (٣: ١٠١).

٥٧ـ **أبو داود**: سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير الأزدي السجستاني، من كبار علماء الحديث. توفي في: ٢٧٥هـ. (٣: ١٢٢).

٥٨ـ **صقر**: سيد أحمد صقر، باحث مصري، معاصر.

٥٩ـ **سيد قطب**: سيد بن قطب بن إبراهيم، من كبار المفكرين المعاصرين. توفي في: ١٣٨٧هـ. (٣: ١٤٧).

٦٠ـ **شعبة**: شعبة بن عياش بن سالم الأرذي الكوفي، أبو بكر، من القراء المشهورين. توفي في: ١٩٣هـ. (٣: ١٦٥).

٦١ـ **شمر**: شمر بن حمدويه الهروي، أبو عمرو، لغوي أديب. توفي في: ٢٥٥هـ. (٣: ١٧٥).

٦٢ـ **ابن ربيعة**: شيبة بن ربيعة عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام وقتل على الوثنية. قتل في: ٢هـ. (٣: ١٨١).

٦٣ـ **الصالح**: صبحي الصالح. أستاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة اللبنانية، توفي غيلة في بيروت.

٦٤ ـ **الجزائري**: طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب، بحّاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره. توفي في: ١٣٣٨هـ. (٣: ٢٢١).

٦٥ ـ **بنت الشاطئ**: عائشة عبد الرحمن، باحثة مصرية معاصرة، أستاذة الدراسات البلاغية بجامعة القرويـين بفاس، توفيت رحمة الله عليها.

٦٦ـ **الشعبي**: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، أبو عمرو، راوية، من كبار التابعين. توفي في: **١٠٣هـ. (٣: ٢٥١)**.

٦٧ـ **العقاد**: عباس محمود بن إبراهيم بن مصطفى، عالم بالأدب ومن كبار المفكرين. توفي في: **١٣٨٣هـ. (٣: ٢٦٦)**.

٦٨ ـ **بلبول**: عبده (عبد الباسط) بلبول، باحث مصري معاصر.

٦٩ـ **عبد الجبار**: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، أبو الحسين، قاضي القضاة إمام المعتزلة. توفي في: **٤١٥هـ. (٣: ٢٧٣)**.

٧٠ـ **ابن عطية**: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، فقيه أندلسي، من كبار المفسرين. توفي في: **٤٥٢هـ. (٣: ٢٨٢)**.

٧١ـ **البرقوقي**: عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد، أديب مصري. توفي في: **١٣٦٣هـ. (٣: ٣٠٩)**.

٧٢ ـ **الأنباري**: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، أبو البركات، من علماء اللغة والأدب، والتاريخ. توفي: **٥٧٧هـ. (٣: ٣٢٧)**.

٧٣ـ **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، الفيلسوف، المؤرخ، العالم الاجتماعي. توفي في: **٨٠٨هـ. (٣: ٣٣٠)**.

٧٤ـ **عبد الرزاق**: عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى، مدرس القراءات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، معاصر.

٧٥ـ **القاضي الفاضل**: عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي من كبار الكتاب والوزراء. توفي في: **٥٩٦هـ. (٣: ٣٤٦)**.

٧٦ـ **مخلوف**: عبد الرؤوف مخلوف، باحث مصري معاصر.

٧٧ـ **المطعني**: عبد العظيم بن إبراهيم، أستاذ البلاغة العربية بجامعة الأزهر. معاصر، توفي رحمة الله عليه.

٧٨ـ **أبو غدة**: عبد الفتاح أبو غدة، باحث سوري معاصر. له اشتغال كبير بالحديث وعلومه. معاصر، توفي رحمة الله عليه.

٧٩ـ **القاضي**: عبد الفتاح القاضي، من كبار علماء القراءات توفي قبل عدة أعوام ـ معاصر.

٨٠ـ **لاشين**: عبد الفتاح لاشين، من علماء الأزهر المعاصرين.

٨١ـ **عطا**: عبد القادر عطا، باحث مصري معاصر.

٨٢ ـ **حسين**: عبد القادر حسين، باحث مصري معاصر.

٨٣ـ **البغدادي**: عبد القادر بن عمر، علاّمة بالأدب والتاريخ والأخبار. توفي في: **١٠٩٣**هـ. (٤: ٤١).

٨٤ ـ **الجرجاني**: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، عالم كبير بالبلاغة العربية. توفي في: **٤٧١**هـ. (٤: ٤٨).

٨٥ ـ **الخطيب**: عبد الكريم الخطيب، باحث مصري معاصر، توفي رحمة الله عليه.

٨٦ـ **النسفي**: عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، فقيه حنفي، مفسر. توفي في: **٧١٠**هـ. (٤: ٦٧).

٨٧ـ **ابن عامر**: عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران، من القراء المشهورين. توفي في: **١١٨**هـ. (٤: ٦٧).

٨٨ـ **ابن عقيل**: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي، بهاء الدين بن عقيل، من علماء النحو، توفي في: **٧٦٩**هـ. (٤: ٩٦).

٨٩ ـ **الخفاجي**: عبد الله بن محمد بن سعيد، ابن سنان، أبو محمد، شاعر أديب. توفي في: **٤٦٦**هـ. (٤: ١٢٢).

٩٠ ـ **ابن كثير**: عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد، أحد القراء المشهورين. توفي في: **١٢٠**هـ. (٤: ١١٥).

٩١ـ **ابن عدي**: عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد، أبو أحمد، علامة بالحديث ورجاله. توفي في: **٣٦٥**هـ (٤: ١٠٣).

٩٢ـ **ابن قتيبة**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، من كبار أئمة الأدب. توفي في: **٢٧٦**هـ. (٤: ١٣٧).

٩٣ـ **الصعيدي**: عبد المتعال، عالم إصلاحي من شيوخ الأزهر. توفي في: ١٣٧٧هـ. (٤: ١٨٤).

٩٤ ـ **ابن جريج**: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد، فقيه الحرم. توفي في: ١٥٠هـ. (٤: ١٦٠).

٩٥ ـ **الراجحي**: عبده الراجحي، من علماء الأزهر المعاصرين.

٩٦ـ **أبو الوليد**: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، قتل ببدر مشركاً في: ٢ هـ. (٤: ٢٠٠).

٩٧ ـ **ابن جني**: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة اللغة والأدب. توفي في: ٣٩٢ هـ. (٤: ٢٠٤).

٩٨ ـ **الداني**: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، من كبار علماء الحديث والقراءات والتفسير. توفي في: ٤٤٤هـ. (٤: ٢٠٦).

٩٩ ـ **ابن الحاجب**: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو، فقيه مالكي، من كبار علماء العربية. توفي في: ٦٤٦هـ. (٤: ٢١١).

١٠٠ ـ **الحرالي**: علي بن أحمد بن الحسن، من علماء الأندلس. توفي في: ٦٣٨هـ. (٤: ٢٥٦).

١٠١ ـ **الأشعري**: علي بن إسماعيل بن إسحق، أبو الحسن، مؤسس مذهب الأشاعرة. توفي في: ٣٢٤هـ. (٤: ٢٦٣).

١٠٢ـ **ابن سيدة**: علي بن إسماعيل، أبو الحسن، إمام في اللغة والأدب. توفي في: ٤٥٨هـ. (٤: ٢٦٣).

١٠٣ ـ **الجندي**: علي بن درويش، باحث مصري معاصر، توفي رحمة الله عليه.

١٠٤ ـ **حسن**: علي محمد حسن. باحث مصري معاصر، وأستاذ بكلية البنات.

١٠٥ـ **الكسائي**: علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي، أبو الحسن، إمام في اللغة والنحو والقراءة. توفي في: ١٨٩هـ. (٤: ٢٨٣).

١٠٦ـ **الرماني**: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن، من أئمة المعتزلة، نحوي مفسر. توفي في: ٣٨٤هـ. (٤: ٣١٧).

١٠٧ـ **الطنطاوي**: علي الطنطاوي، عالم فاضل، سوري معاصر، توفي رحمة الله عليه.

١٠٨ـ **السيد الجرجاني**: علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، فيلسوف، من كبار علماء العربية. توفي في: ٨١٦هـ. (٥: ٧).

١٠٩ ـ **البلقيني**: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، أبو حفص، مجتهد، حافظ للحديث. توفي في: ٨٠٥هـ. (٥: ٤٦).

١١٠ـ **الساريسي**: عمر الساريسي، كان أستاذاً للغة العربية والأدب بالجامعة الأردنية.

١١١ ـ **الجاحظ**: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ولاء. أبو عثمان، من كبار أئمة المعتزلة، ومن كبار الأدباء. توفي في: ٢٥٥هـ. (٥: ٧٤).

١١٢ـ **سيبويه**: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ولاء، أبو بشر، إمام النحاة. توفي في: ١٨٠هـ. (٥: ٨١).

١١٣ـ **الأخطل**: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، شاعر مبدع. توفي في: ٩٠ هـ. (٥: ١٢٣).

١١٤ـ **عامر**: فتحي أحمد عامر، باحث مصري معاصر.

١١٥ـ **عباس**: فضل حسن عباس، أستاذ التفسير والبلاغة العربية بالجامعة الأردنية وجامعة اليرموك وجامعة العلوم الإسلامية العالمية. معاصر.

١١٦ـ **الرقاشي**: الفضل بن عبد الصمد بن الفضل، أبو العباس، شاعر مجيد، من أهل البصرة. توفي في نحو: ٢٠٠هـ. (٥: ١٥٠).

١١٧ـ **الشاطبي**: القاسم بن فِيُّرة بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد، إمام القراء. توفي في: ٥٩٠هـ. (٥: ١٨٠).

١١٨ـ **قتادة**: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي، من الحفاظ المفسرين. توفي في: ١١٨هـ. (٥: ١٨٩).

١١٩ ـ **ابن الخطيم**: قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو زيد، شاعر الأوس، وأحد صناديدها في قريش. توفي في نحو: ٢ ق. هـ. (٥: ٢٠٥).

١٢٠ـ **لبيد**: لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد أشهر الشعراء في الجاهلية. توفي في: ٤١ هـ. (٥: ٢٤٠).

١٢١ـ **عبد الحميد**: محسن عبد الحميد، أستاذ التفسير بجامعة بغداد، معاصر.

١٢٢ـ **محب الدين أفندي**: محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن، أبو الفضل. من فقهاء الحنفية وعلماء اللغة. توفي في: ١٠١٦هـ (٦: ٥٩).

١٢٣ ـ **الرازي**: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عالم باللغة والأدب. توفي في: ٦٦٦هـ. (٦: ٥٥).

١٢٤ـ **القرطبي**: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، أبو عبد الله، من كبار المفسرين. توفي في: ٦٧١هـ. (٥: ٣٢٢).

١٢٥ـ **ابن شنبوذ**: محمد بن أحمد أيوب بن الصلت، أبو الحسن، من قراء بغداد. توفي في: ٣٢٨هـ. (٥: ٣٠٩).

١٢٦ـ **الشربيني**: محمد بن أحمد، شمس الدين الخطيب. فقيه، مفسر. توفي في: ٩٧٧هـ. (٦: ٦).

١٢٧ـ **المتولي**: محمد بن أحمد بن عبد الله. شيخ القراء في زمانه. توفي في: ١٣١٣هـ. (٦: ٢١).

١٢٨ـ **الغمراوي**: محمد أحمد الغمراوي، عالم مصري شهير، متفنن في عدة علوم. معاصر.

١٢٩ـ **الهروي**: لعله محمد بن آدم بن كمال، أبو المظفر، عالم بالأدب. توفي في: ٤١٤هـ (٥: ٢٩٢).

١٣٠ـ **الشافعي**: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي، أبو عبد الله، أحد كبار أعلام الإسلام، وإمام المذهب. توفي في: ٢٠٤هـ. (٦: ٢٦).

١٣١ ـ **البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله، إمام المحدثين. توفي في: ٢٥٦هـ. (٦: ٣٤).

١٣٢ـ **أبو مسلم**: محمد بن بحر الأصفهاني، من كبار المعتزلة. توفي في: ٣٢٢هـ. (٦: ٥٠).

١٣٣ـ **ابن القيم**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، من كبار علماء الحنابلة. توفي في: ٧٥١هـ.

١٣٤ـ **الزركشي**: محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله، من كبار فقهاء الشافعية وعلماء الأصول. توفي في: ٧٩٤هـ. (٦: ٦٠).

١٣٥ـ **الطبري**: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، إمام المفسرين. توفي في: ٣١٠هـ. (٦: ٦٩).

١٣٦ ـ **باجوده**: محمد حسن باجوده، باحث سعودي معاصر.

١٣٧ـ **الطوسي**: محمد بن الحسن بن علي الطوسي. من كبار مفسري الشيعة وفقهائهم. توفي في: ٤٦٠هـ. (٦: ٨٤).

١٣٨ ـ **الحسناوي**: محمد الحسناوي، باحث سوري معاصر، توفي رحمة الله عليه.

١٣٩ ـ **البوطي**: محمد سعيد رمضان البوطي، عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق، وأحد الأعلام المعاصرين.

١٤٠ـ **ابن عاشور**: محمد الطاهر بن عاشور، مفتي المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة. توفي في: ١٣٩٣هـ. (٦: ١٧٣).

١٤١ ـ **الباقلاني**: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاض من كبار علماء الكلام والفقه. توفي في: ٤٠٣هـ. (٦: ١٧٦).

١٤٢ـ **ابن الصائغ**: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الحنفي، أديب لغوي فقيه. توفي في: ٧٧٦هـ. (٦: ١٩٢).

١٤٣ ـ **الخطيب**: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي القزويني، قاض، من أدباء الفقهاء. توفي في: ٧٣٩هـ. (٦: ١٩٢).

١٤٤ـ **الإسكافي**: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الخطيب، عالم بالأدب واللغة. توفي في: ٤٢٠هـ. (٦: ٢٢٧).

١٤٥ ـ **الجبائي**: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي، من أئمة المعتزلة. توفي في: ٣٠٣هـ. (٦: ٢٥٦).

١٤٦ـ **محمد عبده**: محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية، من كبار رجال الإصلاح. توفي في: ١٣٢٣هـ. (٦: ٢٥٢).

١٤٧ ـ **الحداد**: محمد بن علي بن خلف الحسيني، مقرئ، من فقهاء المالكية. توفي في: ١٣٥٧هـ. (٦: ٣٠٤).

١٤٨ ـ **رشيد رضا**: محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد. صاحب مجلة المنار، من كبار علماء العصر. توفي في: **١٣٥٤**هـ. (٧: ٢٥٨).

١٤٩ـ **المرزوقي**: محمد عليان، فاضل مصري، من علماء اللغة والأدب. توفي في: **١٣٥٥**هـ. (٦: ٣١٠).

١٥٠ ـ **الرازي**: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، أبو عبد الله، الإمام المفسر من كبار العلماء. توفي في: ٦٠٦هـ. (٦: ٣١٣).

١٥١ ـ **الترمذي**: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، من كبارأئمة الحديث وحفاظه. توفي في: **٢٧٩**هـ. (٦: ٣٢٢).

١٥٢ـ **أبو موسى**: محمد محمد أبو موسى، أستاذ البلاغة العربية بجامعة الأزهر. معاصر.

١٥٣ـ **العماد الأصفهاني**: محمد بن محمد صفي الدين، ابن نفيس الدين، أبو عبد الله، مؤرخ عالم بالأدب من أكابر الكتاب. توفي في **٥٩٧**هـ. (٧: ٢٦).

١٥٤ـ **ابن عرفة**: محمد بن محمد، أبو عبد الله الورغمي، إمام تونس وعالمها. توفي في: **٨٠٣**هـ. (٧: ٤٣).

١٥٥ـ **الزبيدي**: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، علامة باللغة والحديث والأنساب. توفي في: **١٢٠٥**هـ (٧: ٧٠).

١٥٦ـ **عبد الحميد**: محمد محي الدين عبد الحميد، مدرس مصري، من أعضاء مجمع اللغة بالقاهرة. توفي في: **١٣٩٣**هـ. (٧: ٩٢).

١٥٧ـ **ابن منظور**: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل الأنصاري، إمام اللغويين، صاحب معجم اللسان. توفي في: **٧١١**هـ(٧: ١٠٨).

١٥٨ ـ **ابن الأثير**: محمد بن نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، من علماء اللغة والأدب. توفي في: **٦٢٢**هـ. (٧: ١٢٥).

١٥٩ـ **شيخ زاده**: محمد محي الدين بن مصطفى، مفسرون من فقهاء الحنفية. توفي في: **٩٥١**هـ. (٧: ٩٩).

١٦٠ـ **المبرد**: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، أبو العباس، إمام العربية بغداد. توفي في: ٢٨٦هـ. (٧: ١٤٤).

١٦١ـ **الفيروزأبادي**: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر الشيرازي، من أئمة اللغة والأدب. توفي في: ٨١٧هـ. (٧: ١٤٦).

١٦٢ـ **أبو حيان**: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. توفي في: ٧٤٥هـ. (٧: ١٥٢).

١٦٣ـ **النيسابوري**: محمود بن أبي الحسن بن الحسين، أبو القاسم، مفسر لغوي. توفي في: ٥٥٠هـ. (٧: ١٦٧).

١٦٤ـ **الكرماني**: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم يُعرَف بتاج القراء. توفي في: ٥٠٥هـ. (٧: ١٦٨).

١٦٥ ـ **الآلوسي**: محمود بن عبد الله الحسيني، أبو الثناء، مفسر، أديب من المجددين من أهل بغداد. توفي في: ١٢٧٠هـ. (٧: ١٧٦).

١٦٦ـ **الزمخشري**: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، جار الله أبو القاسم، من كبار أئمة التفسير واللغة من المعتزلة. توفي في: ٥٣٨هـ.(٧: ١٨٧).

١٦٧ـ **محمود كامل**: محمود كامل أحمد باحث مصري معاصر.

١٦٨ ـ **الدغيم**: محمود محمد، باحث معاصر.

١٦٩ـ **القطب الرازي**: محمود بن محمد الرازي، أبو عبد الله، من شراح الكشاف. توفي في: ٧٦٦ هـ. (٧: ٣٨).

١٧٠ـ **الشيرازي**: محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي، قاض مفسر عالم بالعقليات. توفي في: ٧١٠هـ. (٧: ١٨٧).

١٧١ـ **السعد التفتزاني**: مسعود بن عمر بن عبد الله، من أئمة العربية والبيان والمنطق. توفي في: ٧٩٣هـ. (٧: ٢١٩).

١٧٢ـ **مسلم**: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، أبو الحسين، من كبار أئمة الحديث. توفي في: ٢٦١هـ. (٧: ٢٢١).

١٧٣ ـ **الرافعي**: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. توفي في: **١٣٥٦**هـ. (٧: **٢٣٥**).

١٧٤ـ **أبو عبيدة**: معمر بن المثنى البصري، من كبار علماء اللغة والأدب. توفي في: **٢٠٩**هـ.(٧: **٢٧٢**).

١٧٥ـ **المفضل الضبي**: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر، أبو العباس، راويه علامة الشعر والأدب. توفي في: ١٦٨هـ (٧: ٢٨٠).

١٧٦ـ **مكي**: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي، أبو محمد، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. توفي في: **٤٣٧**هـ. (٧: **٢٨٦**).

١٧٧ـ **الكازروني**: منصور بن الحسن بن علي بن اختيار الدين فريدون بن علي القرشي، عالم بالتفسير والحديث. توفي في ٨٦٠هـ. (٧: **٢٩٨**).

١٧٨ ـ **ابن دقيق العيد**: موسى بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، فقيه من كبار العلماء. توفي في ٦٨٥هـ. (٧: **٣٢٥**).

١٧٩ـ **مؤرج السدوسي**: مؤرج بن عمرو بن الحارث، أبو جند، عالم بالعربية والأنساب. توفي في: **١٩٥**هـ (٨: **١٩٥**).

١٨٠ ـ **الأعشى**: ميمون بن قيس بن جهدل، أبو بصير، من شعراء الطبقة الأولى. توفي في **٧** هـ. (٧: **٣٤١**).

١٨١ـ **نزار قباني**: نزار قباني شاعر معاصر، في شعره مجون، توفي.

١٨٢ـ **أبو حنيفة**: النعمان بن ثابت، الفقيه المجتهد، إمام المذهب، توفي في: **١٥٠**هـ. (٨: **٣٦**).

١٨٣ـ **الرشيد**: هارون بن محمد بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية وأشهرهم.توفي في: **١٩٣**هـ. (٨: ٦٢).

١٨٤ـ **الواثق**: هارون بن محمد بن هارون الرشيد، أبو جعفر، من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. توفي في **٢٣٢**هـ. (٨: ٦٢).

١٨٥ـ **الوليد**: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، من كبار زعماء قريش. مات على الشرك في: ١ هـ. (٨: **١٢٢**).

١٨٦ـ **العلوي**: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي، من كبار أئمة الزيدية. توفي في: ٧٥٤هـ. (٨: ١٣٤).

١٨٧ـ **الفراء**: يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، إمام الكوفيـين في النحو واللغة. توفي في: ٢٠٧هـ. (٨: ١٤٥).

١٨٨ ـ **الخطيب الحصكفي**: يحيى بن سلامة بن الحسين، أبو الفضل، أديب من الكتاب الشعراء وله اشتغال التفسير. توفي في: ٥٥١هـ. (٨: ١٤٨).

١٨٩ـ **النووي**: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخزامي، أبو زكريا، من كبار علماء الإسلام في الفقه الحديث. توفي في: ٦٧٦هـ. (٨: ١٤٩).

١٩٠ـ **يعقوب**: يعقوب بن إسحق بن زيد الحضري، أبو محمد، أحد القراء المشهورين، توفي في: ٢٠٥هـ. (٨: ١٩٥).

١٩١ـ **السكاكي**: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، أبو يعقوب، عالم باللغة والأدب. توفي في: ٦٢٦هـ. (٨: ٢٢٢).

١٩٢ـ **القرضاوي**: يوسف القرضاوي، من علماء الأمة المعاصرين المبرزين.

❊ ❊ ❊

ثبت المصادر والمراجع(*)

١ ـ **أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة**: د. أحمد مكي الأنصاري، طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية قسم نشر الرسائل الجامعية، القاهرة ١٩٦٤م.
٢ ـ **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للمرتضى الزبيدي**: دار الفكر، بيروت.
٣ ـ **الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي**: دار الفكر، بيروت، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى تاريخ ١٣٦٨هـ.
٤ ـ **أثر القرآن في تطور النقد العربي**: د. محمد زغلول سلام، طبع دار المعارف، بمصر، ط٢، ١٩٦١م.
٥ ـ **إسرائيل والعرب نزاع أم مصالحة**: أحمد ديدات، ترجمة رمضان صفطاوي، طبع دار المختار الإسلامي، ١٩٩١م.
٦ ـ **أسرار التكرار في القرآن الكريم**: محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الاعتصام، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.
٧ ـ **أسواق الذهب**: أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.
٨ ـ **الإعجاز البلاغي**: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد حسنين أبو موسى، مكتبة وهبة، ١٩٨٤م.
٩ ـ **الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق**: د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧١م.

(*) رتبت هذه المصادر حسب الترتيب الألف بائي، دون مراعاة شيء آخر ما عدا ما وقع في حرف التاء وفي التفسير خاصة، فكنت أقول: تفسير فلان ثم أعقبه بالاسم الموضوع للتفسير ومرتباً ذلك حسب ما مضى، وإن وقع أكثر من كتاب بنفس العنوان راعيت الزمن في الترتيب.

١٠ ـ **إعجاز القرآن**: الباقلاني، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧١م.

١١ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، دون تاريخ.

١٢ـ **إعجاز القرآن**: عبد الكريم الخطيب، الكتاب الثاني، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

١٣ـ **إعجاز القرآن الكريم**: د. فضل حسن عباس، عمان ١٩٩١م.

١٤ ـ **إعراب القرآن وبيانه للنحاس**: تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٥م.

١٥ ـ **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.

١٦ ـ **أمالي الشريف المرتضى**: طبع القاهرة ١٣٢٥هـ.

١٧ ـ **الانتصاف من الكشاف**: لابن المنير، بحاشية الكشاف، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

١٨ ـ **الإيضاح في شرح المفصل**: لابن الحاجب، تحقيق د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢م.

١٩ ـ **الباقلاني وكتابه الإعجاز**، دراسة تحليلية نقدية، د. عبد الرؤوف مخلوف، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

٢٠ ـ **البرهان في علوم القرآن**: لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢.

٢١ ـ **بدائع الفوائد**: لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

٢٢ ـ **بشير اليسر شرح ناظمة الزهر**: لعبد الفتاح القاضي، المكتبة المحمودية التجارية بمصر، دون تاريخ.

٢٣ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: للفيروزأبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٤ ـ **بغية الإيضاح شرح تلخيص المفتاح**: لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر، د. ت.

٢٥ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٢٦ ـ **البلاغة فنونها وأفنانها**: د. فضل حسن عباس. دار الفرقان ـ عمان، ط٢، ١٩٨٩م.

٢٧ ـ **بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ**: د. فتحي أحمد عامر، دار النهضة العربية، مصر، ط١، ١٩٧٥م.

٢٨ ـ **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في البلاغة العربية**: د. محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي ـ القاهرة، ط١، د. ت.

٢٩ ـ **بيان إعجاز القرآن للخطابي**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق د. محمد خلف الله ود. زغلول سلام ـ دار المعارف، القاهرة ط٤، ١٩٩١م.

٣٠ ـ **بيان إعجاز القرآن**: تحليل ومقارنة ونقد، د. فضل حسن عباس. مجلة دراسات، الجامعة الأردنية. المجلد ١٤ ع: ١٠، سنة ١٩٨٧م.

٣١ ـ **البيان في غريب إعراب القرآن**: لابن الأنباري، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

٣٢ ـ **البيان القرآني**: للدكتور محمد رجب البيومي، دار النصر للطباعة، مصر، ١٩٧١م.

٣٣ ـ **البيان والتبيين**: للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤.

٣٤ ـ **تأويل مشكل القرآن**: لابن قتيبة، تحقيق سيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٣٥ ـ **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن**: للشيخ طاهر الجزائري، نشره عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب. ط٢، د. ت.

٣٦ ـ **التحبير في علم التفسير**: للسيوطي، تحقيق د. فتحي عبد القادر فريد، دار المنار للنشر والتوزيع مصر، ط١، ١٩٨٦م.

٣٧ ـ **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**: لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الفكر بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

٣٨ ـ **تعريف عام بدين الإسلام**: للشيخ علي الطنطاوي، مؤسسة الرسالة ط١١، ١٩٨١م.

٣٩ ـ **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٤٠ ـ **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)** مع حواشيه.

٤١ ـ **تفسير الشنقيطي (إيضاح البيان في تفسير القرآن بالقرآن)**: المطابع الأهلية، الرياض، ١٩٨٣م.

٤٢ ـ **تفسير أبي حيان (البحر المحيط)**: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د. ت.

٤٣ ـ **التفسير البياني للقرآن الكريم**: د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر ط١، ١٩٧٣م.

٤٤ ـ **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)**: الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٣م.

٤٥ ـ **تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)**: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

٤٦ ـ **تفسير رشيد رضا ـ المنار ـ (تفسير القرآن الحكيم)**: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

٤٧ ـ **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٤، د. ت.

٤٨ ـ **تفسير الطنطاوي ـ محمد سيد ـ (التفسير الوسيط)**: مطبعة السعادة. مصر، ط١، ١٩٨٦م.

٤٩ـ **تفسير اطفيش ـ محمد بن يوسف ـ (تيسير التفسير)**: وزارة التراث العماني، ١٩٨٩م.

٥٠ ـ **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**: دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٧م.

٥١ ـ **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**: مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، تحقيق مصطفى السقا. د. ت.

٥٢ ـ **تفسير إسماعيل حقي (روح البيان)**: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٥٣ ـ **تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني)**: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٥٤ ـ **تفسير الخطيب الشربيني (السراج المنير في الإعانة على فهم كلام ربنا الخبير)**: دار المعرفة، بيروت، ط٢، د.ت.

٥٥ ـ **تفسير النيسابوري (غريب القرآن ورغائب الفرقان)**: طبع بهامش تفسير الطبري.

٥٦ ـ **تفسير الشوكاني (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)**: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٣، ١٩٦٤م.

٥٧ ـ **تفسير سيد قطب (في ظلال القرآن)**: دار الشروق، بيروت، ط٩، ١٩٨٠م.

٥٨ ـ **تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل)**: دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

٥٩ ـ **تفسير الطبرسي (مجمع البيان)**: دار المعرفة، بيروت، تحقيق السيد هاشم الرسولي والسيد فضل الله الطبطباني، ط١، ١٩٨٦م.

٦٠ ـ **تفسير القاسمي (محاسن التأويل)**: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت.

٦١ ـ **تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**: وزارة الأوقاف المغربية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٩٧٥م.

٦٢ ـ **تفسير النسفي (مدارك التنزيل)**: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٣ ـ **تفسير البغوي (معالم التنزيل)**: دار المعرفة، بيروت، تحقيق خالد العك ومروان سوار، ط١، ١٩٨٦م.

٦٤ـ **تفسير الرازي(مفاتيح الغيب)**: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.

٦٥ ـ **تفسير البقاعي (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)**: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

٦٦ ـ **تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**: دار الفكر، بيروت، بهامش مراح لبيد، ١٩٧٨م.

٦٧ ـ **تقرير الإنبابي بهامش التجريد**: طبع محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، ط١، ١٣٤٧هـ.

٦٨ ـ **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**: للباقلاني. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٦٩ ـ **تنزيه القرآن عن المطاعن**: للقاضي عبد الجبار، الشركة الشرقية للنشر، بيروت، ودار النهضةالحديثة، د. ت.

٧٠ ـ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: للثعالبي. طبع القاهرة، ١٣٢٦هـ.

٧١ ـ **جامع الترمذي (مع شرحه التحفة)**: دار الفكر، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط٣، ١٩٧٩م.

٧٢ ـ **حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي)**: المكتبة الإسلامية، تركيا، د. ت.

٧٣ ـ **حاشية الجمل على الجلالين (الفتوحات الإلهية بتوضيح الجلالين للدقائق الخفية)**: دار إحياء التراث العربي. بيروت. د.ت.

٧٤ ـ **حاشية زاده على تفسير البيضاوي**. طبع المكتبة الإسلامية. تركيا، د.ت.

٧٥ ـ **حاشية الصاوي على الجلالين**: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، د.ت.

٧٦ ـ **حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي**: مؤسسة شعبان للتوزيع والنشر. بيروت، د.ت.

٧٧ ـ **حواشي عبد الحميد على شرح ابن عقيل (منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل)**: دار التراث العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.

٧٨ ـ **الحيوان**: للجاحظ، طبع الحلبي ١٣٦٦هـ.

٧٩ ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

٨٠ ـ **خصائص التراكيب**: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، للدكتور محمد حسنين أبي موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.

٨١ ـ **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**: للدكتور عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٨٢ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٨٣ ـ **الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون**: للسمين الحلبي، تحقيق د. محمد الخراط، دار القلم. دمشق. ط١، ١٩٨٦م.

٨٤ ـ **درة التنزيل وغرة التأويل**: منسوب للخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

٨٥ ـ **دلائل الإعجاز**: لعبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.

٨٦ ـ **ديوان الأعشى**: شرح وتعليق الدكتورمحمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٣م.

٨٧ ـ **ديوان جرير**: دار صادر. بيروت.

٨٨ ـ **ديوان قيس بن الخطيم**: تحقيق ناصر الدين الأسد. دار صادر. بيروت.

٨٩ ـ **ديوان المتنبي**: بشرح عبد الرحمن البرقوقي، ط١، ١٩٣٠م، المطبعة الرحمانية بمصر.

٩٠ ـ **رسائل الجاحظ**: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبةالخانجي، القاهرة، د.ت.

٩١ ـ **سر الفصاحة**: لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٩٢ ـ **سنن أبي داود**: مطبوع مع شرح عون المعبود، طبع الهند، ١٣٩٩هـ.

٩٣ ـ **السنن الكبرى**: للبيهقي، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٦هـ.

٩٤ ـ **سورة يوسف**: للدكتور أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٩م.

٩٥ ـ **شرح التلخيص**: لعبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، د.ت.

٩٦ ـ **شرح ديوان الحماسة**: نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٩٧ ـ **شرح النووي على مسلم**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

٩٨ ـ **شروح التلخيص**: دار السرور، بيروت، ط٢. د.ت.

٩٩ ـ **الصاحبي**: لابن فارس، تحقيق سيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٧م.

١٠٠ ـ **صحيح البخاري**: بهامش فتح الباري، المطبعة السلفية، ١٣٧٩هـ.

١٠١ ـ **صحيح مسلم**: المطبعة المصرية ومكتبتها، ١٣٤٩هـ.

١٠٢ ـ **صفاء الكلمة**: للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٣م.

١٠٣ ـ **الصناعتين**: لأبي هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨١م.

١٠٤ ـ **صور البديع**: فن الأسجاع، للدكتور علي الجندي، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥١م.
١٠٥ـ **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز**: ليحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
١٠٦ ـ **ظاهرة التأويل النحوي في إعراب القرآن**: لمحمد عبد القادر هنادي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ١٩٨٨م.
١٠٧ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود**: لشمس الحق العظيم أبادي، نشر السنة، الهند ١٣٩٩هـ.
١٠٨ ـ **الفاصلة في القرآن**: لمحمد الحسناوي، دار الأصيل، حلب، ط١، د.ت.
١٠٩ـ **الفاصلة القرآنية**: للدكتور عبد الفتاح لاشين، دارالمريخ، الرياض، ط١.
١١٠ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، ١٣٧٩هـ.
١١١ ـ **فتح الرحمن في كشف ما يلتبس من القرآن**: للشيخ زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، مكتبة الصابوني، ط٢، ١٩٨٥م.
١١٢ ـ **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**: لعبد الحي اللكنوي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
١١٣ ـ **القرطين**: لابن مطرف الكناني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
١١٤ ـ **القصص القرآني**: للدكتور عبد الباسط بلبول، رسالة غير منشورة بجامعة الأزهر، ١٩٨٢م.
١١٥ ـ **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**: للدكتور فضل عباس، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٧م.
١١٦ ـ **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**: لعبد الكريم الخطيب، بيروت.
١١٧ ـ **القصص الهادف في سورة الكهف**: لمحمد محمد المدني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٦٤م.
١١٨ ـ **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**: د. فضل عباس، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٨٨م.
١١٩ ـ **قضية التكرار في كتاب الله**: د. فضل عباس، بحث منشور في مجلة الشريعة الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الرابعة، العدد السابع، شعبان ١٤٠٧هـ، نيسان ١٩٨٧م.

١٢٠ ـ **القوافي**: لعبد الباقي بن المحسن التنوخي، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

١٢١ ـ **الكتاب، لسيبويه**: تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

١٢٢ ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث عن ألسنة الناس**: لإسماعيل العجلوني، طبع مكتبة الغزالي، دمشق.

١٢٣ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

١٢٤ ـ **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها**: لمكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٧م.

١٢٥ ـ **الكليات اللغوية**: لأبي البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط٢، ١٩٨١م.

١٢٦ ـ **لجام الأقلام**: لأبي تراب الظاهري. من منشورات الكتاب السعودي.

١٢٧ ـ **لسان العرب**: لابن منظور، دارصادر، بيروت، د.ت.

١٢٨ ـ **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني**: د. أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

١٢٩ ـ **المبسوط في القراءات العشر**: لابن مهران، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦م.

١٣٠ ـ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: لابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٠م.

١٣١ ـ **مجاز القرآن**: لأبي عبيدة، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، د.ت.

١٣٢ ـ **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: عدد ٤ المزدوج (٣-٤) عام ١٩٧٩م.

١٣٣ ـ **مجلة الوعي الإسلامي**: وزارة الأوقاف ـ الكويت، أعداد متعددة.

١٣٤ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ نور الدين الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، د.ت.

١٣٥ ـ **المحاكمات**: بين الزمخشري وابن عطية وأبي حيان، ليحيى الشاوي المغربي، مخطوط في مكتبتي الخاصة، مصور عن نسخة في مكتبة الأزهر.

١٣٦ ـ **المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز**: للشيخ عبد الرزاق علي موسى، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٩٩٠م.

١٣٧ ـ **مختار الصحاح**: للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

١٣٨ ـ **المختصر في تاريخ البلاغة**: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٣٩ ـ **المخصص**: لابن سيده، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

١٤٠ ـ **المرجعية العليا للقرآن والسنة**: ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير، للدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٤١ ـ **مرشد الخلان إلى عد آي القرآن**: للشيخ عبد الرازق علي موسى، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٩٩٠م.

١٤٢ ـ **مسائل الرازي من غريب آي التنزيل**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق إبراهيم عوض عطوة، شركة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦١م.

١٤٣ ـ **المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات**: لأبي علي النحوي، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.

١٤٤ ـ **مسند الإمام أحمد**: دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

١٤٥ ـ **مشكل إعراب القرآن**: لمكي بن أبي طالب، تحقيق ياسين محمد السواس، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤م.

١٤٦ ـ **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**: للبقاعي، تحقيق الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.

١٤٧ ـ **المعاني الثانية في الأسلوب القرآني**: د. فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦م.

١٤٨ ـ **معاني القرآن**: للأخفش الأوسط، تحقيق د. فائز فارس، الكويت، ط٢، ١٩٨١م.

١٤٩ ـ **معاني القرآن للفراء**: تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، د.ت.

١٥٠ ـ **معاني القرآن وإعرابه**: للزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م.

١٥١ ـ **معترك الأقران في إعجاز القرآن**: للسيوطي، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٥٢ـ **معجم الدراسات القرآنية في القرن الخامس عشر**: د. ابتسام مرهون الصفار، جامعة الموصل، العراق، ط١، ١٩٨٤م.

١٥٣ ـ **معجم مقاييس اللغة**: لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٥٤ ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: لابن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، ط١، ١٩٧٩م.

١٥٥ ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**: لأحمد مصطفى، طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٥٦ ـ **المفردات في غريب القرآن**: للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

١٥٧ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٩م.

١٥٨ ـ **مقدمة التحقيق لكتاب عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**: وضع السيد محمود محمد السيد دعنيم، المكتبة الإسلامية، تركيا.

١٥٩ ـ **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**: للإمام الغزالي، مكتبة الجندي، مصر، ١٩٦٨م.

١٦٠ ـ **المكتفى في الوقف والابتدا**: لأبي عمرو الداني، دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف، وزارة الأوقاف، العراق، ١٩٨٣م.

١٦١ ـ **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**: لأبي جعفر ابن الزبير، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

١٦٢ ـ **ملاك التأويل**: لأبي جعفر ابن الزبير، تحقيق د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

١٦٣ ـ **من أسرار التعبير القرآني**: دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، للدكتور محمد حسنين أبو موسى، مصر، د. ت.

١٦٤ـ **من بلاغة القرآن الكريم**: لأحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، د.ت.

١٦٥ ـ **من روائع القرآن**: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط٣، د.ت.

١٦٦ ـ **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**: لنور الدين الهيثمي، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ـ دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٦٧ ـ **النثر الفني في القرن الرابع**: د. زكي مبارك، المكتبة العصرية، بيروت.

١٦٨ ـ **النشر في القراءات العشر**: لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٦٩ ـ **النظم القرآني في سورة الرعد**: لمحمد سعد الدبل، دار النصر، مصر، ١٩٨١م.

١٧٠ ـ **النكت في إعجاز القرآن**: للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩١م.

١٧١ ـ **الوحدة الموضوعية في سورة يوسف**: د. حسن محمد باجوده، مطبوعات تهامة، السعودية، ط٢، ١٩٨٣.

١٧٢ ـ **وضح البرهان في مشكلات القرآن**: لبيان الحق النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٧٣ ـ **وفيات الأعيان**: لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

١٧٤ ـ **يتيمة البيان في إعجاز القرآن**: لمحمود يوسف البنوري ـ مطبوع مع مشكلات القرآن للكشميري، ط٢، المجلس العلمي، حيدر أباد، ١٩٧٤م.

❊ ❊ ❊

فهارس الكتاب

فهرس الآيـات القرآنـية
فهرس الأحاديث النبوية
فهرس الأبيـات الشعرية
فهرس المحتويات

فهرس الآيات

﴿سورة البقرة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣	
﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٤	
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾	٨	
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟﴾	١١	
﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾	١٢	
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟﴾	١٣	
﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾	١٤	
﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾	١٧	
﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾	١٨	
﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾	٢٢	
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾	٢٩	
﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٣٨	
﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾	٤٠	
﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾	٤١	
﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾	٤٢	
﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾	٤٤	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾	٤٥	
﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾	٤٨	
﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾	٥٧	
﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾	٥٩	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٦٢	
﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾	٧٧	
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا﴾	٨٣	
﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾	٨٦	
﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾	١٠٢	
﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ﴾	١٠٨	
﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ﴾	١٢٠	
﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾	١٢٩	
﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ﴾	١٣٤	
﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ﴾	١٤٥	
﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾	١٥٢	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾	١٥٣	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا﴾	١٥٩	
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾	١٦٠	
﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾	١٦٢	
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾	١٦٥	
﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	١٦٧	
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	١٧١	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	١٧٤	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾	١٩٣	
﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾	٢٠٣	
﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ﴾	٢٠٩	
﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾	٢١٠	
﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٢١٦	
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾	٢١٩	
﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾	٢٢٠	
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾	٢٢٥	
﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾	٢٢٧	
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾	٢٣٤	
﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾	٢٣٧	
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾	٢٤٠	
﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	٢٤٣	
﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾	٢٥٠	
﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾	٢٥٤	
﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾	٢٧٢	
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟﴾	٢٧٣	
﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	٢٨١	
﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾	٢٨٥	

﴿سورة آل عمران﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾	٨	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	١٠	
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾	١١	
﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ ﴾	٢٩	
﴿رَبِّ هَبْ لِى ﴾	٣٨	
﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	٣٩	
﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى ﴾	٤٣	
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ ﴾	٥٩	
﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا ﴾	٦٧	
﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾	٧٥	
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾	١٠٤	
﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	١١٤	
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾	١٢٨	
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ﴾	١٣١	
﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾	١٤٣	
﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾	١٥٨	
﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	١٦٩	
﴿فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾	١٨٤	
﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾	١٨٦	

﴿سورة النساء﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ﴾	٤	
﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾	١٣	
﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾	٢٢	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾	٢٣	
﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	٢٤	
﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ﴾	٢٥	
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾	٢٦	
﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾	٤٣	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾	٤٨	
﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾	٥٧	
﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾	٩١	
﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾	٦٩	
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ﴾	٧٩	
﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾	٨١	
﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً﴾	٨٥	
﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾	٨٦	
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	٨٧	
﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا﴾	١١٠	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾	١١٦	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	١٢٢	
﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾	١٢٣	
﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾	١٢٨	
﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾	١٢٩	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾	١٣٧	
﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾	١٣٨	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾	١٤٠	
﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾	١٤٢	
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	١٤٥	
﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾	١٤٩	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ﴾	١٥٠	
﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	١٥١	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾	١٦٨	

﴿سورة المائدة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	١	
﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾	٥	
﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم﴾	٦	
﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾	٧	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾	٨	
﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ﴾	١٧	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾	١٨	
﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٣٠	
﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾	٣١	
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٣٦	
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾	٣٤	
﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟﴾	٣٧	
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾	٣٨	
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٤٠	
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٤٤	
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٥	
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	٤٧	
﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	١٠٣	
﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ﴾	١١٣	
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾	١١٨	

﴿سورة الأنعام﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾	٤	
﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟﴾	١٠	
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾	١٢	
﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ﴾	١٥	
﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾	١٦	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾	١٧	
﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	٢٩	
﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ﴾	٤٠	
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾	٤٢	
﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾	٤٤	
﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾	٤٦	
﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾	٤٧	
﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾	٥٦	
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾	٨٣	
﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾	٨٤	
﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾	٨٥	
﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾	٨٦	
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾	٩٠	
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾	٩٧	
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾	٩٨	
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾	٩٩	
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾	١٠٢	
﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾	١٠٤	
﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١١٠	
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾	١٢٢	
﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾	١٢٨	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾	١٣٠	
﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾	١٣١	
﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾	١٤٠	
﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾	١٥١	
﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾	١٥٢	
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾	١٥٣	
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾	١٦٠	
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى﴾	١٦٢	
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾	١٦٣	
﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾	١٦٤	

﴿سورة الأعراف﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾	١٣	
﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾	٣٩	
﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾	٤٤	
﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٤٥	
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾	٥٩	
﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	٦٠	
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾	٦٢	
﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾	٦٦	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾	٦٨	
﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾	٧٢	
﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾	٧٣	
﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾	٧٩	
﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	٨٠	
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	٨١	
﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾	٨٣	
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾	٨٤	
﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾	٨٦	
﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾	٩٣	
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾	٩٤	
﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٩٥	
﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	١٠٠	
﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾	١٠١	
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾	١٠٣	
﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾	١٠٧	
﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾	١١٥	
﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾	١٢	
﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾	١٤٣	
﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ﴾	١٥٥	
﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾	١٦٢	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨٧	
﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾	١٩٣	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾	١٩٤	
﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ﴾	١٩٥	
﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾	١٩٦	
﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾	١٩٧	
﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾	١٩٨	
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾	٢٠٠	

﴿سورة الأنفال﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٢	
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾	٣٥	
﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ﴾	٣٩	
﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾	٤٨	
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى﴾	٥٠	
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٥١	
﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾	٥٢	
﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾	٥٥	
﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾	٥٦	

﴿سورة التوبة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾	١٥	
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾	١٩	
﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ﴾	٢١	
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾	٢٤	
﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾	٢٥	
﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾	٢٦	
﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٢٧	
﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ﴾	٣٧	
﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٥٤	
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾	٦٧	
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾	٦٨	
﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	٦٩	
﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾	٧٣	
﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾	٨٠	
﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ﴾	٨٧	
﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٩١	
﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ﴾	٩٣	
﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾	١٠٨	
﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ﴾	١١٤	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	١١٩	
﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾	١٢٦	

﴿سورة يونس﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١	
﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ﴾	١١	
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾	١٣	
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾	١٥	
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾	١٧	
﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ﴾	١٩	
﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾	٣٣	
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾	٥٠	
﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾	٥٥	
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	٥٩	
﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ﴾	٧٣	
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾	٧٤	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾	٩٦	
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾	٩٩	
﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ﴾	١٠١	
﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا﴾	١٠٣	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	١٠٤	
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾	١٠٧	
﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾	١٠٨	

﴿سورة هود﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾	٢	
﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾	٣	
﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا﴾	٨	
﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾	١٢	
﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾	١٧	
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾	١٨	
﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾	١٩	
﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾	٢٠	
﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾	٢٢	
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾	٢٥	
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾	٢٨	
﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ﴾	٢٩	
﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾	٣٤	
﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾	٦٠	
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾	٦١	
﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾	٦٤	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾	٦٥	
﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾	٦٧	
﴿فَلَمَّا ذَهَبَ﴾	٧٤	
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٧٥	
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾	٨٢	
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾	٨٣	
﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾	٨٩	
﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾	٩٠	
﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾	٩١	
﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم﴾	٩٢	
﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾	٩٤	
﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾	٩٩	
﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾	١٠٥	
﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾	١٠٩	
﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾	١١٦	
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾	١١٧	

﴿سورة يوسف﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾	١	
﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾	٤	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾	١٨	
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾	٢٢	
﴿إِنَّا نَرَىٰكَ﴾	٣٦	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾	٤٣	
﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم﴾	٤٥	
﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ﴾	٤٦	
﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾	٥٨	
﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾	٦٢	
﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾	١٠٣	

﴿سورة الرعد﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾	٣	
﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾	٤	
﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾	٩	
﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾	١١	
﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾	٣٠	
﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	٣٢	
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾	٣٦	
﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾	٣٧	

﴿سورة إبراهيم﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾	١	
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	١١	
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾	١٢	
﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾	١٨	
﴿أَلَمْ تَرَ﴾	٢٨	
﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾	٣٠	
﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ﴾	٣١	
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	٣٢	
﴿وَإِن تَعُدُّوا۟﴾	٣٤	
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	٣٩	

﴿سورة الحجر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾	١١	
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾	٢٦	
﴿قَالَ لَمْ أَكُن﴾	٣٣	
﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾	٣٤	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	٤٥	
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾	٥٣	
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾	٦٦	
﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾	٦٨	
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٦٩	
﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾	٧٣	
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾	٧٥	
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾	٧٧	
﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾	٨٠	

﴿سورة النحل﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾	١	
﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾	٥	
﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾	١١	
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾	١٢	
﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾	١٣	
﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ﴾	١٦	
﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾	١٧	
﴿وَإِن تَعُدُّوا۟﴾	١٨	

الصفحة	رقم الآية	الآيـة
	٢٠	﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾
	٣٤	﴿وَحَاقَ بِهِم ﴾
	٦٤	﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾
	٦٥	﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ ﴾
	٦٦	﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾
	٦٧	﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ ﴾
	٦٩	﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا ﴾
	٧١	﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾
	٧٢	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾
	٨١	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ﴾
	٨٤	﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾
	١٠٧	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ﴾
	١٠٩	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ ﴾

﴿سورة الإسراء﴾

الصفحة	رقم الآية	الآيـة
	٩	﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾
	٢١	﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ﴾
	٢٢	﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ ﴾
	٣٩	﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ ﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾	٤٤	
﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ﴾	٦١	
﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾	٦٨	
﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾	٦٩	
﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾	٧٥	
﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾	٨٦	
﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾	٨٩	
﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾	١٠٧	
﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾	١٠٨	

﴿سورة الكهف﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢	
﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	٤٩	
﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾	٥٠	
﴿وَمَا كُنتُ﴾	٥١	
﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾	٦٤	
﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾	٧١	
﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾	٧٤	

﴿سورة مريم﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾	٣	
﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾	١٤	
﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾	٢٠	
﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾	٢٦	
﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾	٢٨	
﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾	٣٢	
﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾	٣٧	
﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾	٥٣	
﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ﴾	٦١	
﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾	٧٤	
﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾	٩٤	

﴿سورة طه﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿طه﴾	١	
﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾	٢	
﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً﴾	٣	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾	٧	
﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾	١٤	
﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾	٢٠	
﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾	٢١	
﴿وَٱجْعَل لِّي﴾	٢٩	
﴿هَٰرُونَ﴾	٣٠	
﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾	٦٢	
﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾	٦٥	
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ﴾	٦٧	
﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾	٧٠	
﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾	٧٧	
﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ﴾	٧٩	
﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ﴾	٩٢	
﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾	٩٣	
﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾	١١٢	
﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾	١١٧	
﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ﴾	١١٨	
﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾	١١٩	
﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾	١٢٣	
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾	١٢٩	
﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ﴾	١٣٥	

﴿سورة الأنبياء﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ﴾	٢	
﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾	٢١	
﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾	٢٢	
﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾	٢٥	
﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾	٣٥	
﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	٣٩	
﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾	٤٠	
﴿وَلَا هُم مِّنَّا﴾	٤٣	
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	٥١	
﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾	٥٢	
﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ﴾	٥٣	
﴿لَأَكِيدَنَّ﴾	٥٧	
﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ﴾	٧٠	
﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ﴾	٨٣	
﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾	٨٤	
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾	٩٢	
﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾	٩٣	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ﴾	٩٤	
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾	١٠٧	

﴿سورة الحج﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾	٥	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	١٧	
﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	١٩	
﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾	٢٢	
﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ﴾	٣٧	
﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾	٤٤	
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾	٤٨	
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	٤٩	
﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٥٠	
﴿وَلَا يَزَالُ﴾	٥٥	
﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾	٥٦	
﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ﴾	٦٠	
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ﴾	٦٣	
﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	٦٤	
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ﴾	٦٥	

﴿سورة المؤمنون﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾	١٢	
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾	١٣	
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾	١٤	
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ ﴾	١٧	
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾	٢٣	
﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٣٢	
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾	٤١	
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا ﴾	٤٤	
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾	٥١	
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ ﴾	٥٢	
﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم ﴾	٥٣	
﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ ﴾	٥٤	
﴿ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾	٥٩	
﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا ﴾	٨٢	
﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ ﴾	٨٤	
﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾	٨٥	
﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	٨٦	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾	٨٧	
﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾	٩٩	
﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾	١٠٠	

﴿سورة النور﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾	١٠	
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ ﴾	٢٠	
﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾	٢٥	

﴿سورة الفرقان﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ﴾	٦	
﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾	٧	
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ﴾	٣٥	
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾	٦٠	
﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ ﴾	٦٤	
﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾	٧٤	

﴿سورة الشعراء﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ﴾	٤	
﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾	٥	
﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾	٦	
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾	٨	
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾	٩	
﴿إِنَّا رَسُولُ﴾	١٦	
﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾	٣٠-٣٢	
﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾	٥٠	
﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا﴾	٥٥	
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾	٦٩	
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾	٧٠	
﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ﴾	٧١	
﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾	٧٧	
﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾	٧٨	
﴿هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾	٧٩	
﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾	٨٠	
﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾	٩٠	
﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ﴾	١٠٠	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾	١٠١	
﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾	١٥٥	
﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾	١٥٦	

﴿سورة النمل﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٣	
﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾	٩	
﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾	١٠	
﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾	١٧	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾	١٨	
﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾	٢٤	
﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ﴾	٣٥	
﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾	٣٧	
﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	٥٤	
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	٥٥	
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾	٥٨	
﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾	٦٠	
﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ﴾	٦١	
﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾	٦٢	
﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾	٦٣	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾	٦٤	
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾	٦٧	
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٧٩	
﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ﴾	٨٠	
﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى﴾	٨١	
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾	٨٩	
﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾	٩٠	
﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾	٩١	
﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾	٩٢	

﴿سورة القصص﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾	١٤	
﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾	٢٠	
﴿فَخَرَجَ﴾	٢١	
﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾	٢٧	
﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾	٣٠	
﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾	٣١	
﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى﴾	٥٩	
﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾	٦٠	
﴿أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ﴾	٦١	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا﴾	٦٣	
﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾	٦٦	
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾	٧١	
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ﴾	٧٢	
﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾	٨٨	
﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾	١٠٢	

﴿سورة العنكبوت﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾	٢١	
﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ﴾	٣٣	
﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ﴾	٤٦	
﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٤٧	
﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٩	
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾	٦١	
﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾	٦٢	
﴿فَإِذَا رَكِبُواْ﴾	٦٥	
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾	٦٧	
﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾	٦٨	

﴿سورة الروم﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	١٠	
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم ﴾	٢١	
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	٢٢	
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم ﴾	٢٣	
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ﴾	٢٤	
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ﴾	٢٧	
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾	٤٣	
﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾	٤٤	

﴿سورة لقمان﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ ﴾	١٣	
﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	١٧	
﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾	١٩	
﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	

﴿سورة السجدة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾	٧	
﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا ﴾	١٣	
﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنًا ﴾	١٨	
﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ ﴾	٢٠	
﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ ﴾	٢٦	
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾	٢٧	

﴿سورة الأحزاب﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾	١	
﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ ﴾	٤	
﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾	٥	
﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ﴾	١٠	
﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٢٥	
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرًا ﴾	٢٧	
﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٍ ﴾	٣٢	
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ ﴾	٣٨	
﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾	٣٩	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا ﴾	٥٤	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾	٥٩	
﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾	٦٠	
﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾	٦١	
﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن ﴾	٦٢	
﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا﴾	٦٦	
﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾	٦٧	

﴿سورة سبأ﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ﴾	٢	
﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾	٦	
﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ ﴾	٩	
﴿وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾	١١	
﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا ﴾	١٩	
﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾	٤٥	

﴿سورة فاطر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾	٤	
﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾	١٥	
﴿وَمَن تَـزَكَّىٰ﴾	١٨	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ﴾	٢٢	
﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾	٢٧	
﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾	٣١	
﴿رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾	٣٤	
﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾	٣٦	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ﴾	٤١	

﴿سورة يس﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾	١٤	
﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾	١٦	
﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾	٢٠	
﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾	٢٣	
﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾	٣٠	
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ﴾	٣٧	
﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾	٦٧	
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾	٧١	
﴿وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ﴾	٧٢	
﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ﴾	٧٨	
﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا﴾	٧٩	
﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾	٨٣	

﴿سورة الصافات﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٥	
﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم ﴾	١١	
﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ ﴾	١٥	
﴿ أَءِذَا مِتْنَا ﴾	١٦	
﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾	١١٧	
﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾	١١٨	
﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا ﴾	٤٧	
﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾	٥١	
﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾	٥٢	
﴿ أَءِذَا مِتْنَا ﴾	٥٣	
﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ ﴾	٥٦	
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾	٨٥	
﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً ﴾	٨٦	
﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾	٩٩	
﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ ﴾	١٠١	
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ ﴾	١٠٢	
﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم ﴾	١٣٧	
﴿ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	١٣٨	

﴿سورة ص﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾	٤	
﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ﴾	٥	
﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾	٨	
﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾	١٤	
﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ﴾	٤١	
﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾	٤٢	
﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾	٤٣	
﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾	٥٠	
﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا﴾	٦٢	
﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ﴾	٧١	

﴿سورة الزمر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	١	
﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي﴾	٩	
﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ﴾	١١	
﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ﴾	١٢	
﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾	١٣	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ﴾	١٤	
﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم﴾	١٥	
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ﴾	٣٢	
﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾	٤١	
﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ﴾	٥٥	
﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ﴾	٥٩	
﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	٦٠	
﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾	٧٣	

﴿سورة غافر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾	٥	
﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ﴾	٦	
﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾	١٥	
﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ﴾	٢٩	
﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾	٣٢	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾	٥٦	
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	٥٧	
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	٥٩	
﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾	٦١	
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾	٦٢	
﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾	٧٨	
﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾	٨٥	

﴿سورة فصلت﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	٢	
﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾	٣	
﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٤	
﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا ﴾	١١	
﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ ﴾	٢١	
﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ ﴾	٢٢	
﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ ﴾	٢٥	
﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا ﴾	٢٩	
﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾	٣٥	
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾	٣٦	
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا ﴾	٤٤	
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ ﴾	٤٥	
﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا ﴾	٤٦	
﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾	٤٩	
﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾	٥١	

﴿سورة الشورى﴾

الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ ﴾	٧	
﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم ﴾	٨	
﴿شَرَعَ لَكُم ﴾	١٣	
﴿فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ ﴾	١٥	
﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾	١٧	
﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ ﴾	١٨	
﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٢٢	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾	٢٣	
﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ﴾	٢٧	
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ﴾	٢٨	
﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	
﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾	٣٦	
﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ ﴾	٤٠	
﴿ وَلَمَن صَبَرَ﴾	٤٣	
﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ ﴾	٤٤	
﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾	٤٦	
﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم ﴾	٤٧	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾	٤٨	
﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾	٤٩	
﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا﴾	٥٠	
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾	٥١	

﴿سورة الزخرف﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾	٩	
﴿وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾	١٣	
﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾	١٤	
﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾	٢٠	
﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾	٢١	
﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ﴾	٢٢	
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا﴾	٢٣	
﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾	٦٥	
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾	٦٦	
﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ﴾	٦٧	
﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ﴾	٧٧	

﴿سورة الدخان﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾	٢٠	
﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾	٣٤	
﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا﴾	٣٥	
﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾	٤٨	

﴿سورة الجاثية﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٣	
﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾	٤	
﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ﴾	٥	
﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	١٤	
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾	١٥	
﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾	٢٤	
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	٣٠	

﴿سورة الأحقاف﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾	٣٠	

﴿سورة الفتح﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	٤	
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	٧	
﴿ سَيَقُولُ لَكَ ﴾	١١	
﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ ﴾	١٣	
﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ ﴾	١٤	
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ﴾	٢٤	

﴿سورة ق﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾	٢	
﴿ أَءِذَا مِتۡنَا ﴾	٣	
﴿كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾	١٤	
﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾	١٧	
﴿رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾	١٨	
﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ ﴾	٣١	
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾	٣٧	

﴿سورة الذاريات﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾	٥	
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	١٥	
﴿كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾	١٦	
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾	٢٠	
﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾	٢١	
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ ﴾	٢٨	
﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا ﴾	٣٥	
﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا ﴾	٣٦	
﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا ﴾	٤٩	
﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٥٠	
﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ ﴾	٥١	
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ ﴾	٥٦	

﴿سورة الطور﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلطُّورِ﴾	١	
﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾	٢	
﴿ فِى رَقٍّ﴾	٣	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	١٧	
﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾	١٨	
﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾	١٩	

﴿سورة النجم﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾	٢١	
﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾	٢٢	
﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾	٢٥	
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾	٤٣	
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾	٤٤	
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾	٤٨	

﴿سورة القمر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾	٨	
﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾	١٤	
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾	١٦	
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾	١٧	
﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾	٢٠	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ ﴾	٢٩	
﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم ﴾	٣٦	
﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى ﴾	٣٧	
﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾	٤١	
﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ ﴾	٤٤	
﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ ﴾	٤٥	
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ ﴾	٥٤	

﴿سورة الرحمن﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾	٧	
﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾	٨	
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ ﴾	٩	
﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	١٣	
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾	١٤	
﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ ﴾	١٥	
﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾	١٧	
﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾	٢٩	
﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ ﴾	٣٥	
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ ﴾	٤٦	
﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾	٤٨	
﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾	٥٠	

﴿سورة الواقعة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ....﴾	(١-٢٦)	
﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾	٢٨	
﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾	٢٩	
﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾	٣٠	
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ﴾	٦٢	
﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ﴾	٧٠	
﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾	٨٩	

﴿سورة الحديد﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١	
﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٥	

﴿سورة المجادلة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٢	
﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	٥	

﴿سورة الحشر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾	١٣	
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾	١٤	
﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾	٢٠	

﴿سورة الصف﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾	٨	
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ﴾	٩	

﴿سورة المنافقون﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾	١	
﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	٣	
﴿يَصُدُّونَ وَهُم﴾	٥	
﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾	٧	
﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	

﴿سورة التغابن﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾	٣	

﴿سورة الطلاق﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾	٢	
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾	٤	
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾	٥	

﴿سورة التحريم﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾	٤	
﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾	١٢	

﴿سورة الملك﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾	١٤	
﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾	١٧	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَكَيْفَ كَانَ ﴾	١٨	
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾	١٩	

﴿سورة القلم﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾	٢٠	

﴿سورة الحاقة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿الْحَاقَّةُ﴾	١	
﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾	٢	
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾	٣	
﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ ﴾	٧	
﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾	١٣	
﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾	٢١	
﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾	٢٢	
﴿كِتَابِيَهْ﴾	٢٥	
﴿حِسَابِيَهْ﴾	٢٦	
﴿مَالِيَهْ ﴾	٢٨	

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾	٢٩	
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾	٣٠	
﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾	٣١	
﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ﴾	٣٢	
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾	٤١	
﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾	٤٢	
﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾	٤٧	

﴿سورة المعارج﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾	١٩	
﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾	٢٠	
﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾	٢١	
﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾	٢٢	
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	٣٤	
﴿فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾	٣٥	
﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾	٣٩	
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾	٤٠	
﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾	٤٠	

﴿سورة نوح﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	١٣	
﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ﴾	١٤	
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ﴾	٢٣	
﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾	٢٤	
﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾	٢٨	

﴿سورة الجن﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	٢٨	

﴿سورة المزمل﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾	٨	
﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	٩	

﴿سورة المدثر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾	٣	
﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾	١٦	
﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾	١٧	
﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾	١٨	
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾	١٩	
﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾	٢٠	
﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾	٢٨	

﴿سورة القيامة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾	٨	
﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾	٩	
﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾	٢٥	
﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾	٣١	
﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾	٣٢	
﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾	٣٤	
﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾	٣٥	

﴿سورة الدهر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾	٥	
﴿قَوَارِيرَا۠﴾	١٥	
﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾	١٦	
﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾	١٧	

﴿سورة المرسلات﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ......﴾	(٨–١٥)	
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ......﴾	(١٦–٢٠)	
﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ......﴾	(٢٠–٢٤)	
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ......﴾	(٢٥–٢٨)	
﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ......﴾	(٢٩–٣٤)	
﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ......﴾	(٣٥–٤٠)	
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ......﴾	(٤١–٤٥)	
﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ .....﴾	(٤٦–٥٠)	

﴿سورة النبأ﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴾	٤	
﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾	٥	
﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾	١٨	
﴿لَّا يَذُوقُونَ ﴾	٢٤	
﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾	٢٥	
﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴾	٢٦	
﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ ﴾	٣٠	
﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٣١	
﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ ﴾	٣٦	

﴿سورة النازعات﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾	٦	
﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾	٧	
﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ﴾	٣٤	
﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا ﴾	٤٣	

﴿سورة عبس﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾	١١	
﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾	١٢	
﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ﴾	٢٠	
﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ﴾	٢٢	
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾	٢٤	
﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ﴾	٣٢	
﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾	٣٣	
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾	٣٨	
﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾	٣٩	

﴿سورة التكوير﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾	٥	
﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾	٦	
﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾	١٠	
﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾	١١	
﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾	١٤	

﴿سورة الانفطار﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾	١	
﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾	٣	
﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾	٤	
﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾	٥	
﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾	١٩	

﴿سورة المطففين﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴾	٩، ٢٠	

﴿سورة الانشقاق﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴾	٣	
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٢٢	

﴿سورة البروج﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾	٨	
﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾	١١	
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾	١٧	
﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾	١٨	
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	١٩	

﴿سورة الطارق﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾	١	
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾	٢	
﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾	٣	
﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾	٦	

﴿سورة الأعلى﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾	١	
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾	٦	

﴿سورة الغاشية﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾	١٣	
﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾	١٤	
﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾	١٥	
﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾	١٦	
﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾	٢٢	

﴿سورة الفجر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِذَا يَسْرِ﴾	٤	
﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ﴾	٥	
﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾	٩	
﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾	١٥	
﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾	١٦	

﴿سورة البلد﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾	١	
﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾	٢	
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾	٤	

﴿سورة الشمس﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾	١١	
﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾	١٢	
﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا..........﴾	السورة كاملة	

﴿سورة الليل﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾	١٧	

﴿سورة الضحى﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾	١	
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾	٣	
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾	٦	
﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾	٧	
﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾	٨	
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ﴾	٩	
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾	١٠	

﴿سورة الشرح﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٥	
﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٦	

﴿سورة التين﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾	٤	

﴿سورة العلق﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾	١	
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾	٢	

﴿سورة القدر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ...﴾	(١-٣)	

﴿سورة الزلزلة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾	١	
﴿أَوۡحَىٰ لَهَا﴾	٥	

﴿سورة العاديات﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾	٧	
﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ ﴾	٨	

﴿سورة القارعة﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلْقَارِعَةُ ...... ﴾	(١-٣)	
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾	١٠	

﴿سورة التكاثر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ...﴾	(٣-٤)	

﴿سورة العصر﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلْعَصْرِ ﴾	١	
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾	٢	

﴿سورة الكافرون﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ......﴾	السورة كاملة	
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾	٦	

﴿سورة الإخلاص﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ ﴾	٤	

﴿سورة الناس﴾

الآيـة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ... ﴾	(١-٣)	

❊ ❊ ❊

فهرس الحديث الشريف والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
أسجعاً كسجع الكهان؟	
أسجعاً كسجع الأعراب؟	
أعيذه من الهامة والسامة، وكل عين لامة	
إنما هذا من إخوان الكهان	
إن هذا ليقول بقول الشاعر	
أفضل العمل أدومه وإن قل	
سجع كسجع الأعراب	
السلطان ظل الله في الأرض	
لا تفاضلوا بين الأنبياء	
ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم....	
من أنفق نفقة فاضلة	

* * *

فهرس الشعر

			الصفحة
ملكت بها كفي فأنهرت فتقها		يرى قائم من دونها ما وراءها	
رماني بأمر كنت منه ووالدي		بريئاً ومن أجل الطويّ رماني	
هم يفرشون اللبد كل طِمِرّةٍ		وأجرد سباح يبذ المغاليا	
أقلي اللوم عاذل والعتابا		....	
عبقتك عظامها سناماً أو انبرى		برزقك براق المتون أريبُ	
العين طامحة واليدُّ سابحةٌ		والرجل لائحة والوجه غربيب	
ومن تعاجيب خلق الله غالية		البعض منها ملاحي وغريب	
....		يعصر منها ملاحى وغربيب	
....		صبت عليه صروف الدهر من صبب	
تلك خيلي منهم وتلك ركابي		هن صفر أولادهن كالزبيب	
أوحى لها القرار فاستقرت		....	
كم ليلة وصلنا فيك السرى		لا نعرف الغمض ولا نستريح	
يا أخبث الناس كل الناس قد علموا		لو تستطيعان كنا مثل معضاد	
ألا بكر الناعي بخيري بني أسد		بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد	
فإن تسلوني بالبيان فإنه		أبو معقل لا حي عنه ولا حدد	
ألكني إليها وخير الرسو		ل أعلمهم بنواحي الخبر	
إني ضمنت لمن أتاني ماحيي		وإني وكان وكنت غير غدور	

		الصفحة
يــا عـــاذلاتي لا تـــردن ملامتـــي	إن العــــواذل لـــيس لي بـــأمير	
والمـــؤمن العائـــذات الطـــير	....	
فقـــولا لهـــذا المـــرء ذو جـــاء ســـاعيا	هلـم فـإن المشــرفي المضاجع	
....	بـــالحق الـــذي هـــو ناصـــع	
....	نحـــن بنـــو أم البنـــين الأربعـــة	
نحـــن بـــما عنـــدنا وأنـــت بـــما	عنـــدك راض والـــرأي مختلـــف	
....	بقمــــد كــــسائل الجربـــــال	
أرى مـــر الـــسنين آخـــذن منـــي	كما أخـذ السـراة مـن الهـلال	
فقـــولا لأهـــل المكتـــين تحاشـــدوا	وســيروا إلى آطــام يثــرب والنحــل	
....	وقـــد ماتـــت عظـــام ومفـــصل	
مطافيـــل أبكـــار حـــديث نتاجهـــا	يــشاب بــماء مثــل مــاء المفاصــل	
لا يـــسلم الـــشرف الرفيـــع مـــن الأذى	حتـى يـراق عـلى جوانبـه الـدم	
والحادثـــات وإن أصـــابك بؤســـها	فهـــو الـــذي أنبـــاك كيـــف نعيمهـــا	
ديــــار لهــــا بــــالرقمتين كأنهــــا	مراجيـــع وشـــم في نـــواشر معـــصم	
وكـــن للـــذي لم تحـــصه مـــتعلما	وأمـــا الـــذي أحـــصيت منـــه فعلـــم	
إن العيـــون التـــي في طرفهـــا حـــور	قتلتنـــــا ثـــــم لم يحيـــــين قتلانـــــا	
يـــصرعن ذا اللـــب حتـــى لا حـــراك بـــه	وهـــن اضـــعف خلـــق الله انـــسانا	
ومهمهـــــين قـــــذفين مـــــرتين	قطعتـــــه بـــــالإم لا بالـــــسمتين	
يـــــسعى بكبـــــداء ولهـــــذمين	قـــد جعـــل الأرطـــاة جنتـــين	
ومهمهـــــين قـــــذفين مـــــرتين	ظهراهمـــــا مثـــــل ظهـــــور الترســـــين	

* * *

فهـرس المحتـويـات

الموضوع **الصفحة**

تقريظ د. فضل حسن عباس ....
المقدمة: ....
التمهيد: وفيه دراسة لجهود العلماء قديماً وحديثاً في دراسة هذه الظاهرة القرآنية. ....
الباب الأول: بين يدي الفاصلة ....
الفصل الأول: في معنى الفاصلة..
الفصل الثاني: بين الفواصل والأسجاع ....
الباب الثاني: الفاصلة القرآنية ....
الفصل الأول: البنية الداخلية لفواصل الآيات القرآنية وثراؤها للنص بالمعنى ...
المبحث الأول: روعة الفاصلة واستقرارها ....
المطلب الأول: اختيار الفاصلة القرآنية ....
المطلب الثاني: اختلاف الفواصل لاختلاف المتحدَّث عنه والدلالة المعنوية لذلك ....
المبحث الثاني: الدلالة المعنوية في تركيب الفاصلة القرآنية من الجملة.........
المبحث الثالث: الدلالة المعنوية للحذف والزيادة في تركيب الفاصلة القرآنية.
المطلب الأول: حذف الضمائر والحروف ....
المطلب الثاني: حذف الفاعل والمفعول ....
المطلب الثالث: الزيادة ....

الموضوع **الصفحة**

المبحث الرابع: الدلالة المعنوية للتقديم والتأخير في تركيب الفاصلة ....

المطلب الأول: تقديم المفعول في الفاصلة ....

المطلب الثاني: تقديم الجار والمجرور أو الظرف على متعلقه ....

المطلب الثالث: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي أو المسند المشتق ....

المطلب الرابع: تقديم بعض الكلمات على بعض ....

المبحث الخامس: الدلالة المعنوية لاختيار اللفظ مفرداً ومثنى ومجموعاً ......

المبحث السادس: الدلالة المعنوية للتذكير والتأنيث ....

المبحث السابع: الدلالة المعنوية للإضمار والإظهار ....

المبحث الثامن: الدلالة المعنوية للتكرار ....

الفصل الثاني: متشابه الآيات القرآنية ....

المبحث الأول: الدلالة المعنوية لاختلاف فواصل الآيات مع اتحاد موضوعاتها أو تقاربه ....

المطلب الأول: اختلاف المحكي في حكاية واحدة في القصة القرآنية ......

المطلب الثاني: آيات غير القصص القرآني المندرجة تحت هذا الفصل ......

المبحث الثاني: الدلالة المعنوية لاتفاق الفواصل اختلف موضوعاتها أو اتفقت

الفصل الثالث: مشكلات الفواصل القرآنية ....

الفصل الرابع: قيم معنوية تعالجها الفواصل القرآنية ....

الفصل الخامس: مراعاة الآيات القرآنية للفاصلة. وقفة أخيرة.....................

الخاتمة والنتائج ....

فهارس الكتاب..

فهرس الآيات القرآنية ....

فهرس الأحاديث النبوية ....

فهرس الأبيات الشعرية ....

فهرس المحتويات ....